الاثنينية
AL-ITHNAINYA
منتدى أدبي ثقافي أسس بجدة عام ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ

عبد الحميد عنبر

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الاثنينية
(٢٠)

الأعمال الكاملة

للأديب الأستاذ
عبد الحميد عنبر

الناشر
عبد المقصود محمد سعيد خوجه
جدة

ⓒ عبدالمقصود خوجه ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عنبر ، عبدالحميد

الأعمال الكاملة للأديب عبدالحميد عنبر ./ عبدالحميد عنبر .- جدة ١٤٢٤هـ

٥١٢ص ؛ ١٧×٢٤سم (كتاب الأثنينية ٢٠)

ردمك ٦-٩٤٩-١٠-٩٩٦٠

١ - عنبر ، عبدالحميد - المؤلفات الكاملة ٢ - الأدب العربي - مجموعات

أ- العنوان ب-السلسلة

ديوي ٨١٠,٨ ٥٥٨٨/ ١٤٢٤

رقم الإيداع : ٥٥٨٨/ ١٤٢٤

ردمك : ٦-٩٤٩-١٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

صدرت هذه الأعمال بمناسبة "مكة المكرمة" عاصمة الثقافة الإسلامية

حقوق الطبع محفوظة

الناشر

عبدالمقصود محمد سعيد خوجه

جدة

الأديب عبدالحميد عنبر

الإهداء

بمناسبة اختيار

مكة المكرّمة عاصمة للثقافة الإسلامية

لعام ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥م،

أهدي هذا العمل لمؤلفي

"وحي الصحراء":

والدي

محمد سعيد عبدالمقصود خوجه

و رفيق دربه

عبدالله عمر بلخير

–يرحمهما الله –

فهرس المحتويات

الإهداء ....
المقدمة ....
كلمة الناشر ....
إصدارات كتاب الإثنينية ....
السيرة الذاتية ....
الشعـــر ....
اللجين المذاب ....
خاص(*) ....
رب البيان ....
عاش عبد العزيز للعرب ذخرا ....
فيصل العرب تسامى مجدُه ....
جدَّ جدُّ الحياة ....
أنت يا فيصل محط رجانا ....
فيصل مدّ يديه صافحوها بالتراضي ....
وحدة الإسلام ....
إلى حامي الحمى تهفو . . . .
نهضة قاد سعود جيشها ....

موائد العلم ....
موكب الشباب ....
حيِّ الجزيرة ....
الطبيب المتسامي ....
بلبلُ الأفراح يغنّي ....
زفرات حزينة ....
دمعة على أخي الفقيد عبد الحميد عنبر ....
النثــر ....
ظننت المضيفة أول الأمر ....
توطئـة ....
المقدمة ....
لو عدت طفلاً ماذا تتمنى أن تكون؟ ....
هل نحن على أبواب عهد جديد؟ ....
الجيلُ الجَديد ....
الكتاب الفضي «المنهل» في عاماً ....
من مظاهر النهضة بالمدينة المنورة ....
الإجابة عن الاستفتاء بعنوان مشروعاتنا في الخمس سنوات ....
هل يخفق الأديب في الحياة؟ ولماذا؟ ....
تحية لهؤلاء العاملين ....
العظمة والخلود ....
تحية الكشافة العراقية ....
رسالة مفتوحة. . . ..
شهاب عبد الجواد ـ وحق الموظف ....
تسعيرة اللحم خطوة مباركة. . . يجب أن يتبعها ....

كتاب «طه حسين والشيخان» ....
قابلت معالي الوزير ....
مطار جدة من أهم مطارات الشرق العربي ....
حول مقال الأستاذ رشوان (١) ....
حول مقال الأستاذ رشوان (٢) ....
الدكتور عادل بك ....
تعليق على مقال الأديب السيد أمين مدني ....
تعليق على مقال «فكرة شركة المساهمة» ....
صديقي الفيلسوف ....
حيوا معي هذا الرجل ....
مؤتمر أدباء وشعراء المملكة ....
شيء في صدري ....
في الأخلاق أيضاً ....
سيدنا محمد ﷺ ....
التعارف سبيل إلى الوحدة فلماذا لا نستغل هذا الظرف؟ ....
وتعاونوا على البر والتقوى ....
«حجوا قبل أن لا تحجوا» (حديث شريف) ....
التمر والحلوى في العيد ....
التشجيع الحكومي للأدب والثقافة ....
في موكب الأفراح ....
رمضان.. أيام زمان ....
ماذا ننتظر للعالم الإسلامي والعربي ماذا في عام هـ؟ ....
السعادة والدين الإسلامي ....
كتاب وكاتب ....

كلمتان في سجل الوطنية الخالدة ....
عوامل تكوين الشباب المدني اليوم وغداً ....
الجنسية، الوطنية، وموقفنا إزاءها ....
جامعة الملك عبد العزيز ....
مدرسة النجاح في تكوينها الجديد ....
مشروع للتبني ....
واباني مدرستاه ....
توحيد الزي خطوة عملية للتوحيد الاجتماعي العام ....
الجزيرة العربية والماء وَكِتَابُ «تاريخِ الْعَيْنِ الْعَزِيزِيَّةِ بِجُدَّة» ....
مفهومية المثقفين ....
غاية التعليم ....
فيصل.. هل فطنا له لنتجاوب معه ونحقق المعجزة ....
مؤتمر القمة ....
أمخاخ ....
شعورنا نحو فلسطين ....
كنت في غانا ....
واجب المواطن أيام الحرب (١) ....
واجب المواطن أيام الحرب (٢) ....
واجب المواطن أيام الحرب (٣) ....
واجب المواطن أيام الحرب (٤) ....
واجب المواطن أيام الحرب (٥) ....
واجب المواطن أيام الحرب (٦) ....
الهروب من الحياة (١) ....
الهروب من الحياة (٢) ....

الهروب من الحياة (٣) ....

الهروب من الحياة (٤) ....

الهروب من الحياة (٥) ....

الهروب من الحياة (٦) ....

الأوقاف عندنا وعندهم ....

عادة كتابة المذكرات. . (١) ....

عادة كتابة المذكرات. . (٢) ....

عادة كتابة المذكرات. . . (٣) ....

عادة كتابة المذكرات. . (٤) ....

ذكـــرى ....

المؤرخ البارع يستطيع أن يقدم. . ...

ترويض الحيوانات ....

الرياح التجارية ....

شباب أنيق. . ولكن. . !! ....

مع المشاهير ....

الفتاة البكماء الصماء العمياء التي زاحمت نابليون ....

تـولستـوي ....

أونجلين بوت ....

باستيل زخاروف ....

كلود وليم دكن فيلد ....

روزفلت ....

سومرست موم ....

وليم راندولف هارست ....

إدوارد بوك ....

ادي ريكن بيكر ....
وليم شكسبير ....
بيربونت مورجن ....
جاك لندن ....
أندرو كارنيجي ....
آل ونـدل ....
الأخوان: مايو الدكتوران وليم وجاك ....
جـاك سيل ....
هتـي جريـن ....
التفاصيل التي لم تستطع الأفلام عرضها في حياة فارس البنغال
(فرانسيس ييست برون) ....
ولســـن ....
لورانس تايبت ....
قيصر روسيا الكبير. . ...
القبطان روبرت فولكن سكوت ....
خطاب شكر ....
خطاب شكر ....
خطاب شكر ....
خطاب شكر ....
خطاب شكر ....
خطاب شكر ....
فهرس المحتويات ....

المقدمـة

لقد ازدهرت «الاثنينية» وواصلت مسيرتها وهي تمتح من معين النور في مكة المكرمة مستلهمة فضائل أم القرى من موقع انعقاد فعالياتها بجدة «بوابة الحرمين الشريفين». . وكان لا بد لهذا القرب الجغرافي من إلقاء ظلاله على ما يمكن أن يقدمه هذا المنتدى في مناسبة تاريخية مثل اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية، وإن كانت مكة المكرمة دائماً وأبداً موئل العطاء وإشعاع الثقافة والفكر منذ نزول «اقرأ» بغار حراء على سيد الخلق وخاتم الأنبياء سيدنا محمد ﷺ.

والحمد لله الذي ألهمني التوجه إلى بر والدي، وصديق عمره معالي الشيخ عبد الله بلخير «رحمهما الله». . . ذاكراً فضل معاليه عليَّ بالتوجيه والرعاية في دروب الحياة المختلفة. . فقد غرسا في نفسي بطريقة مباشرة أو غير مباشرة حب الكتاب. . . وكانت البذرة التي أخرجت ما تيسر من السنابل والحبوب كتابهما القيم (وحي الصحراء) الذي صدرت طبعته الأولى عام ١٣٥٥هـ، بصفته أول عمل أدبي معاصر يرصد جانباً من نتاج أدباء الحجاز بتراجمهم ونماذج من أعمالهم. . وقد أعادت «تهامة» طباعته للمرة الثانية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

وكان من فضل الله بما أفضلت به «تهامة» في قمة عطائها إصدار كتاب

«محمد سعيد عبد المقصود خوجه حياته وآثاره» للأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن حسين، من سلسلة الكتاب العربي السعودي، الطبعة الأولى ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.. ثم شرفت بإصدار سلسلة [كتاب الاثنينية] كرافد يوازي [سلسلة أمسيات الاثنينية] وتحت مظلته صدر كتاب «عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية» للأستاذ محمود رداوي، في طبعاته: الأولى عام ١٤١١هـ/١٩٩١م، والثانية ١٤١٣هـ/١٩٩٣م، والثالثة ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م.. وأردف بكتاب «عبد الله بلخير يتذكر» للدكتور خالد باطرفي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ثم كتاب «الغربال» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م).. ثم كتاب «الأعمال الكاملة للشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي» الذي صدرت طبعته الأولى في ستة أجزاء (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).. وكتاب «المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي محمد سعيد عبد المقصود خوجه» للأستاذ حسين الغريبي (ط١ ـ ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م) ـ وبين هذه الإصدارات وبعدها ـ أصدر [كتاب الاثنينية] مجموعة أخرى، إلا أن التي نوهت عنها ذات ارتباط مباشر بكتاب «وحي الصحراء» الذي استلهمت منه فكرة الأعمال الكاملة لكل أديب أسهم فيه بأنموذج من أعماله.

وبدأت مرحلة شاقة من البحث، وحصر الأعمال، التي كان معظمها متناثراً أو لدى الورثة الأفاضل الذين حافظوا عليها مشكورين، واستجابوا للإعلانات التي نشرتها في مختلف الصحف، إلى أن تجمعت حصيلة طيبة خضعت لمعايير صارمة من المراجعة والتدقيق أثناء مراحل الطباعة المختلفة... وقد أكرمنا الله عز وجل بطباعة هذه الكتب التي تقدمها «الاثنينية» بكل اعتزاز بمناسبة اختيار مكة المكرمة عاصمة للثقافة الإسلامية ما بين عامين وعام من المناسبة المذكورة، وظلت في المستودعات لترى النور وتتلازم مع هذه الفعاليات.. ويسعدنا تقديم:

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ حسين سراج (١٠ أجزاء).

ـ أخبار مكة للأزرقي (جزءان في مجلد واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان (٧ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة (جزء واحد).

ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي (٥ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق (جزء واحد).

ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة (٤ أجزاء).

ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب (جزء واحد).

ويلاحظ القارىء الكريم أن هناك أعمالاً لم تكن ضمن كتاب «وحي الصحراء» إلا أن أصحابها الأفاضل لهم ريادة وعلاقة وثيقة بهذا التوجه... أي إنها تنصهر كلها في بوتقة حب مكة المكرمة زادها الله تشريفاً وتعظيماً.

سائلاً الله سبحانه وتعالى أن ينفع بها المسلمين ويجعلها خيراً يسهم في إثراء مكتبتنا العربية والإسلامية.

والله الموفق وهو من وراء القصد،،

عبد المقصود محمد سعيد خوجه

كلمة الناشر

بقلم: عبد المقصود محمد سعيد خوجه

يبقى الكتاب حاضن الكلمة، ومهوى أفئدة القراء، ذلك العابق بزكِي رائحة الورق والحبر، الحفي بصداقة من يجالسه، الأنيس في كل ساعة، الذي نستشف من خلاله جمال كل ما حولنا، ونتمثله في أنفسنا، ونعكسه على إبداعاتنا الذاتية: ثقافة، وكتابة، ومحاورة، وعلماً نافعاً.. وكل إطلالة على عالمنا بكتاب جديد تفتح آفاقاً من المعرفة التي نتوق إليها ونسعى لاقتناصها والتفاعل معها.. وعندما يأتي هذا الرفيق من عرصات الماضي بعبق التاريخ وذكريات الأيام والليالي الخوالي، فإنه يكون أقرب إلى النفس، وأشد تأثيراً بإيحاءاته وخلجات الوجدان التي يحرك سواكنها بتؤدة ووقار.

أسعد اليوم بتقديم الأعمال الكاملة لأديبنا الكبير الأستاذ عبد الحميد عنبر، «رحمه الله» الذي رأى النور في طيبة الطيبة، مدينة النور، وعاش بين حصاوي حرمها النبوي الشريف، ومجالس علمائها وأدبائها، تأثر بنفحات «العقيق»، وشموخ «أحد»، وجدَلَ كل ذلك بلغته الخاصة، ونثره قطعاً فنية هادئة النَفَس، عميقة الأهداف، وزان بعضها نظماً رقيقاً، زادها عطراً وتغلغلاً في كوامن الإحساس.

لم تنشأ شاعرية الأستاذ عبد الحميد عنبر من فراغ، ولم يكن أدبه محصوراً بمجلس أديب واحد، بل التقى أكثر مثقفي زمانه، وتفاعل معهم، سواء كانوا في المدينة المنورة أو مكة المكرمة، وبالتالي تواصل مع مؤلفي كتاب «وحي الصحراء» الذي نشره والدي وصديقه معالي الشيخ عبد الله بلخير عام ١٣٥٥هـ، وأعادت تهامة طبعته الثانية عام ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.. هذا الأديب المطبوع كان ممن أتت مشاركتهم نثراً بمقال أسهم به في ذلك الكتاب تناول فيه قضية النهضة والتحول الاجتماعي الذي بدأت بشائره تهل في تلك الفترة، وكان حينئذٍ في مستهل حياته الأدبية والعملية.. ثم درس اللغة الإنجليزية وثقف نفسه بنفسه شأن كثير من أبناء ذلك الجيل الطموح، إلى أن بدأ يكتب في جريدة "المدينة المنورة" التي امتد صدورها على فترتين: في عهد الأفراد ـ ما بين ١٣٥٦/١/٢٦هـ الموافق ١٩٣٧/٤/٨م إلى ١٣٨٣/١٠/١٠هـ الموافق ١٩٦٤/٢/٢٣م.. وتلتها مرحلة المؤسسات التي بدأت في ١٣٨٣/١١/٢هـ الموافق ١٩٦٤/٣/١٥م واستمرت إلى يومنا هذا.. وقد عمل في هيئة التحرير منذ بداية صدورها بجانب كل من الأستاذين الكبيرين محمد حسين زيدان، وضياء الدين رجب، وكان الأستاذ السيد أمين مدني رئيساً لتحريرها «رحمهما الله».. وسجل الأستاذ عبد الحميد عنبر اسمه في لوحة من تولوا رئاسة تحريرها خلال الفترة من ١٣٨٤/٤/٢٩هـ الموافق ١٩٦٤/٩/٦م إلى ١٣٨٤/٦/٢٢هـ الموافق ١٩٦٤/١٠/٢٨م.. حيث استقال من منصبه بالجريدة، وبقي عضواً بمجلس الشورى حتى وافاه الأجل المحتوم في جمادى الآخرة عام ١٣٩١هـ.

إن معظم الكتّاب والشعراء والأدباء الذين نبغوا في المدينة المنورة ممن عاصرهم الأستاذ عبد الحميد عنبر كان لهم تواصل مباشر مع كثير من

المجالس الثقافية والمنتديات الأدبية التي انتظم عقدها خلال تلك الفترة، وبعضها امتد بعد مؤسسيها إلى فترات لاحقة.. ومن الوفاء أن أشير في لمحات خاطفة عن تلك المنتديات الأدبية التي كان لها أعمق الأثر في تطوير الحركة الثقافية في المدينة المنورة، وامتد أثرها بالتأكيد إلى مكة المكرمة وجدة والطائف والرياض وغيرها من مدن المملكة كنتيجة حتمية لتنقلات روادها بين تلك المدن.. ومن أشهر تلك المجالس:

ـ مجلس الشاعر عبد الجليل برادة المدني: وكانت تعقد في بستان «الأبارية» القريب من المسجد النبوي الشريف، ويتناول روادها الأفاضل معظم القضايا العلمية والأدبية والاجتماعية.

ندوة السيد أنور عشقي: وهو من أعيان المدينة المنورة المميزين، وكانت تعقد في بستانه الواقع شمال ثنية الوداع في سفح جبل سلع، وقد سماها "العشقية".

ندوة الشيخ عمر كردي الكوراني: وهو أحد قضاة المدينة المنورة وشعرائها المرموقين، ويعقد مجلسه في منزله يومياً بين المغرب والعشاء.

وهناك مجموعة من الأدباء الشباب كانوا يلتقون في البساتين المنتشرة حول المدينة المنورة، وإذا تعذر ذلك اجتمعوا في منزل أحدهم بالتناوب.. وقد أسفرت تلك الندوات عن مشاريع ثقافية مؤسسية مثل مجلة المنهل لصاحبها ومؤسسها عبد القدوس الأنصاري «يرحمه الله» والتي انطلقت عام ١٣٥٥هـ، وتلتها جريدة المدينة المنورة عام ١٣٥٦هـ لصاحبيها ومؤسسيها عثمان وعلي عبد القادر حافظ.

وفي أواسط السبعينات تأسست "أسرة الوادي المبارك" التي تمخضت عن قيام النادي الأدبي بالمدينة المنورة عام ١٣٩٥هـ.

ومن مجالس الأعيان والأدباء والشعراء ووجوه المجتمع المدني نجد مجالس كل من المشايخ آل عباس الذي أسسه الشيخ أحمد إبراهيم عباس.. ومجلس آل القمقمجي الذي أسسه الشيخ عباس قمقمجي، ومجالس كل من السادة محمود أحمد، وزكي البرزنجي، ومحمد عثمان داغستاني، ومصطفى حسن عطار، وأحمد ياسين الخياري، وعبيد عبد الله مدني، وأمين عبد الله مدني، واسعد طرابزوني الحسيني، ومحمد الحافظ موسى، والدكتور الشريف نايف هاشم الدعيس، والدكتور محمد العيد الخطراوي، والأستاذ الشاعر حسن مصطفى صيرفي، وغيرهم.. رحم الله من رحل إلى دار البقاء، وأمد في عمر البقية ليواصلوا جهادهم وعملهم المبرور في عالم الكلمة وساحة الثقافة والأدب والفكر.

في هذه البيئة النقية الزاهية التي تساعد على تفتح المواهب وصقلها غرد الأستاذ عنبر أجمل قصائده ودبج مقالاته، فقد كان عصراً حفياً بكل أديب جاد، ومتحفزاً لدعم واحتضان جميع محبي الثقافة والفكر دون اكتراث لأية فوارق اجتماعية أو اقتصادية، وحتى الأجيال كانت تتواصل رغم اختلاف الأعمار وإن كان الشباب يميلون إلى منتديات معينة دون أن يحول ذلك من أن يرتعوا في رياض الأكبر سناً ومقاماً.

وأجد لزاماً عليَّ أن أذكر بالفضل والعرفان السيدة/ حياة ابنة الأستاذ عبد الحميد عنبر «رحمها الله» التي كانت مهتمة بتراث والدها، وأسهمت بجهود كبيرة في جمعه وطبعه في كتابين منفصلين صدر أولهما ـ ديوان شعر ـ بعنوان "اللجين المذاب" بتاريخ ١٤١٤هـ/١٩٩٤م (الطبعة الثانية التي لم تشر إلى تاريخ الطبعة الأولى)، والثاني مجموعة مقالات بعنوان «ظننت المضيفة أول الأمر» طبع بمطابع الوفاء بالدمام.. وقد لاقت في سبيل ذلك ما لاقت من

عنت ومشقة، غير أنها تغلبت على كل عقبة بما تحمله من حب وبر بوالدها، وليقينها بأن ما قامت به يمثل واجباً وطنياً ينبغي أداؤه والوفاء به مهما كان الثمن.. وقد ضربت بذلك مثلاً أرجو أن يحتذيه كل من شرفه الله عزّ وَجلّ بوالد أو قريب أو صديق له إبداعات، فيرحل عن الدنيا دون أن يهيئ لها طريقاً إلى النشر، فيبادر أهل الوفاء إلى جمع ذلك التراث والعمل على نشره لأنه ميراث أمة، وباب من أبواب الذكر الحسن، وبإذن الله سيبقى صدقة جارية في ميزان حسنات المبدع، ومن يسعى لنشر أريج أدبه وعلمه.

سائلاً الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل، وهو سبحانه من وراء القصد.

جده ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م **عبد المقصود محمد سعيد خوجه**

إصدارات كتاب الاثنينية

١ ـ ديوان (الأعمال الكاملة).

لمعالي الأستاذ أحمد بن محمد الشامي، (رقم ١) الطبعة الثانية ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

٢ ـ كتاب (عبد الله بلخير شاعر الأصالة والملاحم العربية والإسلامية).

لمؤلفه الأستاذ محمود رداوي، (رقم ١/١) الطبعة الرابعة ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٣ ـ ديوان (عاصفة الصحراء).

للشاعر الأستاذ محمود عارف، (رقم ١/ ٢) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٤ ـ ديوان (الأربعون).

للأستاذ عبد السلام هاشم حافظ، (رقم ١/ ٣) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٥ ـ ديوان (قلبي على وطني)

للشاعر العراقي الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٤) الطبعة الأولى ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م.

٦ ـ كتاب (جرح باتساع الوطن).

للشاعر الأستاذ يحيى السماوي، (رقم ١/ ٥) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

٧ ـ ديوان (حصاد الغربة)

للشاعر العراقي الدكتور زاهد محمد زهدي، (رقم ٦/١) الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٨ ـ ديوان (الأعمال الكاملة)

للأستاذ الراحل زكي قنصل، (رقم ٢) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ كتاب (البهاء زهير)

للأستاذ المرحوم محمد إبراهيم جدع، (رقم ٣) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٠ ـ كتاب (التوازن معيار جمالي)

للأستاذة غادة بنت عبد العزيز الحوطي، (رقم ٤) الطبعة الثانية ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

١١ ـ كتاب (سوانح وآراء)

للأستاذ الدكتور بدوي طبانه، (رقم ٥) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م.

١٢ ـ كتاب (ترجمة حياة)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٦) الطبعة الأولى ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

١٣ ـ ديوان (قوس قزح)

لفضيلة معالي الدكتور الشيخ أحمد الزرقاء، (رقم ٧) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م.

١٤ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الأول).

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٦هـ ـ ١٩٦٦م.

١٥ ـ كتاب عبد العزيز الرفاعي من المهد إلى اللحد (الجزء الثاني)

للأستاذ الشاعر أحمد سالم باعطب، (رقم ٨) الطبعة الأولى ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

١٦ ـ ديوان الأعمال الكاملة (الجزء التاسع)

لمعالي الأستاذ محمد حسن فقي، (رقم ٩) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٧ ـ ديوان (أوراق من هذا العصر)

للشاعر الدكتور خالد محي الدين البرادعي، (رقم ١٠) الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م.

١٨ ـ ديوان (زمن لصباح القلب)

للشاعر فاروق بنجر، (رقم ١١) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

١٩ ـ الشعراء في إخوانياتهم

للأستاذ خالد القشطيني، (رقم ١٢) الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م.

٢٠ ـ عبد الله بلخير يتذكر

للأستاذ خالد باطرفي، (رقم ١٣) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢١ ـ كتاب (الغربال)

للأستاذ حسين عاتق الغريبي، (رقم ١٤) الطبعة الأولى ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٢٢ ـ ديوان (حلم طفولي)

للأستاذ سعد البواردي، (رقم ١٥) الطبعة الثانية ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٣ ـ كتاب (الأعمال الشعرية الكاملة وأعمال نثرية)

للشاعر أحمد بن إبراهيم الغزاوي، (رقم ١٦) الطبعة الأولى ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

٢٤ ـ المجموعة الكاملة لآثار الأديب السعودي الراحل محمد سعيد عبد المقصود خوجه

إعداد وتقديم الأستاذ حسين عاتق الغريبي (رقم ١٧) الطبعة الأولى ١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١م.

٢٥ ـ الأعمال الكاملة للشاعر والأديب الكبير حسين عبد الله سراج رقم (١٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٤م.

٢٦ ـ أخبار مكة للأزرقي رقم (١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م

٢٧ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحميد عنبر رقم (٢٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الحق بن عبد السلام النقشبندي رقم (٢١)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٢٩ ـ الأعمال الشعرية والنثرية للأديب الشاعر الأستاذ أحمد العربي رقم (٢٢)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٠ ـ الأعمال الشعرية والنثرية الكاملة للأستاذ محمد إسماعيل جوهرجي رقم (٢٣)،
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣١ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد حسين زيدان رقم (٢٤)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٢ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عبد الوهاب إبراهيم آشي رقم (٢٥)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٣ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ عزيز ضياء رقم (٢٦)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٤ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأديب الأستاذ محمد صالح باخطمة رقم (٢٧)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٥ ـ الأعمال الكاملة للأديب الدكتور عاصم حمدان علي رقم (٢٨)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٦ ـ الأعمال الشعرية الكاملة للأستاذ مصطفى زقزوق رقم (٢٩)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٧ ـ الأعمال الكاملة للأستاذ إبراهيم أمين فودة رقم (٣٠)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

٣٨ ـ الأعمال الكاملة للأديب الأستاذ محمد عمر عرب رقم (٣١)
الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م.

السيرة الذاتية

ولد عبد الحميد عنبر بالمدينة المنورة سنة ١٣٢٣هـ. وحفظ القرآن الكريم في كتاتيبها، انتقل إلى أول مدرسة حكومية عربية، أنشأها الأشراف. تعلّم فيها أربعة أعوام ثم التحق بمدرسة العلوم الشرعية، ونال شهادتها العالية، وبعد التخرج درَّس فيها بالقسم العالي، دَرس اللغة الإنجليزية بنفسه كتابة وقراءة ثم قام بتدريسها، وهو أول من أدخل الترجمة في الصحافة السعودية.

وحين فتحت الحكومة السعودية المدارس انتقل للتدريس فيها، وفي العام ١٣٥٧هـ عين مديراً للمدرسة التحضيرية بالمدينة المنورة ثم أوفد إلى الخرج رئيساً ومشرفاً لبعثة من الطلبة لدراسة الزراعة في منطقة الخرج، عين مفتشاً مركزياً على منطقة المدينة، ثم مفتشاً مالياً لمنطقة جدة، ومشرفاً على الدوائر المالية والجبائية فيها، وفي عام ١٣٧١هـ. صار مفتشاً مالياً مركزياً للمنطقة كافة، وانتقل للظهران مفتشاً مالياً لتلك المنطقة وفي عام ١٣٧٣هـ، عين مساعداً لرئيس ديوان مقاطعة الظهران ومن ثم رئيساً للديوان.

عاد إلى جدة في العام نفسه بوظيفة مفتش بالدرجة الأولى، وفي العام ١٣٧٥هـ تم تعيينه عضواً بمجلس الشورى، وعضواً في مؤسسة المدينة، وفي عام ١٣٨٣هـ صدر قرار ملكي من جلالة الملك فيصل رحمه الله بتعيينه

رئيس تحرير لجريدة المدينة لمدة من الزمن، ثم استقال وبقى عضواً بمجلس الشورى حتى توفاه الله في جمادى الثانية لعام ١٣٩١هـ. كتب تقريباً في معظم صحف المنطقة الغربية، وفقدت أكثر النصوص والأصول لجميع كتاباته تقريباً.

كوّن في صدر شبابه مع بعض زملائه أمثال ضياء الدين رجب وعثمان وعلي حافظ وعبد الحق النقشبندي وآخرين نادياً سمي بنادي المحاضرات في المدينة المنورة، مسقط رأسه حيث حاضر فيه كثير من العلماء الوافدين إلى زيارة الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام من البلاد العربية والإسلامية، كما حاضر فيه كثير من شباب جدة ومكة.

وقد كان ذلك النادي نواة النهضة الأدبية في المملكة العربية السعودية.

له أخ شقيق وأربعة وثلاثون حفيداً وحفيدة.

وتوفي في حادث سير في العاصمة النمساوية (ڤيينا) أثناء رحلته العلاجية في جمادى الآخرة عام ١٣٩١م ونقل جثمانه إلى جدة حيث دفن فيها.... يرحمه الله...

إضـــاءة

بقلم: حياة عبد الحميد عنبر

في تلك الحقبة من الزمن، ومع بداية احتضار الدولة العثمانية وتوافد جنائزها من كل مكان عاشت فيه من العالم، كان كل موطن لها يرزح تحت تركتها الثقيلة، وكانت تركة بشعة عطلت العقول وأعمت الأبصار.. وعاثت في الفكر فساداً.

كانت الحجاز أرض الرسالة ومركز النور ترزح تحت حكام أضعفت هذه الدولة ثقتهم بأنفسهم وقدراتهم: فحاولوا أن يثوروا ولكنهم كانوا أضعف من الثورة وفي غمرة هذه الأحداث بدأ زحف جديد كان الناس يرزحون تحت الجهل والقلق وعدم الاستقرار وشظف العيش والاستسلام لنظام التكايا وعطاءات الوالي العثماني، ولم تكن تلك العطاءات لتسد إلاّ القليل من البطون الجائعة والأنفس المتلهفة للاستقرار والأمان.

كان الزحف القادم يبدو مباركاً عند البعض وفيه الرهبة والخوف عند البعض الآخر، ولكنه وبكل حال أفضل من الواقع الموجود، وحين تكشفت الأحداث، فكان التواجد الجديد نوراً وأملاً وقدوة، ومد الملك عبد العزيز

ابن عبد الرحمن آل سعود يده فصافحها الجميع بالتراضي. وتفتحت القلوب وكانت هناك ثلة من العقول الشابة النابغة التي أطربها هذا الحدث، فتقدمت بفكرها وحماسها تحمل الشموع، وتزغرد بلسان القلم المقدس الذي علم الله تبارك وتعالى به الأفئدة، وبه كتبت الألواح والصحف.

كان الشاعر إن جازت التسمية فشعره لم يتعد قصائد... معدودة، لكن كلها مواكبة للأحداث مليئة بالحماس والعاطفة التي تلهم، وهل هناك أجمل من عاطفة الوطن؟ وهل هناك من يستحقها أكثر ممن يعطيه كل الإنجازات التي تسير به إلى الخير والبركة؟ هكذا كانت تمجد كل عمل قدير تقوم به هذه الدولة الفتية. وتمجد العلم والعلماء وتحيّي وفود بيت الله، ولا يوجد بينها إلا قصيدة يتيمة أستلّها من بين تعب الحياة لتحكي عاطفة لتجربة شخصية: وقصيدة أخرى تحكي عاطفة الأبوة وهي تزف إحدى ثمرات الفؤاد إلى بيت الزوجية: يحيي بها زهرات المحفل وحضوره.

كان رحمه الله أحد الكبار الذين ساهموا بالفكر: كان.. أستاذاً بارعاً من باكورة العمر رغم يتمه وإسراع والدته بتزويجه من الولود الودود التي تهدي له كل عام إنساناً سوياً، ولقد تدرج في وظائف ذات مسؤوليات ولكنه لم يرم القلم بل كان... مشهراً، بدأ كما بدأ فتية تلك الحقبة، شارك في وضع بناء منابر الكلمة في الصحافة، كان صادقاً مخلصاً أميناً لا يمنعه عن كلمة الحق لومة لائم... ومن بقي من رعيله يعلم عنه هذا، حتى من يتبوأ الآن بعض منابر الصحافة ومراكز الأدب. والرومانسيون منهم يعرفونه، وما أقوله ليس جديداً إلا على الجيل الحاضر...

لقد كان هو وكان رفاقه الكبار فتية آمنوا بالكلمة فآمنت لهم أرسلوها

صادقة وجعلوا ضمائرهم هي الرقيب والحسيب... وحين كان يتكلم عن ذلك العهد تحس كم كان العهد عنده عهداً عزيزاً وعظيماً... كان يقول كنا وكنا... ومن هذه الأحاديث عرفنا الكثيرين، ومع الأسف وبكل حزن الابنة التي تعرف عظم عطائه ووقفته كالجندي المجهول بجوار كل مشاركة خاصة وإن مشاركته كانت بالعطاء الفكري والنفس، وليس بالمادة حيث لم تتوفر عنده ولم تساعده أن ينجز أو يحقق الكثير... من أحلامه الأدبية: بكل أسف تكلم كثيرون من الرفاق عن تلك الفترة ولم يشر إليه أحد. اللَّهم إلاّ كتاب «وحي الصحراء» جمعه كل من الأستاذين:

محمد سعيد عبد المقصود، وعبد الله عمر بلخير. وكان الكتاب عن الرعيل الذي وضع لبنات البناء الفكري والصحفي لهذا الوطن. جزاهما الله خيراً، رحمك الله يا أبي لقد كنت محباً صادقاً للأصدقاء والأقرباء والأنسباء، وكنت طفلاً كبيراً بنقاوة قلبك، وكانت أجمل لحظات حياتنا وأمتعها عندك هي تلك التي يتحلق فيها الأبناء وأبناء الأبناء حولك لتلعب معهم لعبتك المفضلة التي تسعد الأطفال. وهي لعبة الإنتن.

رحمك الله يا أبا فيصل ورحم تلك الحبيبة التي لم تستطع العيش بعدك إلا أربعاً من السنوات وكان الله تبارك وتعالى بها رؤوفاً. فإنكما معاً لا تسعدان بالواقع الذي يعيشه الأبناء.

شكر وتقدير

حين فكرت في تجميع كتابات والدي وإصدارها في كتاب، بحثت في ما تركه من أوراق، وللأسف فقد كانت غير صالحة وقليلة، ولمعرفتي بأنه

قد ساهم بالكتابة في معظم صحف المنطقة الغربية، فقد وجدت أن بغيتي ستكون لدى هذه الصحف، وبدأت الاتصال بأول جريدة ترك فيها بصمات العمل المباشر: فقد كان رئيساً لتحرير جريدة المدينة لفترة اتصلت بها.. كان هذا في العام ١٤٠٣هـ وفعلاً كلمني رئيس التحرير آنذاك الأستاذ أحمد محمود. وما إن عرف بقصدي حتى أسمعني ملحمة الوفاء والإخلاص وشجعني مباركاً هذه الخطوة وقال: إن الوالد فعلاً يستحق ذلك: وبالفعل قام بتجميع كل ما لدى الجريدة ثم أرسله إلي فوراً.

فله مني أخلص الشكر وحمداً لله أن الدنيا لا يزال فيها الأبناء المخلصون، وليس بالضرورة أن يكونوا من الصلب، وقيمة الحرف والكلمة الصادقة... في أن يكون هناك من يحمل لآثارها اعترافاً، وهذا على الرغم من أنني للأسف الشديد لم أجد مثل هذا الصدى لدى الصحف الأخرى.

وأما مجلة المنهل، ففضلها في هذا العمل عظيم، لأن المشاركة لم تقتصر فقط على تجميع مادة أو كلمات تشجيع وإنما تعدت ذلك إلى المساهمة بالعمل... والإشراف والتوجيه، وباسم المنهل خرجت عطاءات المطابع: كان أخي نبيه وابنه العزيز أخاً وابن أخ كريم. كلاهما مفضال عليّ بما قدم وساهم، إنهم ورثة الإخلاص والتفاني لذلك الصرح الذي تركه واحد من أعمدة الفكر في بلادي. والمنهل محبب إلى نفسي فلقد زرته وأنا طفلة مع والدي ودخلته وأنا أعد هذا الكتاب، وإنني لأشكر الأخ الأستاذ مصطفى محمد مدير العلاقات العامة بمجلة المنهل بعد أن كلف من قبل أصحاب الشأن، لا عدمت يد الإخلاص في أصحاب

المروءة. ومن هنا جمعت مواد هذا الديوان ومواد الكتاب الذي سيصدر بعده إن شاء الله مما أسلفت شاكرة ومقدّرة هذا الجميل:

فقط آسفة لتأخر هذا العمل، ولكن مسؤوليات الحياة وظروف العمل القاسم المشترك في هذا التأخير.

حيــاة

الشعــر

اللجين المذاب

خاص(*)

عبدُ الحميدِ (العنبر)
طِيبٌ ومِسْكٌ أذفرُ
يزهو البيانُ بسحره
وكأنّما هو يَسْحَرُ
الدُرُّ منه نظيمُه
والفصلُ ما هو ينشُرُ
إني لأحيّه فتى
مهما تهادى يخطُرُ
وهو (المسدس) سِنّهُ
ونشاطه يتفجَّرُ
حُلوُ الحديثِ مُحَبَّبٌ
وبه المحابِرُ تَحبرُ

(*) تحية خاصة نظمها الشاعر أحمد إبراهيم الغزاوي في ٢٠/١٠/١٣٨١هـ للأستاذ عبد الحميد عنبر.

أكـــــرمْ بـــــه مـــــن كـــــاتـــــبٍ
أو خـــــاطـــــبٍ يـــــتـــــخـــــطَّـــــرُ
مـــــا قـــــال فـــــهـــــو سـمـــــيُّـــــه
عـــــبـــــد الـــــحـــــمـــــيـــــد الأشـــــهَـــــرُ
وابـــــن الـــــمـــــقـــــفـــــع نِـــــسْـــــبَـــــةً
ولـــــو أنـــــه هـــــو أكـــــبـــــرُ

أحمد إبراهيم الغزاوي

الإثنين ٢٠ شوال ١٣٨١هـ

رب البيان

ربَّ البيانِ لأنتَ أنتَ العَنْبَرُ
والمِسْكُ ضوَّعَ والمقالةُ تَسْحَرُ
والشِّعْرُ يومَ الشَعرِ أنت أميرُه
والنَّثرُ درٌّ من يراعِك يُنثرُ
خُلُقٌ كَريمٌ زانَه ثوبُ التُّقى
والفعلُ أجملُ، حكمةٌ وتَبَصُّرُ
حسَّانُ أنتَ وفيكَ حُسنُ وفائِه
وبِكَ المنابرُ حين تخطُبُ تَفْخَرُ
إن جَلّ في إخلاصِه ووفائِه
فلأنت «أحمدُ» في صفاتِك أكبرُ

المناسبة: لقد خصني معالي نائب رئيس مجلس الشورى أستاذنا الشيخ أحمد إبراهيم الغزاوي بتحية شعرية أعتز وأفاخر بها، ولقد رددت التحية بهذه الأبيات وإن كانت لا ترقى إلى مستواه العالي إلا أنها تعبر تعبيراً صادقاً عن الشكر والامتنان:

الثلاثاء ٢١/ ١٠/ ١٣٨١

ألـبـسـتـنـي ثـوبَ الـثـنـاءِ تـفـضُّـلاً
فـمـشيـتُ فـي ثـوب الـثـنـا أتَـبـخْـتَـرُ
مـا كـنـتُ أحـسَـبُ أنـنـي أهـلٌ لـه
لـولا شـمـائـلُ عـدُّهـا لا يُـحـصَـرُ
أَكْـرِمْ بِـخِـلٍّ صـان وُدَّ خـلـيـلِـهِ
ورأى بُـغـاث فِـعَـالِـه تَـسْـتَـنْـسِـرُ
إن كـنـتُ عـن ردِّ الـتـحـيـةِ عـاجـزاً
فـلـربَّ عـجـزٍ بـالـوفـاءِ يُـعـبِّـرُ
فاسْلَمْ وعِشْ للضّاد بيتَ قصيدِها
صحفُ المفاخِر من بيانِك تنْشَرُ

عاش عبد العزيز للعرب ذخرا

بـهـجـةُ الـعـيـدِ فـي كَـمـالِ الـسـرور
زادهـــا روعـــةً بـــهـــاءُ الأمـــيـــرِ
يَـطْـفَـحُ الـبِـشْـرُ فـي الـوجـوه وتـبـدو
فـــي الأســاريــر دقــة الــتــصــويــرِ
أصـبـحـتْ طـيـبـةٌ تـمـوج وفـيـهـا
نـشـوةُ الـعـيـدِ مـا لَـهـا مـن نـظـيـرِ
لَـبِـسـتْ حُـلَّـةَ الـفَـخـارِ وتـاهـتْ
وسـمـا وصـفُـهـا عـن الـتـعـبـيـرِ
وتـوالـتْ فـيـهـا الـمـواكـبُ تَـتْـرَى
تُـسرِعُ الـخـطـوَ نـحـوَ بـابِ (الـسـديـرِي)
قـــدمـــوا خـــالِـــصَ الـــولاءِ إلـــيـــه
فـي ابـتـهـاجٍ وفـي صـفـاءِ ضـمـيـرِ

المصدر: جريدة المدينة المنورة بتاريخ ٢٣/ ١٠/ ١٣٥٦هـ.

المناسبة: ألقيت في مجلس وكيل إمارة المدينة المنورة.

يـا أمـيـراً بِـهِ الـمـديـنـةُ تـزهُـو
وَهْـوَ مـنـهـا مـكـانُـه فـي الـصّـدورِ
مـذ حـلـلـتـم بـأرضـهـا حـلّ فـيـهـا
طـالِـعُ الـيـمـنِ وابـتـهـاجُ الـسّـرورِ
نـلـتـمـوهـا بـحـكـمـةٍ وأنـاةٍ
حـظـيَـتْ مـنـكُـمُ بـعـطـفٍ كـبـيـرِ
عـرفـت فِـيـكُـمُ الـخِـلالَ حِـسـانـاً
واتّـزانـاً ورأفـةً بـالـفـقـيـرِ
ومـضـاءً يـفـلُّ جـورَ الـلـيـالـي
كـلّـمـا آذنـت بـأمـرٍ خـطـيـرِ
بَـلَـدٌ أَمَّـه الـرسّـولُ وفـيـهِ
صـدَعَ الـحـقُّ مـن حـكـيـمٍ خـبـيـرِ
عـزَّ فـيـه الإسـلامُ واشـتـدّ فـيـهِ
مـنـه شـعَّ الـهُـدى عـلـى الـمـعـمـورِ
نـال فـيـه الـتـعـضـيـل مـن كـل نـدبٍ
فـارسٌ فـي الـوغـى ولـيـثٌ هـصـورِ
بـذلـوا الـنّـفـسَ والـنَـفـيـسَ ولّـبّـوا
داعِـيَ الـلَّـه فـي نـداءِ الـبـشـيـرِ
سـكـنـوا طـيـبـةً فـطـابـت نـفـوسٌ
درّبـوهـا عـلـى اتّـقـاءِ الـشُّـرورِ

بــلــدُ خــصّــه الإلــه بــفــضــلٍ
فــتــســامــى وفــاز بــالــتــقــديــرِ
عــاش عــبــدُ الــعــزيــزِ ذخــراً
ونــصــيــراً لــدى اشــتــدادِ الأُمــورِ
مَـلِـكٌ حـلّ فـي الـقـلـوبِ وغَـنَّـتْ
بِـسـجَـايـاهُ سـاجـعـاتُ الـطّـيـورِ
خطّ بـالـحُـسـن فـي الـفـعـالِ سـعـودٌ
صـحـفُ الـمـجـدِ خـالـداتُ الـسـطـورِ
سِـيـرةُ الـفـيـصـلِ الـعـظـيـمِ أَعـادتْ
سـيـرةَ الـعُـرْبِ فـي أجـلِّ الـعُـصـورِ
صــفــحــاتٌ بــيــضــاً لآلِ ســعــودِ
سـوف تُـتْـلَـى عـلـى مـرِّ الـعُـصـورِ

فيصل العرب تسامى مجدُه

رفرف الـقـمـريُّ فـي الـفـجـرِ عـلـى
فَـنَـنِ الـرّوضِ يُـنـادِي بـالـسُّـرورْ
يَـتـهـادَى تـارةً فـوق الـرُّبـى
وعـلـى الأغـصـانِ يَـشْـدُو فـيُـثِـيـرْ
يَـقِـطـفُ الـزّهـرَ بـزهـوٍ شـامـخٍ
ثـم يَـمـضِـي نـاثـراً تـلـك الـزُّهـورْ
يـتـجـلّـى الـبِـشْـرُ فـي روحـاتِـه
وإذا يـغـدو غـدَا زاهٍ فَـخـورْ
أنـت يـا صـدّاحُ قـد نِـلـتَ الـمُـنـى
وأَثَـرْت الـشّـوقَ فِـيْـنَـا والـحُـبُـورْ
وكـذا الـعُـرْبُ سَـمَـتْ آمـالُـهـا
نـاضـراتْ يـومَ مـيـلادِ الأمـيـرْ

المناسبة: «تهنئة بمناسبة مولد الأمير سعود الفيصل».

كـوكـبُ الـسّـعـدِ زهـت طـلـعـتُـه
فـأضـاءت مـن مُـحـيَّـاهُ الـسُّـرورْ
فـسُـعـودُ الـشّـعـبِ فـي مـولِـدِه
أنـطـق الـشِّـعـرَ بـمـكـنـونِ الـشُـعـورْ
فـيـصـلُ الـعُـرْبِ تـسـامَـى مـجـدُه
فـبـدا كـالـمـسـكِ فـوّاحَ الـعَـبِـيـرْ
يـا نـصـيـرَ الـشَّـعـبِ فـي آمـالِـه
ورجـاءَ الـعُـرْبِ فـي الـيـومِ الـعـسـيـرْ
قـد تـفـانـى الـشّـعـبُ فـي إخـلاصِـه
وتـغـالـى حـيـن وافـاهُ الـبَـشِـيـرْ
وتـبـاري الـشّـعـرُ فـي تـعـدادِه
حـسـنـاتٍ هُـنَّ آيـاتُ الـعُـصـورْ
ابـنُـك الـشِـبْـلُ سُـعـودٌ فـي الـعُـلـى
عـاش لـلَـعـلـيـا ولـلـحـقِّ نـصِـيـرْ

جدَّ جدُّ الحياة

جَدّ جِدُّ الحياةِ يا شعبُ فاعلمْ
وأكْسِبِ المجدَ بالتي هِيَ أقْومْ
ارتقى الفيصلُ المعظّمُ عرشاً
هو للفيصلِ العظيمِ مُصمَّمْ
أملُ الشَّعْبِ حنَّكَتْه اللّيالِي
فمضَى مُشْرِقاً يَسُودُ ويَغْنَمْ
مارَسَ الحكمَ نصفَ قرنٍ يُؤدِّي
واجِبَ المُخْلِصِ الأمينِ المُنظِّمْ
نِصْفَ قَرْنٍ مضَى ولم يمضِ
يوم لم يُؤكَّدْ للشّعبِ حقٌّ مُدعَّمْ
كلَّ يومٍ يَشِعُّ في الأفْقِ نورٌ
في مَشارِيْعَ للسّعادةِ سُلَّمْ

المناسبة: بمناسبة ارتقاء الملك فيصل بن عبد العزيز رحمه الله عرش المملكة العربية السعودية.

فـي لِـحـاقٍ مُـشـابِـرٍ وحـثِـيـثٍ
في طـريـقِ الـهُدى وما هـو أضْـخَـمْ
عَرفَ المُخلِصينَ يعملونَ بِصَمْتٍ
والـمُـداجِـيـنَ يَـطـلـبُـونَ الـمغـنَـمْ
لـيـس يـغـريـه مَـن تـمـادَى يُـوارِي
تــحــت أثــوابِــه شــراهــةَ مَــغْــرَمْ
عــركَـتْـه الـحـيـاةُ حُـلـواً ومـرًا
فـتـسـامَـى وكـان أتـقَـى وأَسْـلَـمْ
لـيـس يـغـريـه صـولـجـانٌ وتـاجٌ
عـنـده الـتّـاجُ بـالـعـدالـةِ يَـحْـكُـمْ
سـعـيُـه لـلـهُـدى ولـلـدّيـنِ سـعـيٌ
لـم يَـكُـنْ قَـطُّ لـلـزّعـامـةِ سُـلَّـمْ
هـو لِـلـشَّـعْـبِ مُـخـلِـصٌ وأمـيـنٌ
وهـو لـلـظَّـالِـمـيْـنَ سُـمٌّ وعَـلْـقَـمْ
حَـمَـلَ الـعِـبْءَ بـالـتَّـمـعُّـنِ والـفِـكْـرِ
بـحـذقِ الأريـبِ حـذق الـمُـعَـلِّـمْ
صـانَ لِـلـشَّـعـبِ حـقَّـه وحَـمـاهُ
مـن ظَـلـومٍ وجـاهـلٍ ظَـلَّ يَـظْـلِـمْ
فـاصـطـفـى الـشّـعـبُ فـيـصـلاً وحَـبـاهُ
ثـقـةَ الـمْـؤمِـنـيْـنَ بـالـعُـلـى والـتَّـقـدُمْ

صَنَعَ الشَّعْبُ تاجَه بِيدَيْهِ
وبِحُسْنِ الثَّناءِ والقلبُ مُفْعَمْ
وُضِعَ التّاجُ فوقَ مَفْرِقِ شَهْم
خادم الدّين والعُروبةِ مُسْلِمْ
رحلةٌ حَقَّقتْ كلَّ معنى
وحثيثَ المسير نحوَ التَّقدُّمْ
هِيَ للعُرْبِ عزّةٌ وفخارٌ
ولصهيونَ مأتمٌ أيُّ مَأتَمْ
تَعِسَ الأغبياءُ ظنَّوا ضلالاً
قوّةَ الحقّ بالتفاهاتِ تُهْزَمْ
فأثاروا بِضَجَةٍ خلقوها
إثمَهم للملا وظنُّوه مَغنَمْ
تَعِسُوا فالضّلالُ ما فعلُوه
وكبيرُ الضّلال ثورٌ مُعمَّمْ

أنت يا فيصل محط رجانا

حيِّ رمزَ الجِهادِ حيّ المعالِي
وانظمِ الشِّعرَ كالعُقودِ اللَئالِي
واسألِ اللَّه أن يُوَطِّدَ مُلْكاً
شِيد بالعدلِ والتُّقى والنِّضالِ
وتولاَّه فازْدهى وتسامَى
فيصلٌ فيصلٌ كبيرُ الفِعالِ
إنه في النِّضال أصلبُ عوداً
وهو في الرّأي غايةٌ في الكَمالِ
وهو للشّعبِ همُّه ومناه
قفزةٌ للعُلى بِكُلِّ مَجالِ
رَجُلُ السِّلْمِ والحَصافةِ والفِكْرِ
رفيعُ الذُّرى عزيزُ المَنالِ

المناسبة: ألقيت هذه القصيدة في مجلس جلالة الملك فيصل رحمه الله في ٥ رجب عام ١٣٨٤هـ.

وهــو فــي مَـسْـرحِ الـسِّـيـاسَـةِ حَـبْـرٌ
حــارَ فــي فـهـمِـهِ كـبـارُ الـرِّجـالِ
قــمــةً كــان فــي الأَصــالــةِ والــرّأيِ
سـمـيـعٌ إذا قــالَ خـيـرَ الـمَـقـالِ
حــاز فــي الإنْـجَـازِ صـفـقـةَ ربـحٍ
تـتـجـلَّـى في كـسـبِـه الـمُـتَـوالِـي
كـــان قُـــطْـــبـــاً تـــدورُ حـــولَ ذُراه
رائـــعـــاتٌ جـــلائـــلُ الأعـــمـــالِ
إيـهِ يـا شِـعْـرُ يـا سـمـيـرَ الـمـعـالِـي
يـــا رســـولَ الأجـــيـــالِ لـــلأجـــيـــالِ
خــلّــدِ الــيــوم ذكــر عــهــدٍ مــجــيــدٍ
يـــتـــحـــدّى مـــفـــاخِـــرَ الأجـــيـــالِ
قــد تَــوالَــتْ فــيــهِ الــبـشـائـرُ تَـتْـرَى
وتـــســـامَـــتْ مـــواكِـــبُ الاحـــتـــفـــالِ
نــطــق الــحــق والــهــتــاف تــعــالــى
صَـفَّـقَ الـشَّـعـبُ لـلـمـلـيـكِ الـمِـثـالِـي
أنــتَ يــا فــيــصــلُ مــحــطُّ رجــانــا
وســنــســعــى بــعــزمــةٍ لا نُــبــالِــي
لــلــعُــلــى لــلــعُــلــى نــســيــرُ خِــفَــافــاً
وثِــقــالاً بِــحِــيــلَــةِ الــمُــحْــتــالِ

إنّـمـا الـجـيـشُ لـلـسَّـلامِ عـمـادٌ
وعِـمـادُ الـسّـلامِ صِـدْقُ الـمَـقـالِ
شِـيَـمُ الـجـيـشِ بـالـوفـا تـتـحـلَّـى
أخـلـص الـود لـلـمـلـيـك الـغـالـي
يـا مـلـيـكـي فِـداكَ شـعـبٌ تـفـانـى
لا يُـبـالِـي فـي حُـبِّـهِ مُـتـغـالـي

فيصل مدّ يديه صافحوها بالتراضي

يــا شــبــابَ الــجــيــلِ أنــتُــمْ
مَــشْــرِقُ الــنُّــورِ الــمُــضِــيءِ

يــا شــبــابَ الــجــيــلِ أنــتُــمْ
أمــلُ الــشَّــعــبِ الــجــريءِ

يــا شــبــابَ الــجــيــلِ هــيَّــا
وثــبــةَ الأُفْــقِ الــوَضِــيءِ

أُمّــةُ الــعُــرْبِ تــســامَــتْ
وتــعــالَــتْ بــالــشّــبــابِ

حَــطِّــمُــوا الأغــلالَ قَــسْــراً
وادخُــلُــوا لُــجَّ الــعُــبــابِ

لــفــتــةٌ مــنــكُــم لــمــاضٍ
تــمــحــو أَسْــتَــارَ الــضَّــبــابِ

المناسبة: نظم الشاعر هذه القصيدة عام ١٣٨٤هـ حين كان رئيس تحرير جريدة المدينة المنورة وأهداها لمعالي وزير الإعلام في ذلك الوقت.

تَـعِـسَ الـجـاهـلُ يَـبـنـي
فـي ثَـرى أرضٍ يَـبـابِ
إنّـمـا الـمـجـدُ جـهـادٌ
فـادخُـلُـوا مـن كـلِّ بـاب
إنّـمـا الـعِـلْـمُ مـنـارٌ
فـاسـتَـنِـيْـرُوا بـالـكـتـابِ
إنّـمـا الأخـلاقُ صَـرْحٌ
شَـامِـخٌ فـوقَ الـرَّوابِـي
فـانـزلـوا الـمـيـدانَ طـوعـاً
وتـصـدَّوا لـلـصِّـعـابِ
لـيـس فـي الأرضِ مـكـانٌ
لـلـشّـبـابِ الـمُـتـصـابِـي
مـوكِـبٌ ضـمَّ شـبـابـاً
فـانـفِـرُوا يـومَ الـتَّـنـادِي
هـذه الـصـحـراءُ نـامَـتْ
لـطَّـخـتْـنَـا بـالـسَّـوادِ
ودَعـتْـنَـا: ودَعـتْـنَـا
وهـي لا تـلْـقَـى الـمُـنـادِي
فـاسـمـعُـوا صـوتَ نـصُـوحٍ
ظـلَّ يـدعُـو فـي عِـنـادِ

لـــيـــس لـــلأمـــرِ سِـــواكُـــمْ
ضـــربـــةً كـــالـــسـيّـــفِ مـــاضِ
لِـــــجُـــــمـــــودٍ ورُجُـــــوعٍ
واهـــتـــزازٍ وتـــغـــاضِـــي
فـــيـــصـــلٌ مـــدَّ يـــديـــهِ
صـــافِـــحُـــوهـــا بـــالـــتـــراضِـــي
يـــا شـــبـــابَ الـــجـــيـــلِ أنـــتُـــمْ
رمـــــزُ آمـــــالٍ عِـــــرَاضِ
أنـــتِ فـــي مـــشـــرقِ نـــورٌ
يـــا فـــتـــاتِـــي فـــاســـتـــجـــيـــبِـــي
وتـــســـامـــي لـــلـــمـــعـــالِـــي
تـــحـــتَ إشـــرافِ الـــطـــبـــيـــبِ
إنّـــمـــا الـــعـــلـــمُ مـــرادُ
لا لإكـــــثـــــارِ الـــــذُّنـــــوبِ
بـــــل ســـــمـــــوٌ وارتـــــقـــــاءٌ
وســـــبـــــيـــــلٌ لـــــلـــــوُثُـــــوبِ

وحدة الإسلام

أَمَــلٌ قَــدْ شَــمِــلَ الــدُّنْــيَــا، وعَــمْ
وَتــلاَقَــتْ، فِــي مَــسـاعِــيــهِ الْــهِــمَــمْ
وَنُـــفُـــوسٌ أخـــلَـــصْـــتْ، راجـــيَـــةً
وِحــدةَ الــصَّــفّ، وَتــقْــويــمَ الــقِــيَــمْ
وَرِجَــالُ الْــفِــكْــرِ، بَــل أَعْــلاَمُــهُ
وَسُــراةُ الــعُــرْبِ أَقْــطَــابُ الْــعَــجَــمْ
فِــي رحــابِ الــلَّــه اَلْــقَــوا رَحْــلَــهــمْ
لَــجَــأُوا لــلَّــه فِــي الْــخــطْــبِ الْــمُــلِــمْ
وَأَتَـــوْا مِـــنْ كُـــلّ فَـــجٍّ زَحَـــفُـــوا
فِــي دُرُوبِ الــسَّــهــلِ، مِــنْ فَــوقِ الــقــمَــمْ
وَأَجَــابُـــوا دَعْـــوةَ الـــدّاعـــي إلَـــى
نُــصــرة الْــحَــقِّ، وتــوحــيــدِ الْــكَــلِــمْ

المناسبة: قيلت هذه القصيدة تحية لضيوف جلالة الملك فيصل الوافدين لأداء مناسك الحج.

أَخْـلَـصُـوا لـلَّـه بِـالـتـقْـوى فَـلاَ
رَافِـثٌ أو فَـاسِـقٌ أو مُـخْـتَـصِـمْ

يَـا وُفُـودَ الـلَّـه أهـلاً مـرحـبـاً
فِي حمَى الرَّحمنِ في أرض الحرَمْ

أنـتُـمُ أهـلٌ وَجِـيـرانٌ فَـمَـا
فِـيكُـمُ، إلاَّ نـسـيـبٌ وابـنُ عَـمْ

فَـعْـلَـى الـرَّحْـبِ، فـهـذي دَارُكُـمْ
دَارُ فَـيْـضٍ، ورضـاءٍ ونِـعَـمْ

إنَّ بَـيْـتَ الـلَّـه رَحْـبٌ وَاسِـعٌ
كُـلُّـنـا فِـيْـه، عَـبـيـدٌ وخَـدَمْ

لَـيْس من فَضْل سوى التقْوَى وقد
فَـازَ بـالـرضـوان إلاّ مَـنْ ظـلَـمْ

فَـاسْـتـقَـيُـمـوا وَزِنُـوا أعْـمَـالَـكُـمُ
طَـاشَـتِ الأَحْـلامُ، إلاَّ مَـن رَحِـمْ

أمَّـةَ الإِسْـلام هُـبُّـوا هَـبَّـةً
وَابْعـثُوا الْمَاضِي، وأوْفُوا بِالـذِّمـمْ

لِـنَـلُـمَّ الـشَّـعْـثَ قَـدْ شَـتَّـتَـه
فَـاجِـرٌ غـيٌّ وَمَـوْتُـورٌ نَـهِـمْ

مَـزَّقَـتْ أضْـلُـعَـهُ بَـارِقَـةٌ
بَـدَّدَتْ فِـي الأُفْـقِ أَسْـتـارَ الـظُّـلَـمْ

أمـــةَ الإســـلامِ يَـــا أبْـــطَـــالَـــهُ
دِرْعُنـا فـي الـخطبْ، إنْ خـطـبٌ أَلَـم
فَـيْـصَـلٌ يَـدعـوكُـمـو فِـي أرضِـكُـمْ
عِـنَـد بيـت الـلـه، عـنـد الْـمـلـتَـزَمْ
لـلـتـآخـي، والـتـصـافـي، والـرِّضَـا
فَـالـتـآخـي، فـي مَـسـاعِـيـنـا، مُـهِـمّ
إنَّ لِـلْـمُـسْـلِـمِ حَـقًّـا واجِـبـاً
فَـلْـنُـرَاعِ، حَـقَّـه ولْـنَـلْـتَـزِمْ
بِـكـتَـابِ الـلَّـه فـي آيـاتِـه،
نُنْصِفُ المظلومَ، نجْفُو مَن ظَلَمْ
دَعَـــوةٌ أُرْسِـــلُـــهـــا صَـــادِقَـــةً
مِنْ حِمَى الإِسلامِ، فِي الْبَيت، الأَشَمّ
فـيـصـلٌ أرسـلـهـا خـالـصـةً
صـيـحـةَ الـحـق، لإِنْـصَـافِ الأُمَـمْ
يـجـمع الـشـمـل ويسعى مـخـلـصاً
لِـتَـلاقٍ وَصِـلاَتٍ لـلـرحـمْ
مَـبْـدأٌ ردَّدُهُ فَـيْـصَـلُـنَـا
وحْـدةُ الإِسـلامِ، مَـا أَحْـلـى الـنَّـغَـمْ
نـحـنُ فِـي عَـصْـرٍ طـغـت أَحْـداثُـه
وَاسـتَـطَـال الـشَّـرُ، والـخـيـرُ انْـعَـدَمْ

إنــمــا الــمــســلــمُ، مَــدْعُــوٌ إلَــى
نُــصــرة الــدِّيــن، فَــلا لَــومَ، وذَمْ
أيــهــا الــكــاتــب فــي مــجــمــعِــنــا،
أنــتَ مَــدْعُــوٌ لإِشــهــارِ الــقَــلــمْ،
أيــهــا الــشّــاعِــرُ فــي نــدوتــنــا،
أنــت مَــدْعُــوٌ، فَــبَــادِرْ، لاَ تَــنَــمْ
فَــلِــمَ الْــحَــجَّ إذا مَــا لَــمْ يــكُــنْ
مــقَــصَــدٌ أَسْــمــى، وَكَــسْــبٌ، يُــغْــتَــنَــمْ
وَتــصَــافٍ، وَانْــتِــصــارٌ لــلأُولــى
هَــدَّهْــم جُــهــدٌ، وَأضــنَــاهُــم ألــمْ
حَــوْلــنَــا الأحــداثُ فِــي قــسْــوتِــهــا،
مِــحَــنٌ تــتــرى، وَخَــفْــرٌ لــلــذِّمَــمْ
أيُّــهَــا الــفَــيْــصــلُ سِــرْ مُــعــتــمــداً
فِــي أَمــان الــلَّــه مَــرْفــوعَ الْــعَــلــمْ
وَادْعُ لــلَّــه، فَــإِنَّ الــلــه لاَ
يَــخــذل الــدَّاعــي، دَعَــاهُ وَاعْــتَــصَــمْ
ورَعــى حــقــه، وَأوْفَــى ذمــةً
وَبــحــكْــم الــلَّــه، والــشرعِ احْــتــكَــمْ
دَعْــوةٌ نَــشْــهَــرُ فِــي نُــصْــرَتِــهَــا،
مَــنْ رعَــى أمــراً عــظــيــمــاَ لا يَــنــمْ!

وَفَّــقَ الــلَّــه إمَــامــاً لِــلْــهُــدَى،
وَرَعــــاه، وتَــــوَلَّـــــى وَرَحـــــمْ
عَـاهَـد الــلـه، وأعْـطَـى نَـفْـسَـهُ،
فِـي سـبـيـلِ الـلَّـه، مَـا خَـصَّ وعَـمّ
فَـلْـنُـبَـارِكْ سَـعْـيَـهُ فِـي ثَـقَـةٍ،
نَـعْـتَـصِـم بـالــلـه نِـعَـمَ الْـمعـتَـصَـمّ
فـــالإِلـــهُ الـــخـــالِـــقُ الّـــذي،
مَــن تَــوَلَّــى أمْــرَهُ، لَــم يــنــهــزمْ

إلى حامي الحمى تهفو...

ودا‌عـــــاً أيَـــــهـــا الـــــوفـــــدُ
تـــمـــثّـــلَ فـــيـــكُـــمُ الـــقَـــصْـــدُ
نـــــودع فـــــيـــــكُـــــمُ أمـــــلاً
يُـــجـــدِّدُ عـــهـــدَه الـــبُـــعْـــدُ
نُـــحَـــيِّـــي فِـــيـــكُـــمُ هِـــمَـــمـــا
تَـــقـــاصَـــرَ عـــنـــدَهـــا الـــحـــدُّ
ونَـــغْـــبِـــطُ فـــي ســـفـــارتـــكـــم
نـــفـــوســـاً قـــادَهـــا الـــرُّشْـــدُ
فـــأنـــتـــم رمـــزُ نـــهـــضـــتـــنـــا
بـــكـــم تَـــنـــمُـــو وتـــشـــتـــدُّ
نَـــسِـــيـــرُ إلـــى الـــعُـــلا قُـــدُمـــاً
فـــلا نَـــكْـــبـــو ونـــرتـــدُّ

المناسبة: قيلت هذه القصيدة عام ١٣٦٠هـ توديعاً لوفد من البلاد العربية زار المملكة.

إلـى حـامِـي الـحِـمَـى تـهـفُـو
قـلـوبٌ مِـلْـؤُهـا الـوِدُّ
مـلـيـكٌ عـمَّ نـائـلُـه
وأَقـصَـرَ دونَـه الـعَـدُّ
سـمَـا فـسـمَـتْ مـقـاصِـدُه
وعـزّز رأيَـه الـجِـدُّ
يَـسـوسُ الـعُـرْبَ فـي سـهـرٍ
تـنـامُ وشـأنـه الـسُّـهـدُ
لـه مـنّـا تـحـيـاتٌ
يُـعـطِّـرُ نـفـحَـهـا الـوَرْدُ
وشـوقٌ هـاجَ ثـائـرُه
وأجّـج نـارَه الـوَقْـدُ
ويُـحـيِـي فـي الـعُـلا قـبـساً
أُنِـيْـطَ بـشـخـصِـه الـعَـهْـدُ
سـعـودٌ دام طـالـعـه
وحـاطَ فِـنـاءَه الـسَـعْـدُ
وفـيـصـل عـزّ جـانِـبُـه
تُـنـاضِـلُ دونـه الأُسْـدُ

نهضة قاد سعود جيشها

فـي مـهـرجـان الـعـلـم حيِّ الـعَـلـمَـا
حـيّ جـيـلَ الـغـدِ حـيّ الـعُـلـمَـا
حـيّ قـومـاً كـرّسـوا مـجـهـودَهـم
وتـنـادَوا يُـنْـهِـضُـون الـهِـمَـمَـا
حـمـلـوا الـمِـشْـعـلَ وضّـاءَ الـسـنـا
ومـضـوا يـكـتـسـبـون الـمَـغْـنَـمَـا
فـتـحـوا أعـيـنـهَـم حـيـن رأوا
أمـةَ حـيـرى ونـهـجـاً مُـظـلِـمَـا
وشـبـابـاً سَـادِراً فـي غـيِّـه
ضـيّـع الـغـالِـي وخـلَّـى الـقِـيَـمَـا
ضـيَّـعـوا مـجـداً بـنـاه الـسـلـفُ
أصـلُـه فـي الأرضِ فـرعٌ فـي الـسَّـمَـا

المناسبة: قيلت هذه القصيدة في مجلس آباء المدرسة الخالدية بجدة. حيث تلقى أبناؤه الأربعة دراستهم الابتدائية فيها.

دبّتِ الفرقةُ في أوصالِهم
فلهم في كلِّ نادٍ نغما
هكذا شاء لهم أعداؤهُم
فأطاعوا لما أراد اللُؤَما
وانحرفنا ساقنا تيّارُهم
بئس ما نحنُ فعلنا بئسما
فترةٌ من عمرنا الغالي سُدًى
قد أضعناها فكانت مَغْرَماً
زلّةٌ فيها لنا موعظةٌ
طرِب الغربُ لها وانسجما
تعس الأعداءُ إنّا أمةٌ
تأنفُ الضّيمَ وتُوفِي الذِمَمَا
دوّتِ الصيحةُ في أرجائنا
فنهضنا ورفعنا العَلَمَا
علمُ الوحدةِ في شاراتِه
صارمُ العزمِ سديداً مُحْكَمَا
وله العلْمُ طريقٌ والتُّقى
أسسٌ في ديننا لن تُفصَمَا
نهضةٌ لا يعتريها وهنٌ
تمتطي عزمَ الشبابِ سُلّمَا

نـــهـــضـــةٌ قـــادَ ســـعـــودٌ جـــيـــشَـــهـــا
وســعــودٌ خــيــرُ مــن يــحــمِــي الــحِــمــى
أيـــقـــظـــتـــنـــا هـــزّةُ مـــن بـــأســـه
فـــانـــتـــفـــضـــنـــا ومـــشـــيـــنـــا قُـــدُمَـــا
نـــنـــبـــذ الـــجـــهـــلَ ونـــمـــحـــو خـــطـــأً
قـــد مـــحـــونـــاه بـــمـــبـــذول الـــدِّمـــا
إيـــه جـــيـــلَ الـــغـــدِ يـــا أشـــبـــالَـــنـــا
ســـدِّدوا الـــخـــطـــوَ وســـيـــروا أُمَـــمَـــا
وانـــهـــلـــوا مـــن مـــنـــهـــل الـــعـــلـــم فـــمـــا
بـــلـــغ الأهـــدافَ إلاّ مـــن سَـــمـــا
حـــقّـــقـــوا مـــا جـــاء فـــي قـــرآنـــكـــم
وحِّـــدوا الـــصّـــفَ وقـــودوا الأُمَـــمَـــا
وانـــشـــروا الـــعـــلـــمَ فـــمـــن بـــلَّـــغـــه
قـــد بـــنـــى فـــي كـــل واد هَـــرَمَـــا
واحـــفـــظـــوا لِـــلـــعـــلـــم فـــي أبـــنـــائـــه
حـــقـــهـــم فـــي أن يـــعـــيـــشـــوا كُـــرمـــا
هـــم بـــنـــاةُ الـــجـــيـــلِ هـــم قـــادتـــه
فـــهـــمـــو إن سَـــلِـــمُـــوا قـــد سَـــلِـــمَـــا
يـــا فـــرنـــســـا أنـــتِ يـــا مـــغـــرورة
يـــا غـــريـــمَ الـــنـــحـــسِ بـــيـــن الـــغُـــرَمـــا

اذكـــري الـــعـــار الـــذي ســـجّـــلـــه
يـــومَ «مـــاجـــيـــنـــو» بـــكـــاءُ الـــزعـــمـــا
يـــوم حـــرب الـــنِـــدِّ لـــلـــنِـــدِّ لـــهـــا
أمـــة الـــجـــرمـــان كـــانـــت حـــكَـــمـــا
لـــيـــس فـــي الأرض قـــويٌّ غـــادِرٌ
يـــهـــتـــك الـــحـــرمـــةَ إلا أنـــتـــمـــا
قـــوم صـــهـــيـــون وديـــجـــول لـــهـــم
صـــولـــة الـــهـــر إذا الـــهـــر احـــتـــمـــا
إيـــه صـــهـــيـــون غـــداً مـــوعـــدكـــم
فـــاســـتـــعـــدوا وأقـــيـــمـــوا الـــمـــأتـــمـــا
اســـتـــعـــدوا واجـــمـــعـــوا أشـــلاءكـــم
نـــحـــن أقـــســـمـــنـــا ســـنـــحـــمـــي الـــحـــرمـــا
وفـــرنـــســـا مـــثـــلـــكـــم نـــحـــن لـــهـــا
وارتـــضـــيـــنـــا الـــلَّـــه فـــيـــهـــا حـــكـــمـــا
إن وعـــــــد الله حـــــــقٌّ صـــــــارخ
بـــئـــسَ مـــثـــوى الـــغـــادريـــن الـــظـــلـــمـــا

موائد العلم

جَـدَّ جِـدُّ الـحـيـاة يَـا شَـبَـابُ فَـهـيَّـا
ثُــرْ وثَــابِــرْ مــضَــحِّــيــاً وتَــقَــدَّمْ
فُــرَصُ الْـيَـومِ لِـلـشَّـبـابِ تُـنَـادِيْ
هــيــأَتْــهَــا بَــرَاعَــةٌ وتَــفَــهُّــمْ
قَـدْ دَعَـتْـكُـمْ مَـوَائـدُ الْـعِـلـمِ شَـتَّـى
فَـأجِـيـبُـوا وَخَـابَ مَـنْ عـاش يَـحْـلَـمْ
زَاحِـمُـواُ لِـلْـعُـلَـى بِـكُـلِّ قـوَاكُـمْ
وتَـعَـالَـوا فَـمَـنْ تَـخـلَّـفَ يُـحْـرَمْ
فَــيْــصَــلٌ بِــالْــوِلاَءِ مــدَّ يَــدَيَــهِ
فـافْـتَـدُوا فَـيْـصَـلاً بِـمَـا هُـوَ أكْـرَمْ

المناسبة: كان الشاعر بعد تخرجه في المدرسة العليا بالمدينة يعمل أستاذاً فيها ثم مديراً للمدرسة التحضيرية بالمدينة. وكان كل همه أن يتحلى الجيل الجديد بالعلم ويكون هو سلاحه الماضي. ونشرت هذه القصيدة في جريدة المدينة في ٩/٦/ ١٣٨١هـ.

وأَضِـيْـئُـوا بِـعِـلْـمِـكُـمْ وتُـقَـاكُـمْ
ظُـلُـمَـاتِ الْـحَـياة فِـي كُـلِّ مَـخْـيَـمْ
أَيُّـهَـا الْـعَـاهِـلُ الْـعَـظِـيـمُ دُعَـاءٌ
مِـنْ مُـحِـبٍّ بِـكُـلِّ وُدٍ تـكَـلَّـمْ
إِنَّـنـي فـي الْـحَـيَـاةِ كـلُّ رجـائـي
أَنْ أرَى الْـخَـيْـرَ فـي الْـبِـلاَدِ تَـعـمَّـمْ
جَـعَـلَ الـلَّـه عَـهْـدَكُـمْ عَـهْـدَ يُـمْـنِ
ورَعَـى الـله الفَـيْـصَـلَ العظـيـمَ وأَنْـعَـمْ

موكب الشباب

ضَحِكَ الكونُ وانتشى وتصابَى
وصفا الجوُّ كاللُجينِ مُذابا
وجرى الماءُ صافياً سلسبيلاً
دغدغ الزّهرُ سائلاً مُنسابا
فتَّح الزّهر، والطّيورُ تغنّت
وتوالت في نشوةٍ تَتَصابى
تَعتِلي في الفضاءِ طوراً، وطوراً
تتهادى تُقبِّلُ الأعشابَا
تُرسِلُ اللّحنَ مُطرِباً وشجيًّا
وتُهنِّي وفودَها الأحبابَا
موكِبُ المجدِ هاجَها فاستطالت
وتمادت تُشارِكُ الإِعجابا
موكِبُ العلمُ للشّباب تسامَى
راح يَبغِي العُلا يَحُثُّ الرِّكابا

وفــتًــى هــمُّــه الــمــعــالــي إذا مــا
بــات غِــرٌّ، يــظــنُّــهــا ألــعــابَــا
وفــتًــى صِــيْــغَــتِ الأمــانــيُّ فــيــه
بــسـمــاتٍ لــهــا الــزّمــانُ اســتــجــابَــا
وحــمــتــه الــخــنــى خــلائــق غــر
جــذبــتــه إلــى الــمــعــالــي اجــتــذابــا
يــا شــبــابــاً تــوقّــد الــعــزمُ فــيــه
ودعـــاه إلـــى الـــعُـــلا فـــأجـــابـــا
هـــذه فـــرصـــةٌ فـــلا تـــتـــوانـــوا
اطــرقــوا الــصــالــحــاتِ بــابــاً فــبــابــا
هــذه الــدورُ لــلــمــعــارِف شِــيْــدَتْ
ودنــا قــطــفُــهــا جَــنَــى واســتــطــابــا
فــي حــمــاهــا مــوائــدُ الــعــلــمِ شــتَّــى
قــد زَهــا طــعــمُــهــا ولــذَّ وطــابَــا
تَــعِــسَ الــجــاهــلُ الــكــســولُ يُــمــنِّــي
نــفــسَــه فــي الــهــواءِ يــبــنــي الــقِــبــابَــا
سُــلَّــمُ الــمــجــدِ مُــرتــقــاه يُــعَــنّــى
زاحِــمُــوا فــيــه إنْ أردتــم غِــلابَــا

يــا شــبــابَ الــبــلادِ أنــتــم مُــنــاهــا
والأمــانــي تــكــونُ حــيــنــاً عِــذابَــا
وحِّــدوا الــصــفَّ بــالــعــهــودِ وجِــدُّوا
ســوف يــهــديــكُــمُ الــســبــيــل صــوابــا

حيِّ الجزيرة

حيِّ الجزيرةَ، حيِّ العُرْبَ، حيّيها
بواكِرُ الشّعرِ بالأنغام، تُزجِيها
فهذه النهضةُ الكُبرى، مُحقّقةٌ
مَخايِلُ العزِّ قد لاحت بَوادِيها
شعبٌ توثَّب للعلياءِ مُندِفعاً
وبالتشبّثِ والإِقدام، يَبغِيها
وراح يَطرُقُ أبوابَ العُلى سُنناً
بالعلمِ، بالجدِّ، بالتقوى يُغذِّيها
ففي الجهودِ، نُوالِيها موحّدةً
نيْل المطالب، إن عزّت مرامِيها
وفي العلوم، نُوالِي رشف منهلها
ما نبتغيه، فليس المجدُ تمويها
وليس يبلغ شأو المجدِ، من قَصُرَتْ
خطاهُ، أو باتَ يبغِي المجدَ تَرْفِيهَا

فسُلَّمُ المجدِ، صعبُ المرتقى، عَسِرٌ
وليس يدركه، مَن لا يُعانِيها
والقولُ مهما يكن قد زان في نسقٍ
وزان منطقه لفظاً وتشبيها
فليس يُوصِلُ للغاياتِ إن قَصُرَتْ
مطالِبُ الشّعبِ في الأقوالِ يَحكِيها
يا صاحبَ العهدِ، إن العهدَ مفخرةٌ
العهدُ منك أيادٍ أنت مُسدِيها
فمذ توليّتَهُ ما زِلتَ تعْهَدُه
في أُمّةٍ وضعتْ فيكُمْ أَمانِيها
آلَ السعودِ كسبتم في جهادِكم
حقَّ الملوكِ فأنتم خيرُ راعيها
كذا الزّعامةُ أنتم من تسَنَّمَها
إن صار سامي العلى لبَّيتِ راعِيَها

الطبيب المتسامي

ما أروعَ اليومَ يومٌ
فيه تجلّى الصفاء
للعلم فيه مكانٌ
وبالنبوغِ احتفاء
يوم يجدّد ذكرى
للذهن فيها غِناء
يوم المدينةُ تزهو
والعيشُ فيها رَخاء
والعلم فيها معينٌ
يَرُودُه العلماء
والخُلق واللُّطف فيها
مثابةٌ واهتداء
يقول والدهر يُصغِي
أبناؤُها النجباء

المناسبة: قيلت هذه القصيدة في حفل تكريم الدكتور محمد الخاشقجي.

إن عــاد فــيــهــا ركــودٌ

فــالــدّهــرُ فــيــه عَــنَــاء

أو عــزّ فــيــهــا مــنــالٌ

يــدعــو لــه الــخُــلَــصَــاء

فــلــيــس ذلــك إلا

ســحــابــةٌ بــيــضــاء

ولــيــس يُــرضِــي بــنــيــهــا

تــأخّــرٌ وانــزواء

وكــلّــهــم قــد تــمــنــى

لــهــا ســريــع الــفــداء

عــاش الــشّــبــابُ مُــجــدًّا

والــعــزمُ فــيــه مَــضــاء

مُــشــمِّــراً لــلــمــعــالــي

يــحــدوه فــيــهــا الــرجــاء

وفــي الــطــبــيــب الــمــتــسامــي

رمــزُ الــشّــبــابِ اقــتــداء

مــحــمــد مــن تــســامــى

لــذروة الــجــوزاء

مــجــاهــداً مــســتــمــيــتــاً

كــمــا يــريــد الــنــقــاء

إن كــرمــتــه بــلادٌ

فــالــحــق فــيــه جــلاء

ولـــلـــنـــبــوغِ حـــقــوقٌ
ولــــلـــجـــهــــادِ فِــــداء
فـأنـعـمْ بـمـا نـلـتَ واصـعـد
مـــعـــارج الـــعَـــلـــيـــاء
فـــالـــمـــجـــدُ غـــايـــةُ حـــر
ولـــيـــس فـــيـــه انـــتـــهـــاء
فـــي عـــهـــدِ خـــيـــرِ مـــلـــيـــكٍ
دانـــت لـــه الـــعـــظـــمـــاء
فـــي حـــكـــمـــه الـــعـــدلُ أسٌّ
عـــلـــيـــه قـــام الـــبـــنـــاء
عـــاش الأمـــيـــرُ الـــمـــفـــدى
عـــلـــيـــه مـــنـــا الـــثـــنـــاء
يـــبـــقـــى الـــســـديـــري عـــزيـــزاً
ونــــــجــــــمُـــــه وضَّـــــاء

بلبلُ الأفراح غــنَّــىٰ

كان الشاعر أباً عطوفاً ينفعل بالأحداث التي يمر بها الأبناء، وكانت لجامعة هذه السطور معه مواقفُ هي قمة الأبوّة وتذكر حين يتذكر الأبناء أروع عطاءات الأبوّة الحانية، إنها الوحيدة بين أبنائه الكثر، التي حين حفظت سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (الإخلاص: ١) في كتاب «الخوجه فخريه» بالمدينة المنورة، كانت لم تتعد الرابعة على أكبر تقدير.

احتفل ووالدتها بأن عملا لها (صرافة) وهذه حفل تكريم تكتب السورة في لوح تحمله الطفلة وتمشي في موكب بين أترابها ومن هم فوق من طالبات الكُتّاب يسير هذا الموكب من بيت الخوجة إلى دار الدعوة... تمشي أمي حليمة تلك الداده التي تقوم بكافة شؤون الدارسين، تمشي في أول الموكب تزغرد. وتعلن العريفة اسم عائلة المحتفى بها قائلة:

فليعش آل عنبر وليعش آل داغستان وهم أهل الأم.

وتدور الأيام، وتكبر الطفلة، وفي باكورة الأنوثة تبدأ رحلة الانفصال عن حضن الوطن الدافىء. حضن الأسرة.

وفي المحفل يهتز الأب الرائع العاطفة طرباً... فيخرج نغمات شعرية يهديها إلى الحاضرات، وتقال حين تقبل الزهرة في ثوب الطهر والعفاف:

فيا للآباء ويا للأبناء

بُلْبُل الأفراح غنّى منشداً
ردد الكون صَدَاه
صفّق القلبُ وهنّا وازدهى
حقَّقَ اللَّه بالحسن رجاه
وازدهى الحفلُ ابتهاجاً
وانثنت أعطافُه عُجْباً وتاه
وبدت آثارهُ واضحَةً
لاَمِعَاتٍ في أسارير الجباه
وشفاه عبرت عن مِنَنٍ
بَسَمَات لاَمَسَتْ تلك الشِّفاه
هي في روعتها ناطِقَةٌ
وهي في مَحْفَلِنَا نبْعُ سناه
فيكم قد مُثِّلَتْ رَوْعَتُهُ
واكتسى من لُطفكم قَدْراً وجاه
فزهورٌ يانعاتٌ أَنتمو
وهْوَ حقل زاد في الحسن بهاه
عمّت الفرحةُ في أرجائه
ردّدت أنفُسُنا رجعَ صداه
أخلصُ الشكّرِ لكم نرفعُه
فاحَ كالعنبرِ والمسكِ شذاه

زفرات حزينة

للأستاذ الشاعر : محمود عارف

هذه زفرات حزين. . . تسيل دموعاً ملتهبة على وفاة الصديق الأستاذ عبد الحميد عنبر. وإذا سكبنا الدموع فإنما نسكب المهج المصدوعة، والقلوب الجريحة للحادث الأليم الذي فجعنا فيه بوفاة الفقيد الراحل رحمه الله رحمة البرار وأسكنه فسيح جناته وألهم ذويه وأصدقاءه الصبر والسلوان:

وَجَم اللّسانُ لحادثٍ مستفظعِ
أوّاه ما أقساهُ يومَ المصرعِ
نُبِّئتُ بالخبرِ المُشينِ فهالَنِي
ما قد سمعتُ وليتني لم أسمَعِ
قدرٌ أتاكَ وأنت تجهلُ أمرَه
فوقعت مطروحاً بصدق أمع
دربٌ مشيت به على سيّارة
فوصلت «للنمسا» بقصد تمتُّع
هلا وجدتَ متاعَ شهرٍ واحدٍ
في رحلة خُتِمَتْ بِرُزْءٍ مُفْزِعِ

هـلا وجـدتَ الـعـيـشَ لـقـمـةَ كـادح
أم كنت تعبث في الـمجال الأوسعِ
كافحتَ في الدنيا فكنتَ كما نرى
حَـذِراً. . تـعـثّـر عـثـرة الـمُـتـوقِّـعِ
ووقـفـتَ فـي عـهـد الـشـبـاب مـوطـداً
مـا كـنـت مـدخـراً لـعـهـد تـطـلـعِ
وأتى الـمشيب وبعضُ شعركَ أبيضٌ
كـالـفجرِ من خـلف الظّلام الأسفعِ
يـا أيـهـا الـصـحفـي الـذي كـانـت لـه
فـلـتـاتُ فـكـرٍ مـن يـراعٍ طـيّـعٍ
مـا كـنـتُ أدري كـيـف أنـت رسـمتَـهـا
وكـأنـهـا الـلـوحـاتُ لـلـمـسـتـطِـلـعِ
هـي فـي الـطـرائـف روضـة مـعـطـاءة
تـنـداح عـطـراً فـي الـربـيـع الـمُـمْـرِعِ
والـيـوم خـلّـفـتَ الـطـرائـفَ تـشـتـكـي
مـنـعـاك فـي الـدنـيـا شـكـاةُ تـوجُّـعِ
وبـكـاك أهـلُـك والـبـنـونَ جـمـيـعُـهـم
وبـكـاؤهـم مـن حـسـرةٍ وتـصـدّعِ
والـصـفـوةُ الأحـبـابُ فـي أحـزانـهـم
قـد شـيّـعـوك إلـى الـضـريـح الـبـلـقـعِ

ما مسّهم جزعٌ لحادث صدمةٍ
لكنّهم صُعِقُوا بفقدِ سُميذَعِ
في كلّ يوم صاحبٌ مترحِّلٌ
حملوه فوق قوائمٍ من أربعِ
حملوه فوق سواعدٍ مفتولةٍ
وقلوبهُم في حسرة المُتوجِّعِ
عبد الحميد.. إذا رحلتَ عن الدنا
في كل نادٍ أنت فيه، وموضعِ
إن غاب وجهُك، تحت أستار الثَّرى
فالود باق في الحشا والأضلعِ
العزم نهجُك قد رسمتَ طريقه
للقاعدِ المحرومِ والمتربّعِ
والصّدق دأبُك قد وضعت أصولَه
لبنيك للتاريخِ صفحةَ مرجعِ
شكواك من قلبٍ مريضٍ لم يكن
سبباً لهذا الحادث المُتسرّعِ
لكن ابن آدمَ طائر متجوّل
صياده في جنبه لم يُقْلِعِ
قد رحت تستشفي وأنت مودَّعٌ
في رحلة «دنيا» ولمّا ترجعِ

فُوجِئتُ بالنبأ المُشينِ ولم أزَلْ
أبكيك يا وِدّي بفرطِ الأدمُعِ
هل يُرجِعُ المفقودَ ذرفُ مدامعٍ
نمْ يا صديقي هانئاً في المضجَعِ
الموت في الدّنيا طريق قوافل
كلٌّ يرى محصوله في المجمعِ
من كان موفورَ العطاء جزاؤه
يُعطي بميزان الثواب الأرفعِ
وإذا الذي ميزانه متأرجِحٌ
يُعطى بمرجوح الكفاءِ الأكتعِ
قد كنت أحسب أن عودَك مُقبِلٌ
وإذا مماتُك وثبةٌ من مُسرِعِ
في ذمّة الخلد المجلّلِ بالسَنا
في جنّة الفردوسِ أخصب مرتعِ
حيث النعيمُ تنالُ منه المرتجَى
ما شاء ربُّك مُعطِياً بتوسّعِ
إن كان في بعض الرجال نبالةٌ
فالنبلُ عندك شيمةُ المترفّعِ
أيّ الرجالِ.. وأنت فينا فاضلٌ
والفضلُ عندي من سمات الألمعي

لا كـالـرجـال الـواغـلـيـن وكـلّـهـم
مِـزَقٌ سـداهـا لـحـمـة بـمـرقّـعِ
لا يـنـفـع الـتّـرقـيـعُ فـيـمـن فـاتـه
ركـبُ الـحـيـاة وعـاش عـيـشـة مُـدْقِـعِ
إن الـحـيـاة تـجـدّدٌ وتـطـلـعٌ
لـلـخـيـر لـلإصـلاح بـل لـلأنـفـعِ
الـمـجـدُ لـلإِنـسـان حـيـث طـمـوحُـه
مـتـوفِّـرٌ فـي الـمـنـتـهـى.. والـمـطـلعِ
والـعـامـلـون هـمُ الـمـشـاعـل فـي الـدّنـا
والـفـاشـلـون طـحـالـب الـمـسـتـنـقَـعِ

دمعة على أخي الفقيد عبد الحميد عنبر

(عضو مجلس الشورى)

شعر : عبد الحق النقشبندي

أبـكـيـك يـا عـبـد الـحـمـيـد
يــا أيّــهــا الــخــلُّ الــوحــيــدْ
قـد كـنـت لـي نـعـم الـصـديـق
وأخـــاً وفـــيـــاً لا يَـــحِـــيـــدْ
عــاشــرتَــنــي زمــنــا طــويــلاً
فـــي شـــقـــا عـــمـــرٍ مـــديـــدْ
قــاســمــتــنــي الــسـرّاء والـضـرّاء
فـــــي بـــــؤسٍ وعـــــيـــــدْ
دالــت بــنــا الأيــام فــي يــسـر
وفـــي عـــســـرٍ شَـــدِيـــدْ

عبد الحق النقشبندي ـ يرحمه الله ـ هو ابن خالة الشاعر وقد تزوج آخر أبنائه الدكتور عبد السلام بآخر العنقود في أسرة صاحب هذا الديوان، وقد شهد هذا الزواج المرحوم عبد الحق ولم يشهده الآخر.

ولـقـد سَـعِـدنـا بـعـدهـا
ثـم افـتـرقـنـا مـن بـعـيـدْ
ولـقـد صـرفـنـا الـجـهـدَ فـي
طـلـبِ الـعـلـومِ كـمـا نُـرِيـدْ
حـتـى بـلـغـنـا غـايـةً
مـا كـان فـيـهـا مـن مـزيـدْ
كـنـتَ الـمـصـلّـى[1] دائـمـاً
وأنـا الـمُـجِـلّـى مـن بـعـيـد[2]
وغـدوتَ أنـت مـحـرِّراً
ونـاظِـمَ الـدُرّ الـفـريـدْ
حتى وصلتَ لمجلسِ الشورى
كـمـا الـركـن الـعـتـيـدْ
كـافـحـتَ فـي دنـيـاكَ حـتـى
حُـزْتَ مـن خـيـرٍ زَهـيـدْ
قـد كـنـتُ أوثِـرُ أن أراكَ
تـعـيـش فـي عـمـرٍ مـديـدْ
وتـزفّ نـعـشـي أولاً
وأكـون قـبـل أنـا الـفـقـيـدْ

(١) المصلّى: الفرس السابق الأول.
(٢) المجلّى: الثاني بعد الأول.

لـكـن سـبـقـتَ لـدارِ فـردوس
فـيـا لـك مـن سَـعـيـدْ
أأخـيَّ مـثـلَـك لـم يَـمُـتْ
ذكـراك تـحـيـا مـن جـديـدْ
خـلَّـفـت أربـع أنـجـم[1]
مـا مـنـهـمـو إلا رشـيـدْ
ولـقـد أراد الـلَّـه أن تـلـقَـى
حِـمَـامَـك كـالـشّـهـيـدْ
حُـيّـيـت فـي الـمَـحـيـا وفـي
الـمُـثـوَى بـنـعـمـى مـن حـمـيـدْ
فـاهـنـأ بـرحـمـات
وغـفـرانٍ مـن الـربّ الـمـجـيـدْ

---

(١) الأنجم: جمع نجم والمراد فيصل وإخوانه. طلعت وعبد العزيز وسامي، خلفوه بعد موته.

النـثــر

ظننت المضيفة أول الأمر

توطئــة

هذا الكتاب ليس تأليفاً، وليس فيه إضافات أو حذف إلا ما قد ندر، وقد جمعت مادته من منابر الصحافة ـ وبالذات من جريدتي المدينة والمنهل. وسوف يلاحظ القارىء الكريم أن موضوعاته تعالج ـ تقريباً ـ الموضوعات نفسها التي تعالجها الساحة الإعلامية في يومنا هذا؛ فمثلاً قضية فلسطين ما زالت هي الجرح الأعمق في صدر الأمة العربية على الرغم من أن هناك ألف جرح وجرح تَلاحق في حميمها، ولكن جرح فلسطين تقيح ولا ينفع فيه علاج. أيضاً الضرب في المدارس. والخطوط السعودية وخدماتها وغيرها من الموضوعات التي كتبت منذ بداية العام ١٣٥٢ إلى ١٣٨٤ وبعض المترجمات عن اللغة الإنكليزية.

إن الكاتب من الرعيل الأول الذي وضع لبنة الثقافة وفتح على نافذة الوطن حدائق الفكر العميق والكلمة الصادقة، وكان كأبناء جيله ـ إن لم يكن أجرأهم ـ في مناصرة الحق وصدق المعالجة لما يكتب. هناك العديد من أبناء جيله لا يزالون يتمتعون بالصحة أمد الله في أعمارهم وبارك فيهم. وقد وضع مقدمة الكتاب العم الشاعر الأديب الشيخ محمود عارف عافاه الله، فقد كان الصديق الصدوق للكاتب.

كيف خرجت فكرة هذا الكتاب؟

كان رحمه الله يتمنى أن يجمع كتاباته الصحفية، كما أنه قام بكتابة بعض الموضوعات التاريخية والتي لم تنشر، وكذا بعض النفحات الرومانسية، ولكنه كان رجلاً مسؤولاً لا يستقر حتى يرحل إلى أن عيّن عضواً لمجلس الشورى. ولكن القدر كان فاتحاً له ذراعيه ولم يمهله ليحقق ولو بعضاً من أمانيه.

وحين مارست الكتابة حاولت أن أحذو حذوه، وأجعل نبراسي صدق الكلمة، فلم أستطع أن أكون ولو القليل مما كان.

صدقه أكبر من ممارساتي، وزمنه أصدق من زمني، وسماحته وقلبه الكبير ومرونته في معالجة الأمور كانت هي مفتاح أيامه. لذا لم أحتمل العاصفة فوقعت من جهلي في مجراها فنالت مني، لكن لا أنكر أنني خرجت بحب الكلمة واقتناعي بأنها إن لم تخدم الهدف العام فلا كانت.

وفي مراجعتي لشريط الذكرى أجد كأي إنسان، أن هناك في الضبابيات بعضاً من نور الفجر الوهاج، وكان هذا الفجر هو تلك الكتابات التي أعتز بها وأتمنى أن أخرجها في كتاب لتُحفظ من الضياع. ومن هذه الأمنية طَفَتْ إلى سطح المحبة أمنية والدي رحمه الله في جمع كتاباته، فرأيت وفاءً له أن أبادر إلى هذا العمل. وقلت إن كانت الأمنية رحلت مع صاحبها فإن هناك الأحفاد وهناك الوطن الذي خدمه بفكره وعمله، هذا الوطن الذي لا ينسى الصادقين في حبه. وسعيت إلى جمع المادة، ورغم علمي بأنه كتب في أكثر صحف المنطقة الغربية إلا أن ما استطعت جمعه هو ما ضمنته هذا الكتاب وهو أقل بكثير مما كتب.

ويشرفني أن أذيّل صفحات هذا الكتاب ببعض الخطابات التي وصلتني من أصحاب السمو الأمراء ومعالي وزير الإعلام وعمي الشيخ حمد الجاسر:

صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام.

صاحب السمو الملكي الأمير ماجد بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة.

صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود وزير الداخلية.

صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن فهد بن عبد العزيز آل سعود الرئيس العام لرعاية الشباب والرياضة.

صاحب المعالي وزير الإعلام معالي الشيخ علي حسن الشاعر.

ومن العم العزيز الشيخ حمد الجاسر.

شاكرة للجميع أفضالهم وتشجيعهم والله تعالى اسأله التوفيق.

حياة عنبر

المقدمة

بقلم: محمود عارف

في العهد السعودي الزاهر وعلى الساحة الأدبية، برزت في «طيبة» ـ مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام ـ طلائع من الرجال العصاميين، هم بناة الأدب، الذين واكبوا مسيرة النهضة الأدبية في المدينة المنورة، إلى جانب إخوانهم في مكة وجدة والرياض والدمام وأبها وجازان وبريدة.

وصاحب هذا الكتاب هو الأديب عبد الحميد عنبر، رحمه الله. وقد تمكنت ابنته «حياة عبد الحميد عنبر» من جمع مواد هذا الكتاب من جريدة المدينة المنورة، بمساعدة صديقَيْ والدها الأخوين الفاضلين علي حافظ وعثمان حافظ، ولولا مساعي هذه الأبنة البارة لضاعت آثار والدها، ولكنها بذلت كثيراً من الجهد حتى تحصلت على الغرض الذي تريده، شعوراً منها بالإخلاص والبر الذي تكنه لوالدها رحمة الله عليه، وتأكيداً واعترافاً بفضله عليها، وتخليداً لذكره في صفحات الرجال الذين كان لهم السبق في حلبة الأدب ونهضة الصحافة حين تأسست في «طيبة» جريدة المدينة المنورة لصاحبيها علي وعثمان حافظ. وفي كتاب «تاريخ الصحافة» جاء ذكر الأستاذ عبد الحميد عنبر باعتباره من الرعيل الأول الذي ارتبطت مساهمته مع مطلع تأسيس الجريدة ومع إخوانه أدباء «طيبة» وتعددت مشاركته في

المقالات والتراجم التي يطالعها القارىء في هذا الكتاب.

وقلم العنبر ـ في هذه المقالات ـ لا ينكره كل من عرف فيه «الصراحة»، وقد أغضبت صراحته الكثيرين من ضعاف النفوس، فكان لا يبالي بالغوغائية التي كانت تحوم حوله بقصد إسكات هذا القلم الصريح.

والصراحة دائماً تكون محاطة بالعصبية الواغلة. والواغلون هم الذين يتدخلون في شؤون الأحرار لأغراض سيئة. ومن الأغراض التي يحملها هؤلاء الواغلون: نشر العداوات وتعطيل الإصلاحات، لا لشيء سوى التفريج عن قلوبهم المحترقة بنار الحقد.. الحقد على الناس والمجتمع.

والأحرار أمثال الأستاذ عبد الحميد عنبر، يؤمنون بالحرية في التعبير، والإخلاص للناس، والسعي لإِصلاح المجتمع. ويكفي أن يرى القارىء سمات القلم الحر في هذه المجموعة المتواضعة، وسيرى كيف كان هذا القلم بصراحته، يحمل شارة الكفاح دفاعاً عن بلده، وجهاداً عن مبادئه، وحماية لمكاسب النهضة الصحفية والأدبية التي كان من أوائل بُناتِها مع زملائه علي حافظ وعثمان حافظ، ومحمد حسين زيدان، وعزيز ضياء، أطال الله أعمارهم، ورفقائه الذين لحقوا بالرفيق الأعلى: ضياء الدين رجب والنقشبندي وعبد القدوس الأنصاري وبعض من لا تحضرني أسماؤهم.

ولا ننسى أن نذكر للأجيال والتاريخ أن هؤلاء المذكورين قضوا بداية حياتهم في «طيبة» ثم انتقلوا إلى جدة ومكة. وفي زمن متقارب نقلت مجلة المنهل وجريدة المدينة، فأكملوا الرسالة التي أخذوا على كواهلهم القيام بها في صبر وتضحية. وكان ذلك بإثبات وجودهم على الساحة الأدبية. وهذا هو ما شاهدناه على بساط الواقع، حيث ازدهر كفاحهم في مواقع

انتقالهم ـ جدة ومكة ـ واشتهرت مؤسساتهم الصحفية في الداخل والخارج، تمشياً مع طموحاتهم كأدباء وصحافيين، وهي طموحات ذات أهداف وطنية ومواقف عربية، تنطق بها منشوراتهم وكتبهم التي سدت فراغاً لا ينكر فكانت موضع التقدير والإعجاب.

هذي تحية تقدير أشيد فيها بالابنة البارة «حياة عبد الحميد عنبر» حيث كانت السبب في إصدار هذا الكتاب، وأعتقد أن نجاحها في هذا السبيل سيعطيها الإصرار ويدفعها إلى مواصلة نشر آثار والدها في المستقبل، وبهذا العمل ستضيف باقات معطرة جديدة إلى حديقة الأدب، ومشاعل مضيئة في درب الصحافة.

لو عدت طفلاً ماذا تتمنى أن تكون؟

ليس للطفل ـ فيما أعتقد ـ وهو في سن الطفولة شأن في تكوين نفسه، فالطفولة في الواقع هي أمانة في يد الوالدين والبيئة التي يعيش فيها الطفل. لذلك، فإني أفضل لو عدت طفلاً ـ على حد تعبيركم ـ أن أكون لأبوين مثقفيّن اكتملت لديهما أسباب العلم والغنى بحيث يستطيعان في يسر وسهولة تنشئتي تنشئة صحيحة وتوجيهي توجيهاً دينياً وعلمياً يتفق وميولي الفطرية، وأن أولد في بيئة تخطت في تكوينها الأطوار الحيوانية والشهوانية التي تمر على الإنسانية في تطورها إلى مستوى أعلى ونظرة أوسع.. بيئة تمقت الأثرة والأنانية وتتضافر على بناء حياة تتكافأ فيها الفرص ويشترك الجميع في بنائها والاستفادة من مباهجها ولذاتها، بيئة تعطي الحق للجميع لأن الحق من صنع الجميع وتقدس الأنفع والأعلم والأتقى والأكرم تمشياً مع الدستور السماوي.. «إنما يخشى الله من عباده العلماء» و«إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، أما إذا كنتم تعنون.. إذا قدر لي وعدت إلى الشباب لأسلك سبل الكفاح من جديد، لتمنيت أن أعود لأصحح ما وقعت فيه من أخطاء وأسلك في دراستي طريقاً منظماً يصل بي إلى نتيجة ثابتة واستغل ميولي الفطرية بالتخصص في المادة التي تؤهلني لها تلك الميول وعن طريق هذا التخصص أكتب صفحة المجد لأمتي وبلادي متفانياً في كل ما من شأنه رفعة بلادي وسمو مكانتها ومن الأخطاء التي سأصححها.. وهي

كثيرة. . الرغبة عن زواج الشباب المبكر وتصحيح طريقة اختيار شريكة الحياة. . على أني وأنا على ما أنا عليه ـ ولا محل للتفاخر. . أعتقد أني سلكت طريقاً مشرفاً حققت فيه الكثير مما يطمح إليه شاب طموح ومكافح، فقد اشتغلت عاملاً في شتى الميادين لأضمن لأسرتي عيشاً كريماً، وقد حملت عبئها وأنا في مستهل الطريق، ولأذلل أمامي سبيل التعليم الذي صبوت إليه وقد كانت سبله في أيامنا عسيرة كل العسر. وإني لراضٍ كل الرضا عن النتيجة التي وصلت إليها، بفضل الله ثم بالجهد والعرق، وراضٍ كل الرضا عما قمت به من خدمة في سبيل أمتي وبلادي في المجالات التي قدر لي أن أعمل فيها: فقد ساهمت بروح مخلصة في ميدان التعليم واشتركت في دفع عجلته إلى الأمام وفي تطوير نظمه وكذلك فعلت في الحقل المالي والاقتصادي، وأنا اليوم أعمل بنفس الروح في ميدان التشريع والإصلاح وأسأل الله مزيداً من التوفيق. وأنا وإن لم أخرج من هذه الميادين بالشهرة والثروة اللتين تحققا لكثير من الزملاء، إلا أنني خرجت بضمير راضٍ مستريح بأني «أديت الواجب» وأعتقد أن كل من كان لي شرف العمل المباشر معه من الفضلاء يشهد لي بذلك.

أما عن المستقبل، فالحياة التي أريدها هي حياة كفاح وأمل. . كفاح للوصول إلى مستوى ثقافي أعلى وبيئة ذات مدارك أوسع في مجتمع يؤمن بالله حق الإيمان، يعيش كل فرد فيه ليؤدي رسالته في البناء والتثقيف، يسعى لجمع المال لا للتجميد ولكن للصرف لإيجاد الفرص وتهيئة المجالات للعاملين وللوصول إلى حياة أفضل على الدوام وآمل في الله العظيم ـ سبحانه ـ تحقيق ما أصبو إليه.

هل نحن على أبواب عهد جديد؟

أظن أنه لا يوجد في المملكة العربية السعودية اليوم من يشك أن هناك في طول المملكة وعرضها نهضة قوية تدفع النفوس دفعاً إلى طلب الكمال في جميع شؤون الحياة. ونظرة واحدة في حياتنا أمس وحياتنا اليوم تكفي لأن تقنع إقناعاً صحيحاً كل من يتوهم غير هذا. لأنه يوجد بيننا اليوم كثيرون ممن كانوا يعتقدون أن ما في الصحف والمجلات كذباً لا فائدة فيه، وقراءتها خروج على الدين والتقاليد. وهم اليوم يطالعون الصحف بتلهف ويعتقدون أن لمطالعتها الفضل الكبير في تنوير الأذهان وتنمية الأفكار، وكان يوجد بيننا من يرى إرسال الأبناء إلى البلاد الخارجية للتعليم إنما هو تضييع لهؤلاء الأبناء وقسوة يجب أن لا يتصف بها الآباء. وهم اليوم يودون لو ساعدهم الحظ، فيرسلون أبناءهم ليرتشفوا مناهل العلوم من أطراف الدنيا، وبيننا شيوخ كانت طرق العلم مفتوحة أمامهم ولكنهم لم يلتفتوا إليها لانشغالهم بملاذ الحياة. وهم نادمون على ما فرطوا فيه ولا يرضون أن يتصف أبناؤهم بالجهل الذي ذاقوا مرارته، وعرفوا معناه السقيم.

كل هذا يدل دلالة واضحة على أن الشعور بوجوب النهوض عام في طبقات الشعب وموجود لا شك فيه. إلا أن الجدير بالبحث هو: هل توجد

طرق منظمة، وموارد غزيرة لإشباع هذه الرغبة إشباعاً كافياً وتوجيه هذا الشعور توجيهاً منظماً ليأتي بالنتيجة المطلوبة؟ أم أن هذا الشعور المتدفق يغلي في الصدور مدة ثم لا تلبث ناره أن تخبو فلا يأتي بالنتيجة المطلوبة، ذلك ما نريد أن نبحثه ونرجو أن نوفق في بحثنا إلى طريق الصواب.

إننا نقدر لاطراد هذا النهوض وتمخضه عن عهد جديد وجود أصول أربعة هي:

(١) وجود مدارس منظمة ابتدائية وثانوية وعالية توافق برامجها مناهج التعليم العام في عموم أقطار العالم المتمدن.

(٢) وجود صحافة عالية تنشر الثقافة بين الجمهور.

(٣) وجود بعثات منظمة إلى البلاد الخارجية.

(٤) تنظيم حياة الشباب تنظيماً يوافق مطالب الحياة.

ولنبحث عن كل واحد من هذه الأصول على حدة لنتبين مقدار حظنا منه فنقول:

المدارس:

لا نشك أن حكومة جلالة مليكنا المحبوب «عبد العزيز آل سعود» التي شجعتنا على متابعة النهوض للتخلص من حياة لا تليق بشعب عربي كريم، قد سعت جهدها في تعضيد المعارف وتوطيد مركزها، وقد بذلت وكالة المعارف من جانبها أيضاً جهداً تشكر عليه، فنشرت المدارس الابتدائية في أطراف القطر والمعهد العلمي السعودي بأم القرى الذي هو عبارة عن مدرسة ثانوية مستعدة لتهيّىء تلاميذ للمدارس العالية التي يجب أن توجد في المستقبل القريب.

الصحافة:

من حسنات العهد السعودي هذه الروح الصحافية القوية التي نراها في أطراف البلاد، فقد شجعت حكومة جلالة الملك «عبد العزيز» الصحافة في الحجاز، وأعطت امتيازات لعدة جرائد ومجلات صدر منها البعض وتوقف، وبعضها لا يزال يصدر حتى الآن، ومنها ما أعطي امتيازه ولم يصدر حتى الآن.

ونحن هنا نسأل لِمَ لم يصدر ما أعطي امتيازه؟ ولِمَ توقف عن الصدور ما كان صادراً؟! ذلك لأن الصحافة لم تستقر لدينا على أساس قوي، وأنها في حاجة إلى تنظيم كما أنها في حاجة إلى صحافيين مدربين يستطيعون قيادة الجماهير وغرس المبادىء الوطنية والأخلاق الرفيعة في نفوسهم.

البعثات:

أما البعثات فليس هناك بعثات منظمة من الشباب المتعلم سوى التي ترسلها الحكومة في مناسبات خاصة؛ لذلك فنحن في أشد الحاجة إلى إرسال البعثات المنظمة من الشباب المتعلم الذي نال قسطاً وافياً من التعليم الحجازي ووجدت فيه أهلية واستعداد للاقتباس من العلوم العالية ما يفيد به أمته وبلاده. وهذا في ما نظن واجب من واجبات الشعب يجب أن يقوم به خير قيام. فالتجار وأصحاب الأملاك هم المسؤولون عن هذا ولن يجدوا لمبراتهم مصرفاً خيراً من هذا، فهو صدقة جارية تثبت لهم الثناء على مر الدهور، ومتى تتابعت البعثات التي ترسلها الأمة إلى جانب البعثات التي ترسلها الحكومة، فستكون نخبة صالحة من رجال العلم والصناعات الذين يكون عليهم مدار النهوض.

الشباب:

ليسمح لي الشباب الناهض أن أقول إن حياة أكثر المتعلمين عندنا غير منظمة، فإنك لا تجد بينهم من رسم لنفسه خطة يسير عليها، وكون غاية معروفة يسعى لها في أدوار حياته، بل إن الكثيرين منهم لا يتكلفون عناء التنظيم بل ولا يفكرون فيه فيتركون أنفسهم للظروف تكيفهم كيف شاءت. والعهد الجديد يحتاج إلى شباب منظم يسعى للغاية التي رسمها لنفسه ويقتحم المشاق في سبيل نيلها.

ذلك ما نرجو أن تنتبه إليه الأيدي العاملة من رجالنا العاملين، فيسعون لحمل الأمة على أخذ المفيد الصالح منها. وعندئذ لا يمضي وقت طويل حتى نصبح أمة حية تأخذ مقامها بين الأمم.

الجيلُ الجَديد

إن المتتبع للنهضة الجبارة التي تسير عليها بلادنا اليوم في الخط المرسوم لها علمياً واقتصادياً وعمرانياً وصناعياً، يشعر بالرضا والاطمئنان عن الأسس التي شيدت عليها هذه النهضة. فبعد أن كانت الأمور مرتجلة والتخطيط يصدر عن فئة من الناس ترجو من وراء هذا المشروع أو ذاك نفعاً خاصاً، أو مأرباً مادياً، أو حتى إرضاء زيد أو عبيد من الناس، تغير الحال الآن، فأصبح التخطيط في أيد تدرس وتعني الدرس وتهدف إلى غايات سليمة للمستقبل البعيد، والبعيد اليوم قريب غداً، كما يقولون.

إن هذا الشعور بالرضا بقدر ما يثلج صدري من جهة يقلقني جداً من جهة أخرى، مستقبل الجيل الجديد، والجيل الجديد ليسوا هم طلبة المدارس الذين ينالون عناية وزارة المعارف والمعاهد الأخرى، فهناك عدد كبير ممن حرموا نعمة التعليم لسبب أو لآخر وحتماً هؤلاء المنتسبون للتعليم قد تطرأ عليهم ـ بعد قضاء عمر طويل في الدرس ـ ظروف تضطرهم إلى ترك التعليم وسلوك سبيل آخر وراء لقمة العيش.

إن الطلبة هم عماد المستقبل، فإذا لم يحاطوا بالعناية والرعاية منذ فجر حياتهم إلى آخر مرحلة من مراحل تعليمهم، كانت خسارة الأمة فادحة ومصابها كبيراً.

إن سلامة المستقبل في سلامة رجال المستقبل. فلا بد من تخطيط شامل واعٍ لإنبات هؤلاء الرجال نباتاً حسناً. وهو ما نحن في أشد الحاجة إليه.

ومشاكل الطلبة أكثر من أن تعد، فهناك مشاكل مادية، ومشاكل عائلية، ومشاكل نفسية، ومشاكل فراغ. والطلبة في سن المراهقة إذا انحرفوا كانوا أكبر خسارة على الأمة. وأسباب الانحراف وأسباب العقد النفسية في هذه السن أكثر من أن تحصى. وتصوروا مقدار خسارة الأمة في شباب تعهدتهم وعلمتهم حتى قرب أن تجني ثمار جهدها منهم، فإذا هم قد انقلبوا على أعقابهم وسلكوا سبلاً منحرفة.

فلا بد إذن من تخطيط دقيق شامل يشترك فيه كبار رجال التربية وجميع الآباء دون استثناء. الآباء باشتراك مادي زهيد، والأغنياء بهبات واشتراكات، ورجال التربية بالعمل والجهد للبحث في مشاكل الطلبة وملء أوقات فراغهم بما يفيد ويعالج حالة كل طالب بما تستدعيه حالته بدراسة أجوائه الخاصة ومساعدته على متابعة سير تعليمه.

ولقد جربت الولايات المتحدة أكثر الوسائل التي اقترحها رجال التربية والتعليم في هذا الشأن، فوجدت أمثلها وأكثرها فائدة هو إنشاء أندية للطلبة تحت إشراف كبار رجال التربية وبمساعدة رجال المال والأعمال. وتحتوي هذه الأندية على كل ما من شأنه مساعدة الطالب ثقافياً واجتماعياً. ووجدوا أن الطالب أقرب إلى نفس الطالب، فهو يركن إليه ويفضي إليه بأسراره ومشاكله التي قد يضن بها حتى على والديه، ومن الطالب الزميل تنقل هذه المشاكل إلى المشرف الاجتماعي الذي يقوم بدوره بمعالجة المشكلة دون أن يشعر الطالب بإحراج أو جرح لكرامته. ولقد حل أحد الأندية مشاكل آلاف من الطلبة في عام واحد، وأعادهم جميعاً إلى حياة الدراسة، وخلق

منهم رجالاً ناجحين، بعد أن كادوا ينحرفون.

وأصبح كثير من رجال الإصلاحيات ورجال الشرطة يحيلون إلى هذه الأندية أحداثاً عجزوا عن إعادتهم إلى حياة العلم والعمل فنجحت الأندية فيما عجزوا هم عنه.

إن طلابنا في أشد الحاجة لمثل هذه العناية، فهم بعد خروجهم من المدرسة قلَّ أن يجدوا جواً مناسباً يقضون فيه ساعاتهم، فبعضهم لا يجدون حتى في بيوتهم الأسباب التي تساعدهم على الهدوء والمذاكرة والإنتاج. أما في أيام العطل، فالمشكلة أكثر تعقيداً أو أكبر تأثيراً. .

إن علينا كأمة ناهضة أن نساهم في بناء الجيل الجديد.

إن على الصحافة والإذاعة والتلفزيون واجباً كبيراً نحو الجيل، فعليهم جميعاً أن يثابروا على إيجاد الوعي لدى كل فرد بأن عليه واجباً خاصاً وضرورياً في المشاركة في تنشئة الجيل الصالح علمياً وعقائدياً وخلقياً. ويضيق الصدر ولا ينطلق اللسان عن بعض أثريائنا الذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله ويعيشون كأنهم خالدون مخلدون. إن الإنفاق على إصلاح فرد من أفراد المجتمع الإسلامي أقرب صدقة يقدمها رجل في سبيل الله؛ فالرسول ﷺ يقول: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمُر النعم» وصدق الرسول ﷺ.

الكتاب الفضي «المنهل» في ٢٥ عاماً

وهذا زميل الدراسة الأستاذ عبد الحميد عنبر، عضو مجلس الشورى، يكتب كلمته التالية، تحية للمنهل ويوبيله الفضي، وسيرى القراء في الكلمة كشفاً عن المصاعب التي واجهت صاحب المنهل إبان إصدارها وإماطة اللثام عن سر نجاحه في استمرار إصدارها رغم تلك الظروف القاسية والأحوال الصعبة المراس، المنتشرة الأشواك في كل مكان. وقد استهل الكاتب الفاضل كلمته بهذا البيت:

(لا يعرف الشوق إلا من يكابده ولا الصبابة إلا من يعانيها)

ثم مضى يقول:

جرى على لساني هذا البيت وأنا أتصور مجلة المنهل الغراء وهي تستعد ليوبيلها الفضي في هذا العام.. واليوبيل الفضي بمجلة المنهل معناه كفاح وجهاد خمسة وعشرين عاماً قضاها صاحب المنهل في البلوغ بمجلته الفتية إلى أبلغ ما يصل به جهاد فرد مكافح.

لا شك أن جيل اليوم لا ينكرون على صاحب المنهل جهاده في سبيل البلوغ بمجلته العزيزة إلى المكانة الرفيعة التي هي عليها اليوم.. ولكن هناك من لا يستطيع تصور ماهية هذا الجهاد العنيف أو الصعاب العسيرة التي ذللها صاحب المنهل بعناده وجهاده وإصراره.. وهذا ما أجرى على

لساني هذا البيت:

لا يعرف الشوق إلا من يكابده ‏ ‏ ‏ ولا الصبابة إلا من يعانيها

وأنا أرجع إلى الوراء ربع قرن من الزمن فأتصور الطالب الناشىء عبد القدوس الأنصاري ينتهز كل فرصة فيولي وجهه شطر باب العنبرية قاصداً مكة (العاصمة) فيستأجر بما جمع من القروش التي اقتطعها من نصيب بطنه، سيارة لتتدحرج به في طريق رملية عسيرة شاقة. ولم يقطع هو ورفاقه هذه الأربعمائة كيلومتر إلا من بعد أن يكون قد انقطع نياط قلوبهم في التغريز والزج والشمس الحامية المحرقة.. ويصل إلى مكة ويتصل بأدبائها وبأصحاب الشأن فيها ويحدثهم بحماسة ولهفة عن رغبته في إنشاء مجلة أدبية تخدم الأدب والعلم في هذا البلد المقدس، وتكون أداة نافعة لإعادة مجد هذا البلد المقدس، بعد أن أتت عليه السنون، وتضافر عليه المستغلون والحاكمون، فامحت أمجاده وأبدل بعروبته الأصيلة بقوميات ونعرات أفسدت حياته ولم تبق له كياناً عربياً ولا عجمياً بل رؤوساً تمثل أفظع اختلاف في التفكير والعادات والتقاليد في الأسرة الواحدة.

ويسمع أهل الرأي والفكر ما يقوله هذا الشاب المغامر ويخفون عن وجهه ابتساماتهم الساخرة.. مجلة أدبية! تتحدث في شؤون الناس ويقلد بها المارقين في البحث والتنقيب وإدخال أنوفنا في شؤون قد تكون سبباً في إغضاب أمم أو دول عزيزة علينا أو أمم لسنا «قدها» إن أغضبناها. ونعود إلى حياة القلق والاضطراب بعد الراحة والسكون.. ما هذا؟ كيف يمكن أن نساعد على التمرد؟ أليس في الكتابة في المجلات تسهيل لأسباب التمرد أمام شباب ثائر أحمق؟ إننا رغم حسابنا الدقيق معهم لم نسلم من شطحاتهم وجنونهم في صورة كتب يصدرونها باسم أدب الحجاز وغير

أدب الحجاز. فكيف لو أتحنا لهم الفرصة في مجلة تصدر شهرياً!

ويسمع الشاب الوجه الظاهر من كلمات الإطراء والتأييد ما يعرف أنه مجرد مجاملة واستخفاف، ولكنه وهو العارف، يمسك بهذه الخيوط الواهية ويقتحم الدوائر يطلب ويستجدي ويعود بعد جهد بخفي حنين. ويدور الحديث في المجالس والأندية ويتفكر الموسرون وأصحاب الرأي بجنون هذا الأديب المغرور. كيف يمكن أن تسمح الحكومة بإصدار مجلة؟ إنها لو سمحت فإننا لا نقر أن يكون أمر مثل هذه المجلة في يد شاب ناشىء غرير، إن من يقوم على أمر هذه المجلة يجب أن يكون رجلاً عظيماً من كبار رجالات البلد يعرف كيف يسير بها ويرضي تقاليد البلد وأذواقها ويحافظ على علاقاتنا مع الأمم المحيطة بنا والمرتبطة مصالحنا بها. وتنتهي المجالس بضحكات السخرية والاستهزاء.. ويظل الشاب يكاتب رجال العاصمة مستحثاً مهيباً مستعطفاً. وتمر الأيام ويعود بورقة الإركاب التي تحصلها بعد جهد إلى العاصمة ويطرق الأبواب مرة أخرى.

وإن كنت تعرف شخصياً هذا الشاب تعرف كم هو عنيد ومصر لا يتردد أن يصر على نقر الصخرة بالإبرة إذا كان ذلك أمراً لا مناص عنه لتحقيق الهدف. وهو الآن في دروسه لا يهمه إقناع الناس، ولكنه يريد أن يقنع الرسميين ليتحصل على الرخصة. والرسميون أشد صلابة وأكثر حذراً من الشباب الثائر المفقود الثقة.

واستثمر عمله كموظف بديوان إمارة المدينة فجعل يتودد لأميرها ويعمل جاهداً ليل نهار لإرضاء أميره ورئيس ديوانه حتى تم له اكتساب ثقتهما وكانت شهادتهما له عند أصحاب الشأن خير شفيع، وأخيراً أعطي الرخصة على أن لا تتجاوز أبحاث المجلة، الأبحاث الأدبية والدينية والاجتماعية.

وبرقت عينا الفتى وهو يتسلم الرخصة وجعل يحملق فيها وهو لا يكاد يصدق أن مسعاه قد نجح، وأنه فعلاً أصبح صاحب مجلة ومديراً مسؤولاً. ثم أفاق من نشوة الفرحة ليجد نفسه من جديد في موقف الحيرة والارتباك وهو يفكر الآن في رأس المال الذي تقوم عليه المجلة، وفي الكتّاب الذين سيدبجون المقالات الأدبية والعلمية والاجتماعية لتضمن للمجلة الرواج والاستمرار. وأين المال والجيب خالٍ وراتب الوظيفة لا يكاد يفي بحقوق البطن، والناس لا يؤمنون بصرف أموالهم على مثل هذه الخزعبلات؟ وأين الكتّاب والبلد ليس فيه إلا من يعد على الأصابع، منهم، وهم على ذلك في غرور وشطحات؟ وحل الفتى المشكلة وهو يقول في نفسه:

لماذا كل هذا التردد وهذا الجبن؟ ليس ضرورياً أن يكون عندي ورق للمجلة لعدة شهور! وليس من الضروري أن أقاول المطبعة لمدة طويلة! يكفي أن أشتري الورق شهراً بشهر، ويكفي أن أدفع أجرة الطبع شهراً بشهر، وهذا كل ما أستطيع أن أفعله.. سأحسم من راتبي مبلغاً أستعين به على سداد قيمة الورق في كل شهر. وكذلك الطبع.. سأجمع بعض الاشتراكات وأدفعها قسطاً للطبع.. وبعد صدور العدد الأول يخلق الله ما لا تعلمون، وموضوع الكتابة يبدو لي بسيطاً، فالمجلة شهرية.. فعلي، أن أكتب طوال الشهر مواد المجلة، وما جاء من الأدباء صالحاً للنشر سوف يترك لي فرصة للراحة والاستجمام.

وخرج الفتى من تفكيره هذا بقرار حاسم، فقد قرر أن يصدر المجلة، ويتحمل كل العبء، وكل الجهد والعرق والسهر.. وصدر العدد الأول من مجلة المنهل، واستمرت المجلة في الصدور، وكان كثيرون ينتظرون وقوفها بين الحين والحين، وكان كثيرون ينتظرون أن يفعل ضيق الأفق فعله

في نفوس أصحاب الشأن فيسعوا إلى إنهاء حياتها، لا بد من أحد أمرين: إما إفلاس صاحب المجلة، أو قيام الرأي العام مطالباً بوقف هذا الاندفاع والكلام الفارغ.

ومعذور من لا يعرف حالة الرأي العام في ذلك الوقت؛ فإن كلمة واحدة قد يصور الفهم السقيم لشخص من الأشخاص عدم لياقتها فيسعى مشوشاً صارخاً يتحدى.. ويجد صدى وأذناً، ويكون لذلك تأثير بليغ على حياة المجلة بل على حياة صاحبها ومن له علاقة به.

ولكن المجلة لم تقف رغم الإفلاس ورغم وقوف الكثيرين في وجهها، فقد استمات صاحبها لتعيش، وعاشت المجلة..

وسيجد القارىء إذا رجع إلى أعدادها الأولى أنها كانت تكتب حيناً من ألفها إلى يائها بقلم واحد.. هذا إلى أن صاحب هذا القلم هو الذي كان يعمل بنفسه في كتابة عناوين المشتركين وإيداع المجلة في البريد وتسلم تحاريرها والرد عليها ومعالجة آراء الناقدين.

وسيجد القارىء إذا قارن أعدادها الأولى بما هي عليه اليوم، أنها لم تكن في مستواه العلمي، أقل مما هي عليه اليوم، وإن كانت الآن قد أينعت ثمارها وتفتحت أزهارها وتنوعت أبوابها.

والمتتبع لتاريخ الصحافة في هذه البلاد يجد أن كل صحيفة صدرت لم تسلم من التوقف والمنع والاهتزاز أمام التيارات المختلفة، ومجلة المنهل هي الصحيفة الوحيدة التي قطعت مراحلها وعاشت إلى يوبيلها الفضي دون أن تتعرض لمثل هذه الزوابع.

هذه لمحة من جهاد صاحب المنهل أثبتها للحقيقة والتاريخ كصديق

وزميل لصاحبها عرف من أمورها الكثير وكتب عن معرفة وصدق. وإنها لصفحة مشرفة جدير بشباب هذا الجيل أن يأخذ منها درساً لشق طريق النجاح في الحياة.

وقبل أن أختتم كلمتي أهنيء صديقي الأستاذ عبد القدوس على نجاحه الكامل وتوفيقه الكبير في خدمة العلم والأدب في هذا البلد المقدس الطاهر.

والله اسأل أن يزيد في عونه وتوفيقه فيكمل رسالته العظيمة بخير ما يكمل به العاملون المصلحون أعمالهم.

وإلى الأمام، دائماً إلى الأمام.

من مظاهر النهضة بالمدينة المنورة

لا يسع المتتبع لتاريخ النهضة الحديثة في المملكة العربية السعودية إلا أن يعترف بحق شباب المدينة في تكوينها وتغذيتها بما يملكون من قوة وحيوية وشباب؛ فمنذ أن دوى في أم القرى صوت الأستاذ الصبان قائلاً: لقد نادانا الواجب فلبينا ودعانا الوطن فأجبنا. منذ أن أهاب بالشباب الحجازي ليؤدي مهمته الوطنية، تقدم شباب المدينة مدفوعاً نحو واجبه في رفع شأن أمته وبلاده، فما كنت ترى إلا شباباً متحمساً يروح ويغدو جاهداً في تسويد المقالات العلمية والأدبية في الصحف، منشئاً أندية الثقافة والأدب، فكان الحفل الأدبي وجماعة المحاضرات، وكان لتلك المحاضرات العلمية والأدبية أثرها الموفق الطيب في توجيه النشء الجديد نحو العلوم والآداب، واطرد هذا التقدم فظهرت في عالم الصحافة مجلة المنهل وجريدة المدينة وبرز في عالم التأليف والشعر والأدب شباب هم اليوم من خيرة رجال النهضة الحديثة، وقد دفع حب بعضهم لبلادهم إلى الهجرة إلى أم القرى حيث المجال أوسع والحاجة أمس، فبعد الأنصاري وضياء رجب وأمين مدني ومحمد زيدان وغيرهم في معارك النهوض في أم القرى فكانوا من المبرزين.

وكان من أثر هذه النهضة في دور العلم بالمدينة أن نشأت دار العلوم

الشرعية ودار الأيتام ودار الصناعة والنسج ومدارس التهذيب والمحافظة على القرآن الكريم وغيرها من المنشآت العلمية الحديثة. ولقد تفضل صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم فشمل هذه الدور العلمية والصناعية بعطفه وتفضل رجال فحذوا حذوه فأثمرت هذه الدور ثمراتها الطيبة بفضل الله ثم بجهاد أبنائها وتشجيع صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم ورجال حكومته، وهذه مبانيها الشامخة اليوم العلمية والصناعية تملأ العين بهجة ورضا والقلب اطمئناناً وسروراً وتنادي بجلال العلم والعمل وتشير بمجدها إلى جهاد المخلصين من رجالات المدينة الناهضين.

ولا يسع منصف أن يهمل ما أسدته حكومة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من أياد بيضاء على هذه النهضة المباركة حيث شملت بعطفها الناهضين بها ووضعتها تحت رعايتها؛ ثم إن حكومة صاحب الجلالة قد غذت هذه النهضة بمدارسها التحضيرية والابتدائية وعينت في الحرم الشريف النبوي مدرسين أكفاء، وخصصت للطلبة رواتب لتعينهم على طلب العلم، فأخرجت هذه المدارس وهذه الحلقات العلمية للنهضة رجالاً أكفاء اشتركوا في تدعيم بناء النهضة الحديثة.

وقد كان لظروف الحرب مؤثراتها على الحركة العلمية والأدبية في المدينة، فسببت ركوداً فشلّت حركة صحافتها وتوقفت عن الصدور جريدة المدينة ومجلة المنهل بسبب انعدام الورق، كما ظهر أثرها بادياً في دور العلم فحدَّت من حركتها وأوقفت بعض الشيء تيار تقدمها.

واليوم وقد انزاح شبح الحرب، فإننا نرى الهمم المكبوتة قد انطلقت من عقالها، فدبت روح القوة والنشاط، وظهرت آثار العمل في كل ناحية من نواحي الحياة، فهذه دار الأيتام قد اشتغلت في بناء دارها الجديدة بهمة

ونشاط لا يعرفان الكلل والفتور، فلم تمض شهور حتى بدا للعيان هذا البناء الشامخ الذي يلفت بجميل هندسته وعظمة بنائه نظر كل من أتيحت له زيارة هذا البلد الطيب في هذه الأيام وظهرت للعيان المحاولات الجديدة لمدرسة العلوم الشرعية في ترقية شعبها العلمية والصناعية وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات. وهذه مدرسة دار الصناعة والنسج قد أخذت تفكر تفكيراً جدياً في إنشاء أقسام جديدة في مؤسستها وتزويدها بالنافع المفيد من العلوم والصناعات، وهكذا الأمر في جميع المعاهد والمؤسسات الحكومية منها والأهلية.

أما المشاريع الجديدة التي تعتبر من مظاهر النهضة الحديثة في المدينة والتي هي من مشاريع ما بعد الحرب، فهذا البناء الهندسي البديع الذي سيؤسس للمدرسة الثانوية والذي هو رمز ذكرى عودة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم من رحلته الموفقة من البلاد الشقيقة مصر، والذي هو رمز الخطوة العلمية الثانية التي خطتها النهضة الحديثة في المدينة في جهادها، وستأتي بعدها الخطوة الأخيرة الموفقة إن شاء الله خطوة الكليات والجامعات.

وظاهرة أخرى جديدة تستحق التسجيل والتقدير، هي تأسيس مدرسة الصحراء في المسيجيد، فإن مؤسسي هذه المدرسة الأخوين السيد علي وعثمان حافظ قد دللا بهذه الخطوة الحميدة على أن رجال النهضة الحديثة في المدينة قد تخطوا التفكير المحدود فوضعوا في قائمة نهضتهم القيام بواجب بادية هذا البلد المقدس التي نشأ الدين على أكتاف رجالها الأوفياء المخلصين، والذين لا بد من نهوضهم لنهوض هذه البلاد نهوضاً صحيحاً كاملاً، فهم بيت الداء وعلى تعليمهم وتثقيفهم يتوقف الدواء.

وبعد، فهذه كلمة مقتضبة عن مظاهر النهضة الحديثة في المدينة أتشرف بعرضها للقراء الأعزاء إجابة لطلب الصديق العزيز الأستاذ الأنصاري للكتابة تحت هذا العنوان الذي عينه في طلبه والاشتراك معه في القيام بالواجب المقدس، وإلا فما أنا من رجال هذا الميدان اليوم وقد حالت عنه حوائل ووقفت دونه عقبات والله الموفق وهو يهدي السبيل.

الإجابة عن الاستفتاء بعنوان مشروعاتنا في الخمس سنوات

أخي الأستاذ عبد القدوس الأنصاري صاحب مجلة «المنهل».

أنت محرج يا أستاذي العزيز.. دعني أقل بصراحة ودون مجاملة، فأنا وأنت قد شببنا عن الطوق ولا داعي للمجاملات والعنف في طمس حدود المواقف الحساسة التي نمر بها أو تمر بنا من مراحل حياتنا التطورية؛ فإن هذه المرحلة الدقيقة بل هذه الفرصة السانحة قد تفلت من يدنا إذا نحن لم نخلص القول فيها لله ولرسوله ولأولي الأمر، فإن المجاملات والملاطفات قد حجبت عن أعيننا وأعينهم الكثير من الحقائق الواجب معرفتها.

دعني أقل لك في تفسيرك للتطور في النواحي الاقتصادية والثقافية والعمرانية والأدبية بخمس سنوات قد تعرف مشاكل مجتمعنا تقدير فيه من التفاؤل والمجاملة أكثر مما فيه من الحقائق والنظرة العميقة، وأنت وقد شببت عن الطوق ـ على حد تعبيري ـ يجب أن تقف موقف الصريح المخلص، وقد كنت تقف في جميع مواقفك موقف الصريح المخلص.. فمجاملتك فيما مضى كانت هي الموقف الصحيح لأن الوعي في ذلك الزمن لم يتفتح، ولأننا جميعاً نحن قد توصلنا إلى فهم الحقيقة عن علاقة الحاكم والمحكوم.

والحقيقة التي يجب أن نقرها جميعاً أن الحكومة لم تكن قد غفلت في يوم من الأيام عن أن تعرف حقيقة واجبها نحو الشعب، ولكن الشعب هو الذي كان يتخبط في ظلام الجهل وأثقال التركة التي خلفتها عصور الأرستقراطية الحاكمة في عهد الأتراك البائد.

فجلالة المرحوم الملك عبد العزيز مؤسس هذه الدولة الفتية، كان يؤمن بأن ثبوت الحكم إنما يتوقف على فهم صحيح لحقوق الحاكم والمحكوم.

وكان رحمه الله حريصاً على أن يوطد ثقة الحكومة بالشعب وثقة الشعب بالحكومة ولكن عبقريته الفذة كانت تصطدم بعقلية شعب لم يستجب للغايات البعيدة التي كان يجاهد ويجالد في سبيلها. لم يكن هناك شعب يفهم هذه الحقائق، لم يكن هناك شعب يعرف أن الأمن سبيل الاستقرار فاضطر أن يفهمه ذلك بالقوة والشدة والقسوة، لم يكن هناك شعب يعرف أن العدالة الاجتماعية سبب من أسباب الرفاهية العامة، فكان يحقق هذه العدالة بطرق متعددة فيها تهديد وفيها إغراء، فكنا نسير رغم أنوفنا إلى حياة أفضل.

وبعد أن طوى التاريخ هذه الصفحة صفحة الملك المؤسس رحمه الله، بدأنا نستشرف حياة جديدة. حياة تتميز بالوعي من جانب الحكومة هي الأساس الوطيد لرفاهية الشعب ونجاح الحكومة، ولكن رواسب الماضي في أعماق نفوسنا جعلتنا نقول في كل شيء ولا الضالين أمين.

إن تطوراً نريد أن نلمس أثره في خمس سنوات لا يمكن أن يتم إلا في مجتمع تمت له أسباب هذا التطور؛ فالتطور في الشؤون الاقتصادية يستلزم أن تكون الجماعة التي تتحكم في اقتصاد البلاد هي الفئة التي درست هذه العلوم وهضمتها ثم اكتسبتها تجربة وحنكة، الفئة التي نزلت الميدان

بجيوب فارغة وعقول عليمة فارتقت السلم حتى بلغت مداه، إن هذه الفئة لم تخلق بعد في مجتمعنا، إن أصحاب العلوم والفنون من رجالنا جبنوا من أن ينزلوا الميدان بجيوبهم الفارغة وعلومهم المدروسة ليرتقوا السلم من أول درجاته وما زالوا يفتشون عن الكرسي الكبير. أما الذين يمسكون بيدهم ميزان الاقتصاد، فهم تلاميذ من أسميهم بأصحاب الاستعمار الاقتصادي، هؤلاء الذين يرسمون الخطط ليجعلوا سائر المملكة تعتمد في اقتصادياتها على الوارد الخارجي، فهم لا يؤمنون بالثروة الوطنية ويرون في الإقدام عليها مغامرة وجهاداً يبعدون عن التورط فيه؛ حتى ولو قدر لهم النجاح فهم يعيشون بعقليتهم الفردية يطلبون الكسب من أقرب طريق ويزهدون في أن يسيروا في طريق شائك معقد كما تصوره عقليتهم الفردية المحدودة. إن الخطط الاقتصادية لرفع المستوى يجب أن يضعها علماء مجربون وينفذها شعب فاهم واع. لذلك، فإني أرى أن تطورنا الاقتصادي سيمر بهذه التجربة في سنواته الخمس التي بدأها، فإن خاب ظني ـ وأرجو أن يخيب ـ وحدث تطور جوهري في هذه الفترة فستكون المعجزة. ولا غرابة فإن حياة مجتمعنا تسير دائماً في تطورها بالمعجزات، المعجزات التي يحققها العالم الذي يحيط بنا ويجذبنا إليها تياره الجارف بقوة وعنف. إنشاء الطرق وتسهيل المواصلات من أهم أسباب النشاط الاقتصادي، فما الذي حققناه في ذلك في مدى السنوات الطويلة الماضية حتى نستخرج النسبة للتطور في السنوات الخمس المقبلة. أين سكة حديد الرياض ـ حائل ـ المدينة ـ جدة؟ هذا المشروع الذي تم درسه قبل سنوات، وأعلن العزم في بدئه؟ أين هو وماذا فيه؟! إن إنشاء السدود والبحث عن مكامن المياه في أجواف الأرض ونشر المحطات الأرتوازية في كل منطقة وفي كل مكان أثبت العلم وجودها فيه. إن البحث عن مكامن المياه في أجواف

الأرض والبحث عن الأراضي الصالحة لزراعة أنواع الحبوب والموالح من أهم أسباب الانتعاش الاقتصادي، فأين هي الهيئات العلمية التي تجوب المملكة لهذا الغرض الكريم؟! لقد سمعنا كثيراً عن العزم والحزم وعن الدراسات الفنية لكل هذه المشروعات، ولكن دور العمل قد تأخر كثيراً.

إن هذه الخطوات هي بعض لوازم التطور للانتعاش الاقتصادي، فهل سنخطوها في السنوات المقبلة؟. . أرجو ذلك.

أما عن التطور الثقافي في هذه المدّة ففي وسع كل من أخذ ورقة وقلماً أن يعرف مقدار مداه، فخريجو الجامعات من أبنائنا لا يزيدون على المائة في كل سنة على أكبر تقدير، وعلى ذلك فسيزيد المثقفون خمسمائة في هذه المدة وخذ مثلهم من المتعلمين من أصحاب الجهود الخاصة، فما هي نسبة ألف شخص لسكان المملكة جميعاً، هذا إذا قدرنا أن جميعهم من المفلحين؟!.

إن التطور الثقافي الجوهري يستلزم محو الأمية وفرض تعميم التعليم الإجباري في مراحله الابتدائية، فهل يتحقق هذا في مدى خمس سنوات؟!

أما عن التطور الأدبي فسيكون بطيئاً، ذلك لأن الأدب إنما يخصب ويؤتي أكله الطيب في أمة تطورت أذهانها وسمت غاياتها وارتفع مستواها العلمي فتخطت النظرة المادية إلى المبادىء الروحية السامية.

أما التطور العمراني، فمن الحق أن نقول إننا خطونا فيه خطوات واسعة، فهذا التطور العمراني في مدننا كافة هو زينة على عروش من خشب. إن هذه الزينة إنما تأخذ شكلها الرائع البديع إذا حققنا في السنوات الخمس المقبلة انصرافنا عن إنشاء المباني والقصور إلى إنشاء الطرق

وتسهيل المواصلات وربط المملكة بالسكك الحديدية التي يسبب وجودها وجود صناعات حيوية لسد حاجات مستلزماتها الكثيرة والمختلفة.

وبعد، فإن التطور الذي يجب أن نسعى إليه حكومة وشعباً هو التطور في بناء الأفراد وتكوين الأسرة وإيجاد المجتمع الراقي وإعادة الثقة المفقودة بين الأفراد وتدعيم الثقة في الحكومة والشعب. إننا في حاجة إلى هذا التطور، ومن مراحله أن تنشىء الحكومة وزارة للشؤون الاجتماعية والإرشاد يتولاها كبار رجال العلم والفكر يسعون لبث العقائد الصالحة ويهيئون حياة القناعة والاستقرار، ومن أهم أسباب الاستقرار أن تنشأ وزارة للصناعة لتهيئة العمل الشريف للمواطن الصالح.

وبعد، فلست يائساً ولكني (زعلان) زعلان لأننا رغم إمكاناتنا الهائلة لتحقيق الكثير من أمانينا، فإننا ما زلنا نحبو وقد ضيعنا مقياس التوازن بين القول والعمل.

حقق الله الأمل وأيد نهضتنا من عنده.

هل يخفق الأديب في الحياة؟ ولماذا؟

رغبتْ إليَّ مجلة «المنهل» الغراء أن أكتب لها كلمة تحت هذا العنوان والعنوان ـ كما يرى القارىء الكريم ـ يحكم على الأديب المسكين بالإخفاق في الحياة، ونحن إذا أردنا أن نتفلسف مع «مجلة المنهل الغراء» لقلنا إن إدارة مجلة المنهل كانت تقصر نظرها فيما حولها، حين قدر لها أن تختار هذا العنوان. فجاء منتزعاً من هذا الماحَوْلَ؛ ومنطبقاً تمام الانطباق على من نسميهم الأدباء في حجازنا المقدس.

وذلك في نظري ليس سببه الأدب، كما يتوهم لأول مرة من معنى هذا العنوان بل السبب الحقيقي ـ كما أظن ـ هو هذا الغلط في التسمية، أو التساهل فيها، فلو أردت أن تسأل هؤلاء الذين يمنحون لفظ الأديب عن علة هذا المنح وسببه لأجابوك أن هذا الأديب قد كتب في الجرائد والمجلات واستطاع أن يجذب النظر إليه، بل هو سوف يستطيع أن ينال مركزاً ممتازاً من الوظائف التي يحوم حولها الناس. إذاً فالأدب في الحجاز هو الكتابة في الجرائد والمجلات وهي محاولة لجلب نظر الناس، ولنيل المركز الممتاز الذي يحوم حوله الناس، وبعبارة مختصرة: الأدب في الحجاز هو إعلان عن النفس ووسيلة إلى الغرض، لذلك نرى كثيراً من الشباب الطموح يبدأ حياته بمطالعة الصحف والمجلات ثم بكتابة المقالات

وصوغ القصائد؛ حتى إذا ما ساعده الحظ، ونال ما كان يمني به النفس، حمد المسرى واقتنع بأن مهمته الأدبية قد انتهى أمرها؛ ونسي الأدب؛ وتسلى عن الانتساب إليه، وإن لم يساعده هذا الحظ فهو أديب من يوم أن انتسب إلى الأدب إلى يوم يموت! وبضاعته فيه هي هي، لا تزيد ولا تنقص من يوم أن انتسب إلى الأدب إلي يوم يموت؛ ثم هو ساخط على الأدب؛ ومن دله عليه. .

ونرى كثيراً من الشباب الذين يتوهمون أن النزول في ميدان العمل؛ فيه نزول عن المركز اللائق الذي صورته في أفخاخهم البيئة والتقاليد، يلجأون إلى مطالعة الجرائد والمجلات ويحاولون كتابة المقالات ليمنحوا لفظ الأديب، فيتلذذون بالوهم الكاذب الذي يتصورونه في لفظ الأديب، حتى أصبح لفظ الأدب ملجأ للكسالى والعاطلين، كما أصبح لفظ الطلبة في بعض المساجد والتكايا ستاراً للعاطلين الذين نبذتهم الحياة لضعف تربيتهم، ووهن في أخلاقهم؛ فهم من الطلبة من يوم ينتسبون إلى الحلقات إلى يوم يموتون.

فإذا صحت فلسفتي مع «مجلتنا الغراء» وكانت تسألني عن سبب إخفاق هذا الأديب الذي وصفت، فإني مجيبها بأن سبب إخفاقه هو هذا التفسير المغلوط للأدب، والاعتقاد بأنه وسيلة لا غاية، يلتجىء إليها الشباب لتكون طريقاً إلى الغرض الذي يطمح إليه.

ثم إذا دام تفسير الأدب عند شباب الحجاز على هذا النحو؛ فإن الحجاز سوف يفقد الأدب إلى زمن لا ندري مداه. ولعلي بعد هذا مطالب بتعريف الأديب الصحيح، وهل هو مخفق في هذه الحياة أم ناجح؟

لا أشك بل لا يشك كل مطلع على الأدب القديم والحديث؛ أن الأدباء

في كل زمان ومكان هم من أرقى طبقات الناس، ومن أحظاها بالتمتع بالشهرة والخلود، فالخيّام وأبو العلاء وكارليل وغيرهم من الأدباء المتقدمين مثل الجاحظ وجوته وابن الرومي وشكسبير قد خلدوا على مر الدهور؛ ثم إنه مما لا شك فيه أن أكثرهم نال من الشهرة في حياته ما لم يستطع معاصر لهم أن يناله، ومن المال ما يسمح لهم أن يعيشوا عيشة رغد وهناء، أما ما نال بعضهم، وهم الأقل، من الضغط في حياتهم فذلك ليس سببه الأدب، ولكن سببه المنافسة الساقطة في بعض الأحيان، والجور الغاشم من الحكام في أحيان أخرى، مما كان لا يخلو منه زمان من تلك الأزمان، ومع ذلك، فإن الأدب هو الغالب في كل الأحيان. . وأدباء عصرنا اليوم أكثر تقريراً وعناية من الناس بطبيعة الحال التي اقتضاها توسع نطاق العلم، وكثرة القراء للآثار الأدبية التي ينتهجها الأدباء، فبرناردشو وإميل لودفيج وطاغور وإقبال والزيات والمازني وأحمد أمين والعقاد وهيكل وطه حسين وغيرهم من أدباء هذا الجيل، يتمتعون بمكانة قل أن يحلم بها حتى الملوك، ويضاف إلى ذلك غناء مادي يرفعهم كثيراً عن غيرهم من الناس، وهذا كما ترى لا يمكن أن يسمى إخفاقاً إذا لم يرد بالإخفاق كنز الذهب واقتناء القصور.

على أن الوصول إلى درجة أديب ليس بالأمر السهل، فهو يستدعي زمناً طويلاً ودراسة عميقة متسعة أطول وأكثر مما يستدعيه أي فن أو علم آخر؛ ولذا فقد فرض المتقدمون على الأديب أن يكون ملماً بشتى العلوم، متمكناً من فنون القول، قابضاً على ناصية اللغة، وذلك في زمن كانت فيه نظريات العلوم محدودة، ورجاله قليلين، يسهل حصرهم ولا يصعب سبقهم. أما اليوم وقد انتشرت العلوم والفنون وأصبح من المحتم على عوام الناس أن

يكونوا ملمين بما تقتضيه واجبات حاجياتهم، ليعيشوا مع الناس، فما بالك بالجهد الذي يتطلبه الأديب الذي هو طالب أن يفوق درجة العوام في العلوم ونواحي التفكير، هذا إذا تمشينا مع هذا التعريف القديم، أما إذا أراد القراء أن يعرفوا تعريفي الخاص فإني أسوقه على هذا النحو:

«الأديب هو الإنسان الممتاز الذي هيأته الفطرة للبحث والتنقيب ووهبته جلداً على المدوامة والاستمرار في استجلاء صفحة الكون منذ نشأة التاريخ، ثم هو بعد ذلك قد كرس جهوده الخاصة في دراسة أحوال أمته الاجتماعية، والسياسية والاقتصادية منذ نشأة تاريخ هذه الأمة إلى اليوم الذي هو فيه، وكون لنفسه رأياً شخصياً خاصاً عن كل عصر من عصور هذا التاريخ، وبذلك يكون في نفسه ملكة يقتدر بها على عرض حياة جيله الذي عاش فيه بصورة صحيحة صادقة على الأجيال التي تأتي بعده، ويكون في ذلك محافظاً على شخصيته وطابعه الخاص. ولا بد للأديب الممتاز أن يكون عارفاً بتاريخ أمة أخرى عريقة في الحضارة والتمدن ليستطيع أن يوازن بين حياة أمته وحياتها ويستظهر مواطن الضعف فيها، وهذا بالطبع يستلزم إتقانه للغة تلك الأمة كل الإتقان». وهذه نهاية لا يصلها المجد إلا وقد اكتهل أو كاد، وكثيراً ما يدركه الفناء ولم يدرك هذه الغاية.

ولذلك كان عدد الأدباء في كل زمان ومكان نادراً بل لا مناسبة له مع العلماء والفنانين الآخرين؛ فعدد الأدباء في مصر في الوقت الحاضر ـ رغم هذا الإنتاج الضخم الذي تموج به مطابع مصر، ورغم هذه الجرائد والمجلات التي لا تدخل تحت حصر ـ لا يتجاوز الستة أو السبعة، كما يقول الأستاذ الزيات في مجلة الرسالة الغراء عدد ٢٠٦ ثم هو متشكك

فيمن يخلفهم إذا امتدت إليهم يد المنية لا سمح الله، وكذلك قل في عدد الأدباء في كل أمة من الأمم. وطبقاً لهذه القاعدة لو أردنا أن نستعرض حياة أديب من هؤلاء الأدباء الذين جرى ذكرهم في هذا المقال، لتحقق القارىء من أن جهد الأديب جهد لا يدخل في طاقة العاديين من البشر، ولا بد له من ميزات تخصه وترتفع به حتى يتمكن من أداء الرسالة التي ينتدب لها في هذه الحياة، فمؤرخو كارليل يقولون إنه بعد تخرجه في جامعة ادينبره امتهن التعلم مدة، ثم تركه إلى قرية نائية انكب فيها على الدراسة سنين طويلة كادت تودي بحياته، ولولا رأفة زوجته وسهرها لقضى، وحرم العالم ذلك الأديب الكبير. وكذلك قل عن كل أولئك الأدباء في الكد والتحصيل السالفين منهم والمعاصرين.

على أنه مما لا شك فيه أن الأديب يتكون في الأمة الحية في نصف المدة التي يتكون فيها الأديب في الأمة المتأخرة، ذلك أن الأديب إنما يكتسب قوته وحيويته من الرأي العام وتقديره ومن عطف عظماء الدولة ورجالها. ومن البديهي أن الرأي العام متى كان مستنيراً ورجال الدولة متى كانوا من الذين يقدرون الرسالات الأدبية، ويعرفون مدى رفعها لمكانة الأمة التاريخية والاجتماعية، شجعوا الأفراد الذين يتوسمون فيهم فطرة الأديب؛ وسهلوا لهم سبل العيش والراحة، ليطمئنوا ويقوموا بدراساتهم في جو هادىء. والأمم المتأخرة تحارب المواهب في الأديب وتقتل فيه النشأة الحرة وتعرقل سبيله إلى المطالعة والدروس، ولذلك قلما يُعرف الأديب في الأمة المتأخرة؛ وإذا وجد رغم كل تلك العوائق، فإنه بلا شك آخذ بيد أمته إلى سبيل التقدم، ومورثها صفحة بيضاء في صفحات تاريخها.

وبعد، فهذه نظرات مستعجلة وآراء مبعثرة ما كنت لأرضى بتقديمها للقراء في مثل هذا البحث المستعجل لولا إصرار «مجلة المنهل الغراء» على إجابتها في الكتابة في عددها الممتاز، وفقها الله وسدد خطاها.

تحية لهؤلاء العاملين بجريدة (المدينة)

تقبلت التهاني على استمرار صدور الجريدة بشكلها الرائع القشيب على حد قول بعض المحبين.. وقال محبون آخرون: لقد أعطى القوس باريها، لقد كالوا لي الثناء كيلا، وقالوا عن الجريدة كثيراً بل أكثر من الكثير، ولولا اعتدادي بصداقة الكثير من هؤلاء لقلت إن الأمر لا يعدو هذه المجاملات التي تعودنا أن نكيل منها دون أن ندرك معناها أو بالأصح دون أن نتحرى دقائق معانيها.

وقلت لنفسي: أصحيح أنت جدير بكل هذا الثناء؟ وصحيح أنا الذي تحكمت في استمرار صدور الجريدة بشكلها (الرائع القشيب) وقالت نفسي وهي تبتسم ما شاء الله: هكذا وبهذه السرعة وفي ظرف ستة أيام بلغت خطاك كل هذا المدى ـ قلت لنفسي: بلاش تريقة ـ وسأحدثك وأحدث القراء لمن يعود الفضل في هذا التوفيق إن كان هناك توفيق حقاً؟! سنرى فيما فعلت ـ إن كنت حقاً قد فعلت شيئاً يا أصدقائي الأعزاء فهم هيئة تحرير هذه الصحيفة. هذه الهيئة القليلة العدد الكبيرة المدد المخلصة المتفانية في حب خدمة قراء هذه الصحيفة الفتية.. ولا شك أن القارىء يسر لو عرف من يكون هؤلاء.. هؤلاء الذين يسهرون وهو نائم ويكافحون وهو مرتاح ليقدموا له طبقاً شهياً كل صباح.

أول هؤلاء شاب وديع لطيف إذا تكلم حسبته يهمس وإذا صاح ظننت أن

المتكلم رئيس التحرير: كفء قدير يملأ كرسيه، فهو الذي يشارك رئيس التحرير في مراجعة كل مواد الجريدة ويلخص ما يطلب منه ويهيىء المانشتات لكل صحيفة: وكل خبر إنه رجل طيب لكنه متردد أدع معي أن يثيبه الله:

الثاني: شاب ملأت نفسه «الهواية الصحفية» فهو ينزل من مكة إلى جدة كل يوم ليعيش مع هوايته ساهراً متحمساً متلهفاً، فهو الذي يشرف على الأدوار التي تمر بها كل كلمة تنشر منذ أن تصبح مادة معترفاً بها للعدد، فهو دينامو الجريدة منذ تخطيطها حتى مولدها. إنه يحمل فرشته فهي بجانب ماصته يكتب عليها أثناء العمل ثم بعد أن يهدأ ويحمل مولودته يتصفحها في حب واعتزاز، يفرش فرشته فوق ماصته وينام بهدوء.. (ولكن آه فيه وحدة خصلة بس أقولها..! لا بلاش زعل..). ثالثهم الأستاذ شاكر ـ إنه رسام الجريدة وفنانها. شاكر شاكر كاسمه وطيب لم أسمع منه قط كلمة لا، فهو دائب العمل دائب الرضا دائب الابتسام.

أما علي عمر جابر فشاب ذوق ومطيع أكثر من الطاعة وأقدم للقارىء أسلوباً من ذوقه أسلوبه في تحقيقاته في جريدة المدينة. ماذا اقول عنه: بلاش أقول وبلاش عكننه. والسيد فخري: شاب مهذب رزين يدأب على عمله ولا يضع قلمه حتى ينتهي منه ـ أعني العمل ـ إنه مثال الرزانة والصمود إنه مثال الشاب الطموح..

والأستاذ أحمد محمود بحاثة دقيق الملاحظة عميق الإحساس.

والأستاذ أحمد كامل والأستاذ سليم هلابي شابان طموحان، في معاملتهما لطف وأدب إنهما لا يفارقان الأستاذ نعمان فهما المصححان يعملان بصمت وصبر حتى تضع المطابع حملها.

هذا الجهاز الضئيل بكل ما في هذه الكلمة من معنى يا قارئي العزيز هو الذي يسهر ويجالد ليخرج لك جريدتك المدينة وليقدم لك على صفحاتها جهده وعرقه وتضحيته..

ولا أنسى عمال المطابع وعلى رأسهم السيد حسن مقلد، فلجهودهم ومشاركتهم الوجدانية أثر كبير.

الفضل كله لهؤلاء، فهم وراء كل هذا العمل المسلسل المتواصل الذي فرض عليهم أن يجابهوه كل مساء وصباح في عناد وإصرار.

والأستاذ عبد الحميد سلامة شاب (حلاوة) في عينيه بريق العنان وفي معاملته رقة ولطف، إنه لطيف ولطيف جداً. بس مصروع ودليلي على ذلك أنه اختار لموضوع كتاباته (ضيف المدينة) ففي هذا العنوان رائحة الطعام.

إنني أحيي هذا الشاب المجاهد العامل فحيوه معي فهو جدير بكل إكبار.

أنا وجريدة المدينة

لذلك كان من الواجب علينا ونحن ـ كما يقولون ـ من كتاب الصحف في حجازنا المقدس أن نكون في مقدمة المعضدين للمشاريع الأدبية في هذا القطر، وقد كانت جريدة المدينة الغراء حين صدورها تعد عدم موافاتها بالمقالات موقفاً سلبياً منها. لذلك كان من الواجب علينا أن نخترع المواضيع لجريدتنا الغراء حتى لا نتهم ـ بالموقف السلبي ـ إزاء الجريدة الناشئة، وأنا شخصياً أكره «اللت والعجن» أعني الكتابة في مواضيع بعيدة عن فهم الجمهور الذي أرى أن واجبنا الإصلاحي يقضي بأن نمتزج به امتزاجاً يوحد النزعة فيما بيننا ويوجه سيرنا إلى الإصلاح في

طريق إن تشعبت مسالكه كانت الغاية فيه واحدة.

وقد رأيت أن واجبي الإصلاحي يقضي بأن أختار أسلوب المرح والطرافة وأدس بين طياته حقائق تهم الجمهور ويقضي واجب الإصلاح نبشها ووضعها على بساط البحث. وأظن أن القراء يعرفون أني لست من البله بهذه الدرجة بحيث لا أقدر نتيجة التعرض للنكات التي يضطرني إليها القصد الذي ذكرته، ولا أعرف ما أتعرضه لها بسببها من أن أكون لوكة في ألسنة العامة الذين يهمهم قبل كل شيء المرح والمزاح، وقد تحملت نتيجة ذلك بكل صبر وثبات، فإن لفظ فضولي الذي وقّعت به بعض مقالاتي عرضني لكثير من المزاح ـ من النوع الثقيل ـ من بعض الجمهور وحتى من بعض الأصدقاء أحياناً، وما كنت لآبه بذلك ما دام القصد هو الإصلاح.

والعنوان الذي اخترت أن أكتب به مقالاتي هو (المدينة في أسبوع) كما يعرف ذلك قراء المدينة، وكان ما كان وعلمت من صاحبي الحطيئة أنني مخطىء فيما ذهبت إليه وأكلت أدمغة القراء ـ على حد تعبيره ـ بدلاً من أن أوفق إلى الابتكار في طريق الإصلاح، فلزمت مكتبي المتواضع ـ كما أمرني صاحبي ـ وقبلت نصيحته الغالية وقد كان هذا رأيي لولا العوارض والموجبات.

غير أن أديباً من الأدباء راقه فيما أظن أن يكتب تحت هذا العنوان، فاستلم الموضع الذي كنت أكتب فيه من الجريدة والعنوان الذي كنت أكتب عليه وسلسل المقالات مبدياً آراءه وإصلاحاته في مجتمعنا الحجازي.

وقد كان من واجب هذا الأديب وقد أخذ عنواني والطريقة التي كنت أكتب عليها أن يقول كلمة ليعرف القراء أنه غيري وأنه بعد أن تركت الكتابة رغبة في إجابة طلب (صاحبي) أراد أن يوافي قراء الجريدة بآرائه مستعيراً

مني العنوان ـ إن صح هذا التعبير ـ وما دام قد فات الأديب هذا، فكان من واجب الجريدة الأدبي أن لا يفوتها ذلك. فهل ذهل الأديب عن واجبه هذا وذهلت الجريدة عنه أيضاً؟ إني متأكد من كياسة هذا الأديب ومتأكد أيضاً من كياسة إدارة الجريدة، فالمشاهد يعرف تماماً ما يعترضه الكاتب الاجتماعي الناقد من سخط الأكثرية من الناس وما يوجبه إبداء الآراء من مناقشة حادة من المثقفين والأدباء، فهو لذلك وجد في كتابتي وما يصفني الناس به من الجرأة تكأة شجعته على التعمق في البحث الذي يريده وعلى التلبيس في أمر شخصيته، وقد زاد بأن حوّر الموضوع ودوّره فلبس حتى على المتأدبين بأني أنا المشاهد.

وأنا لا أحاول نفي كوني المشاهد، ففيه كما يقول صاحب المدينة الغراء استغلال لمجهود الغير وكسب الشهرة على حسابه. غير أن الذي يضايقني كثيراً هو أن يعتقد الناس أني من الجبن بمكان بحيث لا أستطيع أن أجاهر الناس بآرائي وأنهم بعد أن عرفوا عني أني (صريح) لا أجامل في إبداء الرأي إذا عَنَّ لي إبداؤه ـ أي إنسان ليس جباناً إلى هذا الحد. وأكره ما عندي بل أغث الأخلاق عندي أن أصدع بآرائي من وراء ستار وأضلل الناس في شخصي وأجبن عن مقابلتهم وجهاً لوجه، وقد عرفني الأصدقاء بهذا وعرفوا أن المجاملة في الأمر عندي لا تتعدى السكوت عنه. أما التردد والحذلقة في الكلام وإبداء الرأي بطريق غير مباشر، فهي عندي إن لم تكن نفاقاً فإنها لا تقل عنه بكثير، وهذه ميزة في ـ كما أتخيل ـ أحب أن أحافظ عليها وأن تكون من أخلاقي الثابتة.

وشيء آخر يضايقني من المشاهد، فإني وإن كنت موافقه على كثير من آرائه الإصلاحية فإني أخالفه أشد المخالفة في بعضها وفي طريقته التي يتناول

بها مواضيعه، ولولا نصيحة (صاحبي) واقتناعي بها لمناقشته في شيء منها مناقشة ربما ينتهي أمرها إلى ما لا تحمد عقباه، أعني الشجار القلمي العنيف.

وبعد، فهل يقتنع رئيس التحرير والأديب المشاهد بوجهة نظري فينشر أحدهما اعتذاره وينتهي أمر هذا الالتباس؟ وهل يتشجع المشاهد فيظهر للناس شخصيته؟ فالناس في هذا العصر أدعى إلى التأثر منهم بالكلام وإن لم يفعل ـ أعني يعتذر ـ فنستعير «طاقية الخفية» للتفتيش عليه وليعذرنا بعد ذلك إذا عثرنا عليه أن نذيع اسمه بين الناس.

عزيزي نائب رئيس بلدية المدينة المنورة:ـ

ما كنت لأكتب كلمة في هذا الموضوع الذي أنا بصدده، والسبب أقوله لك فيما بعد بيني وبينك. ما كنت لأكتب شيئاً لولا أني عندما زرت المدينة يوم الجمعة الماضي واجتمع عندي سكان محلة الدرويشية يتحسرون ويتظلمون من قرار هيئتكم بشأن موافقتكم على بناء عمارة ضخمة لتسد الشارع المستقيم والذي لا يزيد عرضه على خمسة أمتار وسنتيمترات لتخلفوا بدله شارعاً معروجاً: زقاق الطوال (أو زقاق عانقني) ـ (عاني) ـ بالله عليك على أي أساس انقسمت هيئتكم في موضوع واضح كالشمس.. وعلى أي أساس انحزتم أنتم إلى رأي الأعضاء غير الاختصاصيين وتركتم الجانب الذي فيه مهندس التنظيم المختص والذي تصرفون عليه المبالغ الكبيرة وعينتموه في البلدية لتستأنسوا برأيه في التنظيم. لا شك أن انحيازكم إليهم سيجعل رأيهم الرأي الأغلب.

فلماذا فعلتم هذا؟ وعلى حساب بلدكم؟

إن البلدية يا سيدي العزيز تضع في ميزانيتها ملايين الريالات لتهد الدور من أجل التنظيم: فلماذا إذن تأتي اليوم وتسمح ببناء عمارة ضخمة لتسد شارعاً لا يكاد يفي بغرضه. من أجل من؟ ولحساب من تسدون المتنفس الوحيد لحي كبير مملوء وآهل بالسكان بل محشو حشو الرمانة؟ ولحساب من يضربون عرض الحائط برأي المهندس المختص الذي يصر على بقاء هذه الأرض كلها متنفساً لسكان الحي الذين يعدون بالآلاف والذين يتضخم عددهم ويزداد في أيام الحج؟ لأن الذين يسكنون بذلك الحي من كبار الأدلاء بمن فيهم شيخ الأدلاء. أتريدون أن يعرف كبار الحجاج تنظيمكم ببناء هذه العمارة وسد الشارع المستقيم وفتح شارع معروج؟!.

لا يا سيدي، هذا مستحيل أن يتم والفيصل العظيم هو الذي يقود السفينة.. إن هذا الحي ـ حي الدرويشية ـ أقرب حي مأهول للمسجد، وحي سكانه أكبرهم أدلاء وحجاجهم من النوع الفاهم الراقي، فكان لا بد أن تحسبوا حساباً لكل هذا وتمنعوا البناء في هذا المتنفس وتعوضوا صاحب الأرض تعويضاً سخياً، لأنكم مهما سخوتم والأرض بيضاء لا يتكاثر المبلغ عندما تقوم العمارة ثم تقدر لتهدم ليكون متنفساً كما هي عادتنا.

أنا لا أدري من يكون صاحب هذه الأرض، ولماذا تجاملونه على حساب تنظيم بلدكم وخنق سكانه؟ فإذا كان أميراً فما أسمح الأمراء هذا هو سمو الأمير فيصل أمر الأستاذ العريف أمراً صريحاً مفتوحاً حيث قال سموه: أهدم كل شيء يتعارض مع التنظيم ولتهدم أول ما تهدم لأجل الصالح العام ما أملكه أنا ـ وإذا كان عيناً من أهل المدينة فما أجدر بهذا العين بأن ترفع قيمة بلده بالتنازل عن العمارة، وإذا كان عالماً فما أجدر

أهل العلم بالتضحية للصالح العام! أنتم يا سيدي أمرتم بسير العمل في البناء بعد توقيفه ولم تقيموا وزناً لشعور سكان هذا الحي، فلذلك هم قد رفعوا معروضاً لسعادة أمير المدينة ليرفع للفيصل العظيم ـ وأنا أطالب بإلحاح أن تعودوا فتأمروا بإيقاف العمل حتى يصدر الفيصل العظيم أمره في الموضوع بعد أن يبدي الاختصاصيون فيه رأيهم ـ ولن تضيع الحقيقة في داخل الحدود سيرتفع الصوت إلى آخره، فاستجيبوا لمواطنيكم فهم ليسوا ضعفاء عفواً ايها الصديق، هذه ليست حملة عليك. ولكنها كلمة للصالح العام.

العظمة والخلود

للعظمة معانٍ تختلف في أذهان الناس وتصوراتهم كما هو الشأن في كل من المعاني السامية في هذه الحياة، فنجد الطبقة العامية أو على الأصح الأذهان العلمية تتصور العظمة في رفع الصدر ونفخ الشدقين والتمحك في الكلام والتصدر في المجالس، بينما تجد الطبقة الغنية أو الأذهان المالية تراها في فتح أبواب الدور وإفساح صدرها للرواد والزائرين وكسب الشهرة من هذا السبيل، أما الأذهان الدكتاتورية، فتراها في إثبات الرهبة والخوف في قلوب الرعية والاشتهار بالدكتاتورية على الشعوب والأفراد وقس على هذا. ولئن سلمت بلادنا من العظمة الدكتاتورية، فقد ابتليت بالعظمة العامية ففشى أمرها وضغط كابوسها فلم تر إنساناً ساعده حظه بجاه أو مال أو مركز وألبس نفسه هذه الصفات وجعل ينظر إلى غيره من الناس ولو كانوا من زملائه وأخلص أصدقائه نظرة الواقف على جبل مرتفع على من تحته في سفح هذا الجبل. هذا النوع ما تتألم من وجوده في الأكثر من أفراد أمتنا المتعاظمين.

والعظمة الحقيقية في نظرنا وفي تصورنا على الأصح، هي في تفسير هذا اللفظ الذي يدل على الرفعة والسمو تفسيراً عكسياً لما يفهمه رجل

المناسبة: مهداة للأستاذ الكبير محمد سرور الصبان بمناسبة الاحتفال الذي أقيم لتكريمه بمكة.

الشارع من حروف (ال ع ظ م ة) فالعظمة في التواضع والتضحية والتفاني في سبيل الصالح العام، وإذا أردت توضيحاً أكثر قلت إن العظمة هي معرفة الإنسان ربه ثم معرفته نفسه ثم تقديره لبني الإنسان. لقد عرفت الأستاذ الصبان منذ أن عرفت الحياة فلم أقرأ له من نفسه إلا ما يكتبه إنسان عرف حقيقة الإنسان فلم يتباه ولم يتمشدق، وقرأت له عن غيره فقرأت له التقدير والإعجاب والاعتراف لمن له حق الاعتراف، وقرأت عن أعماله فلم أجدها غير تضحية وتفانٍ في سبيل الأمة والوطن، ثم قدر لي وأنا ناشىء أن اجتمع به في هذا البلد المقدس فسمعت من درر حديثه ما وعيت منه وما ضاع مني لمرور الزمن، ومما سمعته منه إن لم تخني الذاكرة (أننا في الواقع نقدر لنفسنا أكثر مما يجب لها، يجب علينا كأمة ناشئة أن نعرف قيمة أنفسنا ونزيد في قيمتها بالتوجه إلى العلم والتمسك بالخلق الرفيع؛ إن حكومة جلالة مليكنا المعظم أطال الله بقاءه فسحت المجال أمامنا فما علينا إلا أن نسعى لتكوين أنفسنا).

ولم يقصر من جهده منذ أن قدره الله في مساعدة أي إنسان أراد تكوين نفسه تكويناً علمياً إنسانياً صالحاً، فمساعيه في هذا السبيل معروفة مشهورة.

لقد كان الأستاذ محمد سرور ذا شخصية شعبية محبوبة فلم يلبث أن اكتسب بصفات العظمة الحقيقية التي فيه ثقة حكومته وعلى رأسها جلالة الملك المحبوب؛ فمليكنا المحبوب هو العظيم الأول في المملكة العربية السعودية والزعيم الأكبر للأمة العربية وقد عرف رجاله وقدر إخلاصهم فأكسبهم ثقته وشملهم بعطفه ورعايته ولا يعرف الفضل إلا ذووه، فلا عجب إذن أن يحمل الشيخ محمد سرور اليوم ميزان العدالة بين الحكومة

والشعب ويكتسب ثقة الحكومة والشعب وأن يكون له في كل قلب مكان وفي كل بلد تبجيل وتقدير.

هذه هي العظمة أيها المتعاظمون هذه هي العظمة التي يكون الخلود نتيجتها المحتمة، فتشبهوا إن لم تكونوا مثلهم... إن التشبه بالكرام فلاح.

أعز الله مليكنا المعظم الذي أعز الله به أمته العربية المجيدة وأيد بحكمته رجاله العاملين. هذه كلمة أرسلها تحية تكريمية لصاحب السعادة الأستاذ الكبير الشيخ محمد سرور الصبان باسمي وباسم إخواني الشباب المدنيين كدليل على اشتراكنا الفعلي في تكريم سعادته، إن شطت الدار وبعد المزار.

تحية الكشافة العراقية

فاتحة خير ورسل يمن وسلام أنتم يا شباب العراق الناهض ويا مستقبل الأمة العربية المجيدة جئتم إلى هذه البلاد الشقيقة لتبثوا عملياً رغبتكم في التضامن والاتحاد ولتحققوا بالفعل أن البلاد العربية جزء لا يتجزأ وأن الأمة العربية قد خرجت من دور القول إلى ساحة العمل وهي في عملها يد واحدة تسعى لغاية واحدة هي عز العرب وجمع شمل الإسلام. وإنها لغاية شريفة طالما سعى لها زعماء الأمة وكبراؤها فمنهم من قضى نحبه ولما يسعد بهذا اليوم السعيد وإن هذا اليوم لهو أول يوم يتحقق فيه طرف عمل من أطراف الوحدة المنشودة التي يتغنى بها شباب الأمة ومفكروها وإن الأمة العربية بأجمعها لتعد هذا اليوم يوم سؤدد وفخار يستحق أن يسطره التاريخ العربي الحديث بمداد الفخر والإعجاب وإن هذا العهد السعيد الذي تم فيه هذا التضامن والائتلاف لهو عهد يمن وبركة على هذه الأمة المجيدة إن شاء الله، وسيذكره تاريخ المملكة العربية السعودية بالحمد والثناء لجلالة الملك (عبد العزيز السعود) أيده الله، وسيذكره تاريخ المملكة العراقية بالحسنى والإعجاب لجلالة الملك (غازي الأول) حفظه الله، فأهلاً وسهلاً بكم وعلى الرحب والسعة نرحب بكم ترحيب أخوان لأخوان ونؤكد لكم

(*) كتاب ذكرى الكشافة العراقية ص ٥٧، مطبعة أم القرى ١٣٥٣هـ.

إنكم ستجدون في طول المملكة العربية وعرضها إخواناً وأبناء وآباء تجب قلوبهم سروراً لرؤيتكم والاستمتاع بمجالسكم الزاهرة. إن الأمة العربية السعودية تراقب عن كثب حركات النهوض في الأمة العراقية وتعجب لنشاطها وتمسكها بالمبادىء القومية العربية وتدعوا لها بالفوز والنجاح لتبلغ الغاية المرجوة فإنها لا تدع أي فرصة تمر دون أن تنوه بهذا التقدير والإعجاب والعطف والتوادد لهذه الأمة الفتية الناهضة وهي تكرم في أشخاصكم الكريمة هذه الأمة المجيدة وتذكرها بالثناء والإعجاب.

سادتي:

إن نهوض الأمة العربية لا يكون إلا بتضامنها واتحادها وتمسكها بمبادىء دينها الحنيف ونبذ كل ما منه خلاف وافتراق فنحن أبناء اليوم يجب أن ننسى العهد الماضي ونسعى لابتناء فخر جديد وحضارة إسلامية تماشي العصر الحديث وترفع اسم العالم الإسلامي إلى المكانة اللائقة به وذلك لا يتم إلا بالتربية الحسنة والعلم الصحيح وهما ما نشعر بضعفهما في أمتنا العزيزة الناهضة. وإلا فأين منا أولئك الرجال الأقوياء الذين يربطون على بطونهم الحجر من الجوع في سبيل التمسك بالمبادي؟ وأين اولئك الذين يغلب منهم الألف الألفين؟ وأين اولئك الذين لا يفكرون في أن لا يكون لهم بساط غير الغبراء وأن لا يكون لهم غطاء إلا السماء وهم مع ذلك بانو ركن الحضارة الإسلامية ومشيدو مجدها المدوّن.

أي إخواني:

نحن في حاجة إلى تربية قوية أساسها الاعتماد على النفس والصبر على المصائب والأذى ويقين ثابت لاحتمال المكروه في سبيل أداء الواجب العام هذا ما ينقصنا، وهو ما يجب عليكم مراعاته يا شباب الأمة العربية الناهض

فالتصوف والتقشف في تاريخ الأمم الإسلامية ليس هما الأمران على تقوية النفس وتعويدها الاحتمال في سبيل الكرامة والمبادىء وإلا فليس هنالك ما ينقص على الرسول الأعظم والصحابة الكرام من أسباب التنعم لو أرادوه والتنعم هو داء وبيل جاري يسحق الأمم وحاشاني أدعوكم إلى التقشف المزري بل أقول: يلزم أن نستعمل الخشونة لنكون رجالاً أقوياء يحسب لنا عند الشدائد حساب وأن نستعمل العقيم لئلا تحرم طيب الحياة وبكل منهما موقع يجب أن نعرفه تمام العرفان. والعلم الصحيح هو الركن الثاني، فهيا أيها الأخوان سيروا بنا إلى الأمام فقد آن الأوان لأن نترك الأقوال ونتذرع بالعمل المفيد.

رسالة مفتوحة . . .

عزيزي محمد عمر توفيق :

تتحرك البواعث في نفسي لأن أتحدث إليك في خطاب مفتوح على صفحات الجرائد منذ أمد بعيد، لعلَّك تستبعد مداه وتعجب أن أكون كسولاً إلى هذا الحد، ولكني أحمد لهذا الكسل تسويفه وتمطيه، لأن هذه البواعث كان يتكرر تحركها في نفسي في الفترات التي تومض فيها نزعات نفسك الحرة الأبية، ويستفيض فيها قلمك في جرأة وإخلاص في معالجة مشاكلنا الاجتماعية، وأثناء مواقفك المشرفة وأنت موظف مسؤول وعنادك وصلابتك حين يشتد الأمر وتتصادم العقائد.

وتاريخ هذه البواعث بعيد، بعيد جداً وليست هي كما قد يتبادر إلى الذهن ـ صلات خاصة يوم كنت أنا تلميذاً للمرحوم والدك وكنت أنت زميلاً صديقاً لأخي محمد عبد القدير، فهذه الصلات مع عمقها صلات إخاء وتودد، أما بواعث التقدير والإعجاب فبدأت منذ أن كنت تلميذاً حييا لا تستسيغ أن تخالط من هو أكبر منك ولا يوسع لك المدى والدك رحمه الله أن تفعل.

وكنا نتزعم حركة جماعة المحاضرات أنا وضياء الدين رجب وزملاء

آخرون لا أذكرهم الآن، وقيل لنا إن محمد عمر توفيق يفكر تفكيراً ناضجاً ويكتب بقلم مخلص وجرأة على الأوضاع التي يعتقد أنها غير سليمة، وتحايلنا عليك لتحاضر في جماعة المحاضرات وامتنعت وتهربت واستدرجناك فقبلت، وكانت تلك أول كلمة سمعناها منك سمعتك تلقيها برصانة الواثق الفاهم وتناقش الموضوع بمنطق قوي وأسلوب جذاب، ولا يمكنك أن تتصور ما ملأ نفسي من التقدير والإعجاب، وأذكر أني لم أفض إليك بكل ما ملأ نفسي من إعجاب وتقدير خوفاً عليك مما قد يسببه الإطراء من الغرور الذي يركب الناشىء في مثل هذه المواقف.

هذه بداية بواعث التقدير والإعجاب في نفسي وبواعث تتبع كل ما تكتب وكل ما تعمل في المجال الواسع الذي كان يتسع كلما تقدمت بك الحياة.

وكانت لك مواقف كثيرة تحرك في نفسي بواعث الكتابة إليك وأهم بحمل القلم وتصرفني الصوارف، وتجددت هذه البواعث في نفسي عندما قرأت الكلمات التي ألقيت في الحفل التكريمي الذي أقامه لك رئيس تحرير البلاد وكلمتك أنت بالذات، ولكن الصوارف إياها صرفتني عن الفكرة، ومسكت القلم اليوم وعزمت أن أكتب إليك هذا الذي أرجو أن يمر بنظرك في شواغلك الكثيرة شواغل الوزارة ومشاكلها عندما قرأت كلمتك الأخيرة في المدينة وخاصة هذه العبارة «في كلامي مع الزميل حول مشروع كتابي في مناقشة كتاب «الشيخان» ما قد يستدعي التصحيح؛ غير أني أصل إلى نهاية الحديث فالحق أنه لم تكن أمور الدولة ـ ليلتها ـ أسبق إلى حجزي والاستفادة بما لدي من خبرة ودراية.. الخ».

مع أن الكتابة إليك وأنت في هذا المقام تحتاج إلى دبلوماسية وكياسة

ودفع ما يتطرق إلى الأذهان من حاجات أخرى؟!

لقد أطرى الخطباء في حفلة تكريمك جهادك بما تستحق وبما أنت له أهل ولم يبالغوا، فطالبوك وحاسبوك ونبهوك قبل أن تدخل المعركة، لقد قالوا وأكثر ما قالوا أنك صحفي مجاهد رفعت صوتك تطالب بالإصلاح الذي لم تكن مسؤولاً مباشراً عنه بالأمس وأصبحت اليوم مقيداً بالمسؤولية عنه والدعوة إليه، وقلت أنت في كلامك كل هذا، وقالوا إن اختيارك لهذا المنصب تكريم لرجال القلم، وكل هذا صحيح. والجانب الذي أريد أن أتحدث إلى الناس عنه والذي قد يكون النسيان قد محاه من أذهان بعض من يعرفه، والمجاملة أبعدت ذكره في أحاديث الخطباء، هذا الجانب هو أنك عشت فترة من حياتك موظفاً حقق صفات الموظف الكفء، الموظف الذي خدم مواطنيه بعقيدة أن الموظف خادم لمصالح الشعب، ومصلحة الشعب أن يأخذ حقه إن كان ظالماً بتبصره طريق الصواب وإن كان مظلوماً بنزع هذا الحق من بين براثن الأقوياء. والموظف النظيف الذي ترفع أن يجامل حتى من أجمع الناس على مجاملاته، والموظف المعاند فيما أنه الحق والذي تمسك بالمبدأ فلم يرض أن يكون آلة صماء تتحرك ولم يغره داعي البقاء في الوظيفة رغم ما يقع على كاهله من واجبات مادية كبيرة ورغم ما سلب من أبهة ووجاهة الوظيفة وشنشنتها، ثم إنك الموظف الذي لم يشر الناس بأصابعهم وغمزات أعينهم، بعد أن ابتعدت عن العمل الحكومي ـ كعادتهم أن يفعلوا ـ إلى قصور بنيتها وأثثتها بأفخر الرياش المجلوب من فرنسا وإسبانيا كما فعل غيرك ممن كان عملهم الحكومي أقل شأناً من عملك.

وتسليط الأضواء على هذه الجوانب هي البواعث التي حركت قلمي

للكتابة إليك وهذه الجوانب هي التي أكسبتك الشعبية التي تتمتع بها وأكسبتك حب المواطنين وتقديرهم، وفي هذا اعتراف لأهل الفضل وإغراء للشباب على اتباع المثل الفضلى.

ووزارة المواصلات (عروس) مغرية (وغول) يكشر عن أنيابه إذا أعجزه الإغراء، وأعتقد أن زهدك سيطفىء جذوة الإغراء وصلابتك ستقطع رأس الغول إذا كشر عن أنيابه.

وستجد عندئذ شبكة تلفونات عامة ميسرة الاتصال وشبكة طرق تحيي النفوس وتنعش الآمال، وتجد كل أسباب الحضارة والتقدم التي تعتبر وزارة المواصلات وسيلتها الأولى والطريق الوحيد الموصل إليها.

كان من حقك ومن واجبي أن أعنون هذه الرسالة بعنوان ـ صاحب المعالي ـ ولم أفعل لأن المعالي كما تعرف ليست ثوباً يخاط ويلبس، ولكن المعالي سهر وجهد وتضحية، وأنت بسهرك وجهدك وتضحيتك قاب قوسين من المعالي التي نسعى إليها ونطلبها جميعاً. وفقك الله وسدد خطاك.

صاحب السعادة رئيس بلدية جدة المنتدب . .

بعد التحية والاحترام . .

هذه مناقشة هادئة لما جاء في إجابتك للتحقيق الصحفي الذي أجراه معك مندوب جريدة المدينة . . أرجو ألا تزعجك أو تعتبرها تهجماً شخصياً من هذه الجريدة؛ فجريدة المدينة منذ أن أنشئت لم تكن أبداً تجري وراء مسعى شخصي أو توجيه خاص . . فهذه الجريدة مبدأها دائماً بل شعارها: المصلحة العامة ولا تنحرف أبداً للمصالح الشخصية . . وإن كانت لا تنكر أن البشرية لم تكتمل وأن الناس عندما يتكلمون لا يمكنهم أن يتحرروا من مؤثراتهم الخاصة!

هذه هي الدنيا وهذا هو الإنسان الذي لا يمكن أن يتنزه إلا أن يكون في أعلى مراتب البشرية أو نبياً مرسلاً!!

أنا لا ألقي تبعة ما عليه اليوم مدينة جدة عروس البحر الأحمر على كاهلك، فأنت أكبر من ذلك . . وأنت في كل ما عملته وتعمله فوق الشبهات ـ هذه هي عقيدتي فيك، ولكن قل لي: لماذا أهملت شارع «أبي عبيدة» في حديثك مع مندوب المدينة؟!

إن هذا الشارع من أهم الشوارع الرئيسية التي يمكن أن ترفع الضغط المتزايد عن شارع مكة، فلماذا أهملته في حديثك؟

قبل عام من هذا التاريخ تحدث إليّ بالتلفون صديق من البلدية يبشرني أن رئاسة البلدية قد قررت سفلتة وتعبيد شارع «أبي عبيدة» في مشاريعها لذلك العام . . فشكرت له هذا الاهتمام واعتبرت هذا الخبر خطوة واعية من سعادة رئيس بلدية جدة في ذلك العهد، لأن شارع أبي عبيدة شارع

رئيسي ومهم والاهتمام به أمر حيوي بالنسبة لمواصلات البلد.

وبقدر أهمية هذا الشارع كان تلاعب المسؤولين والمراقبين في البلدية في تخريب استقامته وسعته!!.. تصور أن سعة هذا الشارع لما هو عليه الآن تصل إلى عشرين متراً في بعض النقاط وتصغر حتى تمثل عنق الزجاجة في بعض النقاط الأخرى. عنق الزجاجة بالضبط دون أية مبالغة! ولو سمحت وأعطيتني دقائق من وقتك لسرت معك في هذا الشارع لتدرك أهميته وأهمية الخراب الحاصل فيه!

أنتم تهيئون شارع الصحيفة ليكون متنفساً لشارع مكة، وهذا الشارع في نظري لا يصلح أبداً لهذه المهمة، فمصبه في نقطة مزدحمة في شارع مكة العام لا يمكن أن تصلح ليلاقي خطين من السيارات التي تهدر هديراً!! أما شارع أبي عبيدة فله مزايا كثيرة وددت لو أحدثك بها شفهياً.

صحيح أنهم خربوه، وإصلاحه وتقويمه يحتاج إلى مصرف كبير!! لو كنت في مكانك لحملت هذه المسؤولية المراقبين والمهندسين الذين تركوا لسكان هذا الشارع الحبل على الغارب فشوهوه وأذابوا كيانه.

أنا أنزهك من أن تكون من الرؤساء الذين يحطمون مشاريع من كانوا قبلهم لمجرد أنها مشاريع لم يكونوا هم أصحاب الفضل فيها، إن هذه فكرة سخيفة أنزه رجالاتنا في العهد الحاضر عنها.

أرجو أن تدرس موضوع شارع أبي عبيدة وتهتم به، فأنا أرى أنه الشارع الوحيد الذي يؤهله موقعه واستراتيجيته ليكون المتنفس لشارع مكة.

وتحياتي إليك

قسوة وانحطاط ـ إصرار الجزار واستمرار استعطاف المراقب

القسوة مذمومة في حد ذاتها وفي هذا الشهر المبارك أشد ذمة وأشد فتكاً وهذه حادثة أرويها للقارىء:

نحن في باب مكة أمام دكان جزار.

الزبون ـ زن لي أقة لحم.

الجزار ـ بخمسة ريالات.

الزبون ـ صائحاً ليه أربعة ونصف حسب التسعيرة.

الجزار ـ في عنف، فارقنا يا شيخ نحن صائمين.

يشتد الجدل ويجتمع الناس ويرتفع من بينهم صوت لرجل يلبس زياً رسمياً يشبه زي الشرطي يتعطف الجزار قائلاً أعطيه يا أخي أقة وفكنا من اللبشة. فيمسك الجزار الذبيحة من ناحية أكثرها شحم ومصارين، فيصيح الزبون لا لا أريد شحماً ويشتد الجدل ويعود الاستعطاف من جانب الرجل صاحب الزي الرسمي ويعود الجزار ليقطع من جهة أكثر شحماً، ويتكرر الاحتجاج ويتكرر التحدي من الجزار حتى تصل يداه إلى قطعة كلها شحم. وكنت في هذا الجمع فلم أطق هذا التحدي من الجزار فصحت في المشتري: اذهب إلى البلدية وأشتكي وأنا شاهد معك: فرد الرجل في استنكار «بلدية! إيه يا عمي مو هادى هي البلدية» وأشار إلى الرجل صاحب الزي الرسمي الذي ما زال يستعطف الجزار لفض المشكلة. وقلت للشاري إنك جبان. إنك لو أوصلت الأمر إلى الرؤساء لوقف هذا التحدي عند حده، واعترض شخص يقول يا عمي نحن نراقب التسعيرة بكل اهتمام

ولكن في ناس فلوسهم زائدة يعطو برضا أكثر من التسعيرة واحنا مالنا. قلت إن الجزارين اشتروا ضمائركم واستذلوكم بقروش قليلة فلم تعودوا صالحين لمراقبتهم وساعدتموهم على ظلم الناس. إن الحكومة قد خصصت ربحاً طيباً للجزار في حدود التسعيرة، فما يأخذه زيادة على ذلك أنتم المسؤولون عنه، إنكم أنتم الذين في حاجة إلى التأديب، وبلع الرجل الإهانة وانسحب.

حدث كل هذا وما زال الجزار عند موقفه. وحجته أن الذبيحة موزونة عليه شحماً ولحماً، لذلك حل له أن يخص الشحم بكل من تراوده نفسه أن يتمسك بالتسعيرة من الزبائن. هذه هي فلسفته.

ولم أقتنع بهذه الفلسفة، فإن إصرار الجزار واستمرار استعطاف المراقب جعلني أشك أن هناك شخصية «سمينة» تحمي هذا الجزار. فقد اكتشفنا أن كثيراً من الأجانب الذين يعملون في هذا البلد يشتركون مع سعوديين لهم مكانتهم وبقدر قوة الأجنبي وقوة نفوذ السعودي يكون التحدي والإصرار وارتفاع الأسعار في هذه المحلات.

بقي أن تعرف أن هذا الجزار أجنبي ولا يقل تصريفه اليومي عن عشرين شاة من أجود اللحوم.

شهاب عبد الجواد ـ وحق الموظف

سمع الناس كما سمعنا قبل شهور لعلَّها تقرب من السنة عن توقيف السيد شهاب عبد الجواد مدير عام الخطوط الجوية عن العمل. وسألنا جميعاً يومها عن سبب هذا التوقيف فلم نستطع أن نعرف شيئاً، وسمعنا كثيراً في كلام الناس الذين يخترعون الأخبار ويروجون الإشاعات، وانتظرنا أن نعرف من جهة مسؤولة أسباب هذا التوقيف، وأن نعرف منها أيضاً ما اتخذ من اجراءات رسمية نظامية في حق المتهم والمتهم بكسر الهاء وفتحها ـ إن كان هناك متَّهِمَ ومتَّهمَ ـ ولكن شيئاً من هذا لم يحدث..

وقالوا عن إدارة الخطوط إنها (باظت) وصحيح ما قالوا، فإن المديرين المنتدبين الذين تناوبوا على هذه المصلحة في هذه الفترة وبعد توقيف مديرها عن العمل بلغوا الثلاثة وهم من أكبر رجالات وزارة الدفاع وأحسنهم كفاءة وجدارة.

ومع ذلك، لم نسمع بمن يطالب بأن يرد للمصلحة تماسكها وإلى مديرها كرامته.

إن شهاب عبد الجواد موظف عرف عنه حسن الخلق في معاملة الناس وعرفت عنه الكفاءة في العمل، وإذا أردت دليلاً على حسن معاملته وحسن خلقه، فاسأل عنه الكثيرين ممن أتيحت لهم مراجعته كمدير للخطوط.

وإذا أردت دليلاً على كفاءته وقدرته، فتناوب المديرين المنتدبين على المركز الذي كان يشغله بعد توقفه عن العمل أثبت دليلاً على القدرة والكفاءة.

ثم إن شهاباً خدم الحكومة أكثر من ربع قرن وهو الآن في درجة «مدير عام» أفليس من حقه على الدولة التي خدمها هذه المدة أن تهتم بأمره وتقلق لقلقه؟!

وبالأمس القريب قرأت في جريدة المدينة الغراء تحقيقاً صحفياً أجراه رئيس تحرير الجريدة مع سمو وزير الدفاع، وكانت لفتة كريمة من رئيس التحرير أن يخص شهاباً بلمحة في تحقيقه ولفتة أكرم من سمو وزير الدفاع أن يضع النقط على الحروف.

لقد فهمنا أن هناك اتهاماً موجهاً من جهة ما إلى هذا الموظف، وعلمنا أن لجنة شكلت للتحقيق لم يقبلها شهاب لأنها ليست على المستوى الذي حدده النظام للتحقيق مع من كان في درجة «مدير عام» وفهمنا أنه قد عز عليهم أن يعطي هذا الموظف الكفء الذي خدم الدولة أكثر من عشرين عاماً حقه النظامي فتؤلف له اللجنة التي نصت عليها مادة صريحة في النظام للتحقيق مع المتهم والمتهم بكسر الهاء وفتحها وتصل في الموضوع بإدانة من يظهر التحقيق والعدالة إدانته، وأعتقد أن هذه اللجنة لو شكلت لحققت في الموضوع وفصلت فيه في مدة لا تزيد على شهر على أطول تقدير.

إذن، فما سر إحالة هذه المعاملة إلى ديوان المظالم لتأخذ روتيناً طويلاً لتبعد عن أيدي أناس عاشوا في جوها وعرفوا ما مجرياتها؟ ثم ما سر حلقة الروتين تتسع فلا تقف عند أقسام ديوان المظالم لتدخل من جديد ديوان المراقبة وتدور في أقسامه في حلقات مفرغة لا تنتهي حتى تطلع روح

الموظف ويضع الزمن غباره المتراكم على النقاط الحية في التحقيقات وتنزلق المعاملة إلى النتيجة التي أرادها لها صانعو هذا الروتين الطويل المختار؟!

إن شهاب عبد الجواد من موظفي الدولة الأكفاء وله سمعة أخلاقية وخدمة حكومية طويلة، ومن حقه وحق كل موظف أن يعطى حقه النظامي وأن يعامل معاملة كريمة تحفظ له مكانته وكرامته..

ومن حقه أن تؤلف له اللجنة التي يطالب بها ـ على حد علمنا ـ ومن واجب اللجنة أن تحقق مع المتَهم والمتِهم ـ إذا كان هناك اتهام ـ وأن تعلن نتيجة التحقيق في أقصر وقت ممكن، لأن من حق الشعب والموظف أن يعرف مدى ما يصله التحقيق في قضية وثيقة الصلة بحقوقه.

تسعيرة اللحم خطوة مباركة. . . يجب أن يتبعها

هذه الخطوة التي تخطوها الحكومة في تحديد سعر اللحم خطوة يباركها الشعب وترتاح لها نفوس طالما استخدمت أقلامها موجهة ملتمسة داعية.

فاستقرار الحياة المعيشية أمر لازم لاستقرار الفرد، واستقرار الفرد أمر لازم لتكوين أمة حية لها في دنيا المثل العليا كيان رفيع.

وماذا تنتظر الأسرة من راعيها إذا كان دائم الهم والتفكير في العمل لملء كروش طلبها مستمر وأجسام لا يكاد يكسوها حتى تعرى؟ هل يستطيع أن يفكر لحظة في السمو الروحي لهذه الأسرة وفي تثقيفها وتوجيهها؟ كلا إنه يجر العربة ويترنح أمامها وتزداد ثقلاً يوماً بعد يوم ويزداد هو هرماً ثم يعجز ويقع ليشيع إلى مثواه الأخير بين الحزن والزفرات وينكب المجتمع بأفرادهم. أفراد أسرته لم يعرفوا الحياة سوى بطون محرومة وعيون فارغة لا يملأها إلا التراب ولا يعرفون لهم دوراً في الحياة إلا التزاحم لإشباع رغبة الحرمان وتحطيم كل ما يقف من مثل.

إن تحديد التسعيرة على هذا الأساس يجعل الحكومة تعمل بضمير مستريح عندما تقسو أشد القسوة على المخالفين، فلا تنزعج العدالة ولا يتضجر الرأي العام، لأن الحكومة إذا أعطت حق الرعية بالعدل وجب

عليها أن تأخذ الحق العام من الخارجين على القانون بالشدة والقسوة التي تضمن الرفاهية العامة.

فلماذا إذن لا نسير نحن على هذه القاعدة؟ لماذا لا يسعر اللحم للخروف الحي بقيمة تضمن للمستورد الربح وعلى أساسها يسعر على القصاب بما يضمن له العيش المعقول؟ فإذا خالف اشتد عليه العقاب وما دام الربح مكفولاً فباستطاعة جهة الاختصاص أن تتولى مباشرة العمل إمعاناً في الجزاء، وعلى هذا الأساس يجب أن تسعر الفواكه والخضروات.

إنك إذا كنت ممن يستهويهم البحث في الشؤون العامة ونزلت إلى حراج الخضرة، تذهل عندما ترى الفرق الهائل بين بيع الحراج وبيع المتسببين. لأضرب لك مثلاً، إذا كنت من سكان جدة ونزلت إلى الحراج وجدت أن بيعة البامية التي تقدر بأربع أقات لا تباع بأكثر من أربعة أو خمسة ريالات. وإذا سمتها عند البائع فلا تباع لك الأقة بأقل من اربع ريالات. إنه من اللازم للصالح العام أن يمنع بيع الخراف حية جزافاً، ويجب أن تباع الخضار والفواكه بالوزن أو العمر وبسعر البيع القطاعي للأقة أو المئة في العد على أساس بيع الجملة.

سيقولون إن تكليف الدلالين بوضع موازين أمر يشق عليهم فهم فقراء مساكين وأقول إنه ليس في الدلالين اليوم من يعسر عليه شراء ميزان قباني أو أن يشترك مع اثنين من رفقائه في شراء ميزان.

سيقولون إن في التسعيرة مخالفة لآراء بعض العلماء، وأقول إنه قد تحقق أن التسعيرة أمر محتم ولازم للمصلحة العامة فلا مناص من تحقيقها.

بقيت كلمة أختتم بها حديثي، هذه الكلمة هي ضرورة تشكيل لجنة خاصة لبحث وتقرير الطرق التي توصل بنجاح إلى التسعيرة وتكفل حق المستورد والبائع والمستهلك، على أن يكون أعضاء هذه اللجنة من الجهات والإدارات صاحبة العلاقة كوزارة التجارة والمديرية العامة للاستيراد والبلدية.

ومن المستحسن عندي أن تدعو هذه اللجنة كل كاتب وصاحب رأي ينشر في هذا الصدد لمناقشة الرأي وتدرس معه الطرق التي يرى صلاحها، والحقيقة بنت البحث. والله الموفق وهو من وراء القصد.

ومجتمع هؤلاء أفراده كيف يمكن أن تكون له مثل عليا. إنه معذور أنه في حاجة إلى توجيه من المفكرين المخلصين ورفع مستوى وتدعيم من حكومة عاطفة حانية.

وإذ تتفتح أعيننا اليوم على شمس مشرقة تستمد حرارتها من أعماق مجدنا الذي غمرناه في الطين والوحل، فمن الواجب على المفكرين من رجالاتنا أن يفكروا أول ما يفكرون في تهيئة حياة واستقرار وتمكين للفرد ليستطيع هذا الفرد أن يكون أداة حية لتكوين مجتمع رفيع.

وعلى الحكومة وهي تنتفض انتفاضتها الإصلاحية الرائعة وعلى رأسها الفيصل المحبوب أن تولي عنايتها واهتمامها إلى كل ما يدرس ويقرر ليكفل للسعوديين حياة الرفاهية والاستقرار. وجميل من الحكومة أن تحدد رواتب الموظفين لتكفل الاستقرار لمالية الدولة وأجمل منه أن تفكر في تهيئة لقمة عيش تحتوي على ما يتطلبه الجسم للموظف وعائلته بما قررته له من معاش؛ وجميل من أصحاب المتاجر والمعامل والشركات أن يفكروا في الربح وأجمل منه أن يضمنوا استمرار العمل بتوفير حياة الاستقرار لعمالهم

وموظفيهم، فنجاح المستر فورد صاحب الشركات العالمية المعروف لم يكن إلا عن طريق إسعاد عماله وموظفيه.

نعود فنقول إن الخطوة التي تخطوها الحكومة اليوم لتسعير اللحوم خطوة مباركة طيبة يجب أن تتلوها خطوات تسعير منظمة لجميع حاجيات الحياة اللازمة للتطور الذي نعيش في دوامته في سرعة مذهلة، ويجب أن نبدأ بالضروريات اليومية، ولكن هذا التسعير يجب أن يتم على أساس دراسات وافية وتقرير سليم لمصلحة التاجر والبائع والمستهلك؛ فإن ضمان استمرار التسعيرة لازم ومحتم لضمان استمرار الربح المعقول للمستورد والبائع؛ وإن كل تسعيرة توضع على غير هذا الأساس لا يمكن أن يكون لها استقرار مهما قيل في سماحة البائع والمستورد.

لقد سبق للحكومة أن قامت بتسعير اللحوم وبطريقة تشابه طريقتها في تسعيرة اليوم، فماذا كانت النتيجة؟

لقد اختفى اللحم من السوق وبيع النادر الموجود منه بأغلى سعر واضطرت الحكومة أخيراً أن تتنازل. فما هو السبب؟

إن السبب كما قلت لم يكن إلا عدم ضمان ربح المستورد والبائع عند وضع التسعيرة، فإن التسعيرة الأولى حين وضعت لم توضع على أساس دراسة وتحديد أرقام، لقد وضعت التسعيرة على أساس تعهد تقدم به تاجر مدفوع بعاطفة وقتية أو بتزاحم غير مشروع.

ولم يفد تعهده الذي أخذ منه عندما تحقق للحكومة أن استمرار الالتزام معناه استمرار الخسارة، وهو وضع لا يمكن أن تُبنى عليه حياة استقرار عامة.

وفي مصر ولبنان يباع الخروف حياً بالوزن بسعر معلوم تحدده الحكومة وتحدد به ربح المستورد، ثم تحدد سعره على القصاب بعملية حسابية وبعد أن يؤخذ في الحساب ما يرمى من الخروف بعد ذبحه وما يباع بأقل من قيمة اللحم الصافي وبعد ملاحظة الربح المعقول للقصاب.

كتاب «طه حسين والشيخان»

تأليف : الأستاذ محمد عمر توفيق

مؤلف «طه حسين والشيخان» فيما يعرفه المثقفون والمتتبعون لآثاره أديب من أدبائنا البارزين وكاتب اجتماعي قد بلغ شأواً رفيعاً في معالجة مشاكل المجتمع الذي نعيش فيه.

والأديب والكاتب الاجتماعي، بعيد كل البعد في نظر الناس عن أن يكون صاحب ثقافة دينية عميقة الجذور ملأ قلبه بالإيمان يغضب إلى حد لا يستطيع معه امتلاك نفسه إذا مس في صميم عقائده ودينه، ذلك لأن الناس، أو هم علماء الدين ـ لا أدري! اختصوا بمظهرهم الخاص وتعابيرهم الخاصة وزيهم الخاص، فمن تزيا بذلك الزي الخاص وتظاهر بذلك المظهر الخاص واستعمل في كلامه وفيما يكتب تعابير خاصة، كان من المسلمين ومن أهل السنة ومن لم يفعل لم يكن!. والدين في الحقيقة وفي واقع الأمر لم يكن إلا عقيدة ومبدأ ومعاملة وما كان أبداً مظهراً وشكلاً عمامة أو جبة ومسواكا! وإلا لما صح أن يكون ديناً عاماً أرسل رسوله للناس كافة بشيراً ونذيراً على اختلاف أطوارهم وطرق معائشهم وتقاليد بيئاتهم. وليس أدل على هذا ما جاء في حديث عبادة بن الصامت

«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من عمل»!

هذا البحث سماه محرر الأخبار في جريدة المدينة نقداً لكتاب طه حسين والشيخان، ولا أدري كيف استنبط المحرر عبارة النقد وهو لم يطلع على البحث، بل لا أدري كيف أحرجني على نشره في جريدة المدينة وكنت متردداً، أن أفعل! حركات وفرائخ صحفية. أليس كذلك؟!

وحديث عمرو بن العاص. وحديث أبي هريرة «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأقوالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم». فالإسلام إذن دين عقيدة وعمل وكلما عدا ذلك لا يزيد على كونه مظهراً لا يمس الجوهر ولا يخرج المسلم عن إسلامه مهما تحرج المتعصبون وضاقت بهم آفاقهم وقلوبهم!

ارتسمت هذه الصورة في مخيلتي وأنا أتصفح كتاب «طه حسين والشيخان» للأستاذ محمد عمر توفيق، هذا الكتاب الذي دافع فيه المؤلف بعمق إيمانه وقوة عقيدته وسعة اطلاعه على السنن والآثار وعلوم الشريعة، عن رجال هم حماة الدين وأمناء العقيدة لو تطرق الشك إلى نزاهتهم وسلامة تصرفاتهم كان ذلك سبيلاً إلى أن يتطرق هذا الشك إلى العقيدة نفسها والإيمان نفسه.

وقليل جداً من يعرف أن محمد عمر توفيق ممن تخصص في علوم الشريعة: حفظ القرآن ودرس الحديث وأصوله على نخبة من العلماء الأجلاء، ولئن خفي هذا على الكثيرين فلأن الرجل لم يتمسك بما تمسك به رجال هذه الطبقة: الزي الخاص والطريقة الخاصة إلى حد قد يشك معه

من يروي له هذا الخبر، ولو اختير محمد عمر توفيق وزيراً للعدل ـ مثلاً ـ لشهق كثير من الناس وفتحوا أفواههم من الدهشة، غير أن الواقع أنها لن تكون خارجة عن دائرة اختصاصه، فزملاؤه في الدراسة يشغلون اليوم مناصب كبيرة في القضاء!

إن منطق الناس يجب أن يتصحح ويجب أن يعرفوا أن الدين علم وعمل وليس جدلاً ومظهراً؛ فديننا دين عام يقبل كل الأشكال والمظاهر، وشيء واحد هو الذي لا يقبله وهذا الشيء ـ هو العقيدة والعمل ـ وليس أدل على ذلك من كتاب «طه حسين والشيخان» هذا المؤلف القيّم الذي كان الدافع إلى تأليفه هو قوة الإيمان ورسوخ العقيدة في نفس المؤلف الذي لم يطق أن تمر في غفلة حملات مدسوسة بين سطور دبجها قلم ساحر، وآراء منحرفة قد تؤخذ مأخذ القبول لمكانة وشهرة صاحبها وفي ذلك افتراء وزور. وبقدر سعة أفق مؤلف الشيخان ومكانته المرموقة كان تحري الدقة في البحث والتقصي من مؤلف (طه حسين والشيخان) وبقدر مكان الشيخين في نفسه المؤمنة كانت قوة الدفاع وسداد المنطق. إن حرارة الإيمان وصدق الانفعال كانا قوة مندفعة في كل كلمة دبجها اليراع في سطور هذا المؤلف القيم فجاء سليم المنطق قوي الحجة.. إنه دفاع قوي عن تصرفات أعظم رجلين من رجالات الإسلام يأتيان في الترتيب بعد نبي الإسلام وصاحب رسالته، وهو دفاع مجيد عن الأسس التي بنيت عليها عقائد الأمة الإسلامية العظيمة! إنه جهاد في سبيل الله في عصر ندر فيه المجاهدون واستساغ فيه العلماء ـ العلماء المتحررون ـ طرق التأويل والتحريف.

إن المنهج الذي اتبعه الدكتور طه حسين في مؤلفه الشيخان نهج عرف به منذ فجر حياته، فهو نهج استقراء واستقصاء واستنباط للحوادث التاريخية

كما أوصلها الرواة والمؤرخون من أعماق الماضي السحيق وكما فهمها هو ـ أعني الدكتور وانفعل بها، وقد يصل هذا الفهم عنده إلى حد التشكيك والإنكار. فالكتاب من هذه الناحية يمثل وجهة نظر الدكتور في نطاق فهمه واستنتاجه ويتفق هذا المنهج في البحث مع طريقة البحث التي سار عليها مؤرخو اوروبا في عصورها المظلمة وهي طريقة إن قبلت أو استسيغت في البحث عن حياة شاعر أو أديب اختلف الرواة اختلافاً بيناً في إثبات مولده ومنشأه وما نسب إليه من آثار، فإنها لا يمكن أبداً ولا مجال من الأحوال أن تقبل في حياة رجال كانوا حماة عقيدة سماوية اعتنق مبادئها الملايين من أبناء البشر عاشوا ويعيشون على جميع قارات الكرة الأرضية. ولا شك أن في هذه الملايين المئات بل الألوف من الذين ارتفعت ملكاتهم العقلية بحيث يعتنقون ديناً لم يكن حماته الأول من طراز ارتفعت مكانتهم عن مستوى الشبهات، فهم قد بحثوا واستقصوا وكان بحثهم واستقصاؤهم أدق من الدقة وأبعد من أن يتطرق إليه التشكيك، ذلك لأنه بحث يتعلق بعقيدتهم وإيمانهم. ولو استطاع الدكتور أن ينتزع من نفسه الآراء التي تشبع بها عن طرق دراساته غير الإسلامية للتاريخ العربي ورجالاته وتبصر بروح منصفة واعية ما كتبه المسلمون عن رجالات الإسلام والدقة والصرامة التي ساروا عليها في تحقيق الروايات، لما اهتز هذا الاهتزاز ولما خرج عن الصواب في حكمه.

وقد تابع الناقد تشكيكات وأفكار الدكتور طه متابعة علمية دقيقة رفعت القناع الكثيف الذي أراد الدكتور أن يسدله على الحوادث ويتجنى به على الأجلة الذين نقلوا إلينا تفاصيل تلك الحوادث وقد سماهم «القدماء».

وأستحسن هنا مشاركة الأستاذ الناقد في مناقشة الدكتور في استنتاجاته

التي أراد أن يدخلها في عقول القراء كنتائج منطقية حتمية لسلسلة الحوادث التي سردها.

فمن بعض أسباب التشكيك عند الدكتور أن «القدماء» الذين شهدوا المواقع لا يستطيعون وصفها بدقة، لأنهم كانوا في شغل عن تفاصيلها بأنفسهم وبأدوارهم في هذه التفاصيل، منطق عجيب يجعل هذه الوقائع (شربه) لا تخطيط ولا قيادة ولا مسؤول عن سير الوقائع وتحديدها؛ فالجندي مثلاً منذ أن عرف المبدأ والدفاع عنه لا يدخل المعركة إلا ووراءه رؤوس مفكرة وعقول مدبرة مسؤولة عن إنجاحه وفشله. ومهما كان الفارق كبيراً بين الأسباب والوسائل في ذلك العصر والعصر الذي نعيش فيه، فالجوهر هو الجوهر وليس ذلك معنى أن يعيش الناس على الفطرة أنهم يعيشون في غباء وقدرتهم. فإن نسبة الذكاء في القدماء وقدرتهم على الاستيعاب هما اللذان أدارا عجلة التطور حتى وصلت إلى الحضارة التي نعيشها في هذا العصر، فإذا أعرض الدكتور المؤلف عن تفاصيل الأحداث كما رواها القدماء ولم يكلف نفسه تحقيقها وتمحيصها، فما الذي سيقرؤه الناس في الكتاب! ليس هو ـ كما سبق أن قلت ـ استنتاجاً واستنباطاً يمثل رأي المؤلف وحده.

إن هؤلاء القدماء الذين أعرض مؤلف الشيخين عن رواياتهم أفذاذ بلغوا الذروة في الصدق والنزاهة والورع ولم تكن تحقيقاتهم للتاريخ وحده بل كانت تحقيقاتهم لسمو العقيدة التي آمنوا بها وارتضوا أن يتعلق بها مصيرهم في الحياتين: الدنيا والآخرة، ولن يستطيع المؤرخون من غير المسلمين المستشرقين منهم وغير المستشرقين أن يدخلوا الشك في صدق رواياتهم، فقد بنيت على قواعد علمية صحيحة وأسانيد ثابتة الأصول والفروع. وعندما

قال الدكتور في ختام مقدمة مؤلفه «أنا إذن لا أملي هذا الحديث لأثني على الشيخين ولا لأفضل تاريخ الفتوح في عصرهما وإنما أريد إلى شيء مخالف لهذا أشد الخلاف! إن هذا الشيء المخالف أشد الخلاف مفهوم بصراحة في ثنايا هذه السطور أنه يريد أن يقول: أنا لا أريد أن أتحدث عن الشيخين كما تحدث المسلمون عنهما «القدماء« لأن الطعن في روايات هؤلاء سببه أنهم مسلمون انحرفت بهم العقيدة عن قول الحقيقة المجردة. فهو يريد أن ينهج في البحث نهج المؤرخين من غير المسلمين لئلا تدخل العاطفة في تمحيص الحقائق، وفي رأينا أن المؤرخين غير المسلمين والمستشرقين ـ وهم لم يرتقوا إلى التخلص عن الميل العقائدي ـ لم يكونوا أقدر على تمحيص الروايات وغربلتها وتمحيصها من المسلمين، لأن المسلمين كانوا يغربلون ويمحصون حوادث تتعلق بعقيدتهم وإيمانهم.

والغريب في أمر الدكتور أنه اتخذ من الجدال الذي حدث بين الصحابة بعد وفاة الرسول ﷺ سبيلاً للنيل منهم، فشكك في بعض ونفى بعض، مع أن هذا الجدل هو سر عظمة هؤلاء الأجلاء؛ فالجدل في قتال أهل الردة والجدل في قيادة «أسامة» لم يكن سببه قصوراً في الفهم كما رأى الدكتور إذ يقول «فوجوه المسلمين من أصحاب رسول الله ﷺ أعلم بأمور دينهم» بل إن أساس الجدل هو الاختلاف في الرأي، فبينما كان يرى أبو بكر رضي الله عنه وجوب القتال كان يرى غيره عدم التسرع واتخاذ خطوات أخف وطأة من القتال كبداية لتوحيد الصف، وأبو بكر رضي الله عنه حين تمسك برأيه لم يكن مستبداً بل إن حجته عليهم كانت هي الأقوى، فقد قالوا له كيف تقاتلهم وهم يقولون لا إله إلا الله فقال: إلا بحقها والله لم يفرق بين الصلاة والزكاة، وهم يفرقون بينها، أليس هذا الجدل هو النقاش

البرلماني اليوم! فهل يستطيع أحد أن يقول في أعضاء البرلمان إذا حدث جدل بينهم في شأن من شؤون الدولة إن سبب الجدل قصور في العلم والمعرفة! فهم غريب!

إن حضور الفكر وسرحاته من خصائص النفوس بالأحداث وتهتز بها قوة وانفعالاً، والفضل إنما يتميز في النفوس الكاملة عندما تعود إليها طمأنينتها بالتذكير أو بأي عامل آخر برجوع أصحابها إلى طريق الصواب رغم ما في هذا الرجوع من الاتهام بقصور الفهم!

إن الصحابة رضوان الله عليهم، كانوا كلهم أصحاب علم ودراية، ومجادلتهم أسبابها اختلاف الرأي لا القصور في الفهم، فتركهم الأمر لأبي بكر في حرب الردة وعدم حل قيادة (أسامة) لم يكن رضوخاً منهم لاستبداد أبي بكر، بل لأن حجته فيما فعل كانت قائمة، ولولا ذلك لحاجوه وردوه وقد قالها واحد من عامتهم لعمر رضي الله عنه في خلافته: لو وجدنا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا.

وسر عظمة الصحابة رضوان الله عليهم، سموهم على بشريتهم عندما يخطئون وتسرح بهم الفكرة ـ وهم بشر ـ فلا تأخذهم إلى الرجوع إلى الحق لومة لائم.

وما أمر الخلاف في قيادة خالد بن الوليد بين أبي بكر وعمر إلا الاختلاف في الرأي سواء في قتل الأسرى أو في زواج اشتبه في أمره، فلم تصل الروايات عند عمر عن تصرفات خالد حد اليقين، ولو وصلت لكان شأنه مع الصديق في أمر خالد شأناً آخر، ويفسر ذلك قوله بعد وفاة أبي بكر: «رحم الله أبا بكر فقد كان أعلم مني بالرجال».

وبعد، فإن كتاب (طه حسين والشيخان) جدير بأن يقرأه كل مسلم، ففي قراءته إزالة لكثير من الشكوك والأوهام التي قد يتأثر بها المسلم وهو يقرأ تاريخ الإسلام ورجالاته، وخصوصاً ما كتبه المستشرقون ومن نحا نحوهم؛ فهو ليس نقداً لكتاب الشيخان لطه حسين وحسب بل إنه توضيح بالأسانيد لكثير من الحوادث الإسلامية سوف يجد فيه القارىء ـ خصوصاً من كانت ثقافتهم غربية ـ حلاً لإشكالاتهم في حوادث التاريخ الإسلامي قد تبدو وجيهة قبل التمحيص، وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين.

قابلت معالي الوزير

حقيقة أنا أعيش داخل قوقعة كما قال صديقي:

لا أدري! لكنني أحس أني مقصر في كثير من واجباتي الاجتماعية نحو من أحمل لهم في نفسي الحب والتقدير وأكبر فيهم نشاطهم وإخلاصهم ونجاحهم في ميدان الجهاد.

كان علي وقد وضع على عاتقي عبء رئاسة تحرير جريدة المدينة أن أزور معالي وزير الإعلام فذهبت بعد أن علمت بوجود معاليه في مكتبه.

ذهبت وأنا مثقل الخطى متضارب الأحاسيس، وهذا أمر طبيعي يبدو لمن يجد نفسه وجهاً لوجه أمام مسؤول أو بالأحرى أمام من يعتبر المسؤول الأول عن كل خطوة تخطوها صحافة هذه البلاد وعن مجالها الواسع ومسؤولياتها المتعددة.

دخلت على معاليه فاستقبلني هاشاً باشا، وقف محيياً متلطفاً. وسرعان ما تلاشت من نفسي أثقال الأحاسيس فجلست وأنا بحالة طبيعية جداً جداً. قلت لمعاليه أنا أشعر بالخجل لقصوري في أداء واجبي نحوكم، فأنا كمواطن فخور بكم وبنتائج أعمالكم التي سمت بمستوى إذاعتنا إلى مستوى عالٍ أثير وأجدني مؤاخذاً لأني لم اسع لأبلغكم هذا الإعجاب.. فأنا أؤمن أن الثناء على العمل الصالح سبيل على تقوية دوافعه في نفوس العالمين.

وقال معاليه: لا داعي لهذا الثناء، فأنا أشعر منذ وضعت في الثقة أني موضع التقدير من جميع المواطنين. فقد شعرت بهذا بالحاسة السادسة كما يقولون حاسة الوحي والإلهام، وإن كانت الإذاعة قد خطت خطوات لا أزال أراها بدائية فهي نتيجة لازمة لوحي هذا الشعور، وهذا التجاوب الروحي بيني وبين المواطنين الذي أرجو أن يدوم ويزداد أكثر فأكثر وتندفع به إذاعتنا إلى الأمام أكثر فأكثر.

قلت: أنا أشعر بثقل الحب وكبر المسؤولية التي ألقيت على عاتقي، وهذا الشعور جعل الأحاسيس تتضارب في نفسي وأوجد عندي حالة من القلق ما زالت تتردد فتؤرقني..

قال: اسمع يا عبد الحميد، إن أعضاء المؤسسة هم من خيرة رجالات هذا البلد وقد وضعوا ثقتهم فيك. ولا شك أنك أهل لهذه الثقة فلا تتردد وأعمل ونحن معك نساعدك ونمد لك يد العون وأنت جدير بأن تقوم بما وكل إليك خير قيام وأن تكون أهلاً لهذا الثقة التي وضعت فيك، ونحن على استعداد لكل ما تطلب منا لمساعدتك وليس معنى هذا أننا نرسم لك خط السير أو نوجهك إلى شيء معين، فحرية الصحافة مكفولة كفلها رئيس الدولة في تصريحاته، ونحن نقدر الرجل الذي يعرف قيمة حريته ولا يتعدى حدودها إلى حرية الآخرين.

نحن أمة لها تاريخها المجيد وتقاليدها وقواعد دينها التي يجب ألا نفرط فيها ـ ولا يستطيع إلا مكابر أن ينكر أننا نتقدم، فنحن اليوم غيرنا بالأمس ووعي الشعب وإدراكه غير الذي كان عليه. ورئيس الدولة ـ رعاه الله ـ فتح قلبه ووهب نفسه لأمته وبلاده والباب مفتوح أمام كل مواطن للعمل الصالح والإنتاج المفيد. وأثنى معاليه على رؤساء الصحف وقال إنه يقدر

مسؤوليتهم وجهادهم ورأيت من واجبي أن أبلغهم هذا التقدير والثناء من الرجل المسئول.

ومددت يدي مستأذناً مصافحاً وودعني معاليه وأحسست أنني لا أودع رئيساً مسئولاً وإنما وداعاً أخوياً حبيباً.

مطار جدة من أهم مطارات الشرق العربي

لعلَّ الصور التي تمر بك وأنت تأخذ طريقك إلى إجازة قصيرة لتريح أعصابك وتهييء ذهنك لساعة استجمام وهدوء أكثر إغراء للقارىء لكثرة ألوانها وتجدد مناظرها، ولعلَّ أكثر تلك الصور عمقاً وجاذبية تلك التي تتصل بمعاملة الناس والموظفين الذين تحتم عليك ظروف سفرك أن تمر بهم. أما القارىء الذي لم تمر به هذه التجربة ولم يستمتع بعد بمتعة الإجازة في الخارج، فإنه سيجد درساً وتجربة قد يستفيد منها إذا قدر له يوماً أن يأخذ طريقه إلى إجازة راحة واستجمام.

كان أول ما اهتممت به عندما عزمت السفر إلى بيروت السؤال عن شركات الطائرات التي تضمن سفراً مريحاً ومواعيد مضبوطة ومعاملة أحسن، وقال الصديق الذي كنت أتحدث معه إن كل هذا مضمون في شركة طيران الشرق الأوسط. وأخذني صديقي دون أن يعطيني مهلة إلى مكتب الشركة وحجزنا على أن يكون الحضور للمطار الساعة ١٢،٣٠ عربي صباحاً وأن يكون إحضار العفش الساعة الحادية عشرة مساءً من ذلك اليوم، وأحضرت أمتعتي مساءً في الوقت الذي حدده الموظف وكان غير الذي قابلناه صباحاً. فسلمنا عليه وبدأ يسأل وبدأنا نجيب وكأننا لم نكن قد أدينا هذا الواجب للموظف الأول في الصباح فتغير الميعاد من ١٢،٣٠

إلى ١٢ وقلت إن تحديد الموعد عندما راجعناكم صباحاً كان غيره الآن، فلم يعجب الموظف هذا الاعتراض وبدأ يتفلسف وفي لهجته تذمر فخرجت مهرولاً قبل أن ترتفع درجة حرارة هذا التذمر ـ وقلت في نفسي إنها معاملة طيبة على كل حال؟ فقد لا تجد في غير هذه الشركة من يجيبك عن سؤال بعد أن يطمئن إلى أنه قص التذكرة!؟ وصلت المطار الساعة ١٢ وطلب مني الموظف أن أملأ إقراراً وأمضيه ففهمت أنها صورة جديدة اخترعتها إدارة جمرك المطار لزيادة التعقيد، فإنك لم تجد شيئاً مثل هذا وأنت مسافر فيما يتعلق بالجمرك في جميع مطارات العالم ولم يسبق لي أن رأيت مثل هذا الإقرار في جماركنا أنك في هذا التقرير ستعترف بأنك ستذعن للتفتيش الجمركي وعليك أن تعيد بيدك الكريمة جميع العفش الذي يعن لموظف الجمرك إخراجه من حقيبتك لفضه وتفتيشه، وأن تقرر أنك لم تحمل معك شيئاً من الممنوعات. سألت نفسي ما هي يا ترى الممنوعات التي يجب أن لا أحملها؟ وما الذي أضعف سلطة نظام الجمارك الخاص بتفتيش الركاب حتى اضطرت إدارة الجمارك إلى طبع مثل هذا الإقرار؟ وهل هذا الإقرار يمنع المهربين الممتهنين من ممارسة هواياتهم؟ وسؤالات كثيرة ترددت في نفسي لم أستحسن كتابتها!

إنها فيما أعتقد صور كلامية خطرت لأحد الرؤساء فأمر بها ونفذت دون بحث للفائدة المرجوة منها، ودون التفات إلى التعقيد الذي يزيد في حيرة المسافر ومشاكله مع كثير من الموظفين الذين لم توفق أذواقهم لفهم النظام وروحه مع الذين يتخذون من مثل هذه الوسائل سبلاً للإضرار بالناس!؟

ولو سألت واضع هذا الإقرار هل كان النظام قاصراً فأكمله بهذا القرار أم كان في الإقرار تسهيل وتنظيم لمن تفطن لميزاته الدول الأخرى؟ إنك لو

وجهت هذا السؤال لما وجدت من ملك الجواب. فالمعروف أن موظف الحكومة يتمتع بسلطة يستمدها من الأنظمة والقوانين وإنما يلجأ لمثل هذه الإقرارات أصحاب الشركات الأهلية ومن جرى مجراهم ليجعلوها مستنداً لهم أمام الحكومة عند اللزوم.

وأخذت الإقرار بعد أن أمضيته وتوجهت به حسب إشارة الموظف إلى ساحة الجمرك، ولكن حارس الباب منعني من الدخول وأفهمته أني مسافرٍ وقدمت له الإقرار، ولكنه هز رأسه ممعناً في الأنفة. وسلمت أمري إلى الله ووقفت ولكن صديقاً هو الأستاذ عزيز ضياء كان يحمل نفس الإقرار وجاء بإقراره ودخل وشعرت بأن كرامتي تجرح فخرجت عن صوابي وأردت أن ادخل قسراً رغم ما أعرف من عدم إمكانية ذلك، ولكنه جنون الحماقة وثورة الكرامة، وأسعفني الله بالأخ أحمد شاهين وأنه لصديق قديم ومهد لي الدخول ودخلت، ولكني في ثورتي خرجت عن أدب الحديث فرميت الحارس بكلمات كان يجب أن يتأثر لها ولكنه لم يفعل، فقلت يا رب متى ترتفع أذواق هؤلاء الناس فيحسون بكرامتهم؟ فمن يشعر بكرامته يقدر كرامة الآخرين. فإن مطار جدة من أهم مطارات الشرق العربي فيجب أن يكون موظفوه خير من يمثلنا أمام رواده من جميع الأقطار. والعجيب أني بعد كل هذه المشقة عرضت حقيبتي على الموظف الجمركي فهز كتفيه وانصرف وهو يقول انتظر. وعدت أدراجي بعد أن سلمت مفتاح حقيبتي لأحد الحمال اجتناباً لكل هذا التهزيء.

وتوجهت لموظف شركة الشرق الأوسط وقلت يا أخي ما دام الجمرك ليس لديه استعداد لتفتيش أمتعة الركاب لم طلبتم منا الذهاب للتفتيش؟!.

إنكم طلبتم الحضور الساعة ١٢ وها هي الساعة تسير نحو الواحدة

والنصف ونحن في الانتظار ألم يقولوا إنكم منظمون دقيقون في مواعيدكم فمن أين جاءت هذه الفوضى؟ لمَ لا تعينون الوقت بالتدقيق لتفتيش أمتعة الركاب بالتفاهم مع موظف الجمرك؟ لم لا تحافظون على كرامة المسافرين على طائراتكم؟ أليس من امتهان الكرامة أن تطلبوا من الركاب الدخول إلى ساحة الجمرك لتفتيش المتاع فيمنعه الحراس وإذا دخل امتنع الموظف عن التفتيش! إنكم بمعاملتكم هذه تتسببون في إيقاف عملائكم موقف الإهانة وتجرحون كراماتهم. . ومط الموظف شفتيه وقال في لطف وأدب اصطنعهما: إن بعض موظفي الجمرك يعاكسوننا فليست هناك تعليمات تمنع تفتيش الأمتعة حال وصولها إلى ساحة الجمرك، ونحن حريصون أن يتم ذلك قبل وصول الطائرة حرصاً على تسهيل العمل والتسهيل للركاب. فقلت ولماذا لم تعرفوا الأمر؟ فقال بلهجته اللبنانية ما بنحسن فإذا فعلنا تتحسن الأيام ثم تعود أسوأ مما كان لا نريد المتاعب.

إنه فصل عجيب أيها القارىء.

حلقت بنا الطائرة فوق سماء جدة وما قلت أحس بكرب شديد، وقلت أحدث نفسي: يعني الناس في كل الدنيا ارتقى ذوقها وعرفت كيف تتعامل وكيف تأخذ وتعطي بلباقة وكياسة ونحن هنا في هذا البلد المقدس الذي تؤمه الناس من كل نوع ومن كل صوب ما نزال حتى الآن كما كنا قبل عشرين سنة. لم نستطع أن نفرق بين واجب الوظيفة وبين واجب المواطن، بل إن فينا من يفكر أن الحكومة فريق يجب أن يسيطر، والمواطن هو الفريق الثاني الذي يجب أن يكون تحت السيطرة والموظف هو الذي يمثل هذه السيطرة فيجب أن يظهرها بشكل أوامر حتى ولو كانت في صورة (إمارة أباريقي!) فإن لم يفعل فإنه يشعر في أعماق نفسه بأنه فقد لذة الوظيفة ونفخة الأمر والنهي.

وسرحت أفكر فيما لمسته من الذوق العالي والأدب الجم الذي يعامل به المرء عندما تطأ قدمه أي بلد يتوجه إليه. فما يكاد باب الطائرة يفتح حتى تقابلك الأوجه الباشة وقد ارتسمت عليها ابتسامات عريضة وارتفعت الأيدي تلوح لك بالسلام وتتلقاك بالترحيب ويتحدث إليك مأمور الجوازات وهو يؤشر على جوازك حديث الود ويشير إليك بلطف إلى مأمور الأمن ويؤدي هذا واجبه في لحظة ويشير إليك لتتوجه إلى منطقة الجمرك فيتقدم إليك مأمور الجمرك ليطلب جوازك ليعرف منه شخصيتك فيعاملك المعاملة التي تستحقها ويكرمك الإكرام الذي هو له أهل. إنه ليحز في نفسك وأنت ترسم هذه الصورة لتطابق بها هذه الغطرسة وهذا الغرور وهذا الإهمال في ربوع وطنك.

ومسكت القلم وبدأت أكتب، فقد قرأت وصفة للتخفيف عن الضيق لكاتب فيلسوف قال «إذا ضاق صدرك بأمر وضقت ذرعاً به فخذ ورقة وقلماً وخط كل ما يجول بخاطرك عن هذا الضيق، فإنك ستجد عندما تنتهي من تدوين تلك الخواطر أنك قد ارتحت وخف عنك الكرب». وقد فعلت ورفعت رأسي إلى الأفق خلال نافذة الطائرة لأقرأ على صفحاته تلك الصورة الرائعة التي خطها عليها الإنسان بعقله الجبار ورأيه وصبره على العمل، فتخيلت ذلك العالم العربي الذي كان أول شخص حاول أن يغزو الفضاء فصنع لنفسه جناحين ارتفع بهما بضعة اقدام ثم هوى، ثم جاء بعده الإخوان الفرنسيان فحققا ما أهمله العرب في تتبع اختراع عالمهم فجددا محاولة العالم العربي ووصلا بها إلى تطور أكمل، وتسابق رجالات العلم في أوروبا حتى بلغوا بالاختراع أقصى مداه.

ظننت المضيفة أول الأمر . .

أصبح أبناء هذا العصر يتنقلون على بساط الريح من قارة إلى قارة في ساعات هي لمحات خاطفة في عرف أبناء القرون الأولى وتحققت معجزة القرن العشرين «قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك» وقطع علي سلسلة تفكيري صوت طفل يبكي خلف مقعدي، فقد كانت أمه تجهد لإسكاته وكانت أخته الصغيرة تضاعف بشقاوتها جهد الأم، وطرقت أذني خطوات رشيقة تتبعها نظري ليرى المضيفة الرشيقة تتبختر بين الركاب، وظننتها أول الأمر تخف لتهتم بأمر هذه الأم التي أجهدها طفلاها بشقاوتهما، ولكنها تخطتها إلى شلة أوروبية من الركاب وصرفت جهدها في التلطف بهم وإجابة طلباتهم، وركزت هذه اللفتة تفكيري على متابعة معاملة المضيفة لركابها واشمأزت نفسي من التمييز الواضح في معاملتها بين الركاب العرب والركاب الأوروبيين، وتساءلت في نفسي ألسنا في طائرات الشرق الأوسط؟ أو أليست هذه المضيفة عربية؟ فلماذا إذن هذا الاهتمام وهذا الانصراف! إنها نقطة الضعف في النفوس الشرقية التي لم تؤمن بعد في أعماقها بقيمتها وحقها.

حول مقال الأستاذ رشوان
(١)

أسمع الناس كثيراً ما يقولون «الحقيقة بنت البحث» والذي أفهمه أنا من هذه الكلمة هو أنه إذا التبس أمر الحقيقة في موضوع بسبب اختلاف في الرأي بين شخصين أو جماعتين، فإنها إنما تظهر وتتوضح إذا تفاهم هذان الشخصان أو الجماعتان بإبداء كل منهما ملاحظاته ودلائله التي يقوم بها جانب رأيه، فإذا صح رأي أحدهما وقوي على الجانب الآخر، فإن الحقيقة تظهر واضحة في هذا الجانب، وإذا تكافأ الرأيان فيكون للحقيقة وجهان ويبزغ نورها بطرفيه اللامعين، وهذه النتيجة لا بد منها ـ كما أعتقد ـ فإن ضاعت بين طيات المغالطات أو (خربطها) الكاتب ببراعته القلمية وقوة ملكته الكتابية، فليس الذنب ذنب الحقيقة ولكنه ذنب هؤلاء المموهين. والحقيقة بين الكثير من الكتّاب الحجازيين أو الشرقيين على الأصح ضائعة بأحد هذين السببين مضافاً إليهما الكبرياء النفسي وعدم تذوق لذة الاعتراف بالحق، وأكاد أجزم بأني ما قرأت حتى الآن في جرائدنا الحجازية مساجلات ومحاورات في موضوع من المواضيع الأدبية أو الاجتماعية إلا وخرجت منها بأحد أمرين: وهما إما سباب وشتم وإما مغالطات وسفسطات لا يراد بها الحقيقة، وهذا وإن كان غير جميل من أي إنسان ولكنه قد يغض عنه النظر من الشباب

الحجازي الذي لم تمهله حوادث الدهر لأن يستعد كما يجب لهذه الحياة ولكني مع تسامحي مع هذا الشباب إلى هذا الحد، أخاف كثيراً أن أشتبك مع أحدهم وأتوقى جداً أن أتورط في مثل هذا المأزق، ولولا هذا فإن موضوع المساجلات والمحاورات هو من ألذ المواضيع الأدبية عندي، فتحاكك العقول الجبارة وتواثب النفوس الشريفة ينير العقول المظلمة ويهذب النفوس الشريرة ويهدي طلاب العلم إلى طريقة البحث العلمي الصحيح، وهذه النتيجة هي كل ما يمكن أن ينتجه مثل هذا البحث، ويخطىء الذي يظن أن هذه المساجلات تسبب حتماً هدم عمل وإقامة عمل مكانه، فإنه لا يهدم عملاً ويقوم مقامه عملاً آخر إلا القوة والعزم، وفي غالب الأحيان يكون رجال المساجلات والملاحظات ليسوا هم أهل الحل والعقد إذ إن رجال الحل والعقد لا يحتاجون في كثير من الأحيان أن يعززوا آراءهم بالكلام، فإنهم متى اقتنعوا بصحة الرأي نفذوه وتقدموا ببرنامجه العملي. وبعد، فإن قراء جريدة المدينة الغراء يعلمون تلك المحاورات التي بدأها الأستاذ رشوان حول كلمتي عن تحضير البعثات.

وأنا بعد أن بسطت آرائي فيه للقراء الكرام وشرحت مقصدي فيه بعبارات أنا مقتنع تماماً بأني لا أستطيع أن أفسر أو أشرح بأفصح منها، رأيت أن أكتفي بذلك المقدار وانتهى بذلك البحث عند ذلك الحد. غير أن لذة الاستمتاع بالبحث وأدب الأستاذ رشوان وخلقه العالي وقدرته على مداورة البحث وتعريجه في محاوراته على نقاط مهمة كثيرة يغريني على متابعة البحث ومساجلته من جديد.

يقول الأستاذ في مقاله الأخير (وقد ورد فيه ـ يريد مقالي ـ إن الجامعات تشدد في الدراسة وتطيل مدتها نظراً لكثرة المتعلمين).

ويلاحظ القارىء أن لفظ (ورد فيه) يوهم النص أو ما يشبه النص في المنقول عنه. وفهم كونه النص المعني الذي فهم الكاتب مفهوم بعيد. وقد راجعت كلمته حرفياً ووجدت الذي توهمت وجوده بعد قراءة كلمة الأستاذ وبعد المراجعة وجدت النص كما يأتي: «لأن حاجة تلك البلاد في ابتداء الأمر كانت تقضي بهذا التشدد الذي اقتضته كثرة المتعلمين» ثم يرد الأستاذ على مفهوم هذا الكلام بقوله «والواقع أن إطالة المدة نتيجة طبيعية للتقدم الفكري، فعندما اتسع البحث العلمي وتعددت الرسائل الأدبية والنظريات العلمية الخ» ثم يقول وليس الغرض من إطالة مدة الدراسة تعجيز الطلبة وصدهم عن التعليم، فما من أمة حية من الأمم تحارب العلم أو تضع في سبيله العراقيل الخ. فهل يريد الأستاذ أن يقنع القراء بأني أردت من كلمتي السابقة إنكار إثبات التقدم العلمي وتوسع نظرياته بتوسع البحث والمناقشة فيه؟ وهل يريد أن يفهمهم أيضاً أني أقول إن الأمم الحية أصبحت تحارب العلم بوضع العراقيل في سبيله؟ أما أنا فلا أقر هذا ولا أثبته ولكني أقول إن الأمم الناهضة كانت في بادىء أمرها تكتفي بتزويد التلاميذ الذين تريد أن تستخدمهم في فرع خاص من فروع العلوم بأمس العلوم التي يحتاجونها لإدراك ذلك الفن، وبأمهات النظريات التي يتطلبها ذلك الفن ثم هي كلما سدت الفراغ في ذلك الجانب أخذت توسع وتمط دراسة هذه اللوازم تبعاً لحاجة البلاد وإقراراً للموازنة بين السابقين واللاحقين.

واختلال التوازن هذا بين المتخرجين الجدد والمتخرجين الأول يجده المتتبع ملموساً عند أمم الشرق، لأن الكليات لا تؤهل التلميذ لأن يكون رجلاً ممتازاً يعتمد على نفسه ويسعى وراء عمل حر يقومه ويكسب به المجد الخالد؛ فإن هذه الكليات حتى الآن لم تستطع أن تخرج غير

موظفين ممتازين يقومون بواجب الوظيفة خير قيام. ولذلك فكر أولو الأمر فيما ذكرته من التشدد، وهذا ليس صداً عن العلم ـ كما يقول الأستاذ ـ بل هو تعزيز للعلم وتركيز لمركزه. وهؤلاء. الذين فكروا في هذا التشدد بالنسبة إلى الوطنيين، رأوا أنه لاحق لهم أن يقيدوا طالبي العلم من الأقطار الأخرى فسنوا نظماً لرواد العلم من غير الوطنيين غير النظم التي يتبعونها مع الوطنيين وهذا إن قال الأستاذ إنه غير موجود بمصر فإنه موجود من غير شك في غير مصر من الأقطار الشرقية والغربية يجده الأستاذ إذا تفضل وبحث. أما النظرية الحديثة في التربية والتعليم فهي فيما نعلم غير ما ذكر الأستاذ، فإن علماء التربية الحديثة ضد فكرة حشو أدمغة التلاميذ بالنظريات العلمية والمعارضات النظرية ـ على طول الخط ـ بل إنهم يرون كل ذلك حشواً من الضرورة إزالته ورفعه وتدعيم الطرق العملية بالتمرين الكافي، وقد استطردت في كلمتي حكاية عن تركيا في إبان الحرب، حيث انتخبت تلاميذ من دار العلوم وحضرتهم بدراسة مختصرة ليكونوا ضباطاً، لأدلل بذلك على أن النظم والقوانين المدرسية ليست سوراً منزلة لا تحتمل النقض والإبرام، كما أوردت غير ذلك من الدلائل التي أهملها الأستاذ للتدليل على نفس ذلك الغرض؛ ولكن الأستاذ لم يعلق إلا على هذه الحكاية التركية بما يأتي: «وها نحن الآن والحمد لله نتمتع بنظام قويم والهيئات الحاكمة الإدارية والتشريعية والتهذيبية تقوم بأعمالها على خير ما يرام ولم يحدث أي فساد في الأمن أو خلل في النظام أو نقص في الإدارة أو عيب في تصريف الأمور يجعلنا نحس بخطر داهم أو تقهقر قريب أو نتيجة غير ذلك المثل الأعلى في الأمن والسلام واحترام القانون الخ».

وهذه شهادة لها قيمتها من الأستاذ رشوان تسجلها جريدة المدينة بالفخر والإعجاب لبلادنا الناهضة وحكومتنا الفتية واهتزينا لها طرباً حيث يرجع فيها الأستاذ عن قوله بالأمس إنه ليس من الأمانة والحكمة تسليم سفينة النجاة لأناس لم يتخرجوا من الجامعات ولم يدرسوا على وفق برنامجها، فإن معظم الذين بيدهم دفة الأمور في هذه البلاد هم من متخرجي مدرسة الحياة أو مدارس الحجاز التي لا يعترف بها الأستاذ.

ويقول الأستاذ في سياق كلامه إنه لا داعي إذن للعجلة ما دام الأمر كذلك، وهذا حق وإيراد نحن نورده ونسأل لم جعل زمن الدراسة في مدرسة تحضير البعثات ثلاث سنوات، مع أنه من المتبع أن يدرس برنامج البكالوريا في خمس سنوات، هذا إذا صح ما علمناه من أن مدرسة تحضير البعثات تعد التلاميذ لامتحان البكالوريا. أما إذا أخذنا كلام الأستاذ الذي أورده في هذا المقال وهو أن المدرسة لا تدرس إلا الدروس التي لها ارتباط وثيق بدراسة الطلبة في الكليات، وهي مبادىء العلوم والرياضيات واللغة والرسم، فنسأل لم هذه الدراسة التي تعتبر مختصرة على حد تعبير الأستاذ والأمر كما ذكر؟.

أما شعورنا نحن نحو هذا الذي طلبناه فهو ما ذكرناه من أننا قصرنا دون الأمم التي كان يجب علينا أن نكون وإياها في صف واحد في زمن مضى كانت فيه موجبات وأسباب، لذلك يجب علينا أن نغتنم فرصة هذا العهد السعودي عهد العلم والنور في الحجاز فنأخذ مكانتنا العالمية في الدنيا. وهذا ما أرادته معارفنا عندما اختصرت برنامج التعليم في مدرسة البعثات.

وليعلم الأستاذ أننا لم نطلب أصلاً أن تكون الدراسة مخففة في فرع

التخصص كما يقول بل ترى أنه من الواجب على التلميذ أن يقوم بها كاملة كما يقتضيه الواجب ويحتمه النظام.

وينفي الأستاذ بالكلية في كلمته هذه أن الجامعة المصرية قبلت من الطلبة المصريين غير الحائزين على شهادة البكالوريا، ونحن نورد للقارىء الكريم نص العبارة التي وردت في (كتاب الإسلام والتجديد في مصر) فيما يتعلق بالدكتور طه حسين عميد كلية الآداب «بعد أن تلقى طه حسين دروسه الأولى في مدرسة بصعيد مصر دخل الجامع الأزهر وجاور فيه عدة سنوات إلى أن فصل منه قبل تقدمه للامتحان النهائي لاستقلال رأيه وتقدم أفكاره. ثم التحق بالجامعة المصرية وكانت قد بدأت تفتح أبوابها حينذاك الخ» ونكتفي بهذا لأننا مطالبون بعدم التطويل من إدارة الجريدة.

ولا بد لي هنا أن أناقش الأستاذ في مراهنته التي ختم بها كلمته جاعلاً إياها خاتمة لكلمتي أيضاً، يقول الأستاذ إنه لا يمكن للتلميذ أن يستعد لدرس فرع من فروع العلوم في سنة واحدة حتى ولو أن ذلك التلميذ يختصر التحضير فقط على العلوم التي يحتاجها هذا الفرع الذي يريد أن يتخصص فيه هذا التلميذ، ويقول إنه مستعد لأن يعطيه البرنامج الذي ينبغي أن يدرسه وأن يجيبه عن الأسئلة التي يوجهها إليه وأن يحل المعضلات التي تقف عقبة في سبيله ثم يختبره بعد سنة كاملة بأسئلة تضاهي أسئلة البكالوريا في هذا الفرع وحده الخ، ونحن نرى أن هذا ممكن إذا ضمن لنا شيئين نراهما أهم من كل ما ضمن الأستاذ بل لا حاجة معهما إلى تلك الضمانات التي ذكرها وهما ـ ١ ـ المادة ـ ٢ ـ وضمان القبول في الكلية بعد النجاح.

ما هذا كنت أظن. . . !

بعد كتابة ما تقدم اطلعت على مقال الأستاذ رشوان في صوت الحجاز الغراء بعنوان رد على رد. وفي الحقيقة إني بعد قراءة ذلك المقال لم أستطع أن أفهم منه كلاماً علمياً صحيحاً إلا أنه يدل على عاطفة ثائرة في نفس كاتبه انحازت فيه عن العقل والعلم انحيازاً تاماً، وكل مطلع يستطيع أن يفهم منه قصد الانتقام لا بيان الحقائق. وإذا كان قد تشفى الأستاذ بتلك الكلمات التي صورت لنا جانباً من جوانب نفسه وخيبت أملنا في البحث عندما بدأنا هو بالمناقشة العامة تقول (من دق الباب لازم يكون مستعداً لسماع الجواب) فليهنأ بذلك التشفي ونحن لا حاجة لنا بعد هذا للبحث.

حول مقال الأستاذ رشوان
(٢)

يذكر القراء أنني وعدت في الأسبوع الفائت مناقشة الأستاذ رشوان مناقشة هادئة فيما سماه رداً على كلمتي الأولى بعنوان مدرسة تحضير البعثات، وإنني لا أزال مصراً على أن كلمة الأستاذ ليست رداً بالمعنى الذي أفهمه، ولولا عنوانها لأمكن تسميتها تعليقاً، لأن الرد فيما نفهمه إنما يكون مبايناً للنقطة الأساسية في المردود عليه، والأستاذ كما يرى القراء بعيد كل البعد عن النقطة الأساسية في الموضوع، فأنا إنما كنت أتكلم حول هذا الموضوع بشعور خاص وفي دائرة محدودة جداً، وموضوع البحث في كلمتي ليس هو تلاميذ مدرسة البعثات بل موضوع بحثنا كان (الشباب الذي أخذ قسطاً صالحاً من التعليم وفهم فهماً كافياً للحياة وإن لم يكن هذا التعليم متمشياً مع النظم الفعلية في عموم البلاد) وكنت أطلب أن تضاف حسنة أخرى إلى جانب مدرسة البعثات وهي إرسال نفر من هؤلاء بعد التحضير المختصر إلى الكليات العربية مع توصية خاصة من الحكومة، بينما كان بحث الأستاذ يدور حول مدرسة البعثات وصحة نظامها وتوفيق سعادة مدير المعارف فيه، ونحب أن يعرف الأستاذ أننا موافقون تمام الموافقة على كل ما جاء في مقاله مما يخص مدرسة البعثات. وقد نوهنا

عن ذلك في نفس كلمتنا الأولى وإن كان قد فات على الأستاذ هذا الأمر؛ ومن هذا يعرف بوضوح أننا لم نكن نعني بكلمتنا مدرسة البعثات، ولكننا كنا نتكلم عن البعثات تحت عنوان مدرسة تحضير البعثات باعتبارها الثمرة الأولى لفكرة البعثات عند معارفنا العامة.

والذي نظنه أن الأستاذ بصفته مدرساً بمدرسة البعثات عز عليه أن يتكلم إنسان في موضوع البعثات تحت عنوان مدرسة تحضير البعثات، خصوصاً وهو يعتقد أنه موضوع محكم لا يقبل النقض والاعتراض فأخذ القلم وشرع يكتب بهذا الشعور، وهو شعور نقدره فيه ونغبطه عليه.

إذا علم القراء هذا يعرفون أننا إنما نناقش الأستاذ على كلمته هنا في بعض نقاطها ليست باعتبارها رداً ولكن باعتبارها آراء تستحق المناقشة.

ويقول الأستاذ (إن مراجع الطب والهندسة والاقتصاديات تكاد تكون جميعها مدونة باللغتين الإنكليزية والفرنسية في سوريا ومصر) ونحن نعجب كيف يقهقر الأستاذ مصر وسوريا فيصورّهما لنا أمتين مستعمرتين في علومهما وفي نفوس أبنائهما.

ونحن نعرف أن العلم لم ينزل على هذه الأرض إنكليزياً أو فرنسياً، ولكنه أنزل مشاعاً بين الأمم والأمة التي تشعر بكرامتها بين الأمم تتعلم لغة الأجانب وتتقنها ولكنها لا ترضى أصلاً أن تعترف للغتها بالعجز عن القيام بواجب الفنون والعلوم.

ولعلَّ الأستاذ يعرف تماماً أن اللغة العربية كانت في زمن ما مقدمة اللغات الحية بل كانت لغة العلوم والفنون في تلك العصور ومنها نقل الغربي كثيراً من علومه وفنونه التي يتمتع بها اليوم.

وإذا كان الغربي قد جد فأكسب لغته هذه المزية العلمية في الوقت الحاضر، أفلا يقدّر للغته مجدها ويضرب عن دراسة أي علم من العلوم إلا بها؟ وهذا لا يمنع بالطبع أن يكون ملماً بلغات الغرب أننا لا نشك أن الطالب الذي يتمركز في ذهنه أن لغته قاصرة عن أداء التعابير العلمية للعلوم والفنون المختلفة سوف لا يشعر بكرامة أمته ويخرج من المدرسة وقد ضرب الاستعمار جانباً من جوانب نفسه فيعيش حرباً على أمته ينتقص كل شيء فيها.

وما الذي تستطيع الأمة أن تستفيده من إنسان لا يحسن أن يكتب عموداً واحداً بلغتنا العربية الصحيحة، بينما هو يفتخر بلغة هي حرب على أمته؟ إن رجالات الأمم المستعمرة في تحتيم قراءة العلوم والفنون بلغات تلك الأمم فقاوموا هذا الغرض بكل ما أوتوا من قوة وجهد، فقد جاهرت مدارس حتى جعلت عموم الدروس تلقى في كلياتها بلغة البلاد الأصلية وكذلك كان في حيدر أباد وكذلك الأمر في بنجاب ـ إن لم تخن الذاكرة ـ.

وسوريا العربية لم ترضَ منذ تأسيسها كليتها أن تكون فيها دراسة العلوم والفنون بلغة غير لغتها، وتشكر سوريا على ذلك فإنها قد أثبتت كيانها العربي وقدمت مثالاً عالياً للأمة التي تحارب الاستعمار في أهم نقاطه.

والذي نراه أن مصر المستقلة سوف لا ترضى أن يبقى أي أثر للاستعمار في بلادها فتنتزع بكل جهد البقية الباقية من المحاضرات العلمية التي تلقى في مدارسها باللغات الأجنبية. أما قول الأستاذ إن محمد علي باشا لم يبعث البعوث إلا من متخرجي مدرسة الأنجال الثانوية، فهذا حصر لا نستطيع أن نقر الأستاذ عليه لعلمنا أن مدرسة الأنجال إنما كانت مخصصة

للأمراء والنبلاء، ثم إن مكانة مصر العلمية في ذلك الزمن لم تكن بالمعترف بها في بلاد الغرب، فشهادة مصر الثانوية في ذلك الزمن لم تكن بأكثر اعتباراً في فرنسا من شهادة مدارسنا العالية مثل مدارس الفلاح والمعهد ودار العلوم الشرعية في مصر وسوريا اليوم. وهذا يثبت دعوانا من أن فرنسا كانت تعطف على بعثات مصر وتقبل تلاميذها بدافع من الاعتبارات السياسية والاجتماعية الخاصة.

نعم كان لا بد لأولئك التلاميذ من التمكن من اللغة الفرنسية، لأنه كان عليهم أن يعيشوا في فرنسا ويدرسوا بفرنسا وهم معذورون في ذلك، فليس هناك أي بلد عربي في زمنهم ذاك يستطيع أن يأخذ بيدهم في الفنون التي يريدون إدراكها في مصر ولذلك أنشئت في مصر مدرسة اللغات وما شاكلها من المدارس في ذلك العصر وذاك ظرف له سيئاته وحسناته.

أما اليوم وقد أخذت مصر مكانتها العلمية العالية وتبعتها في ذلك سوريا والعراق فلا يصح لنا أصلاً أن نتمنى التعليم في الكليات الأجنبية وبلغة غير لغتنا.

وإذا لم تستطع لجنة التأليف والنشر في مصر والمجمع العلمي بدمشق أن يقدما لنا الكتب اللازمة في ذلك، فالأمر جد عصيب.

أما قول الأستاذ أنه «ليس من الأمانة والحكمة أن نعد التلاميذ ليكونوا رجالات الغد الذين يقودون سفينة البلاد إلى شاطىء النجاة رغم ما هنالك من نقص في معلوماتهم العامة ـ كما أشرتم» ـ فإني كنت أعني بالمعلومات العامة طالب البكالوريا بينما بعضها لا يفيده كثيراً ولا قليلاً في الفن الذي يريد أن يتخصص فيه ـ وهذا في الحالة الاستثنائية التي أشرنا إليها طبعاً ـ وقد ثبت فعلاً أنه كان من الأمانة والحكمة تسليم دفة البلاد لمثل هؤلاء

الناس الذين لا يحملون شهادة البكالوريا التي عنيناها.

فلم يوصل مصر إلى ما هي عليه اليوم إلا رجال لا يحملون شهادة البكالوريا وكانت بيدهم مقاليدها فقادوا سفينتها إلى النجاة، وبين رجالات الكلية المصرية الآن وعمدائها من لا يحمل شهادة البكالوريا. بين كتابها وكبرائها من هم كذلك وبين يدينا تواريخ هؤلاء العظماء التي تثبت أنهم لا يحملون البكالوريا بل إن البعض تخطاها إلى الشهادات العالية، ولولا ضيق المقام لذكرناهم فرداً فرداً مع نص العبارات التاريخية التي تتعلق بحياة كل واحد منهم.

وإن أراد الأستاذ ذلك فإنا له المجيبون.

الدكتور عادل بك

ليس بعيداً عن أذهان قراء المدينة الغراء ذلك الوداع الحار الذي ودعت به المدينة النطاسي البارع الدكتور سعيد بك مدير الصحة السابق، الأمر الذي دل على مكانته في نفوسهم وحسن علاقته بهم ومحبتهم له.

ولقد أصبح قلب المدينة خائفاً يترقب على هذا المركز الذي خلا بعد مغادرة ذلك الدكتور الفاضل والذي هو بالنسبة لحالة البلاد. والصحية[١] أهم مركز يرنو إلى شاغله أبناء هذه البلاد وقد هدأ الروع وأمن الخوف عندما نشرت جريدة المدينة الغراء بالأمس القريب خبر إسناد هذا المركز للدكتور النطاسي عادل بك محيش.

وعادل بك شخصية معروفة من المدنيين بدماثة الأخلاق وتقدير الواجب والعطف على الفقراء من أبناء هذه البلاد، فقد اشتغل طبيباً بصحة المدينة فكان مثال النبل والتقدير من الجميع. ويذكر القراء موقف سعادته الحاسم عندما اشتغل كوكيل للمدير ـ أثناء غياب المدير بالإجازة ـ حيث أصدر تعليماته بوجوب تغطية زفف المياه لتبتعد عنها الأيادي القذرة وما قد تتعرض له من المكروبات، وأمر بوجوب معاينة عموم أصحاب الحرف

(١) الصحية: تعني الشئون الصحية كما تسمى الآن.

وإعطاء الأصحاء منهم وثيقة صحية ومنع أصحاب العاهات من مزاولة الأعمال خوفاً من تسرب الأمراض إلى المجموع.

ونحن بهذه الكلمة الصغيرة نهنىء الدكتور بالمركز الذي هو جدير به ونرجو أن نرى ونسمع في زمن سعادته عن التقدم المطرد في موقعه الجديد وما ذلك على المجتهد بعزيز.

تعليق على مقال الأديب السيد أمين مدني

كان لكلمة الأديب المحترم الأستاذ السيد أمين مدني معنى قيم في تكييف الشعور السائد بين طبقات الأمة الحجازية من خوف الإقدام على إنشاء شركات المساهمة. وهذا الشعور إنما ساد ـ على ما نظن ـ على أثر انهيار شركة السيارات الأهلية على الخطأ الذهني في تفهم معنى الشركة. إذ إن فهم معنى الشركة فهماً تجارياً بحتاً لا يخلو من أن يكون فيه شيء من التحديد قد يخرجه تماماً عن معنى المقصود الأصلي لهذه الكلمة.

فللشركة معنى اجتماعي أسمى يظهر جلياً واضحاً في العمل الاتحادي الذي يقوم به أفراد الأمة التي يؤسس أبناؤها هذه الشركة، وفي قوة الارتباط بين الحكومة والشعب في العطف الذي توليه الحكومة على مشاريع الشركة العامة. ولذلك فإننا لا نجد لشركة من أعظم شركات العالم إلا ويؤلفها عنصر واحد وتحظى من رعاية الحكومة وعنايتها بما لم يحظ به أي عمل فردي مهما قصدت فيه المصلحة العامة ومهما بولغ في إظهارها وتثبيتها فيه.

ثم إن فكرة الشركة نفسها إنما وضعت للأمم الفقيرة التي لا يستطيع أفرادها أن يقوموا بالأعمال الهامة التي تظهر فيها عظمة الأمة ومقدار حضارتها والتي تحتاج رؤوس أموالها إلى الملايين. ومن المعقول جداً أن

تقوم أمة مهما ضعفت بطريق المساهمة والاشتراك ـ بعمل جليل قد يسطره لها التاريخ بمداد ناصع من التقدير والاعتراف. ثم ما الذي يضر بشخص على فرض سقوط الشركة وانهيارها بالمرة ـ وذلك أمر بعيد ـ أن تضيع له خمسة من الجنيهات مثلاً في سبيل مشروع وطني كان يقدر له النجاح وهو الشخص الذي يصرف على ملاذه وشهوته أضعاف هذا المبلغ في ظرف السنة؟ ولو قام هذا الرجل وحده بالمشروع وقدر له الفشل ـ والفشل للفرد أقرب من الفشل للجماعة ـ فماذا يا ترى يكون اثر الفشل عليه؟! وهل فقدان المال كله يساوي فقدان دريهمات منه؟!

ثم إن الفشل هل يصح أن يكون سبباً لترك السعي والعمل؟ إن الذي قرأناه ونحن أطفال لما نبلغ الحلم بعد هو أن الفشل يجب أن يكون باعثاً قوياً للكر من جديد، وقصة النملة التي يعرفها تلاميذ المدارس التحضيرية لا تزال ماثلة في كل ذهن. على أن الفشل الذي أصاب شركة السيارات الأهلية الأولى هو نفسه السبب الوحيد في نجاحها مرة أخرى، وكل الأعضاء أوجلهم في هذه الشركة الناجحة اليوم هم كل الأعضاء أوجلهم في شركة السيارات المساهمة بالأمس.

وهذا الحذر والتوقي الموجود فينا اليوم والذي هو من أكبر أسباب النجاح هو نتيجة عملية للفشل الذي منينا به في شركة السيارات الأهلية والذي لولاه لكنا أقرب إلى الفشل في أي شركة جديدة من النجاح الذي نقدره لها.

إن الحذر والتوقي يجب أن يكونا أساس العمل والهلع والخوف من الفشل يجب أن يكونا سبباً لدرس وتدقيق أسباب النجاح، أما أن يكونا سبباً لتجنب العمل المشترك فهذا أمر لا نوافق عليه أديبنا المحترم.

«وقيام كل فرد بواجب شركة» هذا أمر لم نتعقله، إذ إنه لا يطلب في الشركة أن يكون كل فرد من مساهميها عاملاً من عمالها، بل على العكس يجب أن يكون لجميع الأفراد أعمالهم الخاصة ولا يعنيهم من أمر الشركة إلا نجاحها المعنوي والمادي الذي إذا حصل كان لهم منه عظيم المجد وكبير الربح، وإذا لم يحصل لم يؤثر ذلك شيئاً في عملهم الخاص، وتحمل نصف أو ثلث أوسدس الخسارة أضر بكثير من تحمل جزء من مائة ألف أو مليون منها.

إن فكرة الشركة هي السبيل الوحيد للتدرج في سبيل التقدم والرقي، ولا شك أن «الطفرة محال» ولأن الطفرة محال يجب أن لا يزعجنا الفشل وأن لا يكون سبباً لوضع فكرة «الشركة الزراعية ـ على الرف» تلك الفكرة التي قامت حولها هذه الضجة ووجدت من التعضيد والإقبال من عموم طبقات الشعب ما يعزي على التضحية والعمل.

أما أن نفهم أن إنشاء شركة زراعية معناه «مشاركة الفلاح في مزارعه» وإضعاف مورد عمله، فذلك فهم يغاير تماماً غرض إنشاء الشركة الزراعية الأول.

والعمل الفردي سواء كان المشتركون فيه خمسة أو عشرة، بعيد كل البعد عن المقصد والغاية التي تؤسس من أجلها الشركات والتي شرحنا بعض نقاطه والعمل الفردي لا تستحق الدعوة إليه هذه الضجة من القراء والكتّاب، بل إن الدعوة لمثل هذا العمل هي المصلحة الخاصة التي يرجوها القائمون بذلك للعمل والتي تتمثل في جميع المحال التجارية العمومية.

إن في الشركة معنى سامياً يجب أن نتفهمه وأن نسعى متضافرين في تكوينه شعوراً عاماً يزيده الفشل قوة ومناعة ويزيدنا الفشل حذراً وتوقياً من

حصوله وإغراء للقيام بالعمل من جديد، وهل المجد إلا في السعي المتواصل الحثيث؟.

إن فشل الشركة ـ على فرض وقوعه ـ فيه شيء للوطنية المخلصة وإيقاظ للشعور العام ودرس عملي للقائمين بها وفي نجاحها ـ وهو المتوقع ـ صورة رائعة للاتحاد ومثل أعلى لسمو الفكرة الوطنية في الأفراد، والله الموفق وهو من وراء القصد.

يلذ لي أن يكون حديثنا هذه الأيام في صحفنا الغراء حول مواضيعنا الاجتماعية والاقتصادية التي هي أهم ما يجب أن نعنى به كتّاباً وقراءً. والحديث في هذه النواحي من شأنه أن يوجه الرأي العام إلى واجبه الاجتماعي نحو أمته وبلاده وأن يوري في نفوس المسئولين من رجال الأموال والأعمال جذوة الأمل الخابي فيتسابقوا إلى توجيه الرغبة وتحقيق الأمل ـ ولكن ـ رغم كل ذلك ـ ما كنت أفضل أن يكون هذا الحديث في صورة نقاش مع صديق أحب أن يبقى «بيت الود» بيني وبينه «عامراً»، لأن التجارب ـ والتجربة عند الصديق العزيز أكبر برهان ـ قد أكدت لي أن النقاش على الصحف بين كتابنا إنما ينتهي بانتهاء مثل هذه الصداقة أو بزعزعة مركزها على الأقل. غير أني أؤمل ـ وموضع الأمل كبير ـ في سماحة نفس الصديق أن يكون أثر نقاشنا أبعد مدى وأوسع خطوات فنقف معاً على الحقيقة التي يقولون إنها بنت البحث ثم نتصافح ونقدمها إلى الأمة ثمرة ناضجة عنواناً للوفاء والإخلاص ويكون لي في ذلك دليل آخر على الصديق المحترم في أن التجربة في دورها الثاني ـ متى تغيرت أوضاعها ولوحظت مواضع الضعف والخلل فيها تنجح أيما نجاح وتثمر أيما ثمرة.

ونوقن أن البحث سيكون ـ إلا في بعض نقاطه ـ مكرراً لما سبق أن جرى الحديث فيه، لأن الأستاذ في كلمته هذه يصر على تكرار صدى كلمته السابقة في الموضوع والتكرار ـ كما يقول الأستاذ الأنصاري ـ فيه تدعيم للفكرة وتقرير لها في الأذهان. ونحن نؤمن كما يؤمن الأستاذ (أن النتائج التي أسفرت عنها شركاتنا الخ).

لكننا نكرر أيضاً أن تلك الدروس لم تذهب سدى، وإننا قد استفدنا منها فوائد اجتماعية وأخلاقية وإدارية كثيرة.

ونجيب عن الأسئلة الكثيرة التي أوردها الأستاذ بلفظة «نعم» و «نعم» بالخط العريض للكثير منها.

وما دام الأستاذ يريدنا أن ندع الخيال ونتمشى مع الحقيقة الواقعة، فلنمسك القلم والدواة ـ فما نريد أن نكتب بقلم الخبير ـ ونضع الصفحة أمامنا ونتحاسب بالأرقام! وليكن عنوان الصفحة هذا السؤال.

س: ما هي الشركات والمشاريع العامة التي قمنا بها؟ فأوجب علينا نتيجة أمرها أن نتجنب سبيلها والتفكير في نهج جديد مأمون!.

جـ: الشركة العربية للسيارات والشركة العربية السعودية للسيارات فقط وكان نتيجة هذا الفشل نجاحنا في شركة السيارات الأهلية وشركة التوفير والاقتصاد والشركة العربية للطبع والنشر وخصصنا من ربح هذه الشركات قسطاً للمشاريع الخيرية.

إن الأستاذ يعلل حبوط مساعينا بعدم صلاحنا الشخصي لذلك، وهذا ينتج السؤال الثاني في صفحة الحساب.

س: هل الأنانية وبقية العلل الأخرى التي ذكرها الأستاذ تتمثل فينا حال قيامنا بالشركات العمومية وتسلب منا حال قيامنا بالشركات الخصوصية؟! ثم ما هي الشركات الخصوصية؟ هل معناها غير تساهم عدد معقول من الناس للقيام بمشروع عام؟.

جـ: إننا لم نتعصب لرأي ولم نتحدث مفصلاً عن موضوع الشركة الزراعية التي نود تأسيسها، ولكننا مقتنعون أن الفشل «لا يسمع» ولكنه يتحقق بعد الوقوع وأسباب الفشل التي ذكرها الأستاذ في الشركات العمومية واضحة جلية في ما يدعو إليها من الشركات الخصوصية، وقد تحقق هذا الفشل فيما قام به بعض الإخوان مشتركين في زراعة الحب في العام الماضي.

ليت وهل تنفع شيئاً ليت؟! ليت الأستاذ يقتنع بأننا صالحون للقيام بالشركات العمومية فنرى كيف يفجر لنا الأستاذ الأنهار ويجري لنا العيون ويزرع لنا يمننا وحجازنا ونجدنا وإحساءنا بمليون واحد من الجنيهات ونعرف قيمة هذا التقدير العملي غير الخيالي الذي يقدره الأستاذ «فنربح المثل فنضرب بين هاتيك الأقطار المترامية الأطراف فيتضاعف الربح فنبني لنا أسطولاً تجارياً نُصدِّر عليه الكميات الهائلة التي تزيد عن حاجتنا»!!

نحن لا نعارض في أن تقوم شركات متعددة تخصص كل واحدة منها بناحية من نواحي العمل المنتج فهذا ما نريده وما ندعو إليه للقيام «جماعة» للعمل المتضافر بالمساهمة معناه في فهمنا «الشركة».

أما أن يحدد الأستاذ عمل الشركة الزراعية التي ندعو إليها بقوله ونحن لا نريد بالشركة الزراعية أن نشارك الفلاح بل نريد أن نساعده بعموم أنواع المساعدة ونريد أن نراقبه وندله على الطرق الصحيحة المنتجة على قدر

الإمكان ونريد أن نساعده في كل ما يعجز عنه.

ونكرر للأستاذ تعليقاً على هذه الفقرة «فالجهود التي تبذل لدرء خسارة لا تؤثر وللحصول على ربح بهيج ليست هي الجهود التي تبذل لفائدة لا تذكر ولخسارة لا تهم». إنه ليس مطلوباً من عموم الشركاء أن يكونوا عمالاً في الشركة، إنما ببذل الجهود في أعمال الشركة أولئك الإخصائيون الذين تستخدمهم الشركة والذين يكتسبون مادة حياتهم من هذا الاستخدام.

والشركة هي التي تستطيع أن تشغل أكبر عدد ممكن من الأيادي العاطلة والشركة هي التي تجعل الدريهمات القليلة كثيرة وصالحة للاستعمال. والعمل السريع لا يتنافى مع الشركات العمومية ويمشي مع الشركات الخصوصية ـ على حد تعبيرك ـ بل هو عائد لذكاء القائمين به وكفاءتهم في إحكام خططه وتسيير دفته.

أما تشغيل عموم الشركاء الشاغرين فإنه ينافي المبدأ الذي قرره الأستاذ في صدر مقاله من ضرورة عدم مشاركة الفلاح ومزاحمته.

معقول جداً «إن المشاريع ودراستها شيء والنقد الأدبي ودراسة الأدب شيء آخر، فهذا مجرد قول وذوق وخيال وذلك خبرة وتجارب وحقائق. فعلى الناقد الاجتماعي أن يتغلغل في صميم البيئة ويسبر غورها» فإذا فات ذلك فيما مضى يجب أن لا يفوت في المستقبل.

نعود فنقول إن أغراض الشركة التي نرجو أن تؤسس لم توضع على بساط البحث وهي قمينة إذا صح عزم التأسيس أن تدرس دراسة وافية وأن نحدد أغراضها ومراميها. أما «مؤازرة الفلاح ومساعدته وتمهيد السبيل له ليزرع» فأمر جوهري في الموضوع.

نحن حتى الآن لم نبد رأينا في خصوص الشركة حتى نتعصب له، ولكننا عرضنا الحوادث عرضاً وأخذنا صورها من الحياة الواقعية. أما قصة النملة التي أقررها لتلاميذي الصغار الذين أصبحوا الآن زملاء محترمين ـ أعني لي ـ فإن مغزاها هو المعنى الذي سقناه له في سياق حديثنا السابق ـ وهو أن الفشل يجب أن لا يكون سبباً لليأس، وكثير من علماء الاجتماع يقرر أن الأمم إنما أخذت الكثير من نظمها من نظم هذه الحشرات، والله سبحانه وتعالى قد ضرب للعالم أجمع لا لأمة واحدة ـ مثلاً بالبعوضة.

والاستدلال في الموضوع بما ورد (لا يلدغ المؤمن الخ) فيه تسامح لا يخفى على الأستاذ، إذ إن هذا إنما يقال للرجل يعمل العمل الذي أوذي فيه مرة أخرى مع وجود الملابسات والأسباب نفسها في العمل الأول ونحن ندعو إلى تغيير الأسباب وتسديدها في التجربة الثانية.

وبعد، فهل استطعنا أن نقنع الأستاذ وأن نشرح الموضوع بطريقة سهلة واضحة أم لا يزال للبحث بقية:؟!

تعليق على مقال «فكرة شركة المساهمة»

طالعتنا جريدة صوت الحجاز الغراء في عددها الصادر في يوم الأحد الموافق ١٠ شوال سنة ١٣٥٩ بالكلمة التي يظهر أنها خاتمة للموضوع الذي تعرض له حضرة الأستاذ أمين مدني بعنوان فكرة شركة المساهمة الخ، ونحن ـ لولا شيء لا نريد أن نقوله ـ احتراماً للعاطفة التي أوحت إليه أن يقول عنا في نفس المقال «إنه صديق عزيز علينا» لما وجدنا للتعليق على هذه الكلمة رغبة في النفس، ذلك لأنها خارجة تماماً من موضوع المناقشة السابقة: ولولا هذا العنوان الذي لم يشأ أن يغيره حضرة الأديب، إذ إن حضرته كان في كلماته السابقة يعارض فكرة القيام بشركة مساهمة جديدة ويدلل على صحة رأيه. أما في كلمته اليوم فهو يخرج عن الموضوع إلى بحث علل الزراعة تحت هذا العنوان.

يظهر أني قصرت في تفهيم الأستاذ أن السؤال أو الأسئلة على الأصح في تعليقي الثاني كانت موجهة إلى الأستاذ في الجانب السلبي منها وإني أريد أن لا أدع في ذلك مجالاً للشك الآن فأعيد تكرار الأسئلة عليه إذا كان غير موافق على ما نعرفه وكتبناه من الأجوبة عنها.

أما إذا كان موافقاً على أجوبتنا باعتبارنا متبرعين بها، فإن جوابنا كان صريحاً بأن هناك مشاريع قمنا بها وكان نصيب بعضها الفشل ونصيب

بعضها الاضمحلال ولكنها وهي لا تتجاوز أصابع اليد الواحدة ليست قمينة بأن تكون سبباً لأن تلوي وجوهنا عن القيام بمشاريع اقتصادية بطريق المساهمة من جديد، بل بالعكس هذا الفشل والاضمحلال يجب أن يكونا درساً قاسياً للتوقي من النتيجة الأولى والحذر من الأسباب التي أدت إليها في المشاريع الجديدة.

أما كلمتنا التي استند عليها الأستاذ في مقاله ووضع لها التحديات الزمنية ليبرهن كيف استطاع أن يثبت ذهولنا ـ وهو ذهول يفتخر به الفلاسفة والأدباء في دراسة هذه الأسباب التي صرحنا ونصرح بضرورة دراستها درساً وافياً وتجنبها بحذر ولباقة فيما ستقوم به الأعمال وليست ذهولاً ـ مع الأسف ـ غير أن تفسير الأستاذ لها كان تفسيراً غير موفق.

نحن إذا قلنا بضرورة تهويل العيوب، فذلك ليس معناه قط أن نصل إلى درجة عدم القيام بالمشاريع، إذ إن ذلك إغراق (والمدح مثل الذم في الإغراق).

ولقد فهمنا من استشهاد الأستاذ بقولنا «إن الواجب يقضي علينا أن نفتح عيوننا ونرى عيوبنا ونهول من أمرها حتى نهول في نفس كل مرتكب الخ» إن الأستاذ كان يقصد في شدة الغارة على فكرة القيام بشركة المساهمة الزراعية تهويل الأمر وتحذير القائمين به إجابة لرغبتنا وليس ذلك عن عقيدة بعدم صلاح الموضوع، فنشكر للأستاذ قيامه بهذا الواجب.

يقول الأستاذ إننا كنا على رأيه في تعليقنا الأول ولم نخالفه في تعليقنا الثاني والصحيح أننا على طرفي نقيض في النقطة الأساسية ولعلَّ التقصير عائد إلينا في عدم إمكاننا تفهيم الأستاذ ذلك. ونورد هنا بصريح العبارة أننا نقول بإمكان القيام بشركة مساهمة جديدة يلاحظ فيها أسباب التقهقر

والضعف فيما قمنا به من المشاريع سابقاً، والأديب صاحب (فكرة شركة المساهمة يجب أن لا تتعرض للفشل من جديد) قول بوجوب عدم القيام بمشروع مساهمة من جديد، فهل في هذا توافق؟ نسأل القراء!

أما قول الأستاذ بأني وعدت بملاحظة نصائحه في الشركة التي دعوت إليها وما أزال أدعو لها، فإني أخبر الأستاذ بمزيد الأسف أني وإياه في إيجاد الشركة والقيام بأعمالها متساويان وكلانا «في الهوى سوى ـ أعني بياع نصايح وبس» والذين عندهم «الديباجة» شكواهم على الله.

وكلمة أخرى أريد أن أقولها وهي أن الأستاذ ذكر في مقالاته لفظ شبه المصرف ولم نفهم حتى الآن ماذا يريد الأستاذ بهذه اللفظة، فإن الذي نعرفه ـ إن كان المراد بلفظ المصرف هو البنك ـ إنه ليس هناك شيء سوى المصرف الزراعي ـ ويقابله لا مصرف زراعي، ولعلَّ الأستاذ استعمل لفظ شبه المصرف ليجذب إليه المصرف لأن شبيه الشيء منجذب إليه ـ كما يقولون ـ أو عسى أن تصح الحيلة!!!

وقبل أن أختم هذه المناقشة اللطيفة أريد أن أحيي الصديق العزيز الأستاذ أمين مدني وأقدر إخلاصه لأمته وبلاده. وفقنا الله جميعاً لما فيه صالح أمتنا وبلادنا.

صديقي الفيلسوف

قلّما يخلو أسبوع من أسابيع أمسياتنا التي كنا نقضيها على قمة من قمم سلع تارة وعلى هضبة من هضبات دشم تارة أخرى من بحث وحوار يصل أحياناً إلى طور الجدل، وكان يحلو لبعض الإخوان أن يزيد في إثارته ليرى الفيلسوف وقد خرج من هدوئه فتبعثرت شعرات لحيته وخرجت البصقات من بين شفتيه ويبدأ يسهب في البحث بوجه عبوس وجبين مقطب، وكان بحث هذه الأمسية يدور حول الحلال والروابط الاجتماعية للأمة الإسلامية وإهمال ما يدعو إليه دين الإسلام من تعزيزها وإحكام روابطها حرصاً على عزة الإسلام وتقوية أواصر الإخاء والمودة بين أبنائه ـ وتناقش الرفاق في ذلك، فمنهم من رد أسباب الانحلال إلى الجهل العام ومنهم من عزا ذلك إلى الفقر وتنقلوا من سبب إلى سبب والفيلسوف يسمع ولا يتكلم حتى وجه إليه السؤال أحد أفراد الشلة، وقطع الطريق صديق آخر قائلاً «سأتولى الإجابة عن الفيلسوف لأن الموضوع واضح لا يتحمل الفلسفة: الجهل يا أصدقائي هو السبب الوحيد لما نحن فيه من انحلال وتدهور أضف إلى ذلك ابتعادنا عن تعاليم الدين وتركنا التمسك به «وعرفنا من لمحات الفيلسوف المعبرة أن هذا الفضول من صاحبنا لم يعجبه» وتكلم متحمساً دون أن يعير اهتماماً لما قاله الصديق «يبدو لي أن تدابير محكمة وعقولاً كبيرة قد نظمت محاربة سلبية للأمم الإسلامية في عقر دارها، فإن متصفح

التاريخ يلمس بكل وضوح عوامل الفساد والانحلال في مستقبل هذه الأمة منذ عصر الإسلام الذهبي عصر الخلفاء الراشدين، فما من حركة إصلاحية تقوم إلا وتقابلها حركات هدامة تجعل من حركة الإصلاح نفسها حركة هدم وتدمير. أجل لقد تطاولت هذه الأيدي الأثيمة حتى على تعاليم الإسلام فدست بين أحاديث الرسول ﷺ أحاديث هدامة استدرجت بها العامة واضطرت الخاصة للمجاملة الكاذبة فيها وفسرت الآيات والأحاديث الصحيحة تفاسير تضليل وإفساد، إنك لا تكاد تستخلص مسألة من مسائل الفقه مثلاً إلا وجدت فيها الأقوال والتفاسير والاختلافات، وليس هذا فيما يتعلق بالعقائد فقط بل لقد تعددت الخلافات حتى في تعريب جملة أو تصريف فعل. لقد بذلت جهود عنيفة لينصرف علماؤنا عن اللباب إلى القشور فملأنا الدنيا كتباً وملئوها اختراعات وصناعات وبذلت جهود عنيفة لنبتعد عن الغاية والهدف ولنصبح أمة لا هدف لها ولا غاية. أثبتوا في نفوسنا حب المادة فأصبحنا نؤمن أنها قيمة المرء منا، فبقدر اكتنازها يكون اعتبارنا بين الناس فعضضنا عليها بالنواجذ واستسهلنا هدم كل مبدأ في سبيل تحصيلها.. وسكت برهة يستجمع أفكاره ودار ببصره نحو الأفق واسترسل قائلاً «إن هذه الأساليب قد ارتقت برقي العصر وأخذت مظاهر ثابتة مغرية في شكل مدارس تبث العلم ومستشفيات تبرىء السقم ومكاتب استعلامات ووزارات استعمار! لقد تحملت الأمم الإسلامية كثيراً من هذه الحروب الباردة ـ ولئن كانت الغفلة فيما مضى قد مهدت لأعدائها الكثير من القصبات، فإن اليقظة التي سادت الشرق اليوم قد جعلتنا نعد العدة نحو هذه الآثار، فلا مدارس ولا مستشفيات ولا دور حضانة ـ غير إسلامية في المستقبل القريب إن شاء الله ـ فهبوا أيها الرفاق للعمل فالوقت قد حان.

ـ كنت أدعوه بالفيلسوف أو على الأصح كانت الشلة تدعوه بهذا الاسم، ولا أدري من منا الذي اختاره له ولماذا؟ ولعلَّ النفشة التي كان يتصنعها في حركاته وسكناته في قيامه وكلامه في سيره وجلوسه كانت السبب في هذه التسمية، فقد كان ينفخ بقه ويمط شفتيه عندما يتحدث حتى في التافه من الشؤون، وكان المقطع الذي يرتكز عليه بعد كل جملة حرفي الباء والهاء ينطق الباء مفخمة كأنها حرف الإنجليزي (به به) ويرفع يديه مشيراً ـ الموضوع الفلاني بأنه موضوع عظيم ـ وعليك بعد ذلك أن تسمع محاضرة متسلسلة لا تنقطع. أما الجبة والعمامة البيضاء فلم تكونا لتفارقاه لأنه كما يبدو يعتبرهما رمز الشرق وعنوان كماله ـ وإذا كانت الفلسفة هي النطق بالحكمة، والنظرة العميقة في شؤون الحياة وتحليل النظريات تحليلاً منطقياً وتتبع حركات الناس وسكناتهم واستنتاج الحقائق من ذلك، فإن صديقنا الفيلسوف كان حاد النظر دقيق الدرس نافذ البصيرة هائماً بالبحث والاستنتاج تعنيه شؤون الشرق لكل مشكلة من مشاكله عنده درس وتحليل واستنتاج وحكم ولكل زعيم من رجالاته تقدير وتعريف ومكان ـ غير أننا كثيراً ما نتلقى هذه الأحكام والاستنتاجات بهزة كتف وابتسامة فاترة لأن بعض أفراد الشلة كان يبدي أن هذه الفلسفة كثيراً ما تخرج عن حدها فلا نطيق احتمال أحكامها ولا نستسيغ النظريات التي بنيت عليها، فقد حدث مرة أن خرجنا للتمشية، فممرنا على محطة السكة الحديدية وانتهينا من جولتنا فيها إلى الحديث عن فخامة البناء وعظمته ودقة الهندسة وبراعة التخطيط، ولم نكد ننتهي من البحث حتى بدأ الفيلسوف قائلاً أهذا كل ما لاحظتموه ـ عجيب أمركم يا شباب هذا العصر! ألم تلاحظوا تلك الألوان التي صبغت بها أبواب ونوافذ المحطة؟ إنها الألوان التي يتكون منها علم أمة مستعمرة كبيرة ـ إنهم يسعون جهدهم لتأليف المناظر الأوروبية فلا

تشعر بغرابة إذا امتدت يد الاستعمار تلعب في بلادنا وقد فهم العالم كله أساليب الاستعمار فلا تقبله أمة ولا يستسيغه شعب. . فتغامز الرفقاء وهزونا رؤوسنا ضاحكين.

ولا أدري أكانت هذه سفسطة بلغت حد الثرثرة من صديقنا الفيلسوف فاستحقت التغامز والتضاحك أم هي فلسفة عميقة لم تصل عقولنا بعد لإدراكها؟

ولصديقنا الفيلسوف آراء ونظريات من هذا النوع لا تخلو طرافة وفائدة، وأعتقد أن في تقديمها لقراء جريدة المدينة الغراء طرافة وفائدة، وأرجو أن يساعدني ظرف العمل فأقدم ما حوته الذاكرة من ذلك تباعاً.

حيوا معي هذا الرجل

حيوا معي كل رجل يغالب الفشل ثم يغالبه ثم يغالبه فيقهره ليصل إلى قمة النجاح.

حيوا معي كل رجل وضع القرش على القرش ولم يأنف أن يعمل كل عمل شريف ليصل إلى جيبه قرش شريف.

حيوا معي رجلاً كسب من كفاحه مالاً ـ ملايينَ ـ ثم لم يملكه المال وملك هو المال.

إنك لا تلام وأنت تبدأ كفاحك أن تضع القرش على القرش وأن تصرف بحساب دقيق لتوفر مما كسبت ثم أن تمر على هذا المتوفر كلما مرت الأيام والشهور لتعرف مقدار ما ربحت لتتوسع به في كفاحك وعملك، ثم توالي العمل حتى يبتسم لك الحظ وتدر عليك النعم ويصبح موردك أضعاف أضعاف ما تصرف على رفاهيتك ورفاهية أولادك.

أنت قد بلغت قمة النجاح وبعد أن كنت طالباً أصبحت مطلوباً.

هذا الوطن الذي أنشأك ورباك ودر عليك الربح الوفير محتاج. أتدري أي شيء محتاج؟ محتاج إلى العلماء والعلماء، إذا تفرغوا للعلم لا يستطيعون أن يدركوا ويتحصلوا القدر الكبير من العلم الذي يخدم مصالح

الوطن العليا إذا شغلوا عنه في سبيل العيش. محتاج إلى العناية الصحية، فهناك قسم كبير من المرضى والأرامل والأيتام وهناك تلاميذ أذكياء محتاجون إلى الغذاء.

وهناك تلاميذ يسمونهم بطيئي الفهم يحتاجون إلى تقوية معنوية بأساتذة مختصين ثقافيين ونفسانيين يساعدونهم على هذا النقص.

كل هذه واجبات الوطن تدعوك لتشارك فيها. قد تقول إن هذه واجبات والتزامات قامت بها الحكومة خير قيام. وأنا أقول إن قيام الحكومة بواجبها خير قيام سوف لا يعفيك. أنت مطالب ومطالب بإلحاح. قف على قمة نجاحك واستشرف حاجات وطنك وأد واجباته عليك فأنت مطالب بإلحاح وإلا فبئس المواطن تكون.

لقد وقف محمد أبو بكر باخشب على قمة نجاحه وعرف حاجة بلاده ودفع مليوناً من الريالات ـ أكرر مليوناً من الريالات لجامعة الملك عبد العزيز الأهلية جامعة المواطن الصالح والابن البار، وقد سمعته يقول سأدفع المزيد وأنا وراء هذا المشروع حتى يتم ويحقق الله أمنيتي فيه.

حيوا معي هذا الرجل. حيوا معي محمد أبو بكر باخشب باشا ـ وكمان باشا ـ باشا في العمل الوطني الرائع الذي يسعى لتحقيقه.

فمن لي بمثل أبي بكر؟! من لي بمثله؟ أصيح من أعماقي يا مواطني الأعزاء، افعلوا ما فعل محمد أبو بكر باخشب باشا وافتحوا حقلاً جديداً من مشاريع الوطن، طبعاً غير حقل أبي بكر.

مؤتمر أدباء وشعراء المملكة

كنت أتوقع أن يلقى مؤتمر الشعراء الذي انعقد في وزارة الإعلام بدعوة من معالي وزير الإعلام أكثر من صدى وأن يعالج بأكثر من قلم البلد. فهذا المؤتمر يعد حدثاً تاريخياً بالنسبة لهذا البلد، فلم يسبق أن اجتمع شعراء هذه المملكة من الشرق والغرب والشمال والجنوب وجهاً لوجه وفي مكان واحد وفي ندوة تعد من أمتع الندوات وأكثرها جمالاً.

قال معالي وزير الإعلام وهو يفتتح الندوة ما معناه: إن الإذاعة تحس أن التجاوب بينها وبين أدباء وشعراء البلاد لم يكن متكاملاً وأن المسؤولين في الإذاعة حاولوا ويحاولون أن يكونوا على اتصال دائم بأدباء وشعراء المملكة وأن يكون التجاوب الروحي بينهما ذا صلة قوية ومتينة.

إني أشعر أن على الإذاعة أن تكون ذات صبغة وطنية أصيلة وكم وددت أن كل ما يقال وينشر فيها يكون من إنتاج أبنائها لتكون صورة صحيحة للبلاد العربية السعودية.

إني لأشعر بالمرارة حين أجد أن إنتاج الإذاعة لا يمثل مائة في المائة الأدب السعودي.

لقد قال معالي وزير الإعلام كلاماً كثيراً كان يتكلم بحماس ويدعو برجاء. ولقد كان صدق الانفعال في حديث معاليه قوياً مؤثراً فلم يملك كل شاعر وأديب في الندوة إلا أن يستجيب للنداء الوطني الحار وللأمنية

الكبيرة التي يتمناها كل مواطن وهي أن تكون الإذاعة السعودية عربية أصيلة في كل ما تقدم من الإنتاج.

إن الانفعال الذي دارت به المناقشة في المؤتمر كان قوياً جياشاً وتوهمت أن يكون قوياً جياشاً في الصحف من جميع الحاضرين..

ما زلت أنتظر أن تتناول الأقلام.. أقلام الشعراء والأدباء الذين حضروا هذه الندوة جميع البحوث التي أثيرت ودار فيها النقاش، فهي جديرة بأن تمحص ويخرج منها الرأي الحصيف ويعمل به.

وودت لو عرفنا أولاً بأول من إذاعتنا الاستجابة العاجلة التي وعد بها شعراؤنا معالي وزير الإعلام.

العمل يبلغ الأمل:

تنعش نفوسنا هذه الأيام آمال كبيرة واسعة والجهود التي نبذلها حكومة وشعباً لتحقيق هذه الآمال جهود صادقة وصادرة عن رغبة ملحة.

والنهضة الشاملة التي تعم بلادنا الواسعة الأرجاء تشمل مرافقها كلها..

غير أن هذا كله لا يعني أن نتعجل اقتطاف الثمار، فقد عانينا وعانت ميزانيتنا الشيء الكثير من أعمال الارتجال، فالارتجال مهما عمت فائدته الوقتية فإن مداه قصير وقدرته على تبديد الأموال سريعة.

ولا بد من الاستفادة من التجارب، وقد علمتنا التجارب أن نزن الخطى وأن نتحسس موضع القدم قبل تثبيتها وأن نقيس قبل الغطيس وأن ندرك أن البذرة لا تثمر إلا إذا وضعت في أرض حرثت وسمدت بعناية، ثم إنك ولا بد أن تصير عليها، وبقدر ضخامة الثمرة يكون الصبر. الصبر مع العزم والإصرار على مواصلة الجهد وتدعيم السياج الواقي من الأضرار التي

يسببها اختلاف المناخ أو مرض مباغت أو قضاء لم يكن بالحسبان؛ وليست مشاريعنا في كل حقل وفي كل وزارة إلا بذوراً نبذرها ونرتجي ثمارها. ونحن مدعوون للعمل باستمرار وبصبر وثبات وبإيمان وإخلاص. والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

المنبر العام

إن كل إنسان مهما تحرى وتحايل وتباعد عن الناس فإنه معرض لظلم الناس، فقد قرر هذه الحقيقة الشاعر العربي حين قال:

والظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلَّة لا يظلم

فأنت ما دمت تعيش مع الناس فلا بد أن تتعرض لظلمهم وجحودهم، ويزيد ظلم الناس وجحودهم كلما ابتعدوا عن المثل العليا وتغلغلت المادية في نفوسهم فأبعدتهم عن الله، وعصرنا هذا قد غمر الناس بتيار المادة الجارف فأضلهم وأعمى أبصارهم.

وقد تعودت أو على الأصح عودت نفسي أن أتجنب طريق الظالمين، وكثيراً ما يكلفني ذلك تضحية مادية ومعنوية، فالتضحية لازمة من لوازم تجنب ظلم الناس للناس، وليس اختياري لهذا الطريق لمزية في نفسي أتفاخر بها ولكن لاعتقادي أنه الطريق الأسلم.

وفي هذه الحادثة التي جر إليها هذا البحث كانت التضحية ثقيلة وقاسية على النفس فلم احتملها وقدمت أشكو وحوّل سعادة القائمقام عريضتي إلى مدير الشرطة وأخذت العريضة في يدي وكنت في صحبة الصديق الأستاذ محمود عارف، فقد حملته شهامته إلى مساعدتي. والأستاذ محمود إن كنت لا تعرفه يتحلى بصفات إنسانية ترتقي إلى التضحية والبذل ولا يطيق

أن يرى هضماً أو ظلماً إلا وتدخل ليساهم في رفعه وحل مشكلته، وكثيراً ما رأيته يتدخل عندما يرى شجاراً عارضاً أو نعتاً بين أشخاص لا يعرفهم ويتدخل حتى إذا عرف ناحية الظلم تحمس وارتفع صوته حتى تظن أنه يدافع عن أخ أو صديق.

وإنما صحبني في جولتي هذه بدافع هذه الطبيعة الإنسانية لعلَّه يستطيع أن يساعدني، وهو أستاذ جيل من أبناء جدة فلا يدخل إدارة من إدارات جدة إلا وله فيها تلميذ أو صاحب أو صديق.

ودخلنا إلى مدير شرطة جدة وكانت مفاجأة بالنسبة لي، فمعرفتي بالسيد حسن شيبة معرفة قديمة حينما كان يعمل في المنطقة الشرقية. حييته وقلت له الحمد لله على السلامة أهنئك وأرجو من الله لك التوفيق. وتنفس الرجل وقال إن المهمة شاقة وليست مشقتها في أداء الواجب فالواجب حدوده معروفة، ولكن مشقتها أن تجد الموظف الذي لا يكهربه المنصب فينسى أن الحكومة إنما منحته شرف الجلوس على هذا الكرسي ليكون خادماً أميناً للشعب.. إني أعتقد أن الموظف لا يستطيع أن يؤدي واجبه إذا لم يعترف في قرارة نفسه وبعقيدة صادقة أنه خادم للشعب. هذه هي عقيدتي وبهذه العقيدة نجحت. إنني لا أستطيع حمل العبء إذا لم أجد من يعاونني على حمله على هذا المبدأ؛ وبهذه العقيدة كان يتحدث وفي صوته نبرات.

كان يتحدث وفي صوته نبرات الإخلاص وفي عينه علامات الحسرة والألم ـ ثم استطرد يقول إن كثيراً من الموظفين يظنون أن من تولى السلطة منهم قد تولى السلطان وهذا هو سبب البلاء.

فتحت عيني أنظر إليه مشدوهاً ووددت لو حملته على عنقي وهو يتحدث أدور به على جميع الأقسام ليسمعوا في كلماته تجارب رجل خدم حكومته

أكثر من ربع قرن وخدم أمته وبلاده بعقيدة جعلته قرة عين الشعب والحكومة.

وخرجت من عنده لألتقي بمفوض المنطقة الثالثة ووددتُ لو استطعت أن أنقل إليه كلمات المدير وأنى لي أن أفعل وأنا أمام رجل لا يراني أهلاً لأن أتحدث عن العدالة في مجلسه الكبير، لقد أطعتك أيها السيد فلم أتكلم عن العدالة في مجلسك الكبير.

ودعني أتطفل عليها على صفحات هذه الجريدة. إن العدالة يا سيدي الكبير تتمثل في أداء الموظف واجبه كخادم أمين للشعب فيحترم من أوقفته العدالة بين يديه ليسمع بقلب واعٍ ويستوعب ما يقال ـ والعدالة يا سيدي في تركيز وتضييق نطاق القضايا ليصل المحق إلى حقه من أقرب طريق. فتوسيع المجال والمساعدة على إيجاد المنافذ سبيل إلى ضياع الحقوق وتشجيع لأصحاب المزاج في العكننة والتملص من الحق. ألست معي أيها القارىء الكريم؟

شيء في صدري

في نفسي أن أتحدث إلى القراء حديثاً لا تكلف فيه ولا مجاملة. . أريد أن (أتبحبح. .) لا أريد أن أتطير بحدود صرفية أو نحوية أو لغوية، فالحديث (المبحبح) قد يشجعني على الاستمرار في الكتابة. فنفسي وأقول لكم الحق (انصدت) من الكتابة ولو علمت أني عندما مسكت القلم لأكتب لجريدة المدينة اليومية لأول مرة مشجعاً ومشاركاً سأتعرض لغضب بعض الإخوان ودلع بعض المحبين ولوم بعض الناقمين وعداوة بعض المغفلين لما مسكت القلم، ولو مسكته لما تطرقت لمناقشة المواضيع العامة وكان في البحوث الأدبية مجالاً واسعاً، ومن يدري فلعل هذا الحديث نفسه قد يغضب بعض القراء، ورضاء الناس غاية لا تدرك. هذه مقدمة كان لا بد منها لإبداء الحديث.

أيام زمان أعني الأيام الأولى لصدور جريدة المدينة، كان الكتَّاب محدودين جداً وكان القراء يقرؤون الجريدة ليقال عنهم إنهم قراء. وليس من المستغرب في تلك الأيام أن تجد قارئاً يقرأ الجريدة مقلوبة العناوين بل لقد حدث مرة أن كتبت كلمة لم تسعها الصفحة الأولى في الجريدة فنقلت الجريدة البقية في الصفحة الرابعة وكانت لا تزيد على أربعة أسطر في عمود واحد، وقابلت صديقاً كان يعمل محاسباً في إحدى الدوائر ـ وبعد

التحية والسلام قال ـ شفت أربعة أسطر ونص في الجريدة وتحتها إمضاءك ما عرفت ايش تقصد منها، هل بلغ بكم هوس الكتابة في الجرائد أيها الشبان إلى حد أن تكتبوا كلاماً لا معنى له فقط لتروا إمضاءاتكم في الجرائد؟! وأجبته يا سيدي أنا أرسلت مقالة كبيرة للجريدة ولكن أنت عارف أهل الجريدة ما ينشروا إلا الشيء الذي يريدون به تكملة الوصلة الناقصة في الجريدة!!

هذه الحادثة وقعت لي وصاحبها قد توفي رحمة الله عليه. أما الذين يفهمون فكانوا أقلية صغيرة جداً وهم الشلة الذين كانوا يسمون بالأدباء هم الذين يكتبون وهم الذين يفهمون ما يكتبون.. أما الذين لا يفهمون ما يكتب فكانت أكثرية القراء وما أكثر ما كان يتعرض الكاتب للنقد اللاذع النقد الذي يعرضه لمتاعب ومشاكل كثيرة منها أن يقابل بالازدراء والتحقير ممن كانوا يعتبرون أنفسهم أهل الحل والعقد. وربما قادك إلى السجن حرف من حروف العطف، فإذا استعملت حرف الواو في بعض الجمل ثاروا عليك ووصفوك بالانحراف فهم يوجبون أن تستعمل ثم، ولو قلت تدافع عن نفسك إن حرف العطف الواو لا يستلزم الترتيب قالوا لك أسكت يا... وكان عليك أن تتحمل المسئولية كاملة...

واليوم يبدو لي أن المفهومية؟ قد انعكست تماماً، فأكثرية القراء ـ وأستطيع أن أسميهم الجمهور ـ أصبحوا يفهمون كلما تكتب وكلما تقصد وأنك لتجد من بينهم من يشد على يدك مشجعاً شاكراً لأنك عبرت عن خلجة من خلجات نفسه وأثرت موضوعاً كان يريد أن يكون موضع نقاش عام، بل إنك لتجد من بينهم من يستعمل دالة وطنيته عليك فيقول لك آمراً.. من الواجب عليك يا أستاذ أن تطرق الموضوع الفلاني فهو موضوع

يشكو منه الشعب ولا بد من توجيه نظر المسئولين إليه، أما الجماعة الذين كنا نسميهم أيام زمان بالأدباء وأصبح يقال عنهم المثقفون أو قادة الرأي، فمشكلتنا اليوم جاءت منهم ـ أي والله منهم ـ كيف؟ ما أدري؟ ولا تزعلوا علي أنتم أيضاً واسمعوا مني، فالكلام مداولة كما يقولون ـ وإن كنت غلطان قولوا لي أنت غلطان؟ وبلاش زعل فإذا زعلتم أنتم عليّ تبقى مصيبة وأكون ما استطعت أن أرضي البائع ولا المشتري أو يتحقق أيضاً لدي عندئذ أن مفهوميتي هي التعبانة وأعدكم أني سأعتزل وأترك الميدان للفرسان.

وقد بينت لكم كيف أصبح الجمهور يقابل ما يكتب وما يعالج من أموره على منبر الصحافة وأنه والله شعور عظيم يقابله الكاتب بكل فخر واعتزاز ولا يبالي بعدئذ أن يضحي في سبيل هذا الجمهور الكريم بكل ما يستطيع وربما قلتم (زودتها) تضحية إيه؟ أن تكتب كم كلمة تعالج فيها بعض المواضيع . .

وأنا أقول لكم والله (ما زودتها) فأي كلمة قد يكتبها الكاتب عن نية مخلصة فتسبب له مشاكل لا تتصورون مدى تأثيرها، وقد يصل هذا التأثير إلى اعتزاله الكتابة نهائياً مالنا بأطوالها ـ المهم في الموضوع هو شرح موقف الجمهور من الكاتب الذي يعالج مشاكله، واعتزاز الكاتب بهذا الموقف الواعي المشرف، بقي أن أشرح موقف الذين كنا نعتز «بمفهوميتهم» أيام زمان وأسأل الله أن يجعل كلامي خفيفاً عليهم. بعد صدور البيان الوزاري التاريخي المشهور هب الكتاب استجابة للدعوة الكريمة. . ومشاركة في تثبيت كيانها وتعزيزه، هبوا يطالبون ويعرضون ويناقشون، وكان النظام الأساسي وتطوير مجلس الشورى وتحسين أوضاع

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الاستغلال وأنانية رأس المال تحقيقاً للعدالة الاجتماعية ورغبة في تثبيت قواعد الاستقرار بين عموم أفراد الشعب، فإن الاستقرار الاجتماعي من أهم أسباب التقدم والازدهار بل إن الاستقرار الاجتماعي يكاد يكون السبب الوحيد للتقدم والازدهار، فالعائلة المستقرة في وسائل عيشها تربي أبناءها تربية حسنة وتقدم للوطن أبناء صالحين يبنون ويرفعون، والحكومة المستقرة تستطيع أن تحصر جهودها في الإنشاء والتعمير والتقدم بشعبها إلى المستوى الرفيع. وقد قابل الجمهور هذه المناقشات بالتهليل والترحيب وأقبلوا على قراءة الجرائد التي تنشرها إقبالاً منقطع النظير، فماذا فعل الكتَّاب؟؟

قال شيخ فاضل يرد على من كتبوا يطالبون تصحيح أوضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ إن هؤلاء الكتّاب من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وهذا مثل مما قال وليس كله ـ أعوذ بالله؟ أعوذ بالله؟ هل قرأتم أيها القراء شيئاً من هذا فيما كتبه الكتَّاب؟ وجاء كاتب آخر يتحدث عن تطوير مجلس الشورى وانتهى به الأمر إلى أن يطالب بأن يكون هذا المجلس بالتعيين وأن تتحدد صلاحيته في تقديم الشورى فقط.. الشورى التي يرى أن لا يلتزم بها جهاز التنفيذ فهل هذا من التطوير في شيء؟ إن حضرة الكاتب المحترم لو رجع إلى النظام الأساسي لمجلس الشورى لوجد أن الصلاحيات المعطاة لمجلس الشورى قبل ثلاثين عاماً أكثر بكثير مما يطالب به الآن.

وجاء كاتب آخر يدافع عن الشركات فقال إن الذين يناقشون أوضاع الشركات إنما يناقشونها لغيظ في نفوسهم على هذه الشركات، لأنهم حرموا عضوية مجالس إدارتها ـ وقال يؤلب الحكومة على هؤلاء الكتّاب

إنهم يقصدون الحكومة ضمناً بأنها تقف بجانب الاحتكار والاستغلال.

وجاءت الشركات تدافع عن نفسها أمام المطالبين بضرورة خفض التسعيرة لتقول ـ إن التسعيرة وضعت بقرار حكومي.

هذه هي (مفهومية) المثقفين اليوم كما فهمتها أنا، فهل فهمها القراء كما فهمتها أم أنا الذي (مفهوميتي) ضعيفة ويجب أن أعتزل الكتابة وويل للشعر من رواته كما يقولون؟!.

في الأخلاق أيضاً

قابلني صديق مساء اليوم الذي صدرت فيه جريدة المدينة المنورة الغراء فبادرني قائلاً:

إيش هذا يا أخي، شاقني مقالك في هذا العدد فجعلت اتتبعه بشغف ولذة وهي لذة الحلم الذهبي اللذيذ، وما شعرت حتى اصطدمت أخيراً بتحاملك هذا على الدكاترة وأظنك تعني الدكتور فلان فقد كان وصفك ينطبق عليه تماماً والحق إنكم أيها الكتاب كثيراً ما تريدون معالجة المشاكل الاجتماعية ولكن تحفظكم وخوفكم الاصطدام مع من ترون الاصطدام معهم يوقع بينكم وبينهم مشاكل يجرفكم عن المقصد ويضلكم عن السبيل.

وماذا تريد من دكتور قد انهك أعصابه العمل وانتهت مدة عمله أن يعمل مع أي مريض ألا ترى أن عمل الدكاترة عمل دقيق شاق قد يكون معناه بعض الأحيان الحياة أو الموت ومن جهة أخرى فإن هؤلاء أهل نظام. لنفرض أن الدكتور عاين الطفلة واعطاها الروشته فهل تظن أن الصيدلي سوف يصرف الدواء مستحيل جداً و... فقاطعت وقد نفذ صبري.. قلت اسمح لي يا أخي أن أصارحك قال تفضل ولولا أني أريد أن تصارحني لما صارحتك.

إنه يؤلمني جداً أن يفهم الناس مثل هذا فأنا لم أوجه اللوم على حضرة

الدكتور لأنه لم يعاين الطفلة بل ولم أوجه إليه لوماً من أي ناحية كانت وما كنت لأذكر الدكتور إلا كمثال حضرني وقت الكتابة عن هذه الفضيلة الزائفة التي قل ما اعجبت بشخص وكانت له في حياتنا يد فعالة إلا وجدته ـ وبعض الأحيان مضطراً ـ يستعمل هذه الفضيلة الزائفة بحكم المجاملة كما يسمونها فأنت إذا خرجت إلى الشارع لمست يداك ورأت عيناك في كل دائرة من دوائر العمل هذا الخلق متمكناً في كل إنسان حتى أن بعض الناس يظنون أن الحيد عنه وقوف في موقف العداء.

ولنرجع إلى الدكتور تصور دكتوراً أوربياً في موقف دكتورنا المحترم فماذا يا ترى تظن أن يكون موقفه إزاء هذه الطفلة الذابلة وهو يعتقد كما تعتقد أنت ـ وأنت زميل للدكاترة ـ إنه رسول الرحمة وخادم الإنسانية.

قل لي بربك ألا يحمل الطفلة بين ذراعيه ويكتب لها الروشته ويذهب إلى السوق لشراء الدواء لو كان غير موجود عنده على الفرض.

وإن كان قاسي القلب تماماً يعني ـ كالحجر ـ ألا يتلطف بوالد الطفلة ويخبره بانتهاء موعد المعاينة وهل في هذا ما ينهك الأعصاب؟

الواقع أن مصيبتنا ليس كما قلت هي انحراف الكتَّاب عن المواضيع التي يريدون البحث فيها وخوفهم من أناس يرون أن الاصطدام بهم ينشيء بينهم مشاكل تضر بمصالحهم الخاصة. ولكن مصيبتنا في الذين يعرفون الواجب ويقدرون الظروف ثم يحولون بين المرء وبين ما يريد من صلاح.

سيدنا محمد ﷺ

يدور الفلك دورته المستمرة فيطوي بين ثناياه السنين والشهور والأيام وتتجدد صفحة الحياة فتنشر أمام أعيننا صوراً فيها من العنف والقسوة ما تلتفت له القلوب الواعية وتضطرب له النفوس المتيقظة، ومن اللين والطراوة ما يكون سبباً في تحجر القلوب اللينة وغفلة القلوب الواعية.

والحياة بين هذا الطي والنشر تعرض أمام أعيننا في كثير من الرزانة والتعمق صور هذا الماضي الذاهب بما فيه من خير وشر، لا تتحايل على الخير فتلبسه ثوب الخديعة والغرض فيظهر مشوهاً ممقوتاً ولا على الشر فتزين مظهره ليتقبله الناس كأنه الخير المحض بذلك ويقضون على الفضيلة في مهدها.

بل إن الحياة في عرضها تلك الصور حريصة كل الحرص أن تعرض أمام النظارة صورة حية صادقة من صور الماضي، لا تخشى في إبرازها في مجهرها المكبر خطيراً ولا أميراً، تبرز الشر بما فيه من البشاعة والموعظة وترى صاحبه بأخلاقه الصحيحة وسجاياه التي هي فيه من غير مواربة ولا رعب تعرض صفحة الخير مهذبة من شهوات الدساسين بعيدة عن يد الخديعة والغرض، منزهة عن الرغبة والرهبة في ثوبها السليم الصادق. ثم هي تحكم بعد ذلك حكمها الصادق فتعلي صفحة الخير وتضمن لصاحبها

الخلود والبقاء، وإن كان في حياته أبعد الناس عن التطلع إلى الصيت أو ذيوع الاسم مرغمة بذلك أنوف أولئك الذين حاربوا ويحاربون المبادىء السامية معلنة لهم أن الفضيلة لا شك منصورة أمام الحقيقة والتاريخ.

وتحكم على الشر فتخفض صفحته وتضمن لصاحبه سوء الذكر وإن كان في حياته قد تمتع بإطراء المنافقين والمخادعين المرائين قاهرة بذلك الشر وأهله في نظر الحقيقة والتاريخ.

ولو أردت متابعة السنين والشهور والأيام بل الساعات والدقائق لأستخلص للقراء الكرام في كل سنة تعرض وشهر تعقب وساعة تلمح من ذكرى الحوادث الهامة التي مرت في مثلها من السنين والشهور والأيام والساعات والدقائق لعجزت ولعجز معي فحول الكتاب وأساطين البلاغة، ولكن هي في صمتها وسكونها تمر أمام المفكرين المتدبرين لأبلغ إفصاحاً وأروع تأثيراً وأشد هولاً من أي قلم يسطر، وأي بليغ يفحم، وأي كتاب يذكر. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ. ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ (سورة آل عمران، آية: ١٩٠ ـ ١٩١).

وفي صباح الثاني عشر من مثل هذا الشهر المبارك يهتز إيوان كسرى وتسقط شرفة من شرفاته وتخمد نار فارس بعد اثني عشر سنة لم تعرف فيها الخمود ويضطرب الناس ويؤكد العرافون بحصول حادث ذي شأن له أثره البليغ في تغير صفحة هذا العالم ـ ولم يكن ذلك الحادث إلا ولادة آمنة بنت وهب ابنها الميمون بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم هذا هو الذي انتهت إليه رياسة قومه فكانت له سقاية الحاج ورفادته فكان يطعم الحاج

جميعه حتى يصدر عن مكة وهو الذي سن رحلة الشتاء والصيف وهو الذي عقد العهد على حسن الجوار مع الإمبراطورية الرومانية ومع أمير غسان فكانت قريش بسبب ذلك تجوب مواطن الشام في أمن وطمأنينة.

ويهرع البشير إلى جده عبد المطلب فيبشره بمولود ابنه وقرة عينيه عبد الله الذي افتداه ـ حين أمكنه الفداء ـ بمائة ناقة من خيرة إبله وحزن عليه ولا يزال حين نزل به الموت وعجز هو عن تفاديه فهب يضرب قلبه ضربات الفرح وتتقلب أمام عينيه صفحة الحياة الماحلة المليئة بالحزن واليأس إلى صفحة خضراء ملؤها الأمل وملء شفتيها الابتسام، فيدخل إلى آمنة وينظر إلى المولود ثم يسمع من آمنة ما رأت وسمعت وشاهدت يوم الولادة فلا ينكر ولا يعجب، ويحمل الطفل بين ذراعيه إلى الكعبة فيطوف به ويحمد الله على أن أزال بهذا المولود الجديد ما انطبع في نفسه من الحسرة والألم على حبه ابنه عبد الله ثم يرجع به إلى أمه فيقول لها إني سميته محمداً ويدعو لها وله بالخير.

لم يكن هذا الاسم على ما ذكر المؤرخون معروفاً عند العرب، ولكن عبد المطلب رمزاً لما وقر في نفسه من الحمد والثناء لمولاه الذي سكن روعه وقشع عنه سحابة حزنه بهذا المولود الجديد، اشتق له هذا الاسم من صيغة الحمد وكان هذا هو الاسم الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لآخر أنبيائه وأخلص أصفيائه فذكره في الكتب المنزلة على الأنبياء المتقدمين.

ولد محمد ﷺ في أمة بدوية يعيش أهلها على ما تنتجه لهم ماشيتهم من لحوم وألبان وأصواف لا يعرفون للاستقرار معنى، ينزلون حيث ينزل الغيث ويرحلون حيث تضحك الأرض من بكاء السماء.

وهذه الحياة مع ما فيها من جهد ومشقة ومجابهة للصعوبات، فإنها

بعيدة كل البعد عن أن تتمخض بحضارة ثابتة الأركان باقية الأثر، فالحضارة كما يقولون وليدة اجتماع متماسك وعمل متواصل في كل ناحية من نواح الحياة، وأنّي للعربي الراحل مرة والثائر أخرى أن يتصف بهذه الصفات التي تولد الحضارة!.

وكان اختيار الله لنبيه من هذه الأمة حجة الله على خلقه في أن ينتخب لرسالته من شاء من عباده لا يعترف في ذلك للملك وعظمته وللأبهة ومفاخرها وللحضارة ونتائجها، فلا يدل عليه أهل التيجان بتيجانهم ولا أهل الحضارة بحضاراتهم ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ . وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ. وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ (سورة الضحى، آية: ٦ ـ ٨) وبعد: فليس من إحياء ذكرى محمد ﷺ في شيء أن تجتمع الجموع وتوقد الشموع وتقام المهرجانات وتصرف المبالغ في سبيل التفاخر والتكابر وأن تقاوم باسم محمد تعاليم محمد ﷺ .

ولستم من محمد في شيء إن لم تحيوا في نفوسكم بذكراه تعاليمه التي جاءكم بها وتردوا إليها روعتها وجمالها بالزهد والتقوى والسعي والكدح لله وفي سبيل الله وسبيل أمتكم تحيون وفي سبيل أمتكم تموتون.

التعارف سبيل إلى الوحدة فلماذا لا نستغل هذا الظرف؟

يشعر المسلمون اليوم في جوانب الأرض بداء التفرقة ينخر كيانهم ويهدم بنيانهم ويقهقر صفوفهم ويضعف من قوة دينهم ويجعلهم هزؤاً وسخرية بين أهل الأرض أجمعين، وهذا الشعور بضرر التفرقة ووجودها يكاد يكون عاماً بين أفراد المسلمين حتى العوام منهم، ولكن ما فائدة هذا الشعور إذا لم نجعله عقيدة نجاهد في سبيلها ونتحمل في محاربتها الصعاب التي تحملها آباؤنا الأولون. أما أن تظل نتيجته التأوه والحسرة فذلك ما لا نرضاه لأمة تعتز بماضيها وتود أن يتمثل ذلك الماضي الحافل في حاضرها الراهن.

ولقد جد الغرب فحاربنا بهذا السلاح الماضي وصبر وصابر واتخذ الوسائل الممكنة حتى ثبت في أخلاقنا مدح الفردية بجميع ما فيه من قوة وسلطان وجعلنا نتنزل درجة فدرجة حتى وصلنا إلى آخر ما يمكن أن تصل إليه أمة دب في نفوس زعمائها اليأس فنفضوا أيديهم منها وراحوا يتلاعبون بها في الزعامة كما راحت تجري وراء الضعف والاستهتار، فمن وحدة إسلامية إلى نزعة قومية إلى اعتزاز بالقبيل إلى انحياز عائلي إلى تفضيل

نفسي ثم إلى زوال واضمحلال. فهذه المدارس التي يتبرع بتأسيسها المسيحيون، وهذه المستشفيات التي يعلون بناءاتها متذرعين بالإنسانية الرحيمة والإخاء العالمي المزعوم ليست إلا معاول تهدم بقوة وثبات ما بناه ديننا العظيم من اتحاد ووئام. وفائدتهم في الهدم والتخريب أكثر من فائدتهم في السعي في المحو فبحسبهم أن تكون الأمم الإسلامية مرتعاً خصباً لمطامعهم الاستعمارية، وسوقاً رائجاً لبضائعهم المزيفة وبحسبهم أن تصلح لأن تكون صورة صادقة لتنفير سوادهم عن هذا الدين.

وخليق بنا وقد لمسنا أثر هذا الحرب الاجتماعي الأخلاقي السيىء في نفوسنا ونفوس أبنائنا أن نجرد عليه حملة صادقة فنقلمه من أساسه ونرمي به في وجوه هؤلاء المخادعين المخاتلين وليكن سبيلنا إلى ذلك هو نفس السبيل الذي يسلكه بنا هؤلاء الهدامون لنعش شرقيين ولنحترم شرقيتنا ولنحتقر كل من يحاول أن يتقمص الروح الغربية نابذاً شرقيته وتقاليدها، ولنسع كتلة واحدة لإيجاد هذه الروح فتكون هي عقيدة المسلمين كما كانت من قبل في الشرق والغرب والشمال والجنوب، وبذلك نمهد السبيل لوحدتنا الإسلامية التي ضاعت وضاع معها ديننا الحنيف.

والتعارف سبيل إلى التفاهم والتفاهم ضروري بين رجالات المسلمين لإيجاد هذه الروح التي نرى أنها لازمة التمهيد لإرجاع وحدتنا التي تصدع كيانها وانهدم بنيانها، بل التعارف ذريعة لازمة للاتفاق والاتحاد، ولذلك نرى أمم الغرب تسعى بكثير من الوسائل المختلفة لإيجاد التعارف فيما بينها ثم تنظم الحملة مرتبة منسقة على هذا الشرق النائم الكسول. فهذه المؤتمرات المختلفة التي تعقد تحت أسماء مختلفة في كل بلدة أوروبية ليست إلا وسائل يختلقها الأوروبيون ليوحدوا كلمتهم ويسددوا سهامهم

نحو ضحيتهم التي تآمروا على الفتك بها، والحج فرصة طبيعية عند المسلم لتوطيد دعائم الإخاء وتثبيت روابط التعارف، فلماذا نرى الحاج لا يكاد يقضي منسكه إلا ويحمل حقائبه ويجري مسرعاً ليدرك أول باخرة تبحر من الميناء؟ وكذلك نراه يتلمس في مجيئه آخر فرصة يمكنه من أداء النسك في أقل زمن ممكن. وإنا نهيب بإلحاح وقد صورنا له بعض حاجتنا إلى التعارف والتعاون أن يفكر عملياً بأن الإسلام دين إخاء ووحدة وتعارف ثم يسعى سعياً صحيحاً لإيجاد هذا التعارف والتآلف وقد وجد الفرصة الملائمة التي أتاحت له الاجتماع بإخوانه المسلمين من عموم الأقطار؛ ومن لوازم ذلك أن يتريث ويتريث هنا مدة تمكنه وتمكننا معه من ذلك التعارف المنشود، وليس بضاره شيئاً وقد صرف ما صرف أن يضيف إلى ذلك دراهم معدودة في هذا السبيل. ومن الحق والإنصاف أن نضع نصف اللوم في التقصير في هذا الباب على إخواننا الحجازيين، فإننا نرى أن من واجبهم أن يكونوا واسطة عقد هذا التعارف بين رجالات العالم الإسلامي ويستغلون أنفسهم هذا التعارف في سبيل الاتحاد الإسلامي العام، وكم نحن مقصرون في هذا السبيل. هذه كلمة أقدمها بين يدي إخوتنا الحجازيين والحاجين على أمل أن نجد منهم أذناً صاغية فيعملوا يداً واحدة على إيجاد التعارف المنشود ليكون سبيلاً للوحدة المرجوة والله من وراء القصد.

وتعاونوا على البر والتقوى

لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها «حديث شريف»

واليوم وقد مضت ثلاثة عشر قرناً ونيف على مبدأ الإسلام تغيرت فيها مقاييس الحياة، واستبدلت الخيل بالدبابات والمنجنيق بالطائرات، والسيف والرمح بالقنابل والقذائف، فإنه رغم كل مكابر «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح أولها» وصدق الصادق المصدوق. والعجيب أن يرى بعض المتفلسفين أن الرجوع إلى ما كان عليه أول هذه الأمة هو الرجوع الشكلي بما فيه من عادات وتقاليد ذلك العصر.

وأنا شخصياً أرى أن هذا غلطٌ فاحش، فصلاح هذه الأمة لا يكون برجوعها إلى الاتباع الشكلي الذي هو متعلق بالعادات والتقاليد في المأكل والمشرب والقيام والقعود، فلست أرى أن نجاح الصحابة رضي الله عنهم في تقويم دعائم الإسلام كان سببه ما كانوا يتخذونه من القواعد والتقاليد الشكلية، بدليل ما روي عنهم من التغيير في كل دور من أدوار الإسلام، فحالة أبي هريرة مثلاً قبل الفتوحات كانت غيرها بعد الفتوحات وقل هكذا في كثير من الأصحاب رضوان الله عليهم أجمعين.

إنما السر في تلك النفسية الإسلامية الصافية التي كانت ممتلئة شعوراً

بالواجب الإسلامي في كل طريق من طرق الحياة وفي كل فرصة من فرصها، وأظنني غير محتاج إلى توجيه نظر القارىء الكريم إلى ذلك التسابق من الصحابة رضوان الله عليهم حين كان يدعو الداعي أو تلم الملة، تلك النفوس التي كانت تكدح في الحياة بأشد مما نكدح ولكنها لم تستعبدها المادة في لحظة من لحظات هذه الحياة.

ألم يحدثنا التاريخ عن تجارة عثمان رضي الله عنه وسعتها، ثم ألم يحدثنا عن تبرعاته التي ستهلع لها إذا ذكرت قلوب عبيد المادة من أبناء هذا الجيل؟ ألم يحدثنا القرآن عن خصائص تلك النفوس العالية بقوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر، آية: ٩).

وما أشد حاجتنا في هذا الزمن الذي طغت فيه المادة على كل شيء إلى هذا الشعور العالي لنكون حقاً مسلمين تتمتع أرواحنا بوجوده فينا بالسمو الملائكي وأجسادنا باللذة الدنيوية ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة الحشر، آية: ٩).

ما من شك أن المادة (أو السفلية) إن صح هذا التعبير كانت السبب الوحيد فيما نراه من التقهقر والاضمحلال في المسلمين في هذا الزمان.

وإلا فأية نفس مسلمة هذه التي لا تسرع ـ وهي تسمع من حوادث فلسطين ما يدمي العين ويفتت الكبد ـ إلى حل كيسها لتدفع أقصى ما تملك في سبيل إنقاذ إخوانها المسلمين في تلك البقعة المباركة.

إذا كنا ونحن نقرر الحقيقة السالفة في تقهقر المسلمين واضمحلالهم، فمن الواجب فينا وقد حبانا الله شرف القلم أن نسجل هذه الظاهرة المجيدة في الأمة الإسلامية على العموم وفي الأمة العربية السعودية على

الخصوص ـ ظاهرة التعاون والتآخي التي طالما تألمنا لفقدها وسعينا في إيجادها لمساعدة فلسطين:

فهذا النداء في جريدة المدينة الغراء من الوجيه الشيخ عبد العزيز الخريجي وهذه القائمة بالمتبرعين في صفحاتها وتلك الصيحات المدوية في جريدة المدينة وصوت الحجاز، وذلك التسابق المتتابع من رجالات هذه البلاد المقدسة يبشرنا بحياة جديدة على ضوء الحياة الإسلامية الأولى.

ولا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وصدق الصادق المصدوق.

«حجوا قبل أن لا تحجوا»

(حديث شريف)

شاء القدر المحتم أن تندلع نار الحرب في القارة الأوروبية وأن يتعالى لهيبها فيشرف على الدنيا ويرمي أناساً بالشرر ويكتنس آخرين في الطريق ويملأ قلوباً بالفزع والروع.

والحرب الأوروبية كما تصور بالدعايات حرب بين الديمقراطية والأرستقراطية ولكن الصراع المتفاني والإلحاح في الخصومة كشف الغرض المستتر وبين المغزى واضحاً صريحاً، فهو صراع تجاري تسري كل دولة من ورائه إلى تقوية نفوذها والسيطرة على المواد الخام لتسد بها مطالب المعامل والفبارك التي هي في حاجة مستمرة إلى أسواق للتصريف والإنتاج.

ومهما يكن من أمر فإن هذا الظرف قد هيأ للشرقيين فرصة حميدة لتدعيم كيانهم والظهور بالمظهر اللائق كلمة ذات شأن لها مكانتها الممتازة في مجرى الحوادث العالمية، والمسلمون بالأخص قد أثبتوا لأنفسهم في غير فرصة من الفرص في هذا الظرف الأوروبي العصيب مكانة اجتماعية وأدبية واستقلالية ممتازة، فلم يلتفتوا إلى هذا النزاع القائم ولم يعطوا هذه الحرب أهمية إلا من ناحيتها الدبلوماسية، ولذلك

قد برهنوا على شخصية إسلامية ممتازة وأظهروا تقدماً محسوساً في طرق تفكيرهم وأساليب حياتهم وبرهن ملوكهم وزعماؤهم على إخلاص وتضحية يستحقان التقدير والإعجاب.

وموافقة شهور الحج لهذه الحوادث الأوروبية المريعة هيأت للمسلمين فرصة جديدة لإثبات كيانهم وتدعيم التدليل على شخصياتهم المستقلة وابتعادهم الأكيد عن شوائب التأثر والانفعال.

ولقد صمد زعماء المسلمين في كل قطر وفي كل فج للدعاية عامة للحج بكل قوة وحزم ووضحوا هذه الحقيقة الناصعة لكل مسلم استطاع أن يفهمها ولكل مسؤول استطاع أن يقدرها، وساعد ملوك المسلمين في ناحية وفي كل قطر كل من أراد الحج وسهلوا له كل صعوبة عرضت فتضاعف موكب الحج عما كان ينتظر وكان في ذلك مظهر رائع من مظاهر التضامن والاستقلال.

ثم إن المسلمين في حاجة في هذا الظرف إلى الانقطاع والتبتل والدعاء والإنابة إلى الله سبحانه وتعالى ليكسبهم الكثير مما خسروه وليعيد لهم مجدهم التليد، وما أروع هذا المعنى وأبهاه في هذا الموقف العظيم في عرفات.

والحجاز اليوم بفضل سياسة مليكه المحبوب الرشيدة وسهر حكومته الموفقة رغيد العيش مؤمن السبل فسيح الرحاب يجد فيه الحاج طمأنينة الحياة ولذة العبادة وهدوء النفس وراحة الضمير، وليس لمن تخلف من عذر وقد دعا الداعي وتفتحت الأبواب وازدهرت أيام العبادة وبدت ساعات التجلي تلمع في أفق عرفات.

أيها المسلمون :

لقد أذن مؤذن الحج ودعا داعيه، فهل علمتم أنكم مطالبون في هذا العام بواجب اجتماعي إلى جانب واجبكم الديني؟ هل علمتم أن هذا العصر عصر الدعايات وعصر القوة وعصر الجرأة والإقدام؟ وفي اجتماعكم بعرفات مثل رائع للدعاية الموفقة والقوة الموهوبة والجرأة التي يحسب لها ألف حساب.

وقد وفقتم إلى القيام بهذا الواجب الاجتماعي إزاء واجبكم الديني الأهم خير قيام فهنيئاً لكم وثوابكم عند الله جزيل.

أيها المسلمون :

من استطاع أن ينتحل لنفسه الأعذار الموهومة وأن يبرر تخلفه عن إجابة داعي الله بحوادث بعيدة عن الحقيقة والواقع، فإنه لن يستطيع أن يموه على الله، فلنكن كالمسلمين الأولين لا تزحزحنا الحوادث ولا يؤثر فينا الإغراء والتضليل.

التمر والحلوى في العيد

مناسبات الأعياد هي من أروع المناسبات التي تتجلى فيها المظاهر النفسية والميول الدينية والشعور الوطني للأمة التي تقدس هذه الأعياد وتعتبرها فرصة سعيدة لمظاهر الحرية والابتهاج وزمناً مطلقاً من القيود والرسميات للتهييص واللهو البريء، وبعبارة واضحة يوم العيد هو صفحة من صفحات حياة الأمة تتميز عن صفحاتها الأخرى بما تتضمنه من المعاني الحقيقية التي تمثل الأمة تمثيلاً صحيحاً بعيداً عن التكلف الزائف الذي يريد المتقعرون أن تظهر به وأن تتكلف معناه، وهي صفحة مكتوبة بالخط العريض يستطيع أن يقرأها كل من استطاع أن يلقي إليها بنظرة سريعة. والمتأمل يستخرج من هذا المنظر الرائع صوراً حية للأمة ترتسم فيها ميولها وآدابها وأخلاقها وديمقراطيتها، وبذلك يستطيع أن يحكم عليه حكماً صحيحاً مستنتجاً من قواعد دينها وتربيتها وآدابها وحضارتها، وربما كان هذا الحكم ـ في بعض الأحيان ـ غير موافق لهوى الأمة التي تريد أن تتزيف فتدعي لنفسها ما ليس فيها وتتمسك بآداب وتقاليد ليست هي من آدابها وتقاليدها في شيء، ثم تريد بما تطلى عليها من الأدهنة والألوان أن تفهم الناس أو تغالط نفسها على الأصح أنها محافظة على الصميم من عاداتها وتقاليدها.

ذلك لأن يوم العيد يوم بهجة وسرور وقل إن تحتفظ النفس بتوازنها إذا

اندفعت في سويداء القلب معاني البهجة والحبور، وإنك إذا أردت أن تمتحن أقعر المتقعرين وأردت أن تستجلي نفسه واضحة ـ كما خلقها الله ـ منسية عن التصنع والتكلف تحس مواضع الطرب والانبساط في نفسه ثم جره إليها وخذ بعد ذلك صورة واضحة جلية من تلك النفس، وقد يريك صدق المخبر صورة منعكسة تماماً عما كان يحاول أن يريك إياها ذلك الشخص الموهوم؛ وليست الأمة في هذه الظاهرة إلا مجموعة أفراد يجري عليها الحكم الذي يجري على أفرادها ومن ثم كان من الواجب على الأمة التي تريد أن تعطي لنفسها صورة مشرقة للناظرين والمتأملين أن تتمسك بآدابها وأخلاقها ومظاهر لهوها وتقاليدها وأن تكون في ذلك شديدة الاتصال بماضيها الحميد وقوميتها المكينة.

وعلى هذا القياس نجد الأمم المتحضرة تتفانى في التحفظ في مثل هذه المناسبات بتقاليدها القومية الصحيحة التي تمت إلى تاريخهم القديم بالصلة الدينية والاجتماعية والأخلاقية، وقد كنا قرأنا بالأمس القريب التقاليد الغربية التي امتثل لها ملك الإنكليز في عيد تتويجه، فلم نستطع أن نفسر ذلك إلا بالتمسك بالماضي في مناسبة عزيزة وإحكام صلة الأولين بالآخرين واعتراف من الأبناء بحقوق الآباء في ذلك الظرف الذي تبتهج فيه النفس فتوحي إليها النعرة الغريزية الاعتزاز بالآباء والأجداد وللنفس في ذلك لذة أيما لذة وإمتاع أيما إمتاع.

والمدينة المنورة تحتفظ في عيد الفطر السعيد بتقاليد وعادات هي من أروع ما يجب أن تتمسك به أمة جديرة أن تحتفظ بمكانتها الدينية والأخلاقية والاجتماعية ومظهر التزاور والتعاطف الذي تكاد تلتمس فوائده العامة في ايام العيد من أجمل هذه المظاهر.

وقد أرادت جريدة المدينة الغراء أو على الأصح أصحابها أن تضيف تقليداً جديداً على مجموعة التقاليد في هذا اليوم السعيد فوجهت دعوتها لاستعمال التمر بدل الحلوى في هذه المناسبة وكانت دعوتها ترمي إلى فكرة اقتصادية محضة ما أكثر ما شرحتها ووجهت النظر إليها.

والغريب أن هذه الدعوة التي لا نشك أن الأعمى يستطيع أن ينظر إلى فوائدها من عموم النواحي قد أوجدت مجالاً للتضامن بين الداعين لاستعمال التمر والمتشبثين باستعمال الحلوى، والأعجب والأغرب أن بين هؤلاء المتشبثين شباباً مثقفاً وشيوخاً ناقمين.

يقول البعض من هؤلاء:

ما الذي يا ترى يستفيده الفلاح من هذه الدعوة؟ وما هو المقدار الذي يمكن أن تصرفه المدينة في هذا الظرف والتمر موجود في كل بيت؟ ونجيب هؤلاء بأن المدينة في الواقع لا تصرف شيئاً من التمر في هذه المناسبة ولكنها من غير شك تحفظ مئات الجنيهات الحجازية من التسرب إلى الخارج.

وسلوا إن شئتم تجار الحلوى فإنكم ستسمعون منهم ما يهول!!!

ويقول آخرون:

امنعوا الكولونيا وامنعوا... وامنعوا... وما هذه التافهة التي تصدرتم لها! أهي الحلوى كل ما يجب أن تحاربوا من الواردات الخارجية.

ونجيب هؤلاء بأنه من الواجب علينا أن نحارب كل ما نستطيع من الواردات الخارجية، ولكن ليس معنى هذا أن نقوم بالحرب على الكل أو أن نسكت على الكل فليس هذا طريق الإصلاح، فالخمر وهو أنجس شيء

لم يحرم في الإسلام إلا بعد زمن طويل، والطريق المعقول للمصلحين هو البدء بما يستطاع سبيلاً وجعله إلى ما لا يستطاع.

وأغرب من هذا أن الناس يقولون: إن مناسبة العيد في السنة مرة واحدة والتمر في وجه المدني في كل يوم فهو إنما يتفكه في هذا اليوم بالحلوى ويستدلون على رأيهم هذا بأن كثيراً من كبراء الداعين إلى التمر لا يأخذون التمر بل يكتفون بوضع أيديهم عليه.

وجوابنا لهؤلاء غريب كغرابة رأيهم، إلا أننا نحب أن يفهم هؤلاء الأفاضل أن الناس في غنى عن حلاوتهم التي يظنون أن الناس يقضون العام في انتظارها فقرش أو قرشان يغني النفس بالحلوى وليس التلهف ورغبة أكل الحلوى هي التي تدعو الناس إلى زيارة منازلهم في العيد، وإنما هي عوائد وتقاليد، والتمر والحلوى في الموضوع سواء. ثم تقول إن الذين يضعون أيديهم على التمر يضعون هذه اليد الاستغنائية على الحلوى نفسها.

أما دعوتنا نحن للتمر فتشمل الفكرة الاقتصادية والفكرة التقليدية والدينية التي سبق أن نوهنا عنها في صدر هذا المقال.

نحن نقول إن التمر يجب أن يكون شعار العروبة لأنه من أهم منتوجات بلاد العرب، وتمر المدينة بالخصوص يجب أن يكون شعاراً للعالم الإسلامي عموماً لما جاء فيه من الأحاديث النبوية والآثار الإسلامية، فإذا كان استعمالنا للتمر في هذه المناسبة مبنياً على هذا الأساس واستطاع العربي والمدني بالأخص ـ أن يقنع نفسه أن استعمال التمر في هذا اليوم أمر محتم لا بد منه بالاحتفاظ بشعار العروبة في أعز مناسباتها يستطيع بمرور الزمن أن يثبت في نفوس أفراد العالم

الإسلامي بضرورة مجاراة هذا التقليد في هذا العيد ـ وعمل أهل المدينة حجة عند البعض فإن إثبات هذا التقليد عند جميع المسلمين جدير أن ينفق تمر المدينة كله في هذا الظرف كما ننفق نحن الآن حلوى المعامل ـ وفي هذا ينتهي سر هذه الدعوة ويتوضح مغزاها.

وأما فيما ورد من الآثار عن نصح الرسول ﷺ في هذا اليوم، فدعاية أي دعاية ومن آثار السلف استعمالهم التمر في هذا اليوم ملجأ أي ملجأ.

وبعد فإننا لا نرى بداً من أن نسجل بالتقدير والإعجاب ما أبداه صاحب المعالي أمير المدينة المنورة الأمير عبد الله السديري من التأييد والتشجيع لفكرة استعمال التمر بدل الحلوى وجعل ذلك رسمياً في عيد الحكومة، وفي ذلك دليل واضح على ما يتغلغل في نفس معاليه من حب كل أمر من شأنه إعلاء شأن هذه البلاد.

ونحيي كل فرد شجع فكرة التمر وحارب في سبيلها، فهو جهاد في سبيل الله والوطن، وفقنا الله جميعاً لما فيه نفع بلادنا وأيد مليكنا المحبوب وأمد في عمره وحفظ ولي عهده المحبوب ونائبه العام.

التشجيع الحكومي للأدب والثقافة(*)

بمناسبة تقرير عشرة آلاف ريال للمؤلفين سنوياً

ليس في مقدور الباحث عن مدى تشجيع الحكومة للأدب والثقافة في هذه البلاد أن يؤتي البحث حقه دون أن يتطرق إلى التعرض لما كانت عليه الحالة الثقافية والاجتماعية والأدبية قبل تسلم الحكومة الحاضرة زمام الأمر، والتعرض لمثل هذا البحث فيما اعتقد عرض غير مشرف ولكنه حقيقة واقعة وأمر لا بد منه لإعطاء هذا العنوان الذي فرضته إدارة المنهل الغراء حقه من البحث والإيفاء.

إن الحالة العامة في البلاد العربية التي قدر لها أن تكون تحت نير الحكم التركي في عهودها السابقة حالة تكاد تكون متشابهة الصور متوحدة الأهداف تسير إلى غاية واحدة هي تفكيك عرى الوحدة العربية وتتريك العروبة، وتفكيك الوحدة وهدم الكيان لا يتأتيان إلا بالجهل المطبق والفقر المدقع وسياسة التوجيه للباب العالي وقد كفل الحكم الطويل للأمة الحاكمة ما أرادت فلم تترك بلداً عربياً تخلت عنه إلا والفقر المدقع

(*) من مواد العدد الممتاز.

المصدر: المنهل المجلد ١٠ عدد ١ محرم ١٣٦٩هـ.

والجهل المطبق ثابت الأركان في العامة من طبقات الشعب والشقاق والنفاق والشره والطمع والتنازع والتناحر على الكراسي في الطبقات العليا وهذا أمر تعاني أثره البلاد العربية اليوم في نفوس زعمائها الذين قدر لهم أن ينشأوا في ذلك الوسط الموبوء رغم الخطوات العلمية الجريئة التي خطتها البلاد.

أما بلادنا فبحكم وضعها الديني فقد كانت أسوأ حظاً من البلاد العربية الأخرى ذلك لأن ساسة ذلك الوقت كانوا يعتبرونها البلاد الإسلامية الأولى التي لها حق الزعامة والحكم الذي كانوا يشعرون في قرارة أنفسهم أنهم قد اغتصبوه وكان ثوب العنت الذي لبسته هذه البلاد ثوباً أنيقاً جذاباً ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب، فكنت ترى العطف الحكومي قد تجلى في هذه المخصصات الكثيرة باسم خيرات الحرمين التي أنتجت الكسل والخمول، وفي ترك حبل الظالمين على غاربهم باسم الرأفة والعطف على سكان الحرمين التي أنتجت قسوة وجبروتاً ليس لهما في الدنيا مثيل وفي المحسوبية والظرفية التي أنتجت جهلاً مطبقاً وغروراً مبيناً، عبيداً في زي سادة وجهلاء في زي علماء ومعطوفاً عليهم في زي عاطفين حياة كلها زيف وكلها تناقض وكلها غرور، وتخلت الحكومة التركية عن أمة بلغت حدها في الترف والجهل والغرور، انشقت أحزاباً وتفرقت شيعاً فكانت أشبه بطفلة لعوب اختار لها سيدها أفخم قصوره وأحاطها بأبهج الرياش وأعز الحلى، وكان إن دار الزمن دورته فتخلى عنها هذا السيد وسلب منها رياشها الفاخر وحليها الثمين فعاشت كالكسيح تعلل نفسها بالأماني وتهدئها بعودة الأيام وترى في كل جديد عدواً لدوداً، فدخول المدارس عندها سبيل الخروج عن الدين واستعمال السيارات استعمال للشرور واستعمال

الطائرات تحد للخالق في جوه اللانهائي، وأمة هذا شأنها ماذا عسى أن يتعلم أبناؤها وماذا عساهم أن يعملوا لفك القيود التي كبلتها بهم دهور الجهل الطويلة!.

لقد لمح بارق الأمل في الثورة العربية ولكن ماذا عسى أن يعمل زعماء قد تربوا في ظلال الباب العالي وتأثروا في تربيتهم بحياته المعقدة وسياسته الخرقاء، إنهم لم ينجحوا فسياسة قد تحقق فشلها لا يمكن أن تنجح خططها من جديد وأعتقد أن الحكومة السعودية كانت السند الأول لتلك الفئة من الشباب الذين تفتحت أعينهم فرأوا شعاع العلم الوضاء يشع من حولهم وقد حرصوا على الارتواء من مناهله.

هذه حالة الشباب العربي السعودي عندما تسلمت الحكومة العربية السعودية زمام الأمر في هذا البلد، وفتحت الحكومة صدرها للشباب ومدت يدها بلباقة وحذر تنشل كل من لمست فيه الخير والإخلاص لبرنامجها الإصلاحي العام فبدأت البعثات الإفرادية وتشجيع الشباب الذي كان مغترباً في ذلك الوقت في سبيل العلم وتطورت الثقة فتطور التشجيع فكثر عدد المدارس وكثر عدد البعثات وتعددت اختصاصات المبتعثين وخطا المتعلمون خطوات جريئة فسمعت عن أول مؤلف حجازي تلاه مؤلف ومؤلف وهكذا بدأت الحركة الفكرية تأخذ طريقها في النمو.

ولا شك عندي أن الفضل فيما وصلت إليه حالة التعليم والتأليف حتى الآن عندنا هو للحكومة وحدها ذلك لأن الأمة حتى الآن لا تزال في حاجة إلى تطور مفتعل في تفكيرها القومي، والاجتماعي.

ولو أردت أن أضرب لك مثلاً بالمتعلمين الحديثين في الخمس والعشرين سنة الماضية لما استطعت أن أخرج لك متعلماً واحداً لم يكن

للحكومة يد في تعليمه وكذلك قل في المؤلفين وأصحاب الصحف، وما بالك في أمة وضعت عبء تعليم أبنائها الفقراء منهم والأغنياء على الحكومة وما بالك في حكومة قد تحملت العبء كاملاً؟ إنه يا صديقي ليس تشجيعاً ولكنه تضحية، إذ إن المفروض في الحكومات أن تعتني بالمصالح العامة وعلى الأمة المتيقظة أن تساعد الحكومة في تعليم أبنائها.

أنا لا أقول إن ما قامت به الحكومة في هذا الباب على مدى الخمس والعشرين سنة الماضية قد أنتج من الرجال ما يتطلبه هذا المدى الطويل من السنين غير أن تضحية الحكومة في سبيل نشر الثقافة والتعليم وتشجيع الصحفيين والمؤلفين أمر واضح ملموس لا غبار عليه ولو أردت أن تفتش إلى جانبه ما أهملته الأمة في هذا السبيل لخرجت تنعى المصير ولعرفت في أي مستوى تستطيع أن تضع أمتنا العزيزة.

لتعش ربع قرن آخر يا أبا نبيه وسترى أن تشجيع الحكومة بل تضحيتها كالثقافة والتعليم والتأليف والنشر ستضاعف لأن الثقة بين الحكومة والشعب قد أخذت طريقها المستقيم ولكن هل يتغير موقف الأمة إزاء هذا الواجب المحتم الذي هو الأساس الأول للنمو والحضارة؟ وهل تستطيعون أنتم يا حملة الأقلام في مدى هذا الزمن أن تنفخوا روح الشعور بواجب العلم والتعليم في جسم الأمة الميت! هذا ما نريده ونتمناه فهل يتحقق هذا الحلم اللذيذ؟ وفقنا الله جميعاً وهدانا سواء السبيل.

على هامش العادات والتقاليد:

تقاليد الزواج واجبنا نحوها

لست من المحبذين للفكرة القائلة بضرورة القضاء على فكرة إقامة الحفلات العامة في مناسبات الزواج وما شاكلها من مناسبات الأفراح؛ فأنا أرى أن الإنسان إنما يعيش ليتمتع، وما فائدة المال والسعي لجمعه إن لم تظهر بعض نتائجه في مثل هذه المناسبات التي هي أعز مناسبة يحب الإنسان أن يصرف فيها، ولكني في نفس الوقت أرى أن الواجب الاقتصادي والسير مع ضعفاء الأمة عملاً بالأثر سيروا بسير ضعفائكم، يقضي حتى على الأغنياء المتمولين أن يهذبوا هذه الحفلات ويشذبوا حواشيها ويجعلوها حفلة فرح وابتهاج أكثر منها حفلة صرف وتبذير. وكثيراً ما كنت أفكر لو استطاع رجالنا أن يخففوا وطأة الأعباء التي يخرج بها بعد أسبوع الزواج والدا العروسين وخصوصاً الفقراء منهم فنفكر في طريقة تختزل فيها مصاريف العقد والزواج وتتوسع فيها البساطة ووسائل الابتهاج. وما ضر الناس لو اجتمعوا على سمر ولعب وقصائد أدبية وخطب اجتماعية وتفننات فيها من وسائل الضحك والابتهاج على قدر ما يتسعه المجال والمقام، تدور فيها كؤوس القهوة والشاي المعقول. بدلاً من أن يجتمعوا على الأكل والشرب ويكلفوا أصحاب الحفل بالأثقال المادية المرهقة.

وكثيراً ما عنَّ لي أن اقترح على أصدقائي الأعزاء أن يتضامنوا في ضم حفلة العقد وحفلة الزواج إلى حفلة واحدة يدعى لها ليلاً الأحباب والأصدقاء

وتمتد إلى الساعة السادسة مثلاً يتفنن فيها أصدقاء الطرفين في إيجاد الألعاب المناسبة والخطب والقصائد وتنتهي بدخول العريس في هذه الساعة على عروسه. وفي الصباح يقيم أهل العريس حفلة عائلية تعارفيه يجتمع فيها أقرباء العريس والعروس للتعارف وبذلك تتم وليمة العرس المسنونة.

والعجيب أن هذه الفكرة التي ترددت في خاطري كثيراً ولم تواتيني الظروف لإبدائها قد عمل بها في زواج نجله صاحب العزة الشيخ يوسف بصراوي والسيد عبد الله حافظ في زواج كريمته المصونة فكانت فكرة موفقة وزواجاً ميموناً.

ولا غرو أن يبدأ بهذا الشيخ يوسف بصراوي، فكل من يعرف الشيخ يوسف من الشباب يعرف فكره الثاقب ونظراته الصائبة وآراءه القيمة في حياتنا الاجتماعية وأكثر من هذا فقد علمت أن والديّ العروسين وقفا كالصخرة الصماء أمام أصدقاء الوالدة ومن يريد أن يفرح في ابنتها العزيزة فلم يقبلا أن يوضع على ابنتهما العزيزة حاجة واحدة (عارية)[1] لا عقد ولا.. ولا.. (ألبسوا بنتنا ما عندنا، الشيء الذي إذا لبسته لا تحتاج إلى خلعه) وكان أخذ ورد على هذا التشبث الفارغ في نظر الأصدقاء الذين يريدون أن ينتهزوا هذه الفرصة ويفوزوا بالجميل فتمتما وكان المراد فوقيا نفسيهما شر العارية ووقيا أصدقاءهما ذل السؤال.

ألا حي الله الشيخ يوسف بصراوي والسيد عبد الله حافظ وأكثر الله من أمثالهم في رجالنا الناهضين.

---

(١) العارية: من الإعارة حيث كانت الأمهات يستعرن بعض الحلي ليلبسن بناتهن في الحفلات أو الزواج إذا لم يكن لديهن ما يلبسنه لهن.

في موكب الأفراح

هذا الشعور المتدفق وهذا التهليل العميق الذي قابل به الكتاب والصحافة تعيين الأستاذ السيد أحمد جمجوم وزيراً للدولة وعضواً في مجلس الوزراء فيه دلالة واضحة على الفرحة التي عمت بهذا الاتجاه الجديد في تقدير العاملين.

فسر البعض هذا التقدير بأنه اتجاه نحو الشباب الجامعي وفسره آخرون بأنه تقدير للعلم والمعلمين، وأنا لا أنكر على الشباب جهادهم في سبيل الحصول على الشهادة الجامعية، ولا أنكر على المثقفين من غير الجامعيين ما أحرزوه بكفاءتهم من مكانة علمية عالية، لكني أحب أن نستخلص من هذه المناسبة حقيقة فاتت على الكثيرين منا بحكم حداثة نهضتنا، نحسب أن الشهادة صانعة المركز العالي المرموق، وحق على الأمة والحكومة أن تستقبل حملة الشهادات لترفعهم على أكتافها وتجلسهم على عرش الوظيفة المرموق.

إن الأمم المتمدنة لا تحسب التعليم إلا أمراً محتماً على كل فرد ليكسب به صفة الإنسان الذي يعيش في هذا العصر ويستطيع أن يثبت وجوده بين سكان هذا العالم وإن لم يفعل فلا فرق بينه وبين أي كائن حي لم يرتق إلى درجة الإنسان على ما أظن، فسبيل العلم والمعرفة هو تناول التهيؤ

والاستعداد. وكل ما بين صاحب الشهادة وبين أي إنسان من فرق هو أن صاحب الشهادة العالية قد استعد لاستقبال الحياة بسلاح أستخلصه من دراسته لعلوم الحياة وفنونها واكتسب خبرة وتجارب الأجيال من قبلنا واستنار بها. أما من لم تتح له سبل التهيؤ والاستعداد فنزل ميدان الحياة أعزل فإن سبيله إلى النجاح ما من دراسته لعلوم الحياة وفنونها واكتسب خبرة وتجارب الأجيال من قبلنا واستنار بها. أما من لم تتح له سبل التهيؤ يمر به من حوادث وتجارب تتكيف كيفما هيأتها البيئة والظروف. فالفرق بينهما من هذا الوجه كالفرق تماماً بين الجندي النظامي المدرب الذي نزل ميدان الحياة بسلاحه وعتاده وبين المحارب الساذج الذي دفعته إلى ساحة الميدان ضرورات الحياة فتصدى لها واستوحى من وقائعها أسباب نجاحه.

وكلا الرجلين في نظري معرض لأسباب الفشل والنجاح، فإننا لا نستطيع أن نحكم على حامل الشهادة بالنجاح بمجرد استقباله للحياة العملية إذ قد يفشل وقد يكون فشله ذريعاً لكنه فشل مضاء بنور العلم يستمد منه الهمة والعزم للكفاح من جديد ـ وقد يفشل الرجل الآخر ولكنه فشل مظلم يؤسس الحقد والكراهية في نفس صاحبه فينفث سمومها على المجتمع البريء. وكما يكون فشل المثقفين مضاء بنور العلم فكذلك يكون نجاحهم ـ فالمثقف المتحلي بالخلق العالي لا يمكن أن يكون نجاحه أبداً سبباً للانتقام والتشفي، لأن العلم سيكون سبيله في تقدير الخصومة الشريفة وتقدير التضحية الفردية في سبيل المجتمع العام.

وكما يكون فشل غير المثقفين من الناس فشلاً مظلماً يؤسس الحقد والكراهية في نفس صاحبه، فكذلك يكون نجاحهم فقد يقودهم هذا النجاح إلى التشفي والهدم وحماية وتمكين من يتوهمون أنهم من المخلصين

الأوفياء فيقوون بذلك في المجتمع عنصراً خفياً من المرتزقة والمنافقين والهدامين.

ما أردت أن أقوله واستطردني البحث إلى غيره هو أن على الشباب أن يفهموا أن الشهادات العالية والثقافة الواسعة ليست هي سبل الثقة والتقدير، وإنما السبيل المحتم لذلك هو الجهد والجلد والإخلاص والخلق العالي والإنتاج.

وعلى قدر ما أفهم، فإن الحكومة لم ترفع إلى هذا المنصب الجليل السيد أحمد جمجوم لثقافته الواسعة وشهاداته الجامعية فحسب، بل كان الحساب الأول في هذا التقدير هو ما أثبته هذا الشاب المكافح من الجهد والصبر عليه والاستقلال في الذات والترفع عن المباذل والتضحية في سبيل الوصول إلى الهدف!

لقد بدأ هذا الشاب حياته مديراً مساعداً لضريبة الزكاة والدخل فلم يتأفف ولم يتشدق بل نزل ميدان العمل بجهد صامت حتى إذا أبرز عملاً صالحاً ارتقى به إلى كرسي المدير العام وهو مركز كما نعرف جميعاً تهون دونه المطالب لدى الكثيرين! ولكنه لم يفكر فيه ولم يتشبث به عندما دعاه داعي الوطن لكفاح من نوع جديد.

كفاح لا يضمن نتيجة حاسمة ولكنه قمين بوجوب التضحية من أجله فلبى النداء ووضع غير آسف سني خدمته وثمرة جهاده على كرسي الرئاسة وغادرها إلى ميدان العمل الحر فكافح ونجح! وكان هذا النجاح طوراً شامخاً على أرض الوطن لا يمر بساحته إنسان واعٍ إلا ويرفع يده بالتحية ويذكر العاملين فيه بالاعتزاز والفخر والإعجاب.

إنك إذا أردت أن تتلمس سر النجاح في العمل فتلمسه في خلق وجلد وكفاءة وإخلاص العاملين فيه.

وهذا السر في نجاح معمل الإسمنت هو الذي رفع صاحبه إلى مرتبة أكبر في قلوب المواطنين.

إن الذي أريد أن أقوله للشباب الذي تسيطر عليه فكرة التطلع إلى المراكز العليا بشهاداته التي يحملها. إن الشهادات لا تعني إلا أن تكون سلاح الجهاد فابدؤا بها السلّم من أوله وأبرزوا بنتائج أعمالكم وهذه النتائج هي التي ستخطو بكم إلى الصدارة.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة التوبة، آية: ١٠٥).

لو كانت الشهادة العالية وحدها هي الوسيلة إلى المقام الرفيع لكان لها جامعيون سابقون ولنال التقدير من لا يستحقه.

وتحياتي وتقديري وإعجابي لمعالي السيد الوزير أحمد صلاح جمجوم.

رمضان . . أيام زمان

تدور عجلة الزمن فتنهي في دورتها اثني عشر شهراً لنستقبل شهر رمضان المبارك، شهر الخيرات والبركات. ولقد كان لهذا الشهر المبارك صولة وجولة في نفوس أكابرنا حدثونا عنه حديثاً كله بر وتقوى وتجرد. فقد كان أغنياء الحارة في كل بلد من بلدان هذا القطر المقدس يجندون أنفسهم وإمكانياتهم لعمل الخير، الخير بكل معانيه فكان كل كبير في الحارة يتحسس بنفسه حاجات جيرانه وأبناء حارته ويسعى بجاهه وماله ليسد كل مطالب أصحاب الحاجة من الأقارب والمعارف والجيران ـ فيهيئون الغذاء والكساء والرخاء للمعيلين والفقراء ـ فكانت الزنابيل تملأ بالأرزاق ـ ليطرق حاملها الأبواب المعنية فيوصلها إلى أهل الدار هدية رمضان المبارك، وكثيراً ما كان أهل الدار لا يعرفون عن المرسل شيئاً وربما كان ألصق جار بهم. ولم يكن هذا سعيهم فحسب بل كانوا يتحرون أصحاب الديون العاجزين فيسددون ديونهم ويتابعون المحكوم عليهم بالحبس والغرامة فيتوسلون بجاههم ومالهم لإطلاق سراحهم وإدخال السرور على عوائلهم وأطفالهم.

وكان الحكام يتجاوبون كل التجاوب مع هذه العواطف فلا يردون سعي ساعٍ أو يخيبون أمل آمل بل كانوا يشاركونه بالتسامح والمال والتوسط لدى

من هم أعلا مقاماً منهم ـ وكانت عاطفة الخير تطغى على الكثيرين فيقف عند بابه كل يوم قبل موعد الإفطار بوقت كافٍ ليرجو عدداً من جيرانه أن يشاركوه طعام الإفطار ولا يرضى حتى يجتمع إلى مائدته نفر ألزم بهم نفسه كل يوم ـ وكانت هذه المشاركة بهذه الروح العالية الكريمة تُنسي الفقير فقره والمهموم همه والمعيل ثقل عياله فيعم الابتهاج ويكثر التزاور وتذوب الفوارق ويعيش المواطنون وقد سمت نفوسهم وتقاربت أرواحهم، ولم يرض أحد منهم أن يبقى بينه وبين خدين له ورفيق سوء تفاهم أو انقطاع مودة فيسعى المخطىء والمصيب إلى دار رفيقه لتصفى نفسه ويعيد أسباب المودة المنقطعة ويودع كل منهم الآخر فيقول رمضان كريم، ويشكر المتخلف السابق على فضل السبق.

وكان التجار حين يعرضون بضائعهم التي تستوجبها تقاليد هذا الشهر يتوخون أن يستطيع صاحب العيال المقل فيأخذ كفايته مما هو في حاجة إليه بكل وسائل التساهل والتسامح، وهكذا كان هذا الشهر المبارك شهراً ميمون البركات عام الخيرات يهلل له الكبير والصغير ويرفل في خيراته الغني والفقير، فلياليه كلها محافل وساعاته كلها ساعات مرح وبشر وحبور، المساجد ملأى بالمصلين والبيوت ملأى بالزائرين، تضج الحارات بالأطفال من كل سن يلعبون ويمرحون لا تهدأ الحركة من بعد صلاة التراويح حتى صلاة الفجر في فرح ومرح وابتهال.

وما نحن فيه اليوم:

ونحن وإن لم ندرك كل ما رواه لنا الأكابر فقد أدركنا شبحه الماثل في كل رمضان استقبلناه في صدر الشباب، فإن جائحة الحروب المتتالية حدت من مواقف البذل والتضحية ولكنها لم تمح الآثار تماماً.

واليوم وقد طغت المادة على كل شيء فإن آثار هذا الشهر المبارك قد بدت باهتة خفيفة الظلال لا تكاد تلمس، فالفقير والمعيل تثقل همومه وتكبر حاجته وتقل قدرته فلا يكاد يحس بروحانية ولا ينتظم له حساب. والغني المترف تثقله التخمة فلا ينفك في نهاره من الاستعداد بأصناف الطعام وفي ليله من تخمة الطعام من كثرة ما يأكل. والتاجر يجمع كل طاقاته لينتهز فرصة مطالب هذا الشهر فيشتد ويقسو ليربح أكثر ـ لقد تناسى الناس أنهم يعيشون على هذه الأرض أمداً محدوداً وتناسوا أنهم في حاجة إلى ما يقدمون من حسنات يوم لا ينفع مال ولا بنون ـ نسي أنه جاء إلى هذه الدنيا قطعة تافهة لا يملك من أمره شيئاً فسخر الله له من عني بأمره وأكمل رجولته ثم اسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة.

يخيل إلي أننا نبتعد عن الله كلما فتحت لنا الدنيا أبواب كنوزها وفجرت لنا الأرض ينابيعها ـ إنه مطلوب من كل منا في هذا الشهر المبارك، أن يسأل نفسه: لماذا أنا أعيش؟ ما هي رسالتي في الحياة؟ أحقاً جئت لآكل وأشرب وأجمع المال ثم أموت جيفة كما يموت الحيوان؟! لا.. إن الإنسانية تتنافى مع هذا، فرسالة الإنسانية في هذه الحياة هي البناء والتضحية وفعل الخير للخير..

إن الذي يكد ليجمع المال ويكدسه ظناً منه أنه يبني مجد أبنائه قد خاب في ظنه فمجد الإنسانية في الجهد والكسب والعطاء والبذل أن الذي يفعل هذا محروم من جهده وكده، فكما هو مطلوب منك أن تترك لولدك من المال ما يستطيع أن يجعل منه وسيلة لكده وجهده.. مطلوب منك أن تقدم لآخرتك مما كسبت يداك فهو خير ثمرة تجنيها من هذا المال ـ هذا إذا كان المال حلالاً صافياً ـ أما إذا اختلط فيه الأمر فقد يكون فعل الخير

فيه تكفير لسيئاته وتخفيف عنك من عذابه. إنه مطلوب منك أيها المواطن أن تعيش مع الله في هذا الشهر المبارك فتعيش رحيماً عطوفاً باذلاً معيناً. لا تتردد، فما تبذله في هذا الشهر المبارك سيضاعف أجره وتعوض مادته إنه فرصة القادر، إنه نور الإيمان يشع في قلوب المؤمنين القادرين.. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ (سورة آل عمران، آية: ٨) ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ (سورة الحج، آية: ٤٦) ـ إن هذا الشهر المبارك هو فرصة القادرين ومفتاح سعادة المعذبين الحائرين فلنجهد ألا تضيع علينا هذه الفرصة العزيزة الغالية فقد تكون ساعات العمر المحدودة قاب قوسين ولات ساعة مندم.

رمضان.. الشهر المبارك.. وما بعده:

عهدي بهذا الشهر المبارك يمتاز بين شهور العام بروح الطيبة والسماح والقناعة والتعاون التي تسود بين الناس، فإنك أينما ذهبت خاصة في ساعات النهار تكاد تحس بهذه المعاني وتلمسها لدى التاجر والبياع والحامل والعامل ـ تحس أنهم جميعاً يشاركونك في العبء ويتحملون معك مسؤولية الحياة؛ فالتاجر لا يغالي وأنت لا تساوم والبياع والعامل والحامل لا يطمعون ولا يعاندون ويتم التفاهم في هدوء ورضى.

وعهدي بالناس من كل الطبقات يتوجهون بكليتهم في هذا الشهر المبارك إلى الله فيحرصون على حضور الصلوات الخمس في المساجد ويسمعون دروس الوعظ والإرشاد فيزيد صفاء نفوسهم وتسمو أرواحهم حتى لتكاد تنعدم العلاقة بينها وبين المادة التي تحجب العيون وتثقل النفوس.

وعهدي بالحكام يحاسبون أنفسهم ويلجأون إلى الله خائفين تائبين ضارعين يسألونه التوفيق والهداية.

وعهدي بالعلماء والمرشدين يطلقون ألسنتهم ويفتحون قلوبهم فيخلصون الوعظ والإرشاد ويتفانون في الهداية والتذكير، وبهذا التفاني من ناحيتهم وبذلك الإقبال من ناحية الجمهور تضيء معالم رمضان وتتسابق فضائله في الظهور فنحيا حياة مثالية نود لو لم تنته وتجري على الألسنة في براءة وطهر هذه الأمنية يا ليتك يا رمضان ثلاثون في ثلاثين. كنا نود أن يكون هذا المظهر الرائع الذي اختص به هذا الشهر المبارك يستمر تأثيره حتى نهاية السنة في كل شهورها ولكن مع الأسف الشديد قد بدأ يضمحل هذا المظهر وتخبو جذوته في هذه السنين الأخيرة ـ وافتقدنا روح الطيبة والسماحة والقناعة والتعاون بين الطبقات وافتقدنا توجههم نحو الله فلم يعودوا يعمرون المساجد كما كانوا يعمرونها ولم تعد للنصح والنصائح والوعظ والوعاظ تلك الجاذبية والقوة التي كانوا يقودون بها الناس إلى التوجه إلى الله والسمو بأنفسهم وأرواحهم.

فهل نحن مصرون على انصرافنا إلى المادة هذا الانصراف المجنون؟

اللَّهم إنا نعوذ بك من شرور أنفسنا. ومن سيئات أعمالنا.

ماذا ننتظر للعالم الإسلامي والعربي ماذا في عام ١٣٨٨هـ؟

هذا سؤال تقدمت به (المنهل) جرياً على عادتها في كل مناسبة تريد به الإنارة والتوجيه كما جاء في خطاب رئيس تحريرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري. وأنا بدوري أقول: هل سأل السيد رئيس التحرير نفسه هذا السؤال ولو سئل فبمَ كان يجيب؟ هل يتنحنح ويستقيم في جلسته ليقول أوه إن التفاؤل يجب أن يكون أساساً في هذا الجواب، نعم إن مستقبل العالم الإسلامي والعربي زاهٍ وزاهر جداً. ستكون الفتوح وستكون الانتصارات وسيسير كل شيء على ما يرام؟ أم أن رئيس التحرير يعتزل بنفسه ويخفض رأسه في تفكير وتأمل عميقين يستعرض فيهما حال العرب والمسلمين وما هم عليه من تفكك وتفتت وتفرق شمل ومجانبة في الأقوال والأعمال، ثم يكون الجواب صريحاً صادقاً مدوياً يصدع فيه بالصدق والإخلاص قلب كل عربي وكل مسلم ليستيقظ من غفلته ويستنكر كل ما يفعل مما لا يتفق ومبادىء الإنسانية. ومبادىء الإنسانية ليست إلا مبادىء الإسلام.

لقد مضى على المسلمين عصر كانوا فيه تحت ضغط الاستعمار المباشر، فالاستعمار هو الذي كان يخطط، وكانوا هم المنفذين، ولقد وجد في هذا العصر الاستعماري بعض العلماء الذين كان الاستعمار يلجأ

إليهم لإصدار الفتاوى لصالحه وللضغط على كل عالم قد لا يرضخ لبحبوحة الاستعمار وسعة العيش عنده فيصدع بالحق ويوجه إلى الهول الذي يجر إليه الاستعمار، وبذلك ينخفض صوت الحق ويرتفع صوت الضلال!

ومر هذا الدور والمخلصون العاملون من المسلمين في كبت وحرمان وتشرد، وصب المستعمر أمواله على الجهلة والزائفين وسودهم وأعطاهم حق الأمر والنهي في الخاصة والعامة فساروا على منهاجه وضيعوا وأضاعوا، كان هذا العصر أسوأ عصور الإسلام في تاريخه الحديث.

واليوم وقد تبدلت أحوال الدنيا ولم يعد الناس يطيقون حياة الفرقة التي كان الاستعمار يسخر بوساطتها عامة الشعب لمصالحه وغايته لم يستطع الاستعمار أن يقابل ثورة الثائرين وعناد المعاندين فشد رحاله ومضى، ولكن التركة التي تركها تركة ثقيلة يائسة والأصابع التي تركها تلعب خسيسة دنيئة، فتزاحم أكثر الحكام بعد الاستعمار على الرئاسة والحكم يدعي أنه المصلح النافع، ففي الهند مثلاً وجدت دولة الهند والباكستان ووضعت عقدة كشمير لتكون محل النزاع الدائم والأنانية الخبيثة. وفي الشرق العربي وجدت إسرائيل لتهدم كل بناء وتحرم كل بلد من بلدانه الهدوء والاستقرار. وفي إفريقية وفي كل بلاد عربية مسلمة صور من هذه العقد لم يبخل الاستعمار عن تنميتها وتغذيتها في كل لحظة وفي كل مناسبة.

إذن فحال العرب والمسلمين اليوم أسوأ وأسوأ: خصام بين الحكام ومطامع لا حدود لها فيما عند الغير، شيوخ في يأس وعزلة، وشباب في قلق وحيرة وانغماس في تيار الشهوات، تسابق لاقتناء المال من غير سبيله وتهور في الاستخفاف بالقيم والأخلاق، غلو في البعض، وتفريط في

البعض، هذه يا عزيزي القارىء حالة المسلمين والعرب ولا يصلح المسلمون ما لم يصلح العرب ولا يصلح العرب ما لم يصلح المسلمون. الاستعمار بجميع أشكاله بدأ يغزونا بعقائد نوَّع أسماءها: ديمقراطية واشتراكية وشيوعية، هذا الاستعمار الذي أسس الفرقة المغرورة الجاهلة في الشرق بل وفي كل دول الإسلام، أوجد هذه العقائد لتكون موضع النزاع الدائم بين أفراد كل أمة، بل كل بلد وسبيل؛ حقد دائم، ونزاع لا ينتهي، وبهذا ضمن المستعمر أسباب الهدم وموجبات عدم الاستقرار. إن مستقبل أمة هذا شأنها يتوقف على مساعي أولي العزم من الرجال.. هؤلاء الرجال الذين لا يخلو منهم زمن مهما طغت شروره، وكثرت آثامه، إن الفيصل في دعوته للتضامن الإسلامي وبذله الرخيص والغالي في سبيل تحقيقه يضع أسس البناء للأمة الإسلامية الحديثة. فإذا اجتمع أهل الحل والعقد من المسلمين والعرب، وعرف كل منهم مشاكل الآخر، وعالجها، بلطف وإخلاص، فإن الأمل كبير في إنشاء مجتمع إسلامي حديث بأيد مسلمة مخلصة تثبت دعائم الأخلاق الإسلامية، في النفوس وتحيي البيئة الإسلامية الفاضلة في عصور الإسلام الزاهية، لتحل محل بيئة أنشأها الاستعمار، وبذر في نفوسها الحقد والكراهية، والتكالب على المادة، نسيان كل حق لله في سبيل قرش يدخل الجيب.

إن الطموح إلى مستقبل إسلامي عظيم يجب أن يبتدىء داخل كل بيت عربي وإسلامي: البيت الصغير قبل البيت الكبير يجب أن تدخل التربية الإسلامية في كل بيت، يرضع الطفل لبانها منذ يرى النور حتى يشتد ويقوى.

إن التي سترضع رجال المستقبل مبادىء الدين والأخلاق والفضائل هي

الأم. فعلينا جميعاً دون تخلف أو استثناء أن نعتني بالأم: أم الدول الإسلامية الحديثة، وأم الدول العربية الحديثة. إن العناية بالأم يجب أن تكون المطلب الأول لإصلاح المجتمع العربي والإسلامي. فيجب أن نخطط لتربيتها تخطيطاً دقيقاً شاملاً بعيداً عن العقد والتزمت والإسراف والتقتير.

إن أم المستقبل يجب أن تكون متفتحة واعية سمحة واسعة الأفق لا يعتمد على توجيهها للاستقامة بالقوة بل بالخلق.

وبعد، فهل تراني أجبت على سؤالك يا عزيزي رئيس التحرير! إنه يسعدني إن كنت قد فعلت فإني أتوق من كل قلبي أن تكون لي يد في عمل يهدف إلى الإنارة والتوجيه ـ كما قلت في رسالتك ـ وإن لم أستطع فهذا جهدي، والعذر بعد الجهد عند خيار الناس مقبول.

السعادة والدين الإسلامي

كنت كتبت سلسلة محاضرات تحت هذا العنوان لا أدري كم هي؟ أو أين هي؟! وعفواً أيها الأفاضل فلعلَّكم لم تسمعوا حتى الآن: بإنسان يساق سوقاً إلى الكتابة والتفكير، وهو في جموحه في هذا الباب وعزوفه عن الكتابة، وإصرار أصدقائه وتحديهم إياه أشبه ما يكون بجمل جافل يصر صاحبه على تحميله؟ ويصر هو على (البرطعة) فتارة يشتد على صاحبه وتارة يشتد صاحبه عليه، وكذلك شأني مع أصدقائي الذين يريدون مني أن أكتب وتصر نفسي على النفور! وأشد وطأة علَّى هم جماعة المحاضرات فإنهم رتبوا برنامجهم، ونفذوه بدكتاتورية جبارة، ومن جاء دور الكتابة عليه تكفي إشارة إليه من سكرتيرهم، وليس هناك بد من الإطاعة والرضوخ!

وليس هذا العزوف عن الأدب وعن الخوض في مباحثه الطلية، ناشيء في هذه النفس عن بغض للأدب نفسه، إذ طالما سهرنا الليالي على دراسته وقضينا مجالس السمر عن البحث في مكنونات أسراره، غير أن هذه النفس الفتية التي كانت في باديء أمرها تنظر إلى الأدب نظرة تسلية وسلوى، تطرب وترقص لبيت من الشعر الغزلي الرقيق، وترتفع وتنحط للحكمة في قطعة من قطع النثر، تتحمس لهذا الشاعر

وترتفع به أعلى مصاف الإنسانية، وتتحزب على ذاك فتنزل به إلى أسفل الدركات، وهذه النفس التي كانت في بادىء أمرها تكتب المقال فلا يكاد ينشر في الصحف، وتتناوله أيدي القراء، حتى تمشي في الأرض مرحاً، تكاد تخرق الأرض مما هي فيه من الزهو والكبرياء، أصبحت بعد هذا الدور دور الفتوة والإيقاع تنظر إلى هذا الأدب نظرتها إلى كل شيء في هذا الوجود، نظرة جد وتحقيق، لا نظرة لهو ولعب، نظرة يقتضيها سن الرجولة وعقل التفكر والتأمل في هذه الحياة، هذا التأمل والتفكر اللذآن أمرنا بهما في كتابنا العزيز فلا تكاد سورة من سوره تخلو من آية تحث على التأمل والتفكير ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة الرعد، آية: ٣) ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ﴾ (سورة الذاريات، آية: ٢١) ومثل هذا كثير.

وبذلك أصبح هذا الأدب الذي كان ينظر إليه الفتى اللعوب نظرة تسلية وسلوى بعين هذا الرجل المفكر، أداة إصلاح ومعول هدم جبار أداة إصلاح في معالجة الأمراض الاجتماعية العامة، ومعول هدم للتقاليد البالية التي تنشأ عن جهل الأمة وبعدها عن تعاليم الدين الصحيحة. فالأديب الحق في نظري هو الذي يستطيع أن يعالج بقلمه ـ في كل كلمة يكتبها ـ عادة اجتماعية مرذولة أو أي حالة من حالاته النابية بكل قوة وإخلاص ولا يجوز للأديب أن يتغزل أو يتوصف، أو أن يطرق أي باب من أبواب الأدب الاستمتاعي، ما دامت أمته بحاجة إلى الإصلاح والهداية (ولأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم).

وعلى الأديب بعد أن يبلغ بأمته الخير أن يحلق في سماء الخيال فيخلق من الأدب الاستمتاعي ما شاءت له قريحته الناضجة للأمة حتى

لا تضحي فريسة للأمراض الاجتماعية، وقد نشأ قبلنا أدب التشاجر والغزل الرقيق (حمادين الغرام) (حماك الذي أنشأك للناس فتنة) هذا الأدب الذي أنشأ مجتمعاً مع الرخاء المادي ذلك الجيل الذي ضيع نفسه وضيعنا معه فقد تهيأت له الفرص فلم يعرف أن يستفيد منها كما استفاد غيره من أبناء جلدته كمصر والعراق والشام، ذلك لأن أدباءه لم يوجهوا نظره في زمن الفترة إلى الخطر ولم يدعوه للتسلح بسلاح العلوم والفنون لمكافحة الطوارىء بل ساعدوه بالغزل الرقيق على الطراوة واللين فضاع وأضاع.

بهذه العقيدة مارست الأدب وبهذه الفكرة كتبت ما كتبت من المقالات ما نشر منها وما لم ينشر، ولكن بعض إخواننا الذين لم يقدر لهم أن يتمتعوا بحرية الفكر واستقلال الرأي والذين كتب عليهم بسبب بعض الظروف أن يبقوا تحت تاثير الماديين لم يطيقوا أن يسمعوا كلمة الحق يصدع بها صريحة وضاءة ولم يتحملوا أن يقوم نفر من هؤلاء الشباب يفند تقاليد جروا عليها، ولذلك كانت الحملة عليّ شديدة قاسية لم تستطع النفس أن تتحملها وراحت تتلمس العذر في قول الرسول ﷺ «إذا رأيت هوى متبعاً وشحاً مطاعاً فعليك بخويصة نفسك» ولذلك عدلت عن الأدب ما دام العدول ممكناً وعزفت عنه ما دام العزوف مستطاعاً.

هذه كلمة لم أكن لأقصدها لولا أن التمهيد للموضوع جر القلم إليها جراً. إذن فلنرجع إلى موضعنا الأصلي.

السعادة. أذكر أني طرقت هذا البحث فتكلمت عن الموضوع من شتى نواحيه واستخلصت في النهاية رأياً شخصياً أحسبه مغايراً لما ذكرته من أقوال العلماء والأدباء. وخلاصة هذا الرأي هي أن الله سبحانه وتعالى القادر الحكيم

قد أوجد هذا الإنسان على هذه الأرض. وأوجد معه في نفسه وفطرته مفاتيح السعادة في هذه الحياة، ولكن هذا الإنسان بضلاله وتنكبه عن الطريق السوي، قد أضاع فرصة استعمال هذه المفاتيح وراح هائماً يبغي السعادة في الدنيا بغير مفاتيحها فلا يجدها مع أنها وهي كمينة بين جنبيه وهو في تفتيشه عنها ينطبق عليه المثل العامي القائل (ولده في عبه وهو يدور عليه) وهذه المفاتيح تتلخص في ثلاث كلمات، هي استعمال الفضائل النفسية، واستغلال الكفاءة الشخصية أو الميل النفسي والاستمتاع بملاذ الحياة بأقصى حد معقول؛ ودعوني اشرح لكم ما أريد من هذه الكلمات فإني أرى نفسي غير مقتنعة بهذا الإجمال الذي قد يكون مخلاً.

الفضائل النفسية كثيرة جداً، منها حسن اليقين والحلم والكرم والاستئناس.. الخ ما تعرفونه من ذلك ولا شك أن الإنسان يولد مزوداً بفطرته بهذه الفضائل لا يميزه عن غيره من بني الإنسان أي تمييز، ويصح أن تجد بين مولود ومولود مغايرة في القوى الجسمية والعقلية، ولكن لا يصح أبداً أن تجد فرقاً في الاستعداد الفطري الكلي للفضائل وما تغرسه البيئة من العادات والتقاليد. فنفس الطفل صافية كالمرآة أو كعدسة المصور تعكس كل ما يضعه أمامها الأبوان، وكل ما تضعه أمامها البيئة، أما الميل النفسي أو الكفاءة الشخصية فإنك لا تجد إنساناً على وجه البسيطة مهما كان يميل إلى الأدب ويكره أن يميل إلى الرسم وهكذا، وهذا الميل في الإنسان مولود معه ومفطور فيه يقويه حسن الاستغلال، ويضعفه الهجر وعدم التوجه، وميل الاستمتاع بملاذ الحياة إلى أقصى حد ممكن يكاد يكون ملموساً في كل إنسان، فإنه هو الفطرة الوحيدة التي ضللت الإنسان. وشهوة الاستحواذ عليها بدون تأمل أو تفكير هي السبب الوحيد لشقاء الإنسان في هذا العالم.

وبالله عليكم، ألا يشعر أي إنسان تجتمع فيه هذه الصفات بالسعادة ترفرف بأجنحتها عليه، وبالأمن والاطمئنان يقربه إلى ساحل النجاة؟ أفلا يكون سعيداً ذلك الشخص الذي استطاع أن يستغل فضائله النفسية فلا يضجر ولا ييأس لأنه حسن اليقين ولا يغضب ولا يسخط لأنه حليم قنوع ولا يجفو ولا يكيد لأنه أنيس سموح، ومع ذلك فإنه قد أخذ حظاً وافراً في فن من فنون الحياة ونبغ فيه واستطاع بمساعدة ذلك له أن يستخلص لذة الاستمتاع بهذه الحياة بأوفر قسط ممكن؟!.

والسعادة بهذا الشكل، أرى أن ديننا الإسلامي الحنيف، قد ضمن لنا إياها خير ضمان، فنحن مأمورون شرعاً باستغلال الفضائل النفسية إلى أقصى حد ممكن، وبالابتعاد عن السفاسف والرذائل بكل وسيلة ممكنة، أليس نبينا ﷺ هو الذي يقول إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ـ ﷺ ـ ويقول له ربه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم، آية: ٤) وغير ذلك كثير بين ثنايا القرآن العظيم، وفي قوله ﷺ ـ (كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه) إشارة ملموسة إلى أن فطرة هذا المولود سليمة صافية كالمرآة، ومن خصوص ضرورة الانتباه للميول النفسية، والسعي الحثيث لترقيتها واستغلالها، فقد حث ديننا الحنيف على ذلك بين ثنايا تعاليمه الصحيحة منها قوله تعالى ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ (سورة التوبة، آية: ١٠٥) ومنها آيات التدبر والتفكر والحث الكثيرة الورود في كتابنا العزيز ومنها قوله ﷺ (أعملوا فكل ميسر لما خلق له) وفي قوله ميسر لما خلق له إشارة لطيفة من الشارع من أن كل إنسان ولد وفي نفسه ميل خاص إلى ناحية من نواحي هذه الحياة يجب عليه أن يحسنه ويرقيه حتى يبلغ به أعلا درجات الكمال.

أما التوفر على الاستمتاع بملاذ الحياة الدنيا، أفلا يكفيهم فيها قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ﴾ (سورة الأعراف، الآية: ٣٢)؟

وأحسبني قد أطلت وأمللت فلا بد إذن من إيقاف القلم والاستماع من حضراتكم على هذه الفرصة الثمينة التي استخلصتها من حياتكم.

كتاب وكاتب

كتاب يستحق التقدير وكاتب يستحق التشجيع. . الكتاب (ظلمات ونور) والكاتب الأستاذ علي حسين بندقجي، عرفت الأستاذ بندقجي منذ عام ٧٠ كان يعمل في مستشفى جدة وكنت مفتشاً مالياً مركزياً بجدة وبحكم عملي كنت أقضي في المستشفى أياماً كل شهر ـ ليس مريضاً أعوذ بالله! ـ ولكن مفتشاً على الحسابات والمستودعات، وكان الأستاذ البندقجي من الموظفين الذين ألفتهم فكنا نتبادل الأحاديث ونناقش المواضيع وكان أهم موضوع يأخذ من اهتمامنا حق المرأة في التعليم.

ومضت الأيام وتلاحقت السنون ولم ير أحدنا الآخر، وبالأمس جاءني وفي يده كتاب وجعل يذكرني بالماضي فقد ظن أني نسيته!

وقدم لي الكتاب ـ ظلمات ونور ـ من تأليفه، والحق أني لم أعرف الأستاذ البندقجي كاتباً: وأخذت الكتاب في مجاملة ظاهرة. وأحس هو بشيء من البرود في مقابلتي لنبأ الكتاب ودفعني الفضول إلى مطالعة الكتاب وانسقت في مطالعته بانسجام.

يقول المؤلف في المقدمة: كتابي هذا (ظلمات ونور) هو خلاصة دراستي في كلية الحياة تسعة عشر عاماً وما تعرضت له خلالها من خير وشر إلى أن يقول (وأنا أنقل هذه القصص دون تغطية أو تغليف سوى

إظهارها في هذه الكبسولات لتكون سهلة الهضم).

والكتاب انفعالات وتجارب مارسها المؤلف أو استطاع أن يصورها للقارىء في فصول الكتاب (الوطنية المعذبة) و(قتل الإنسان ما أكفره) والطابور الخامس والرؤساء المستهترون. والقسم الثاني من الكتاب صفحات فخر واعتزاز سجل حافل لرجالات هذا البلد الذين تفانوا في خدمته وشاركوا في إعزاز نهضته والسير بموكبها إلى الأمام.

والكتاب جدير أن يقرأه كل شيخ وشاب وأنا أدعو قراء المدينة لقراءته وتشجيع كاتبه فتشجيع القراء هو الدافع الأول لظهور العبقريات.

الأمم المتحضرة تعتبر واجباً وطنياً أن يشتري المواطن كل مواطن أي كتاب يصدر لأي مؤلف مواطن لأن في شراء الكتاب وقراءته ومناقشة آرائه مهما كانت ومن أي نوع كانت دفعاً للطاقات الأدبية للانطلاق وبالتالي للتبلور والاندفاع؛ ومن هنا تنطلق شهرة الكاتب ليصبح من كبار الكتاب ويعتز الوطن بكبار كتابه ويفخر أن فكرة استعارة الكتاب لقراءته فكرة هدامة ملعونة فابنوا أيها المواطنون كيان أدبائكم وكتابكم بشراء مؤلفاتهم والإقبال عليها وريالات قليلة لقيمة كتاب لا تؤثر على ميزانية المواطن مهما كانت ضعيفة وإن ما يصرف على الدخان والملاهي أكثر بكثير وأقترح على كل من جاء ذكرهم في هذا الكتاب أن يساهموا بشراء نسخ منه حسب طاقتهم لإهدائها لأصدقائهم وللمكاتب وأرجو أن يستجيب المواطنون ويدركوا واجبهم نحو أدبائهم وكتابهم.

كلمتان في سجل الوطنية الخالدة

كلمتان قرأتهما في هذا الأسبوع ملأتا نفسي فخراً واعتزازاً وغرروا وأعادتا إلي الثقة التي كدت أن أفقدها ـ لقد بدأ يتسرب إلى نفسي منذ عهد غير قريب شعور غامض باليأس كلما أحسست بهذا الفارق الكبير بين ما نقول وما نفعل ـ وبدأت هذه الأسئلة تتجاوب في دخيلة نفسي ـ هل انتشار الصحف وكثرتها دعاية وتفريج عما يعتمل في نفوس الكتاب والقراء!؟ أم هو توجيه لصرف الجهد في القول ليتسع مجال العمل للمضللين ولتطول في غمرة أساليبه أسباب البت في أمر الإصلاح!؟

وفي هذا الحوار الداخلي كان اليأس يتطرق إلى نفسي فيكاد يغلبني على أمري وأزهد في كل شيء وتمر بي تجربة قاسية وحياة بلا أمل!

وقرأت هاتين الكلمتين ضمن ما قرأت في هذا الأسبوع فشعرت بنفسي تتفتح وشعرت بالأمل يطرق بابها من جديد: إنهما كلمتان تستحقان التسجيل والتعليق وأنه يشيع من خلال سطورهما نور الوطنية الخالد وروح التضحية والفداء في سبيل الصالح العام، وأن في تسجيلهما وفاء وتقديراً للمواطن الصالح وإشعاراً له بما يستحق من تقدير المواطنين ووفائهم.

وقد يكون في تسجيلها أيضاً فتح لباب الأمل من جديد في نفس كل مواطن مرت به تجربة قاسية كتجربتي فأوقفته على أبواب اليأس. قرأت

إحدى هاتين الكلمتين في رسالة صديق كبير ألزمه الأطباء التوقف عن العمل حرصاً على صحته وقد كنت كتبت له أرجوه كمواطن وصديق أن يعطي نفسه حقها من الراحة رحمة بها وإبقاء لخدماته المخلصة في سبيل أمته وبلاده وهذا نص ما جاء بتلك الرسالة.

«إن نصيحتكم الأخوية لي بعدم الجور على نفسي وجسمي وضرورة الترويح عن النفس بتغيير الجو إشفاقاً منكم على صحتي ومحافظة عليها، فإني مع شكري وتقديري للدوافع التي حملتكم على إبداء هذه النصيحة فإني أعتقد أن هذا ليس في مقدوري حيث إني أعتبر نفسي مجنداً لخدمة هذا الوطن الحبيب وفي سبيله ما أنا قائم به الآن وقبل الآن وليس يهمني بعد هذا أن يذكرني أو ينساني أحد. ويكفيني عزاء أن يكون مجهودي المتواضع في خدمة بلادي وأمتي مثل هذا التقدير من المواطنين المخلصين وأن التاريخ لن يهملها في صفحاته الغراء».

هزتني في هذه الكلمات وأنا أتلوها صدق العبارة ومطابقتها من كل الوجوه لحالة الصديق العزيز، فهو بحسب مركزه الكبير قادر على أن يقضي أكثر من إجازة في أجمل مصايف الدنيا وأن يشترك في أكثر من مؤتمر في المؤتمرات الكثيرة التي يشترك فيها رجالاتنا وهو سبيل مشروع للسياحة والترفيه، وهو بمكانته الأدبية المرموقة قادر على أن ينتهز كل فرصة لينشر ما يبذل من جهود وما يقوم به من عمل متواصل، ولكنه لم يفعل وقضى ويقضي حياته في عمل مجهد صامت وإني إذ لم أذكر اسمه هنا فإنها محافظة مني على تواضعه ومبدئه في العمل الصامت لقد أثبت هذا الموظف الكبير أننا ما زلنا بخير وسنصل إلى القمة إن شاء الله.

وإني أسجل للصديق العزيز وللموظف الكبير في أمانة العاصمة على

صفحات جريدة المدينة الغراء تقدير الوطن والمواطنين جهاده المخلص وموقفه النبيل.

وهو رغم ذلك معروف، فالمجاهدون المخلصون جوهر نادر والجوهر النادر لا يخفي شعاعه المضيء.

أما الكلمة الثانية فقد قرأتها كما قرأها غيري على صفحات اليمامة الغراء بعنوان «العظة والعبرة» تلك الكلمة التي قرأنا بين سطورها شعور العزة والكرامة والخلق العالي، ذلك الخلق الذي طالما افتقدناه فلم نعثر له على أثر، فلقد أثبت هذا الموظف الكبير بأمانة العاصمة الرياض بترفعه عن المحاولة الدنيئة، محاولة الرشوة التي اعتاد الناس أن يجروا إليها بعضهم بعضاً.

عوامل تكوين الشباب المدني اليوم وغداً

مقدمة

إن الأشياء لا تأتي من فراغ ولكنها دائماً ترتكز على دعائم أقلها الأعراف بين الناس. وفي الأعراف تتكون التقاليد ومن التقاليد تأتي العادات ومن العادات ما هو سيىء ومنه ما هو عظيم، والأشياء ربما تكون أحداثاً جساماً وربما تكون قرارات وأنظمة وحياة شعوب، وفي كل الحالات هناك الدائرة التي ينطق فيها الزمن ويصبح فيه الحاضر مستقبلاً ومن ثم ماضياً وكل ماضٍ يصنع التاريخ، والأمة التي ليس لها تاريخ إنما هي أمة تعيش الضياع، لأن رجلاً بمفرده لا يصنع تاريخاً وإنما يربط سلسلته بمن سبقوه. وأروع الأجيال تلك التي تضيف من براعة حاضرها إلى عظمة ماضيها شيئاً يمزجهما معاً فتقوى الأيام على احتضان الأمم فيبقى الجمال متغلباً على جوانب الظلمة التي لا بد وأن يعايشها أي من أبناء آدم.

كنت وعدت منذ شهور وأسابيع ـ لا أذكر بالضبط ـ أن أكتب في هذا الموضوع إجابة لرغبة صديقي الأستاذ ضياء الدين رجب، وأنا وإن كنت مديناً لجماعة المحاضرات بهذا الوعد فإنه جدير بي أن أصرح هنا بأني طالما ترددت في الوفاء به واخترت النكوص عن الاستثقال بعبئه،

وذلك لما يتطلبه هذا البحث من المس المؤلم لكثير من جوانب حياتنا العامة التي لها أثرها الفعَّال في تكوين الشباب المدني الذي هو عليه اليوم وما يكلفه هذا المس من إثارة الرأي العام وما توحيه هذه الإثارة لبعض المغرضين للنيل والتشويه من سمعة الكاتب الباحث وما يوحيه الحكم. على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد بل إن الكلام على الشباب لا بد أن يجر بطبيعة الحال إلى الكلام على الشيوخ باعتبارهم مكوني هذا الشباب وعليهم وحدهم تبعة ما فيه من نقص وعيب، كما أن لهم وحدهم ما عليه هذا الشباب من موجبات الفخر والزهو، ولا أظن أبداً مهما غالطت نفسي وحاولت من القلم لطفاً ورقة أن أكتسب الرضا من إثارة هذا الموضوع.

على أن التردد نفسه عيب من عيوب النفس وهو في جملة المآخذ التي نريد أن نأخذها على شبابنا الناهض فلا يصح أبداً أن نتصف به ونكون عند حد قول الشاعر: طبيب يداوي الناس وهو مريض: ومع هذا فإني واثق بأني لا أعدم عطفاً وتقديراً من بعض هذا الشباب الذي أدرك ما بنفسه من العيوب وسعى بجهد لانتزاعها من نفسه تغالبه في ذلك العوائد والتقاليد، بل أنا على يقين كبير بأني ولا بد واجد من بين الشيوخ أنفسهم من يعطف على هذه النزعة ويقر بأن هذا الزمن يتطلب من الشباب غير ما أعدوهم له وهم على ذلك محزونون آسفون، وهذا يكفي لأن يحملني على الإقدام وتحمل المسئولية ولا أدعي العصمة في البحث، بل إني حريص كل الحرص على أن أفتح باب البحث على مصراعيه وأستثير بكلمتي هذه كتابنا الأفاضل من شيوخ وشبان فتتبارى في بحثه وتمحيصه أقلامهم لنتمكن بعد ذلك من تلافي النقص ونقوي موجبات الكمال في شبابنا الناهض، غير أني أقول بملء شدقي أن رائدي في هذا البحث هو الإخلاص وحب الإصلاح

«إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب».

من التمشي مع الحقيقة بل من الإنصاف لشباب المدينة أن نحلل الظرف الذي نشأ فيه والعوامل التي كونته وأن نذكر العوائد والتقاليد التي هيمنت على تكوينه هذا التكوين المشوب بالضعف والانحلال قبل أن نفتح شفتينا بالحكم عليه أو له.

الظرف الذي كون شباب المدينة الذي يصح لنا أن نتكلم عنه كمثير لهذه الكلمة وباعث لها ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو بعبارة أدق يتكون من ثلاثة أدوار يختص كل دور منها ببواعث وموجبات مباينة كل المباينة عن مثلها في الدور الثاني. وهذا الاضطراب في البواعث والموجبات كان من أسوأ ما مني به أبناء هذا البلد بالنسبة إلى البلاد الأخرى التي حلت عليها مثل هذه البواعث وذلك لمحل هذه البلاد وانعدام وسائل المادة فيها.

الدور الأول:

ويبتدىء الدور الأول من أواخر حكم الأتراك، فمعظم الذين نعني بالبحث عنهم في هذه الكلمة هم من مواليد ذلك العهد، وجدير بنا أن نمهد للكلام على ذلك العهد بتقدمة من كلام الأستاذ أحمد أمين العالم الاجتماعي المصري المعروف، يقول الأستاذ أحمد أمين في مقال كتبه في الرابطة العربية تحت عنوان (الشرق يتطلب أخلاقاً جديدة) «أصيب الشرق من قديم بأنواع من الحكم أتلفت نفسه وأفسدت خلقه، فحكم الأتراك لبلاد الشرق كان أشبه بحكم الإقطاع، يعينون الوالي على الشام أو مصر أو العراق وهو يلتزم لهم بمال يؤديه كل سنة ثم هو بعد مطلق اليد في التصرف فكأن كل قطعة مزروعة يؤجرها المالك لمن رسى عليه المزاد

وليس يهم المالك شيء ما دام المستأجر يدفع الأجرة فأساس الحكم عندهم منفعة لأنهم يرون سطوته لا حد لها ولا يرون سلطة أخرى تحاسبه على عمله: فلا يرون وسيلة للمحافظة على أرواحهم وأموالهم إلا بالاستكانة والملق والغش والكذب والخداع ثم الكسل والخمول لأنهم لم يأمنوا أن تكون ثروتهم لهم وأن تكون نتيجة سعيهم وكدهم لأنفسهم فيكفي الوالي ومن يلوذ به أن يشتهي مصادرة غني في أملاكه فيتم له ذلك في هدوء وسكون كأنه عمل مألوف مشروع ومن أجل هذا ساءت الزراعة وكسدت التجارة وتعطلت الأعمال ومن أجل هذا أيضاً كان الناس يحمدون الله على الفقر أكثر مما يحمدونه على الغنى لأنهم يرون كل يوم أحداثاً تصادر فيها أموال الأغنياء وتدبر الدسائس والمؤامرات لاغتيالهم، أما الفقير فيحمد الله على السلامة وأنه لم يكن موضعاً لنظر الولاة وذوي النفوذ. فنتيجة كل هذا أن تسود في الأمة أخلاق العبيد فخير الأخلاق عندهم التواضع وخير ما في الدين الاستسلام لقضاء الله وقدره وخير علاقة بين الرئيس والمرؤوس هو الأمر من الأول حسبما يشتهي لا حسبما ينبغي والطاعة العمياء من الثاني.

ومن يعرف الأستاذ أحمد أمين ويعرف مكانته العلمية العالية ودقة نظرته في شؤون الشرق الاجتماعية يعرف ما لكلمته هذه من الوصف الصادق والأثر الصحيح لذلك العهد الذاهب.

وإذا كان هذا شأن الولايات التي كانت تستغل الدولة أموالها فما بالك بالولاية التي كانت تعطيها الدولة ولا تأخذ منها؟

كبار الرجال:

ما هي الخصائص التي تميز كبار الرجال عن غيرهم؟

لو ألقي علينا هذا السؤال مفاجأة وطلبت الإجابة عنه حالاً وباختصار لأجبنا:

أولاً: شدة حساسيتهم وسعة مداركهم.

ثانياً: خصوبة خيالاتهم وسعة مداركهم.

ثالثاً: قدرتهم على الصبر والاحتمال والاستمرار في العمل لتحقيق الهدف.

وهذه الصفة الأخيرة هي أهم الصفات الثلاث. وقد يستغرب البعض إعطاءنا الأهمية الكبرى للصفة الأخيرة إذ إن المعروف أن من أبرز صفات الأذكياء التعجل وعدم القدرة على المداومة والاستمرار. ويتميز ثقلاء الفهم بالجد والجهد والاستمرار في العمل وهذا صحيح، فلو أردنا أن نضرب الأمثال لاستطعنا أن نعين كثيراً من الأذكياء يتصفون بالتعجيل وضيق الصدر وسرعة الملل ـ ولكننا لا نجد شخصية واحدة من بين المشاهير لم تكن حياتها كلها جهداً وعرقاً مع الذكاء وحسن الفهم.

وفي تتبعي سير المشاهير ودراستي لتاريخ حياتهم وجدت أن الصفة التي تكاد تكون لازمة في حياة كل عظيم هي العمل والجهد والاستمرار، وأعجب ما يلمسه الباحث في تاريخ هؤلاء الكبار أن أيامهم الأخيرة تمتاز بالجهد والكد والاستمرار وتكون ختاماً لأعمال جليلة ذات آثار خالدة.

وقد أصبحتُ بعد هذه الدراسة أؤمن بأن الجهد والعمل المستمر هما صفة الرجل الكبير.

وعندما يذكر عندي بالثناء شاب ظهرت عليه دلائل النبوغ، فأول سؤال اسأله عنه: هل هو دائم الاستمرار على العمل؟ فإذا قال نعم امتلأت نفسي اعتزازاً وفخراً به.

أيها الشباب إن الجهد والعمل والاستمرار هما صفة الرجل الكبير فاعمل باستمرار لتكون رجلاً عظيماً.

الجنسية، الوطنية، وموقفنا إزاءها

جهود الحكومة في هذا السبيل:

لا تكاد تقرأ لمؤرخ من كتاب العصر الحديث إلا وتراه يعزو بكل قوة وتأكيد أسباب التأخر والانحطاط الذي لازم الحجاز في أدواره الأخيرة في القرن الفائت إلى تفكك الروح القومية في سكانه تفككاً محا الروح الوطنية الصحيحة فيهم، وأبعدهم كل البعد عن الالتفاف حول الغاية الوطنية المقدسة والفناء والاضمحلال في سبيلها، وهذا بالطبع عندهم راجع إلى الاختلاف العنصري في سكان الحجاز الذين نزحوا إليه للغاية الدينية المحضة ثم استكانوا بحكم الظرف والواقع إلى ما يبذله ـ للغاية الدينية نفسها ـ رواد هذه البلاد من مصالح وخيرات فعاشوا عيشة زهيدة كانت في بدء أمرها أقرب إلى الانقطاع عن الدنيا منها إلى الاحتفاء بها، وكثيراً ما حافظ كل جنس من هؤلاء النازحين على أسلوب حياته وتقاليده في بلاده لييسر للرواد من أبناء قومه أمر قيامه بينهم ويخفف عنهم وطأة الغربة والسفر، ثم هو في نفس الوقت يضمن بذلك عطفهم ورعايتهم أكثر من لو انسلخ عن تقاليده ومزاياه الجنسية، وبذلك ضاع التمازج والتآلف وتكونت مجموعة هي أبعد ما تكون غاية وأغراضاً وأقرب ما تكون تنازعاً وشقاقاً. وهذا الكلام وإن كان يبدو وجيهاً في ظاهره فإننا نعتقد أنه على النقيض

تماماً مما يراد به، فما كانت الجنسية يوماً لتمحو الوطنية أو حتى أن تترك أثراً واضحاً فيها، بل إن امتزاج العناصر المختلفة في الوطن الواحد أدعى في نظرنا إلى ازدهار الحضارة القومية فيه وأثبت في تعدد مظاهرها من أي حضارة أخرى ذلك لأن كل عنصر من هذه العناصر المختلفة يحتفظ بميزة قل أن تجدها في غيره، فالعنصر المغربي مثلاً يمتاز بالشجاعة والإقدام، بينما يمتاز العنصر الهندي بالفلسفة والدرس وهكذا دواليك، ولا يشك أحد أن هذه المميزات متى عملت مجتمعة فإنها سوف تنتج أرقى الحضارات العالمية.

ولماذا نذهب بعيداً؟ فهذه الحضارة الإسلامية التي كانت ولا تزال صاحبة المقام الأول بين الحضارات العالمية المختلفة أزهى حضارة عرفتها الأمم حتى الآن، ولا أخالك إلا مقراً معي أن ذلك إنما يرجع في الفضل إلى الترابط الإسلامي الذي أنشأ كتلة مختلفة الميزات متحدة المقصد والغرض فأنشأت ما نسميه اليوم الحضارة الإسلامية.

والسبب الوحيد في جمود الروح الوطنية التي يقرره المؤرخون المتأخرون في الشعب الحجازي في رأينا، يرجع إلى أسباب سياسية تتصل بالخلافة وأمرها أكثر مما تتصل بالوطنية الحجازية واختلاف عناصرها. فقد كان رجال السياسة في تلك العهود يطاردون كل فكرة وطنية ويعدونها جرماً لا يغتفر جزاؤه إلا أن يكون في دائرته السياسية المحدودة وقد أبدع رجال ذلك العهد كل الإبداع في تكييف الوطنية على حسب الطلب واستعملوا الطرق العملية في إفنائها ومحاربتها فقتلوها شر قتلة ومزقوها شر ممزق، ولا أرى المجال يتسع لأكثر من هذا التفصيل، وكان من جراء ذلك ما عاناه الحجاز أشد المعاناة في هذا الباب من التفكك وركود الروح الوطنية

فيه إلى أقصى حد وانبعاث عوائد وتقاليد كانت كفيلة لإبقاء كل هذا يتغلغل في النفوس مدى الزمن ويهيئها لإيجاد بذور الفتنة والشقاق كلما عنّ للمصلحين أن يعالجوا هذا الأمر.

بقي علينا فيما نظن أن ندلل على قولنا إنه ليس هنالك تعارض بين الجنسية والوطنية ونثبت ذلك بدلائل حال واقعية قد لا يستطيع القارىء إنكارها ولو أنه استطاع تحويرها وتدويرها.

جرت سنة الله في خلقه منذ نشأ الكون أن أودع في النفوس حب التحول والانتقال ثم إنه أودع فيها حباً لبعض البقاع وتفضيلها والتفاني في سبيلها وبذل النفس والنفيس في ترفيعها وترقيتها فما كانت أمريكا في الأصل منشأ لهؤلاء الذين يسكنونها اليوم والذين يمثلون في مجموعتهم أكثر أجناس الدنيا بكل ما فيها من معنى الاختلاف، لكن حضارتهم مع ذلك أرقى حضارة عصرية وحكومتهم أعز وأمنع حكومة على وجه الأرض.

ولم يكن محمد علي في مصر ممن نشأ على أرضها ولكنه هام حباً فأنشأ حضارتها الحديثة التي تبني عليها مجدها اليوم وتملأ شدقيها بالمفاخرة بها في كل وقت وحين، وهكذا قل في الأمويين بالنسبة إلى سورية والعباسيين بالنسبة إلى بغداد والعرب بالنسبة إلى الأندلس، وهكذا قل في انتساب كثير من الأدباء والشعراء الذين طبق ذكرهم الآفاق، فالوطنية على هذا القياس تستند إلى الجهود المستمرة التي يبذلها الوطنيون في سبيل الموطن الذي نشأوا فيه، وبقدر هذه الجهود ولمعانها في تاريخ هذا الموطن يكون صدق الوطن والتهاب عقيدته الوطنية، وكثيراً ما يرفع هذا الجهد إلى الذروة ـ في تاريخ بلاد ما ـ أسماء أبطال لم يكن لهم حتى شرف المولد في هذه البلاد، وكثيراً ما يطرد هذا التاريخ أسماء رجال

عريقين في انتسابهم لموطن ما بسبب خيانتهم لذلك الموطن، وموقفهم الموقف السلبي إزاءه في أحرج ساعاته.

والحجاز مهجر العالم الإسلامي وموطن شعائره الدينية لا يمكن أن تتحقق الوطنية فيه ـ في رأينا ـ إلا بهذا المعنى الذي فصلناه، وهو معنى سام لو صرفنا الجهود متحدين إلى اقتطاف ثماره واستغلال مواضع الاستفادة فيه.

وقد أحسنت الحكومة عندما شرعت في تطبيق نظام الإقامة الذي أصدرته سنة ١٣٥٦هـ فهو خير كفيل لضمان الوحدة الوطنية بالمعنى الذي شرحناه، فكل إنسان رغب بطوعه واختياره أن يدخل في تبعية الحكومة العربية السعودية يجب عليه أن يتنازل بطوعه واختياره أيضاً عن النعرة الجنسية ويوجه جهوده الوطنية الصادقة في خدمة وطنه الإسلامي العام الذي أصبح بدخوله في تبعية حكومته وطناً خاصاً له.

إن مستقبلنا يتوقف بصفة خاصة على جهودنا في إيجاد الوحدة الوطنية وإثبات عقيدتها المقدسة في نفوس النشء والشباب والشيوخ على السواء.

يجب علينا أن نفتح أعيننا لنرى مدلولات الزمن، ففيها الدرس القاسي لكل من تصفح آياتها البينات. إن التغاضي عن الحقيقة الواقعة وإغماض العيون عن رؤيتها لا يغير من جوهريتها ثم هي إن لم تقابل بالشجاعة والإقدام قمينة بأن تنتج أسوأ النتائج وتؤثر اقبح التأثير.

إن الواجب يقضي علينا أن نكون عمليين، فقد كنا بعيدين عن إدراك المخاطر التي تحاك حولنا وذلك كان السبب الأول في بقائنا في غفلاتنا. أما وقد كشف الزمان لنا القناع وكتب لنا بحروف بارزة ما كان وما يظن أن

يكون ولم يبق حتى من المبتدئين في التهجي منا من لم يقرأ ذلك، فما علينا إذاً إلا أن نكون عمليين في إيجاد الوحدة الوطنية فلا نفرق بين أي فرد وفرد ممن يحمل تبعية حكومتنا، فعلى هذه الوحدة يتوقف تسلحنا ضد الطوارىء مادة وأدباً، فقوة الأمة في قوة عقيدتها، ونجاحها إنما يكون بقدر تضحيتها وإخلاصها لعقائدها المقدسة.

جامعة الملك عبد العزيز

اليوم ستمتد يد ضخمة تدق باب التاريخ الكبير لتدخل منه أمة نامت طويلاً واستيقظت لتجد نفسها متخلفة، يجري العالم وهي تتلكأ. اليوم ستضيء أمنية كبيرة هي أمنية الشيخ الذي فاته الركب فكرس ما بقي من حياته ليضيء لأبنائه الطريق.

اليوم يوم كبير ستتحدث عنه الأجيال في تاريخ هذا البلد العظيم.

لقد كانت فكرة إنشاء الجامعة الأهلية في المنطقة الغربية فكرة جريئة لأن الجامعة أي جامعة وفي أي بلد لا يمكن أن تبنى ليشاهد الناس ضخامة بنائها أو ليتفنن المهندسون في رشاقة ترسمها، إن الجامعات تبنى لبناء الرجال.

ومتى فكر المواطنون في بناء الرجال فقد فكروا في كل شيء لموطنهم العزيز ـ أعطونا رجالاً وخذوا منا كل شيء، إن الذين يفقدون الرجال يفقدون كل شيء! لقد عشنا أجيالاً نغط في نوم عميق وكلما كانت تبدو بادرة صحو كان الشعبيون وحكام الاستعمار يضربون ضربتهم ليعيدونا إلى الوراء مئات السنين. لقد كان المخلصون والعلماء النابهون مُطاردين. لقد كنا نقدس من يدعونا إلى عبادة القبور وننفِّر ممن يدعونا لعبادة الله، نقدس من يتكلم الأعجمية ونستهين بمن يدعو إلى لغة الضاد. هكذا عشنا دهراً طويلاً نخرب بيوتنا بأيدينا ونركن إلى الخمول والجهل ونمد أيدينا ليتصدق

علينا الناس، نطلب الجراية من مصر ونستجدي العالم الإسلامي بجيرتنا لبيت الله والمدينة التي هاجر إليها الرسول عليه أفضل الصلوات والسلام. وأخيراً جهدنا وبعد جهد جهيد سطع النور وسمع صوت الحق في قلب الجزيرة ودعا الداعية الكبير محمد بن عبد الوهاب إلى الرجوع إلى مبادىء الدين الصحيحة وقام إلى جانبه آل سعود يناصرون الدين ويدعمون دعوة الحق واستيقظت الأمة العربية من سباتها وعرفت الكائدين لها والمجرمين الذين يريدون أن يطفئوا نور الله وعمت اليقظة وتفتح الوعي وتقدمت الجموع نحو النور.

نعم إن ما يعم الجزيرة اليوم من نهضة علمية وعمرانية واقتصادية هو شعاع من ذلك القبس المضيء. واليوم التاسع من شهر جمادى الثانية عام ١٣٨٤هـ الذي يجتمع فيه الفيصل العظيم بخيرة رجالات هذا البلد يوم مشهود وامتداد لليقظة المثيرة.

إننا في هذا اليوم سندخل التاريخ من أوسع أبوابه وسيسجل التاريخ بأحرف من ذهب لكل مواطن مد يده ليضع لبنة في بناء الجامعة الأهلية. اليوم يوم العلم اليوم يوم النور اليوم يوم الوطنية المخلصة الصادقة الهادفة.

فاثبتوا يا رجال وحققوا الآمال الكبار حققوا للأجيال المقبلة بناء الصرح العظيم صرح العلم والمعرفة صرح الخلود واكتبوا أسماءكم في صفحات الخلود. هذه دعوة مخلصة من مواطن مخلص وإني لواثق كل الثقة أنكم ستجيبون. سيتبرع كل رجل بما يستطيع وكل امرأة بما تستطيع لبناء الجامعة الأهلية (جامعة الملك عبد العزيز).

حقق الله الأماني وسدد الخطى.

مدرسة النجاح في تكوينها الجديد

المدينة تتصدر للواجب في أدق معانيه وتتحمل العبء في أحرج الظروف

يقول الإنكليز في أمثالهم ما معناه (في كل غمامة مظلمة بارقة وضاءة) يريدون أن كل نازلة تحمل بين طياتها أسباباً قوية لحياة جديدة زاهية، والواقع أن في المصائب دروساً محتمة النتائج في حياة الأمم والأفراد.

فكثيراً ما تطغى حياة الترف وحسن التوفيق أو الحظ ـ إن شئت ـ على بعض الأفراد فتجعلهم يعيشون عيشة خيالية لا تتصل أسبابها بالحياة الواقعية التي يحياها معاصروهم وأبناء جلدتهم، ولكنهم لا يلبثون أن يتدرجوا وهم في غرورهم من درك إلى درك حتى يجدوا أنفسهم في آخر الأمر في الدرك الأسفل من الحياة فيفتحون عيونهم فيلتمسون الواقع بقساوته والحقيقة مجردة عن الزخرف والزيف ويريدون عندئذ أن يتصنعوا التكيف بالواقع ويجاهدون لإصلاح ما أفسده الحظ أو حسن التوفيق، ولكن في الوقت الذي أنهارت فيه جميع الأسس وانهدم فيه كل البنيان.

وكذلك شأن بعض الأمم التي تطغى عليها حياة المجد وتسيطر على ماضي تاريخها صفحات البطولة فتعيش ثملة بذلك المجد الخيالي وتلك

الحياة الماضية الرائعة ممعنة في الاستمتاع والرفاهية متدرجة في الهبوط والانحطاط النهائي.

والذنب في ذلك كله إنما هو على حسن التوفيق المتسلسل أو إن شئت على الحظ الموافي. أما الأمم التي تعيش تحت «السندان» تنبهها الأحداث كلما أوشكت أن تغمض العين وتستسلم لحياة الرفاهية ومعاني الخيال، فهي أثبت الأمم رسوخاً في الحضارة وأقدرها على االاستمرار على السير في المقدمة، ولا شك أن أفرادها يكونون أصلب عوداً وأقوى احتمالاً وأجدر بالاستمتاع بمعاني الحياة السامية في جميع مرافقها الجديرة باللذة والاستمتاع.

والنازلة التي نزلت «بمدرسة النجاح» بسبب استقالة مديرها وخلو صندوقها من المادة لا شك أنها قاسية المفعول جديرة بالتأسي، مفعمة بأسباب الإيلام ولكنها قد أنتجت هذه النتائج الباهرة جديرة بأن تقابل بالصبر والشجاعة والانتباه.

أجل لقد كانت أسباب الحياة ـ على رأي المثل الإنكليزي في هذه النازلة قوية وباهرة إلى أبعد حد، فقد برهنت على شعور وطني نبيل وتوافق على خدمة المصالح العامة وعدم اكتراث للأسباب والنتائج الشخصية جرياً وراء الصالح العام، وهذه أول فرصة للأمة الحجازية من هذا النوع تظهر فيها بهذا المظهر الرائع نسجلها مقدرين مفتخرين؟ فقد قامت قيامة الأدباء وراحوا يكتبون في الموضوع طوال المقالات بشعور نبيل وعاطفة ملتهبة وأفسحت الصحف صدورها فهيجوا النفوس الكريمة وأثاروا الشعور الوطني الكامن فانتدب المخلصون من البلد الأمين وسعى المندوب يقطع القفار ليشترك في تدعيم البنيان وإصلاح ما أفسدته حوادث الزمن،

واجتمع المخلصون من أبناء هذا البلد وفي يوم وليلة تدعم البنيان ودخلت مدرسة النجاح في دور التكوين الجديد مفتخرة مباهية بأن كانت السبب الوحيد لكتابة صفحة من صفحات الوطنية الخالدة لهذا الوطن المجيد.

لقد تفضل آل الخريجي فشملوا المدرسة برعايتهم وأخذوا مسؤولية تسييرها على عواتقهم، ومعنى هذا في العرف العام والخاص أن مدرسة النجاح أصبحت جزءاً من تاريخ آل الخريجي كما أصبح مشروع الخرج جزءاً من تاريخ معالي وزير المالية الجليل، وكما أصبحت دار الأيتام في مكة والمدينة جزءاً من تاريخ حياة سعادة مهدي بك المصلح ويكفي لرسوخ المشروع أن يكون جزءاً من حياة كبير وعظيم ولا نرى بداً من أن نسجل بالتقدير والاعتراف المساعي المخلصة التي بذلها الأستاذ الفاضل السيد حسين طه وصديقنا العزيز السيد مصطفى عطار والوطني الكريم الشيخ عبد الحي قزاز والأستاذ النبيل حسني بك العلي «مدير دار الأيتام» ورجل المصلحة العامة الشيخ إبراهيم العلي التركي ـ في تدعيم بنيان المدرسة وحفظ مركزها العلمي وما أبدوه حضراتهم من الحب والحنان على هذا المشروع العلمي العام. وإننا نؤكد أن مؤسس دار النجاح ومديرها السابق هو أغبط الناس لهذه النتيجة الحسنة التي تركزت عليها مؤسسته العلمية حيث قدر له أن يرى مصيرها الثابت في حياته ويطمئن إلى صفحة العمل الخالد يسطرها التاريخ للعاملين، ورحم الله الشاعر حيث يقول «جزى الله الشدائد كل خير». وبعد فإننا لا نشك أن الأمة الحجازية وقد أبدت هذا الاهتمام الكبير بهذه المؤسسة العلمية سوف لا تقف عن السعي والعمل والدعاية لايصال الخير إلى هذا المشروع العلمي العام.

ونعتقد أن العالم الإسلامي الذي أثبت في كل فرصة حدبه وعطفه على

هذه البلاد الإسلامية المقدسة سوف يبرز هذا العطف وهذا الحنان بأروع معانيه في تدعيم هذا المعهد العلمي الذي أثبت وسيثبت إن شاء الله إخلاصه وثباته في خدمة العلم في هذه البلدة المقدسة.

مشروع للتبني

الطلبة في كل مكان وزمان وفي كل أمة ودولة محل اهتمام خاص. لماذا؟ . . . إن الطلبة هم عدة المستقبل، فبصلاح تنشئتهم وتوجيههم وتربيتهم تسير الأمة من صالح إلى أصلح، فطلبة الأمس هم رجال اليوم الذين يسيرون الدفة ويشمرون عن ساعد الجد لرفع مستوى البلاد، فمن تراهم اليوم يمسكون الأعمال ويوجهون الإدارات كانوا بالأمس طلبة مدرسة كانت تسمى في فترة من الزمن ـ مدرسة تحضير البعثات ـ وأخرى كانت تسمى بالمعهد العلمي وثالثة سميت كلية الشريعة ـ هذه المدارس أتت أكلها وأخرجت لنا أبناء نعتمد عليهم ونفتخر بهم. وبقدر ما كان الإعداد مخلصاً صادقاً كان الإنتاج نظيفاً طيباً.

وتتسع اليوم دائرة الوعي وتتعدد الغايات ويكثر الطلب وتكثر مجالات الاهتمام وكما اتسعت دائرة الوعي اتسعت أسباب اللهو والإغراء وارتفعت نسبة الثراء فأصبح الشباب يجد أينما ذهب أسباب الانحراف والانزلاق. . وما خسرت الأمة ولن تخسر أكثر من شاب طلب العلم ثلث عمره أو ثلثيه ثم جذبته أسباب الانحراف فانحرف! إننا نخسر بانحرافه ثمرة قرب اقتطافها وجهداً بذلنا فيه الكثير من الدم والمال. ولقد أدركت الأمم المعنية بأمرها فداحة الخسارة من انحراف الطلاب فكرست جهودها لجذب هؤلاء إلى

الطيب الصالح وفتح أبواب الإغراء السليم واللهو البريء أمام حيويتهم المتفتحة وشبابهم الجياش ليمنع الانزلاق والانحراف.

وحكومتنا عرفت كبر مسئوليتها أمام الطلاب فأنشأت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ومن أهم أغراضها رعاية الشباب وتوجيهه فصرحت للنوادي الرياضية والاجتماعية ووضعت أنظمتها وخصتها بإشرافها.

وقابل بعض طلبة جدة معالي وزير العمل والشؤون الاجتماعية وعرضوا على معاليه فكرة ١١٧ طالباً لإنشاء نادٍ باسم نادي الطالب يقضون فيه أوقات فراغهم ويمارسون فيه نشاطاً أدبياً واجتماعياً ورياضياً، ورحب معاليه بفكرتهم وصدقت عليها الوزارة وأعطى لهم تصريحاً بفتح ناديهم. هؤلاء الطلبة اليوم في (حيص ـ بيص) إن افتتاح النادي ودعوة المواطنين للاشتراك فيه وشرح أغراضه يحتاج إلى بضعة آلاف من الريالات ويحتاج إلى رواد ومرشدين فهم في حاجة إلى:

١ ـ ألف ولا أقل من خمسمائة كرسي.

٢ ـ بناء مسرح للنادي لعرض نشاطات المشتركين فيه.

٣ ـ ماكينة عرض سينمائي لعرض الأفلام الثقافية والاجتماعية.

٤ ـ لعب مختلفة.

٥ ـ مكتبة.

٦ ـ أفلام علمية واجتماعية.

لقد وقف نشاط الطلبة مؤسسي نادي الطالب عند هذه العقبة فكيف نذللها؟؟

إن نوادي الطلبة في أمريكا قامت بخدمات جليلة للطلاب لا تقدر عجزت عنها كثير من الأجهزة المختصة، وهذه الخدمات تنقذ ما يقارب المليون طالب في السنة من الزلل والانحراف، ونادي شيكاغو وحده يضم سبعة عشر ألف عضو من الطلاب هذا غير المشجعين والمتطوعين من كبار رجال الدولة ورجال الأعمال والعلماء والمثقفين. وإني أدعو على صفحات جريدة المدينة كل مواطن على حده أدعوه أن يشارك في تدعيم نادي الطالب بجدة أدعوه أن يساهم باستطاعته مادياً ومعنوياً فهو تجربة جديدة لرفع مستوى الطلاب.

إني التمس من مولاي صاحب السمو الملكي الأمير فيصل العظيم أن يشمل الطلاب بعطفه ورعايته وأدعو أمراء الأسرة المالكة والوزراء للاشتراك في هذا المجال.

واباني مدرستاه

أرجو من القارىء الكريم أن يملك أناته ليعرف من صلب المقال صلة هذا العنوان بالمقال.

لقد جل المصاب وتعاظم الخطب فشرد الفكر الحاضر ونضب معين القلب الفياض وتعثر في مشيته هذا القلم السيال.

أيها الفكر المذهول ألا ردك الله إن لم يكن لك اليوم في هذا الطرس مجال، أيها القلب المحزون لا أقال الله عثرتك إن لم تمد اليوم من معينك فتترجم عن معاني الحزن والأسى المتغلغلة في سويدائك، وأنت أيها القلم لا أفاض الله عليك من معاني القوة والحق إن لم تفض بما علمت من معاني القوة والحق في حياة هذا الرجل العظيم.

«مات السيد أحمد»! «صحيح مات السيد أحمد» «مات السيد أحمد الفيض أبادي هو نفسه»! «نعم مات السيد أحمد فما بالك يا أخي إن الموت حق لقد مات سيد الكائنات» صدقت إن الموت حق، و(إنا لله وإنا إليه راجعون).

لعلَّك تظن أيها القارىء الكريم أن هذا الاندهاش لسماع خبر موت هذا الرجل العظيم كان من كاتب هذه الكلمة لما بينه وبين الراحل الكريم من صلات الأستاذية والتلمذة والأبوة والبنوة.

ولكن لا ـ إن هذه الكلمة إنما صدرت عن رجل قد لا يعرف من السيد

أحمد غير اسمه ارتجع صداها في أذني كما ارتجع من غير شك في آذان الكثيرين الذين كانوا يقفون إلى جانبي ونحن نصلي على الراحل الكريم.

هذه هي مكانة الراحل في نفس رجل الشارع فما بالك بها عند الذين يدركون قيمة ما قام به هذا الرجل العظيم من خدمة وتضحية في سبيل أمته وبلاده، وما بالك بها وهي تتلألأ ناصعة بيضاء في جبين التاريخ!.

لقد هاجر السيد أحمد سنة ١٣١٦هـ مع والده وإخوانه من بلاد الهند فاراً بدينه من بلاده المنكوبة بالتفرنج والاستعمار فر بدينه إلى موطنه الأول مهاجر جده ﷺ وقد كان يمني نفسه وهو من خريجي دار العلوم الدينية أن يجد في بلاد جده العظيم مدارس للعلوم الدينية فيجاهد الاستعمار بتعزيز مركز الدين.

خاب الأمل فإن المدارس في ذلك الوقت كانت تسير في التعليم على طريقة سنتها حكومة ذلك الزمن لتضمن في سيرها النجاح لخطتها السياسية المرسومة. لا بد إذن من إنشاء مدرسة تخدم الإسلام وتحارب التفرنج والاستعمار. نشأت هذه الفكرة في ذهنه فسعى لها السعي الحثيث على قدر المستطاع، ولكن كان الجواب أن الحكومة قائمة بواجب التعليم ولا ترى حاجة إلى مدارس جديدة، أما العلوم الشرعية فالمسجد فيه للطالبين المجال الفسيح.

خبت تلك الجذوة المستعرة في نفس صاحبها ولكنها كانت الشغل الشاغل لتلك النفس الكبيرة وذلك الفكر الجبار فكان يتشاغل عنها ويترقب لها الفرص السوانح.

اشتعلت نار الحرب العامة فتشتت أهل هذه البلدة واغتربوا في نواحي

البلاد وكان السيد أحمد أحد المنفيين إلى الأناضول. ووضعت الحرب أوزارها ورجع السيد أحمد وهو أشد ما يكون أملاً وحماسة لمبدئه وفكرته التي اشتعلت في جوانب نفسه.

إن الحكومة الهاشمية هي أول من يشجع علوم الدين، هيا فقد حان الوقت، ولكن كيف السبيل إليه وقد رجع أهل المدينة من غربتهم وهم أشد ما يكونون من الضيق والحرج ولا بد لتوجيههم نحو العلم من سد فراغ الحاجة والفقر اللذين خلفتهما الحرب العامة، وإذن لا بد من الجهاد لإقناع الأغنياء من المسلمين الذين أدركوا حالة أهل المدينة ورغبوا مساعدتهم وذلك بأن خير مساعدة لهم هي ما كانت عن طريق التعلم وآتى هذا الجهاد ثمرته الطيبة ووضعت أسس المدرسة الجديدة في ٢٩ محرم سنة ١٣٤٣هـ بإدخال عدد محدود من التلاميذ في أحد الكتاتيب لحفظ القرآن وتعيين مساعدة مادية لكل منهم تعطى لهم كل أسبوع بعد امتحان يعقده الفقيد في داره كل يوم جمعة. وفتح الله فتوسع مدى هذه الحركة باستئجار خربة وتعيين أستاذ خاص لهؤلاء التلاميذ ثم في سنة ١٣٤٤هـ فتح فرع للعلوم العربية.

وما كاد يذاع نبأ هذا الفرع حتى وصلت للفقيد برقية بإمضاء أكبر رجال ذلك العهد بضرورة إغلاق هذه المدرسة الجديدة وإفهام مديرها أن في أروقة المسجد مجالاً واسعاً للعلوم الشرعية. لم يشأ هذه المرة السيد أحمد أن ينتظر فرصة أخرى وقد مضى من العمر أكثره وضاع من الأمل كل ما كان يرجوه فجلس بتلاميذه في رواق باب المجيدي.

توحيد الزي
خطوة عملية للتوحيد الاجتماعي العام

توحيد الزي خطوة عملية في طريق التقارب الاجتماعي والاتحاد الروحي الذي ينشده كل إنسان أحس بكيانه القومي وواجبه الديني؛ وليس من شك أن هذا الزي «المشكل» الذي يقع عليه نظرك صباح مساء في كل بلد من بلدان الحجاز لا يسر المفكرين الناهضين بل تهلع نفوسهم من مدى تأثيره السيىء في الشيوخ والناشئين.

وأذكر أن الأديب المفكر أبا عبد المقصود أثار مرة هذه القضية على صفحات الجرائد ونالت الفكرة استحساناً وطلبت المعارف العامة الموافقة من المقامات العليا على توحيد الزي في المدارس الأميرية. وفعلاً تمت الموافقة واختير الشكل، وهل ساعد أولياء التلاميذ المعارف العامة فلبوا النداء وفصلوا لأبنائهم الزي المطلوب ما ندري؟ ولكن الذي لا نشك فيه أن بعض الآباء تعسر عليهم إجابة الطلب لضعف حالتهم المادية، غير أن هؤلاء مهما كلف الأمر عليهم فلا بد أنهم ـ تحت تأثير العوائد والتقاليد ـ صانعون لأبنائهم بدل العيد، فإذا كان لا بد من البدل الجديدة فلماذا لا تكون البدل الرسمية التي اختارتها المعارف؟ ولماذا لا يجاري الأغنياء الفقراء فيقتصرون هم أيضاً على هذا الزي (تغايير) لأبنائهم فيواسون الفقير

بالمساواة في الزي ويخطون خطوة وطنية في نفس الوقت ويساعدون المعارف في تنفيذ مشروعها ويرضون أبناءهم باللباس الجديد.

وما على الأغنياء لو تبرعوا بمناسبة العيد للفقراء من الطلبة بهذه الثياب الرسمية فيؤدون زكاة أموالهم ويكسبون الثناء من الله والأمة والوطن؟ وما علينا نحن الكبار لو خطونا خطوة ثانية فتكاتفنا ـ كما تكاتفنا على استعمال التمر ـ على استعمال زي مخصوص للعيد لا يكلف الفقير ولا يحط من أبهة الأغنياء؟ فحسبنا ما نراه من المآسي التي يتقرح لها القلب ويندى لها الجبين وكلها في سبيل «تغييرات العيد».

وأعتقد أن الطريق العملي لهذا هو اتفاق الأغنياء على لباس اقتصادي مخصوص والظهور به أمام الجمهور وازدراء ومقاطعة كل من خالفه في هذا اليوم.

فهل يا ترى تجد هذه الكلمة البريئة أذناً صاغية من الوطنيين الأغنياء فترى عيني في هذا العيد السعيد ذلك الغني المتبوع الذي برز للناس بثوبه الاقتصادي الذي ندعو إليه وتسمع أذني عما تبرع به لفقراء الطلبة من الثياب الرسمية وعما بذله لإرضاء أبنائه «بتغيرات» المعارف الرسمية سواء كان ابنه طالباً أم لم يكن؟.

وإنه بذلك سوف يضع نفسه في أول القائمة بين الوطنيين الخالدين، فإن هذه الأسس التي قد يعدها البعض غير مهمة سيكون لها في تاريخ هذه الأمة المجيدة لمعان أي لمعان.

الجزيرة العربية والماء
وَكِتَابُ «تاريخِ الْعَيْنِ الْعَزِيزِيَّةِ بِجُدَّة»

أهمية الماء للحياة

ما من شك أن الماء مرفق حيوي له أقصى الأهمية في كل قطر وفي كل بلد من أقطار الدنيا فالماء هو الحياة ولا حياة بلا ماء غير أن شدة الاهتمام بالماء وينابيعه تختلف اختلافاً كبيراً بين قطر وقطر وبلاد وبلاد فالبلاد التي حباها الله الأنهار تجري والأمطار تتوالى يقل الاهتمام فيها بالماء وينابيعه عن تلك البلاد التي شحت موارد المياه فيها وأمسكته عنه السماء، ونحن نعيش على أرض شحت الموارد الطبيعية للمياه فيها وكان هذا الشح يهدد السكان والحياة فيها عمرانياً واقتصادياً وتجارياً، لذلك كان من الواجب المحتم على كل فرد مثقف من أبناء هذا البلد أن يعرف كل شيء عن موارد المياه في بلاده وعن الجهود التي تبذل في إحياء هذه الموارد وتعزيزها ولتكون له هو يد وجهد في البحث والتوجيه توجيه أنظار المسؤولين عن هذا المرفق ليكونوا على يقظة دائمة للعناية والاهتمام والمحافظة على هذه الثروة الغالية، وإذ يقوم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بهذا البحث القيم في مؤلفه الجديد (تاريخ العين العزيزية بجدة) فإنه يوجه عناية كل كاتب وقارىء في هذا البلد إلى واجبه نحو الاهتمام

بهذا المرفق الهام في بلادنا ثم هو يكشف عن الجهود التي بذلت وتبذل والعناية الكبيرة التي وجهها المرحوم الملك عبد العزيز وشبله الفيصل أطال الله بقاءه في جلب الماء إلى جدة من موارد قصية لم تكن لتدرك لولا الهمة القعساء، والبذل السخي والحرص الشديد على دوام تعزيز مجاريه وصيانتها فأصبحت جدة بعد وصول الماء إليها ذات مكانة وأمجاد وبعد أن كانت محصورة ضمن نطاق سور ضيق تكاد تكون مدفونة بين جدرانه.

أثر الماء في الجزيرة غزارة ونزارة

إن الجزيرة العربية وإن كانت كما يقول المؤرخون قبل آلاف السنين أرضاً خصبة تجري فيها الأنهار وترتفع في واحاتها الأشجار الباسقة وتمتد في ساحاتها الجنان المزدهرة والرياض الخضراء والقرى النضرة إلا أن الجزيرة عاشت بعد ذلك قروناً طويلة ترزح تحت عبء الجفاف وانقطاع الأمطار وقساوة الصحراء فقد كفر سكان الجزيرة النعمة كما جاء في إشارة في القرآن الكريم وقالوا في غرور من البطر وكفران النعم: ربنا باعد بين أسفارنا فقد كانت قراهم متصلة العمران خصبة الأودية والجبال وكان جزاء الكفران أن تحولت الأرض في محورها وتقلص غشاؤها وتغيرت تبعاً لذلك أجواؤها فجف ما كان خصباً في الجزيرة وأخصب ما كان جافا في غيرها وتحولت الجزيرة العربية إلى بلاد صحراوية قاحلة أمسكت عنها الأمطار وقست عليها الطبيعة وعاش سكانها أجيالاً وأجيالاً يتنقلون من جهة إلى جهة طلباً للماء والكلأ لم تنتعش فيها حياة، ولم تنم فيها حضارة والحياة إنما تنتعش والحضارة إنما تنمو في ظلال الخمائل ومجاري الأنهار وقد حرمت الجزيرة منهما كل الحرمان فالمدن كانت أشبه بالقرى مبعثرة هنا وهناك والبدوي كان يعيش عيشة كد دائم لا هناء ولا استقرار، وكانت

الحضارات تنتشر حول الجزيرة وعلى أطرافها وحدودها تنشأ دول وتزدهر ثم تضمحل وتندثر والجزيرة هي هي في كدها وعنائها وغفلتها فعلى ضفاف دجلة والفرات نشأت دولة البابليين والآشوريين وازدهرت حضارتها، ودولة الفرس وحضارتها وفي الغرب دولة الفراعنة وحضارتها وفي الشمال على ساحل البحر الأبيض المتوسط دولة الفينيقيين وحضارتها وأمبراطورية الرومان وحضارتها مرت العصور وازدهرت حضارات وقامت دول واضمحلت أخرى وموطن الجزيرة مازال يسير في خطه في الحلقة المفرغة. دوران دائم خلف الكلأ والماء لا يدري ساكن الجزيرة شيئاً عما يجري على حدوده إلا ما كان ينقله إليه تجار القوافل الذين كانوا يمرون بتجارتهم من الهند إلى الشام.

قلة الماء من الأسباب دون غزو الجزيرة

ورغم العراك الدائر على حدود الجزيرة بين الفاتحين والزعماء لم يفكر أحد منهم في غزو الجزيرة واقتحام حدودها والتوغل في أراضيها، وأي شيء يغري المستعمرين والغزاة، إلى اقتحام أراضٍ لا ماء فيها ولا كلأ ولا ثراء ولا مطمع وهذا هو السر الذي جعل الجزيرة تعيش مطمئنة في عزلتها، وفي تاريخ ما قبل المسيح عهد إمبراطور الرومان الأول أغسطس إلى عامله حاكم مصر غزو الجزيرة واكتشاف خبايا أرضها ففعل فلم يجد غير الصحاري القاحلة وغير الجهد والعناء ومات الكثير من جنوده في فيافيها من العطش فكر راجعاً ولم يفكر بعد ذلك أحد من الطامعين والغزاة أن يعيد الكرة.

الإسلام يحيي موات الجزيرة

وجاء الإسلام وبقوته السماوية خرج عرب الجزيرة من عزلتهم وفتحوا

الثغور ونشروا الإسلام وانتشروا وسادت حضارة الإسلام في كل مكان تقريباً.

ومع ذلك ومع انتشار الإسلام واتساع رقعته فإن حاجة الجزيرة الطبيعية إلى الماء ما زالت حجر العثرة في تقدمها وازدهارها ولعلّ انتقال مقر الخلافة إلى الشام من أهم أسبابه حاجة جزيرتنا إلى الماء وبدائية العلم في استكناه ينابيعه ومجاريه فإن حضارة الإسلام بعد انتشاره كان لا بد لها من المجال الواسع لتنمو وتزدهر وكما سبق أن قلت فإن الحضارة إنما تنمو وتزدهر تحت الظلال وبين الخمائل ومجاري المياه وينابيع الأنهار ولم تكن حاجة الجزيرة إلى الماء لتخفى على علماء الجزيرة ودعاتها وأهل الرأي فيها فقد حث الرسول عليه السلام في أحاديثه على احتفار العيون والاهتمام بها وكذلك فعل الصحابة والأتباع والملوك والحكام والتجار والأعيان.

أهمية كتاب العين العزيزية بجدة

ومن هنا نجد أهمية هذا البحث القيّم الذي قدمه الأستاذ عبد القدوس في كتابه (تاريخ العين العزيزية بجدة) وليس هذا السفر الثمين تاريخاً خاصاً بالعين العزيزية بجدة بل هو بحث تاريخي عام لحاجة الجزيرة إلى الماء واهتمام الملوك والعظماء والحكّام والتجار به في كل عصر وزمان، إذ عليه يتوقف ازدهار الجزيرة ونمو حضارتها وتقدم اقتصادها وعمرانها.

والأستاذ عبد القدوس عالم بحاثة واسع الاطلاع دقيق الملاحظة يتتبع الحوادث ويربط أحداثها بعد فحص وتمحيص فتخرج سلسلة متصلة الحلقات لا تكاد تجد بينها ثغرة تنفذ منها وهو متخصص فيما كتب من الكتب التاريخية لأنه قد كرّس حياته وجهده للتاريخ وأنت لا تكاد تنتهي من قراءة هذا الكتاب حتى تجد نفسك قد تشبعت وألمت كل الإلمام بتاريخ المياه في

بلادك وتجد فوق ذلك أن من الواجب المحتم عليك أن تسهم مع كل مواطن في تعزيز مرافق المياه في بلادك وتشترك اشتراكاً فعلياً في ذلك.

الصيانة: سر خلود العين العزيزية بجدة

وقد علّل الأستاذ عبد القدوس في بحثه وتدقيقه أسباب اندثار عين الغوري والعين الوزيرية وانتعاش العين العزيزية وازدهارها رغم استمرار العمران في جدة وتضاعف سكانها أضعافاً مضاعفة فأنا أكاد أجزم بأن عمارة واحدة من عمارات البنك الأهلي الكبيرة قد تصرف من الماء في هذه الأيام ما يعادل ما كانت تصرفه جدة بكاملها ذات السور المحيط بها قبل التطور ويعود ازدهار العين العزيزية وثبوت مواردها للماحية مؤسس هذه البلاد المغفور له الملك عبد العزيز فقد هيأ لها قبل وصولها إلى جدة ما يضمن ثباتها واستمرارها فإن صيانة أي مشروع وضمان استمراره في رأي ذي النظر الثاقب أهم من إقامة المشروع نفسه وهذا ما فعله المغفور له الملك عبد العزيز فقد دعم رحمه الله مشروعه بما يضمن استمراره وثباته فمنح إدارة العين كل الأراضي الواقعة على جانبي مجرى العين على طول امتداده وعزز الملك فيصل هذا المركز بمنح إدارة العين مدينة حجاج الجو. وسكان جدة اليوم قد يصلون إلى نصف مليون نسمة، والمنتظر مضاعفة العدد وازدياد السكان والحدائق، ولا خوف على العزيزية من ذلك فإن الدعم المالي الذي اختصت به هو الآخر سيزيد ويتضاعف ليساير كل تقدم وكل توسع.

الماء ومستقبل المملكة

وبعد، فإن اهتمام الحكومة السعودية بموارد المياه في الجزيرة أمر له شأنه في مستقبل المملكة وتقدمها وازدهارها وحضارتها فإن المال والعلم متى توافرا صنعا العجائب، والمال والحمد لله متوافر والعلم قد غزا

الفضاء وأخرج الخبايا من مكامنها وبطريق العلم قد أخصبت أراضٍ كانت قاحلة، وأصبحت بلاد ذات حضارة وعلم وصناعة، ولا نستبعد إذا استمر اهتمام الحكومة بهذا المرفق أن نسير بين جدة ومكة، وجدة والمدينة، بين رياض وجنات وتلك هي الأمنية التي نرجو أن تتحقق وتسعد بها نفس كل عربي وكل مسلم.

يجب أن لا تخلو منه أية مكتبة عربية

وبعد فإن كتاب تاريخ العين العزيزية بجدة كتاب قيّم ثمين يجب ألا تخلو منه أي مكتبة عربية وهو إلى جانب كونه بحثاً تاريخياً قيّماً عن المياه في الجزيرة يضم بين دفتيه علماً وأدباً.

وقد عنى الأستاذ عبد القدوس بإلقاء الضوء على الرجال العاملين الذين بفضلهم وإخلاصهم وصلت نتائج العين الباهرة إلى ما هي عليه الآن، وأثنى على رئيسها العام المرحوم الشيخ عثمان باعثمان الذي ناضل وجاهد وقاوم الكبير والصغير ليثبت حقوق العين وليدعم مركزها المادي وتوفي في ساحة الجهاد وهو قائم بدعم مركز هذا المرفق الحيوي الهام.

وثناء أضيفه أنا لخلفه السيد حسين الصافي الذي يسير على خطوات عمه في الإخلاص والجهاد.

وعلي، أن أشكر الأستاذ المؤلف بالنسخة المهداة إلي والتي خرجت من مطالعتها بهذا البحث الذي أرجو أن يكون فيه بعض الفائدة وبعض المشاركة في تكريم المؤسس رحمه الله وكل من شارك في هذه الخدمة الوطنية العامة.

مفهومية المثقفين

بعد صدور البيان الوزاري التاريخي المشهور هب الكتاب استجابة للدعوة الكريمة، ومشاركة في تثبيت كياننا وتعزيزه، هبوا يطالبون ويناقشون حول النظام الأساسي وتطوير مجلس الشورى وتحسين أوضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومحاربة الاستغلال وأنانية رأس المال تحقيقاً للعدالة الاجتماعية ورغبة في تثبيت قواعد الاستقرار بين عموم أفراد الشعب؛ فإن الاستقرار الاجتماعي من أهم أسباب التقدم والازدهار بل إن الاستقرار الاجتماعي يكاد يكون السبب الوحيد للتقدم والازدهار، فالعائلة المستقرة في وسائل عيشها تربي أبناءها تربية حسنة وتقدم للوطن أبناء صالحين يبنون ويرفعون، والحكومة المستقرة تستطيع أن تحصر جهودها في الإنشاء والتعمير والتقدم بشعبها إلى المستوى الرفيع.

وقد قابل الجمهور هذه المناقشات بالتهليل والترحيب وأقبلوا على قراءة الجرائد التي تنشرها إقبالاً منقطع النظير فماذا فعل الكتاب؟

قال «شيخ فاضل» يرد على من كتبوا يطالبون تصحيح أوضاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ إن هؤلاء الكتّاب من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وهذا مثل مما قال وليس كله ـ أعوذ بالله؟ هل قرأتم أيها القراء شيئاً من هذا فيما كتبه الكتاب؟

وجاء «كاتب آخر» يتحدث عن تطوير مجلس الشورى وانتهى به الأمر إلى أن يطالب بأن يكون هذا المجلس بالتعيين وأن تتحدد صلاحيته في تقديم الشورى فقط. . الشورى التي يرى أن لا يلتزم بها جهاز التنفيذ، فهل هذا من التطوير في شيء؟

إن حضرة الكاتب المحترم لو رجع إلى النظام الأساسي لمجلس الشورى لوجد أن الصلاحيات المعطاة لمجلس الشورى قبل ثلاثين عاماً أكثر بكثير مما يطالب به الآن.

وجاء «كاتب آخر» يدافع عن الشركات فقال إن الذين يناقشون أوضاع الشركات إنما يناقشونها لغيظ في نفوسهم على هذه الشركات، لأنهم حرموا عضوية مجالس إدارتها ـ وقال يؤلب الحكومة على هؤلاء الكتاب إنهم يقصدون الحكومة ضمناً بأنها تقف بجانب الاحتكار والاستغلال.

وجاءت الشركات تدافع عن نفسها أمام المطالبين بضرورة خفض التسعيرة لتقول ـ إن التسعيرة وضعت بقرار حكومي. ومعنى هذا بالطبع ـ أسكتوا وإلا أنتم تعارضون الحكومة؟

هذه هي (مفهومية) المثقفين اليوم كما فهمتها أنا، فهل فهمها القراء كما فهمتها أم أنا الذي (مفهوميتي) ضعيفة ويجب أن أعتزل الكتابة وويل للشعر من رواته كما يقولون.

غاية التعليم

من الخطأ الشائع أن نعتبر الغاية من التعليم هو تأهيل الطالب للمعيشة والكسب فقط. إن هذا الفهم يجعل غاية التعليم غاية مادية محضة ويملأ الوطن بجيوش جرارة من طلاب الكراسي في دواوين الحكومة. ويحجب هذا الفهم للغاية من التعليم عن الأمة تلك المبادىء السامية التي كان العلم سبيلاً إليها، فغاية التعليم السامية هي خلق أمة واعية ومواطنين صالحين والسمو بروح الأمة لتتذوق الآداب العالية وتهيم بالفنون الرفيعة والبحوث العلمية العميقة التي تصل بها إلى الخلق والإبداع في مجالي التجديد والاختراع. وفي كلمة موجزة إن الغاية من التعليم هي الوصول بالأمة إلى التعلق الصادق والانفعال المثير لكل المعاني الرفيعة المجموعة في كلمتي التمدن والحضارة.

ما لم تجعل الأمة هذه الغايات هدفها من التعليم، فإنها لن تستطيع أبداً أن تقف في الصف الأول أو تدعي أنها أمة ذات قيمة تاريخية وحضارة عريقة.

والتعليم الذي لا يرمي لهذه الأهداف تكون حصيلته أمة قصيرة النظر ضعيفة الإدراك لا تسمو بأرواح أبنائها إلى الأوج وتعيش دائماً برغبات مادية سفلية تجذبها إلى الحضيض.

فيصل . . هل فطنا له لنتجاوب معه ونحقق المعجزة

مجتمعنا اليوم يعيش في تجربة من أعنف التجارب التي مرت به ويمر بفترة من أدق فترات حياته، ذلك لأن هذا المجتمع عاش حقبة كبيرة من الزمن ـ عشرة قرون أو أكثر ـ تتجاذبه تيارات كثيرة مختلفة كان من أسوأها تحكم الاستعمار وتحكم الفرد والصراع العقائدي العنيف، وكانت نتيجة هذا التجاذب انفصالنا التام عن ماضينا المجيد وخلق مجتمع تسيطر عليه الأنانية وتتحكم فيه الفردية وتشمخ فيه نفوس ضللها الجهل وطغت عليها المادة فحجبت عن عيونها نور الحق وانتزعت منها خلق الرحمة والعطف والقناعة وأنستها واجبها نحو وطنها ومن يعيش فيه من الطبقات الفقيرة الكادحة. . نعم هذا هو المجتمع الذي عشنا فيه وتمكنت مبادئه من نفوسنا فعبدنا المال ولم نتحرج في جمعه من حلال وحرام، بل لم نتحرج وقد تخمت نفوسنا أن ننتزع اللقمة من فم الآخرين لنزيد بها رصيدنا في البنوك ونكثر في عدد ما نملك من عقار، وانحرفنا عن المثل العليا فلم نؤمن بالكفاية والعدل ولم تعرف أطماعنا وشهواتنا حدوداً تقف عندها، فكلما زاد رصيدنا زدنا جنوناً وتكالباً، ووقفنا سداً منيعاً في وجه تقدم الآخرين، ولم نكن نحن وحدنا الذين يعيشون في مثل هذا المجتمع

المتكالب، بل إن الأمم الآسيوية والإفريقية التي ابتليت بالاستعمار بجميع أشكاله، عاشت في أقسى التجارب من حياة الإقطاع الذي ركزه الاستعمار وشمله بعنايته ورعايته وهو يوهم الإقطاعيين أنه حليفهم وصديقهم ليقفوا في صفه ضد الكثرة من أبناء وطنهم ويجعلوا منهم عبيداً يهيئون الخامات لمصانع أسيادهم المستعمرين.

وكان لا بد مهما طال الأمد أن تتهيأ الظروف لتوقظ الشعوب المغلوبة على أمرها فاستيقظت، وهال الاستعمار أن تأخذ هذه اليقظة طريقها الصحيح فتنقلب الكفة ويلحقه الضرر.

إن أخوف ما يخافه الاستعمار رجوع الأمم الإسلامية إلى مبادىء دينها فيعيد حكامهم سيرة عمر رضي الله عنه وخلفائه، ويعيد تجارهم سيرة عثمان رضي الله عنه، ويعيد علماؤهم سيرة مالك بن أنس رضي الله عنه، بما كانوا عليه من زهد وتقوى وتضحية بالنفس والمال في سبيل الصالح العام. إن الصراع الذي يدور حولنا الآن صراع عنيف سيجرفنا تياره إذا نحن لم نصمد وترددنا في الاستجابة إلى ما دعانا إليه ديننا الحنيف من تحقيق الكفاية والعدل لكل مواطن يعيش في مقاطعاتنا الكبيرة الواسعة في القرية والمدينة، بل وفي كل شبر من هذا الوطن الحبيب. فالقناعة والشهامة وفسح المجال للآخرين ليعيشوا كما نعيش وليتمتعوا كما نتمتع، أخلاق دعا إليها الإسلام وحققها سلفنا الصالح في النموذج الذي قدموه من أنفسهم وتضحياتهم وزهدهم، فعلى من يا ترى تقع تبعة هذا الواجب المحتم، يقول فيصل في خطابه. «أيها الإخوان الكل مواطنون فالمستهلك مواطن، وصاحب المؤسسة مواطن والتاجر مواطن وصاحب الشركة مواطن، فيجب أن يتحمل كل فرد ما يخصه في

خدمة هذا الوطن الكريم ويجب أن تتحمل الحكومة ما يعجز عنه أفراد هذا الشعب مما يجعلهم في راحة تتيح لهم الحياة الكريمة والعيش الرغد وأن تكون ساهرة على مصالحهم مراعية الجميع بنظرة المساواة والعدالة.

وأرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا دائماً هداة مهتدين وأن يعيننا بجهودكم إن شاء الله لما فيه الخير والصواب».

إن فيصلاً يقول إن تبعة نجاح الحكومة في تحقيق الرفاهية والعدالة والكفاية لجميع المواطنين تقع على جميع المواطنين: على التاجر وصاحب الشركة وصاحب المؤسسة، فهل وعينا مغزى هذا الكلام وما فيه من تخطيط دقيق لمجتمع جديد أساسه العدل والكفاية والمساواة؟ بل هل في استطاعتنا أن نعي مغزى هذا الكلام ونحن نعيش في مجتمع أهبل ليس في ذهن أفراده صورة تخطط له نهج الحياة ليعرف كيف يعيش ولماذا يعيش؟! إن الذي يعيش ليكدح بجنون ليجمع أموالاً يكدسها في البنوك وليبني عمارات يشمخ بها أنفه مفاخراً. ويجري وراء إشباع غرائزه الحيوانية ويهزأ ويحتقر الآخرين ليس بإنسان: إنه حيوان تظهر حيوانيته بكل وضوح عندما يهلك غير مأسوف عليه، ويترك كل ما جمع لورثة أفسدتهم رخاوة الثراء وقتل إنسانيتهم التكالب عليه، فإذا كنا نريد حقاً أن نحيا حياة كريمة أساسها الكفاية والعدل فلا بد أن نسعى لنكون أفراداً صالحين نعين «بجهودنا» كل من يريد لنا الخير ولمجتمعنا الصلاح والرفاهية والتقدم.

إننا نخطىء كل الخطأ عندما نفكر أن نجاح الفرد إنما يتحقق بنجاحه في جمع أكبر قدر من المال وفي اقتنائه أكبر عدد من القصور. لا. أبداً، فنجاح المرء إنما يتحقق بمقدار ما يحققه من خدمات لوطنه ومواطنيه وما

يتركه وراءه من أعمال تتحدث عنه كلما تحدث المتحدثون عن الحقل الذي عاش فيه. إن هذا التوجيه في خطاب فيصل يطالبنا في عبارات ذات مغزى بعيد ـ بعيد جداً، يطالبنا بأن يصحح كل فرد منا نظرته إلى الحياة ليعرف ما له وما عليه قبل أن تضطر الحكومة لتجبره على معرفة هذا الواجب المقدس. إن الكلمة موجهة إلى الطبقة الخاصة من كل صنف، الطبقة الفاهمة الواعية التي تطالب بالإصلاح وتطالب بتحقيق العدالة وتطالب أن تعيش حرة كريمة، فالتجار مطالبون بأن يقنعوا بالربح المعقول ومطالبون بأن ينظروا إلى المستهلك كمواطن من حقه أن يتمتع بالكفاية والعدل، وعليهم أن يعطوه حقه فلا يستنفدون كل قرش في جيبه ليملأوا جيوبهم وليرفعوا رصيدهم في البنوك، وأن لا يلحسوا القدح كله من خيرات البلاد ولا يتركوا لغيرهم نصيباً. وصاحب الشركة مطالب أن يدعم اقتصاد وطنه فيوفر لوطنه المبالغ التي يسعى فيجمعها بجنون الشره والطمع لتخرج من دائرة فلك اقتصاد بلاده وتتحول إلى عملات أجنبية تملأ خزائن الشركة التي يمثلها ليحقق لنفسه نصيبه من الكسب. إن إغراء المواطنين كل سنة بموديل جديد دون ضمان من الشركة للموديل القديم، كما تفعل الشركات نفسها في بلادها وفي البلاد الواعية التي تعاملها وجلب قطع الموديلات القديمة بطرق لا تضمن إحياءها، يحول قرش المستهلك الكادح إلى أكوام (خردة) من الحديد ترمى في المزابل والحفر، وأصحاب المؤسسات العامة مطالبون بتقدير حاجة المستهلك فلا يجعلون من حاجته وسيلة للاستغلال. إن ما يدور حولنا من صراع يحتم علينا وإن لم نستقم فسوف نرى أنه لا بد مما ليس فيه بد. إن فيصلاً قد أعطى لكل مواطن حقه في أن يستمتع بجهده وماله وأعطاه حقه من واجب الحكومة في صيانة هذا الجهد والمال وتعهد باسم الحكومة التي

يرأسها أن يوفي ما يعجز الفرد أن يوفيه إذا أدى كل منا ما عليه من واجب نحو هذا الوطن، ونحن المسئولون عنه جميعاً حكومة وشعباً. إن كل كلام يقال وكل دستور يكتب لا يمكن أن يثمر أو يفيد ما لم تتحول معانيه إلى عقيدة يطبقها كل فرد في حياته العملية تطبيقاً صادقاً مخلصاً.. فهل نحن على استعداد لنحول كلام فيصل إلى عقيدة نطبقها ونسير على نهجها لنساعد «بجهودنا» على تحقيق الأمل المرجو ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب ونعطي الحق قبل أن نقسر عليه؟ فإن لم نفعل فهناك طريق آخر (وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن). «وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون» فلنصلح أنفسنا ولنكن هداة مهتدين نعين «بجهودنا» إلى الخير ونعيش في ظل ديمقراطية إسلامية صحيحة بتحقيق الكفاية والعدل لكل مواطن وفي كل بيت.

والله الموفق وهو مناط الأمل والرجاء.

مؤتمر القمة

الله أكبر. الله أكبر. الله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين. أين أنت يا إسرائيل ما بال إذاعتك انكتمت أنفاسها ـ ألم تصلك الأنباء: أين الهيافة التي كان يتنطع بها معلقوك؟! ـ ها هم يا إسرائيل ملوك العرب ورؤساؤهم قد اجتمعوا وهذا هو مؤتمر القمة قد انتهى بنجاح. ألم تسمعي تصريحات العرب وقراراتهم في مؤتمر القمة الثاني ـ لماذا لم نسمع رأيك في هذه القرارات؟.

إن ملوك العرب ورؤساءهم يعيشون في القرن العشرين أيتها الحمقاء؛ هم يعرفون أنهم يعيشون لشعوبهم وشعوبهم تعيش لهم؛ لقد مضى الزمن الذي كان يظن المستعمرون فيه أنهم يستطيعون أن يخلقوا شعباً، ورئيساً وينزلوهم في الميدان للمباراة ويوحون للرئيس (نحن معك) ويوحون للشعب مثل هذا الإيحاء.

إن ملوك العرب ورؤساءهم قد توحدت كلمتهم وتأجج حماسهم، فهم اليوم أول من يدرك ـ يدركون قبل شعوبهم أن توحيد الكلمة وتوحيد الصف وتوحيد الهدف: كلمة الحكام وصف الجيش وهدف الشعوب.

لقد قال سمو الأمير فيصل في خطابه الافتتاحي للمؤتمر: «إن شعب فلسطين أيها الإخوان ينتظر منكم كل مجهود وإن الشعوب العربية في كل

مكان تنتظر منا أن نخدم قضايانا وأن نسعى في تحرير كل البلاد العربية من ربقة الاستعمار ومن نير الحكم الأجنبي، وأن نكون في ذلك مستهدفين مصلحة العرب ومصلحة العرب فقط» هل سمعت هذا الخطاب؟ اسمعيه وعيه، ففيه لكِ درس مفيد. وهل سمعت خطاب سموه في ختام المؤتمر؟ فقد قال سموه: «أيها الإخوان يسعدني في هذه اللحظة السعيدة أن أتقدم إليكم بتهنئتي الخالصة وإلى الأمة العربية لما توصل إليه هذا المجلس من القرارات ومن تصميم على تنفيذ هذه القرارات بكل عزم وقوة، وإننا بهذه المناسبة لنرجو الله مخلصين أن يهب الأمة جمع القوة والقدرة على تأدية واجبها والوصول بمهمتها إلى غايتها المنشودة».

كنتم يا يهود فلسطين تعيشون مع العرب معززين مكرمين لكم كل حقوق المواطن، فما الذي دفعكم للتحدي والاغتصاب؟ ـ أتظنون ـ وفي القرن العشرين ـ أن العرب وصلوا من البلادة إلى هذا الحد؟ ـ يُغصبون ويقهرون وتؤخذ أموالهم وأراضيهم ثم يبتسمون لكم ويمدون أيديهم ليصافحوكم وليعيشوا معكم في أمان على أرضهم المغتصبة وحقهم المسلوب؟ خسئتم: لن يكون هذا أبداً. فالعرب أمة لا تعيش على الضيم.

إيه صهيون غدا موعدكم فاستعدوا وأقيموا المأتما
استعدوا واجمعوا أشلاءكم نحن أقسمنا سنحمي الحرما

ورحم الله امرأً عرف قدره، فقدروا الموقف واسعوا للسلام وردوا الحقوق إلى أهلها، فهذا عمل الإنسانية للإنسانية ولن يكون غير ذلك إما بالصلاح أو بالسلاح.

كلمة «المدينة»

كان الخطاب الذي افتتح به سمو الأمير فيصل المعظم مؤتمر القمة الثاني خطاباً رائعاً، استعرض فيه سموه التعاون العربي في أوسع مجالاته ودعا إلى توحيد الكلمة ونبذ كل ما من شأنه أن يعرقل سير الموكب العربي نحو تحقيق الأهداف السامية التي تحفظ للعرب كيانهم، وتجعلهم يقفون صفاً واحداً في وجه المطامع التي ما زالت إسرائيل تحلم بتحقيقها. وبيّن سموه في وضوح وصدق ما بذله وتبذله الحكومة السعودية والشعب السعودي من المساعي لجمع الكلمة والتضحية في سبيل صالح العرب العام.

إن الحكومة العربية السعودية وشعبها من ورائها، ترجو أن يعمل كل عربي لصالح عروبته ثم لصالح البشرية أجمع؛ فالعربي في كل بقعة من بقاع العرب داعية سلام ودينه دين سلام وللمعتدين اعتداء وللغاصبين الاندحار ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ (سورة البقرة، آية ١٩٤).

إن النقاط الهامة التي ركز عليها الفيصل العظيم في خطابه العظيم هي أماني الأمة العربية في ملوكها ورؤسائها، وهي المطمح التي تشرئب إليه أعناق الأمة العربية.

«إن شعب فلسطين ـ أيها الإخوان ـ ينتظر منكم كل مجهود، وإن الشعوب العربية في كل مكان تنتظر منا أن نخدم قضايانا وأن نسعى في تحرير كل البلاد العربية من ربقة الاستعمار ومن نير الحكم الأجنبي، وأن نكون في ذلك مستهدفين مصلحة العرب ومصلحة العرب فقط».

اللَّهم حقق أمل العرب في ملوكهم ورؤسائهم واجمع الشمل وأنر الطريق.

ورعى الله الفيصل العظيم الذي لم يدع لخطيب ولا لكاتب بعده مقالاً.

عودة الفيصل من مؤتمر القمة العربي:

أهلاً بك أيها الفيصل العظيم. أهلاً بك أيها القائد البطل. أهلاً بك يا حامي الإسلام ويا رافع لواء العروبة. هذه الأمة التي جاءت محتشدة لاستقبالك تفتح ذراعيها لتضمك وتضعك في السويداء.

هذه الأمة التي جاءت تحملك على الأعناق بعد أن حملتك في حبات القلوب. أحبتك لأنها آمنت بقدرتك وأحبتك لأنها آمنت بمبادئك وأحبتك لأنك حميت الإسلام الذي هو قرة عينها ومنبع فيضها ومنار عزها وفخر عروبتها.

لقد كانت أمتك فخورة بك وهي تتتبع أخبار مؤتمر القمة، فقد أيدت مبادئها في رئاستك للمؤتمر وفي خطابك الافتتاحي والختامي التاريخيين. إن الأمة العربية السعودية أمة مسالمة تسالم من سالمها وترد العدوان. إن الأمة العربية السعودية سند لكل عربي أينما كان، لا تدخر وسعاً في تحقيق أسباب العدالة والرفاهية له بقدر ما تستطيع وفي حدود طاقاتها البشرية.

إن الأمة العربية السعودية تسعى لجمع الشمل وتحقيق التفاهم وتدعيم أسباب السلام. إن الأمة العربية السعودية تتمسك بإسلاميتها ولا تحيد عن مبادئها وتقدم في سبيل ذلك كل ثمن. هذه المبادىء التي طالبت بها مؤتمر القمة العربي وهي المبادىء التي يدين بها شعبك ويسعى إليها ويناضل من أجلها.

لقد كنت صريحاً، والعرب اليوم أحوج ما يكونون إلى الصراحة، الصراحة التي تفتت رواسب الماضي، والصراحة هي التي تجعلهم يعيشون بعقلية شعوب القرن العشرين، والصراحة هي التي تجعل العربي يفهم أخاه

العربي ويلتقيان في نقطة واضحة مركزة، واختلاف الرأي لا يعني أبداً اختلاف الأهداف.

لقد حقق والدك العظيم وحدة الجزيرة ـ وينتظر شعبك أن تسعى لتحقيق وحدة العرب، وأنت جدير بتحقيق أمل شعبك فيك. لقد تلاقت القلوب والنفوس وحن الدم للدم وكانت النتيجة الحاسمة بين الأخوين: تصفية الشوائب واستعادة عهد جديد للأخوة في جميع المجالات.

إنها نتيجة رائعة لالتقاء الرئيسين العظيمين.

وفقك الله وسدد خطاك وأنار لك الطريق.

أسبوع ولي العهد المحبوب:

يمتاز الأسبوع الفائت بذلك التيار الكهربائي الساري في نفوس الحجازيين جميعهم، فلا تكاد ترى إلا وجوهاً طافحة بالبشر، وألسنة لاهجة بالثناء، ونفوساً تكاد تطير من شدة البهجة والحبور.

هذه صورة مصغرة جداً للأثر الذي طبعه في النفوس قدوم ولي العهد المحبوب وأخيه سمو الأمير محمد إلى عاصمة ملكهما شامخي الأنف موفوريّ الكرامة مرفوعي الرأس، بعد أن أديا رسالة الشرق للغرب، وبعد أن أثبتا للعالم الغربي أن العربي ابن الصحراء، وإن كان بعيداً كل البعد عن التربية الغربية والأساليب الغربية فهو مرن لطيف شديد الشعور قدير على المحاكاة لأي شعب نزل فيه، لا تمنعه خشونة الصحراء وتباعدها أن يتلطف ويرق وأن يداور ويجاري، وأن يجامل ويتعطف، فيعطي لكل ظرف ما يقتضيه، فلا يفرقه ابن الغرب عن نفسه إلا بذلك الزي الخاص الذي امتاز به العربي الصميم.

ثم إن ولي عهدنا المحبوب دقيق الملاحظة عميق الدرس لكل ما يقع تحت عينيه من أساليب الغرب وحضاراته فيستحسن ما يستحق الاستحسان. ويبدي ملاحظته على ما يستحق الملاحظة، ثم يفرق بعد الاستحسان بين ما يحسن بالشرق تقليده ومحاكاته وما لا يحسن به أن يفعله محافظة على شرقيته وتقاليده.

وهذه الميزة في ولي العهد المحبوب تجعله في عداد عظماء المفكرين في الشرق العربي، وتكشف للغرب جانب العقلية العربية الناضجة، ولا غرو، فهذا الشبل من ذاك الأسد؛ فجلالة مليكنا المحبوب حفظه الله ورعاه، في الطليعة من رجال الفكر في الجزيرة العربية، ومواقف جلالته في ذلك معروفة مشهودة، وأبناء هذه البلدة الطاهرة الذين إن فاتهم أن يحظوا بطلعة ولي عهدهم المحبوب، فلا يفوتهم أن يوصلوا أصوات عواطفهم الجامحة ـ على صفحات المدينة الغراء ـ إلى أذن سموه مبلغين إياه إخلاصهم الأكيد وشعورهم الفياض وتهانيهم الحارة لسلامة العودة لسموه ولأميرهم المحبوب الأمير محمد.

ويرفعون بكل إخلاص للأسرة الملكية وإلى سمو النائب العام الأفخم أجمل آيات التهاني بعودة سمو ولي العهد والأمير المحبوب سالمين غانمين موفوري الكرامة عزيزي الجناب.

أمخاخ

يعرف المبتدئون في اللغة العربية أن لفظة أمخاخ هي جمع مخ، وهو مركز الحس في الإنسان. ولا شك أن الناس إنما يتفاضلون في هذه الحياة بأمخاخهم، فمن كان مخه أقوى فهو بالطبع يكون أقدر فهماً وأكثر إحساساً لما يحوطه من مؤثرات.

ومسألة المخ هذه لا تتعلق بالشهادات التي يحملها الإنسان، وإن كانت الشهادات في الأغلب تدل بمقدار على قدرة حاملها على المحاكاة والتقليد، فلو بحثت عن تواريخ كثير من النابغين في العصور القديمة وفي هذا العصر، لوجدت الكثيرين منهم لم يتخرجوا في جامعة. . هذه دعوى نستطيع أن نبرهن عليها لولا أننا نرى البرهان عليها تمحكاً وتقعراً، وأفلا يكون متمحكاً من يتكلف وضع المقدمات والنتائج ليثبت للناس أن السماء فوقنا والأرض تحتنا. . !

والكاتب ـ أعني أنا ـ يا حضرات القراء الأعزاء يعترف جداً بأنه ليس من أولئك الذين ميزهم الله (بمخ كبير) أو قوي على الأصح، وأنه لشديد الشعور بأنه مبتلى بمخ صغير وضعيف في آن، ولولا إصرار بعض الأصدقاء في الحث على الكتابة لما ابتليت القراء بآثار هذا المخ الذي أشعر بثقلها في نفسي، أما كونه لا يحمل شهادة عالية فهو بديهي معروف

لأني بحمد الله لم أخرج من الحجاز وفي زمننا ـ أعني ونحن طلاب ـ لم يكن في الحجاز مدارس عالية.

نقول هذا على أثر الحديث الذي بلغنا من صديق عزيز ضمه مجلس مع الأستاذ «ع» . . . . . ودار البحث فيه حول كلمتنا في الأسبوع الفائت عن مدرسة تحضير البعثات فكانت حملة الأستاذ شديدة ـ على محسوبكم ـ بل إنه صرح أنه كان يظن أن هذا الكاتب يفهم شيئاً، ولكن قد ظهرت له في هذا المقال العقلية الحجازية في كتابة هذا الكاتب الهجاص.

(وبرضه أنا أقول كده يا أستاذ!).

وقد وهم الأستاذ في كلمتنا فظن أننا نحارب مدرسة البعثات ونحط من قدرها ونظن أن العلم طعام سائغ يستطيع أن يلتهمه الطالب في فرصة زمنية قصيرة. . . لا يا أستاذ، ما هذا أردت وأرجوك أن تتفضل بقراءة الكلمة مرة أخرى. وإن كان لي عتب على الأستاذ فهو تحامله على فكرة كتابية في مجلس غاب عنه الكاتب الذي كان قد يستطيع الدفاع عن نفسه. أما إذا كان الأستاذ يستبعد أن يضمه مع الكاتب مجلس، ففي صفحات الجريدة متسع، وإذا لم يتنازل بالرد على صفحات الجرائد فيجب أن لا يتنزل فيحط من عقليات الحجازيين أجمع في مجالسهم.

شعورنا نحو فلسطين

يخيل إلي وأنا أسمع هؤلاء العلماء ـ علماء المسجد النبوي ـ يوم أن بلغهم خبر التقرير الذي وضعته اللجنة الملكية لتجزئة فلسطين، وهم المعروفون بالهدوء والسكينة والموصوفون بأخذ الأمور بالحكمة والموعظة الحسنة، أن قوة الصبر في نفوسهم قد نفدت، وأن بركان هدوئهم قد انفجر؛ فإننا لم نكن نسمعهم يتكلمون بألسنتهم ولكننا سمعناهم يبكون وقلوبهم تفيض على ألسنتهم، وهذا الدمع الذي كان يفيض من أعين آلاف السامعين لم يكن إلا انفجاراً من هذه النفوس المتأثرة، وتخفيضاً لتلك العواطف المكبوتة، ودليلاً قاطعاً على أن المسلمين لا يفرطون ولكنهم يرون في السكون تحفزاً لانتظار الفرصة.

الفرصة! فلا يظن غاشم أن ٤٠٠ مليون مسلم سوف يرضون بتقسيم فلسطين أو أنه سوف يكتفي بالاحتجاج والاستصراخ.

هذه العين نظرت وهذه الأرجل مشت، مشت في جموع المحتشدين الذين كانت نفوسهم تقفز في أجسادهم وأرجلهم تتوسع الخطى إلى الأمام! إلى الجهاد! إلى فلسطين! ولولا أن هذا القصر الأميري في طريق المتظاهرين، ولولا أنهم رأوا من الضرورة إبلاغ احتجاجهم إلى هذا الأمير لرفع العسف عن فلسطين بالطرق الدبلوماسية.. ولولا أن هذا الأمير، هدأ

الخواطر واستعمل الحكمة وكتب أمام المتظاهرين برقية باحتجاجهم إلى جلالة الملك المعظم، لكانت الحال غير الحال ولأخذت هذه الجموع طريقها إلى فلسطين إلى الجهاد في سبيل رفع الظلم والعسف (وليمت من مات في الطريق! وليحصل ما حصل في سبيل الذب عن فلسطين، فالكل مجاهدون ولكل ثواب الجهاد).

أجل، فليس خيالاً ما أقول، ومن يعرف النفس الثائرة للكرامة والدين ومن يعرف النفس التي وصل بها الأمر إلى حد الخروج عن التعقل، يعرف أنها تعمل الجائز والمستحيل! وهل سمعت إلى صحفينا العجوز وهو يصيح في الشوارع من غير شعور ولا وعي لغير ما هو فيه (فلسطين بلاد عربية! لا نرضى بتقسيم فلسطين! نفدي فلسطين بأرواحنا!) وهل سمعت فهمي وهو يتقدم بعض المتظاهرين يصيح في حرارة وتأثر (ليسقط وعد بلفور ولتحيا فلسطين العربية).

وهل سمعت زيدان وهو يصيح خطيباً وقد ضيع الموقف منه رزانته ومحافظته على تقاليد الخطابة (هلموا لرفع التعسف عن فلسطين). . . . وأخيراً هل سمعت الشيخ الداغستاني وعلامات الضجر بادية عليه، وفي كل نبرة من نبرات صوته ولعة يشعل بها نفوس السامعين، فترتفع هذه النفوس وتنحط مرات ومرات! وهل سمعت الشباب المتعلم الذي كنت تسمعه في كل ناد يخطب يصيح (هذا يكفي أيها الخطباء! فامشوا إلى فلسطين لنذب عن الحياض ولنموت في سبيل الكرامة ولنغير بدمائنا هذا الحال ولا خير في العيش مع الذل).

وأسمع مني حديث (أبو محمد) رجل الحارة العجوز (والله يا شيخ هؤلاء لا ينفع فيهم إلا الجهاد، والله إني أعتقد أني أقابل ١٠٠ من هؤلاء

اليهود. آه، بس يأذن لنا ابن سعود وعين عيونك وايش نبغي من الحياة، دماؤنا وأموالنا في سبيل الله).

لكم الله أيها الخطباء! فلقد ألهبتم حماس الأمة ووضعتم أيديكم على مواضع الألم من نفوسهم، فشعرت بمرارة الألم وصاحت تبغي الانتقام في جنون العاطفة لا في هدوء العقل.

ثرتم للكرامة بعد طول الصبر، فثار شعبكم مؤيداً صارخاً، وخلعتم العذار في سبيل القضية الإسلامية الكبرى فخلع شعبكم العذار يبغي الانتقام. الحق أن المسلمين إلى خير، والحق أن المسلمين كالجسد الواحد.

تعس العداة فما يفرق شملنا   متفرق الأسماء والآحاد
ظلموا وما علموا بأن وراءهم   شعباً وأن الله بالمرصاد

إن الأمر عظيم في بريطانيا العظمى المعروفة باحترامها للمبادىء والمحافظة على الشعور العام بأن تعيد النظر في قضية فلسطين وتنصف العرب وتعيد للمسلمين هدوءهم وطمأنينتهم. وإن رجال بريطانيا المعروفين ببعد نظرهم وصحة حدسهم سوف لا يتحدون شعور ٤٠٠ مليون مسلم تربطهم مع الكثيرين منهم روابط وثيقة، وسوف يقدر رجال الاقتصاد منهم أن عدم التعاون الاقتصادي من مثل هذا العدد سوف يؤدي حتماً إلى ضرر جسيم، وسوف يقدر رجال السياسة والحكم في بريطانيا أن تحفز هذا العدد وتربصه الفرصة للانتقام لا ولن يكون من صالح إنجلترا في وقت ترى فيه أوروبا نفسها تهيىء هذه الفرص.

كنت في غانا

أكرا الحديثة

لم تكن أكرا في الأصل هذه المدينة ذات الطابع الحضاري الحديث فيما يسمى بمدينة أكرا اليوم، فقد كانت عدة قرى كبيرة تتناثر في السهل الفسيح الممتد على شاطىء المحيط، وكان يسكن هذه القرى قبائل ذات عادات ومعايش مختلفة؛ فسكان القرى القريبة من الساحل يعيشون على صيد الأسماك وصناعة القوارب؛ أما سكان الشمال فأهل حرث وزراعة، وكان هؤلاء السكان عرضة للخطف والاتجار من أولئك البيض الذين كانوا يرتادون هذه السواحل باحثين ومغيرين ومهربين، وما زالت حصونهم وقلاعهم التي كانوا يحتمون بها باقية في أكرا حتى اليوم. وبمرور الزمن وتحسن المواصلات، تكونت من مجموعة هذه والقرى المستحدثة بسبب ما استجد من ظروف وحالات (مدينة أكرا). ورغم التقدم الحضاري السريع في أكرا بعد أن أصبحت عاصمة جمهورية غانا، فإن آثار التباين في عادات أهلها وتقاليدهم، ما زالت واضحة نتيجة لمجموعة القرى التي تكونت منها المدينة والتي يختلف أهلها في العادات والتقاليد، وإنك لتلمس آثار هذا الاختلاف في مناسبات الأعياد والاحتفالات التي تقام في الشمال والجنوب، وقد يتخالفون في تواريخ الأعياد والمناسبة واحدة، وكذلك

الأمر في طرق العيش والحياة؛ فبينما يتمسك سكان الشواطىء باستمرار الحياة التي كانوا يعيشونها في الماضي فيعملون قوارب صيدهم بأيديهم ويكرهون استعمال القوارب ذات المحركات، تجد في قلب المدينة أحدث المخترعات، وتجد السيدات يتسابقن على موديلات الأزياء الحديثة، وبينما يقاوم رجال الدين من الطراز القديم التيارات الحديثة المختلفة، يؤيد المحدثون هذه التيارات ويقاومون طراز الحياة القديم.

وقد تقع عينك في الشوارع المزدحمة بالسيدات اللواتي يرتدين أحدث الأزياء على شابة تتزر بإزار عارية الصدر، مصنوع من الخرز الملضوم، إن معنى هذا في تقاليد قبيلتها أنها تؤدي طقوساً خاصة ببلوغها سن الرشد. وعلاوة على كل هذا فهناك تقليد ملحوظ يعرف به الشخص إلى أية قبيلة ينتسب إذا ذكر لك اسمه، فكل اسم يحمل حرفاً خاصاً يرمز إلى القبيلة التي ينتمي إليها.

وفي عام ١٩٦١ ـ ٢٩ مارس أعلنت حكومة جمهورية غانا المستقلة اعتبار أكرا عاصمة الجمهورية. وكان ذلك ذروة التقدم الذي بدأ في أكرا منذ أكثر من ستين عاماً، عندما عقد فيها لأول مرة في عام ١٨٩٨.. أول مجلس قومي في أكرا وتحت تأثير التوسع المطرد للمدينة، عين مجلس المدينة للتخطيط وحتى عام ١٨٧٦ وقبل أن تنقل الإدارة العامة للحاكم البريطاني إلى أكرا، كانت مدينة ـ كاب كوست ـ المركز الحكومي لساحل الذهب.

وبعد هذا الانتقال بدأت أكرا تتقدم بسرعة؛ فإن تحول مركز الحكومة إليها حوّل إليها الأنظار، وأصبحت مركزاً لجميع المؤسسات التي يفضل دائماً أن تكون مراكزها الرئيسية بالقرب من المركز الرئيسي للحكومة.

وعدد سكان أكرا اليوم يقدر بـ ٣٨٨٢٠٠ وتعتبر أكرا أهم مدينة ذات أثر فعَّال في الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية في غانا، ويقدر عدد المهاجرين إليها سنوياً بثلاثة آلاف شخص؛ وقبل إتمام مشروع ميناء تيماء الحديث وهو من المشاريع الهامة التي حققتها الجمهورية بعد الاستقلال. كانت أكرا تعتبر ميناءً هاماً ومركزاً للتوزيع. والآن وبعد إتمام مشروع ميناء تيماء الحديث قلّت أهميتها في هذا الحقل، إلا أن أهميتها قد ازدادت كمركز تجاري وزراعي ومنبع للإشعاعات الوطنية. وفي أكرا مآثر تاريخية ذات طابع خاص منها الحصون التي بناها المغيرون المستعمرون منذ القرن السابع عشر من البرتكيز والسويد والدانمارك والهولنديين والبرتغال وإنكلترا وأشهر هذه الحصون وأقدمها حصن كريستيان بورغ وقد بناه البرتغاليون حصناً لهم ومركزاً لتجارتهم حوالى عام ١٥٧٨م، وكان هذا الحصن موضع غارات من المستعمرين أنفسهم فقد استولى عليه السويديون عام ١٦٥٧ وأعقبهم عليه الدنماركيون فانتزعوه منهم وفي عام ١٨٥٠ حل الإنكليز محل الدينماركيين بعد أن تم التفاهم بينهما ومنذ ذلك التاريخ أصبح نفوذ الإنكليز يتغلغل في المنطقة وبمدافع هذا الحصن أخضع الإنكليز سكان هذا الساحل من القبائل وسخروهم وفرضوا عليهم الضرائب ثم هجروه بعد توغلهم واستحكامهم فاستعمل مستشفى للمجاذيب لفترة من الزمن وفي عام ١٩٠٠ أعيد بناؤه واتخذ قصراً لرئيس الوزراء ثم سكناً لرئيس الجمهورية وفي جناح خاص منه تعقد جلسات مجلس الوزراء. وحصن أشرفورت وهو حصن قديم بناه الهولنديون عام ١٦٤٢ واتخذوه مقراً لتجارتهم وغاراتهم على السكان ثم أصبح في يد الإنكليز ثم استرده الهولنديون ثم هجروه في عام ١٨١٦ ثم عادوا إليه وفي عام ١٨٣٠ ـ أعادوا بناءه بعد أن أصبح حطاماً بسبب زلزال كان قد اجتاح المنطقة وموقعه اليوم بالقرب من

بناية البريد العام واستعمل سجناً عاماً لمدينة أكرا. وحصن جيمس وهو حصن بناه الإنكليز عام ١٦٧٣، وفي هذا الحصن سجن الدكتور نكروما ورفاقه في ثورتهم ضد الاستعمار ومطالبتهم بالحكم الذاتي عام ١٩٥٠.

وفي أكرا مساحة كبيرة تقدر بستة أميال وتقع إلى الشمال من قلب المدينة وهذه المساحة تعتبر موقعاً من أهم المواقع التعليمية في أكرا وربما في غانا كلها وفي القسم الشمالي من هذه المساحة تقع جامعة أكرا أما القسم الجنوبي فعلى أرضه بنيت أكبر مدرسة ثانوية في أكرا وفيه معهد الإدارة العامة ومعهد إدارة الأعمال. وفي أكرا اثنتا عشرة مدرسة ثانوية ومعهد فني ومائتان وسبع وسبعون مدرسة ابتدائية ومتوسطة ومعهد صحفي ملحق بالمعهد الفني وفيها ثلاث مكتبات عامة ومتحف تاريخي ومتحف فني ومتحف للفنون الإفريقية في مختلف العصور وفيها مسرح للدراما الإفريقية وفي أكرا عدة سينمات شتوية وصيفية وبها أستاد رياضي يتسع لخمسة وعشرين ألفاً وفي هذا الأستاد تقام مباريات عالمية عدة مرات في العام وفيها نصب تذكاري لضحايا الحربين العالميتين ويقع بين الأستاد والنصب قوس الحرية نقشت عليه بحروف بارزة (الحرية والعدالة) وفيها عدة أوتيلات فخمة ثلاثة منها ملك للحكومة هي الأمباسادور وستار وأوتيل المطار وأوتيلات أخرى يملكها الأفراد وتتراوح أجرة الليلة الواحدة مع الخدمة والطعام من جنيهين غانيين إلى ثمانية جنيهات والجنيه الغاني يوازي الجنيه الأسترليني في القيمة وفي أكرا ثلاث مستشفيات حكومية كبيرة: مستشفيان مدنيان وواحدة عسكرية هذا عدا المستشفيات الخاصة والمستوصفات المنتشرة في عموم الأحياء ووسائل المواصلات في أكرا ميسرة وسهلة فهناك غير السيارات الخاصة سيارات التاكسي والأتوبيسات وأجرة التاكسي شلنان للمشوار الواحد داخل البلدة أما الركوب في

الأتوبيس فلا يكلف أكثر من ثلاثة بنسات وقد سهلت هذه الوسائل التنقل بين جميع أطراف المدينة فيمتلىء قلب المدينة بالآتين صباحاً ويعود فيخلو مساءً وهكذا حركة مستمرة دائمة.

تقع مدينة أكرا في الجانب الجنوبي للسهل الممتد المسمى بأكرا والتي أخذت المدينة اسمها منه في بقعة منسقة الأشجار مكتسية بالحشائش متماوجة بأنواع الزهور الطبيعية ويبلغ ارتفاعها عن البحر في بعض أقسامها ١٨٠ قدماً. وترتفع الرطوبة إلى ٧٪ ودرجة الحرارة إلى ٨٦ فرنهيت وموسم الأمطار فيها هما شهرا مايو ويونيه، وقد تعرقل كثرة الأمطار في هذا الموسم حركة المرور بسبب كثرة جريان المياه.

وفي أكرا مصانع مختلفة للصناعات الخفيفة: مثل تعليب السمك والفاكهة وصناعة الأثاث والبلوك والآجر ومصانع المشروبات بجميع أنواعها وجل هذه المصنوعات تصدر للأسواق المحلية لتحقيق الاكتفاء الذاتي وتوفير العملة الصعبة. وتعتبر أكرا في الوقت الحاضر مركز إشعاع للوحدة الإفريقية وللتضامن السياسي لحكومات إفريقيا فقد عقدت بها عدة مؤتمرات لرجالات إفريقيا لبحث مشاكل القارة وإصدار القرارات التي من شأنها توثيق الروابط بين الحكومات الإفريقية والنظر في حل المشاكل الخاصة بالقارة بطرق المفاوضات السلمية والتعاون السياسي والاقتصادي والثقافي والاجتماعي.

والأسواق الوطنية في أكرا ذات طابع خاص فهي أشبه بخان كبير مسور له أبواب من كل جانب وقد يستطيل فتبلغ مساحته كيلومتراً وداخل هذا السور تمتد الدكاكين وهي أشبه ببسطات (منى) مع فارق بسيط في التنسيق فليس لها أبواب وأقفال وغالب الظن أن لها حراساً بالليل أو أن أصحابها

ينامون بها وبهذه الطريقة أصبحت هذه الأسواق منعزلة تماماً عن الشوارع فلا تدخلها السيارات ولا يقصدها غير من كانت له حاجة؛ وقد دخلت ثلاثة من هذه الأسواق، أحدها خاص بالأقمشة فتجدها معروضة على الدكاكين وأطراف السوق في صورة أكوام كبيرة، والسوق الثاني سوق مختلط تجد فيه كل ما تطلب معروضاً بالطريقة نفسها وبدون نظام أو ترتيب حتى الأطعمة الشعبية تجدها في هذا السوق تباع مطبوخة في أفران خاصة وسوق من هذا النوع خاص باللحم والحوت وأنواع الخضر. وفي هذا السوق لاحظت عدم العناية بالنظافة والأسباب الصحية فلم أستطع الاستمرار فيه، والازدحام والحركة في هذه الأسواق لا تقل عن الازدحام والحركة في المعارض الحديثة التي لا تقل ضخامة وروعة عن معارض شيكوريل بالقاهرة بل ربما فاقتها وأكبر هذه المعارض غانا هاوس ويوتي سي وكنكز دي وسلالم يو تي سي سلالم كهربائية وهناك سوق خاص بالأعمال اليدوية التي يزاولها سكان غانا وهي سوق خاصة بالمسلمين وهي لا تختلف في العرض عن الأسواق الوطنية الأخرى ما عدا فارقاً واحداً هو أن تلك الأسواق تقع تحت سيطرة النساء فأكثريتهن يزاولن البيع والشراء أما سوق المسلمين هذا فلا أثر للنساء فيه، وتجد في هذه الأسواق جميع الصناعات اليدوية الوطنية مثل تماثيل أفيال من الخشب الجميل في اللون الطبيعي الجذاب والغزلان المصنوعة من ناب الفيل وجلود الحيات المزركشة والعصي الجميلة والأقواس والسهام والمقاعد المزركشة المصنوعة من الجلد والسلال اللطيفة الملونة والطبول وحاجات كثيرة أخرى تعتبر تحفاً في نظر السائح فلا يملك مقاومة إغراء شرائها واستحواذها مهما كانت سيطرته على نفسه قوية وتجد السواح الأجانب يتهافتون على هذه السوق ويعودون بالشيء الكثير من معروضاتها.

واللافت للنظر حقاً وجود كنائس كبيرة في أكرا أربعة أو خمسة، وليس بها سوى مسجد صغير واحد لا يتسع لأكثر من مائة شخص مبني على طريقة بدائية ويقع في قلب المدينة كرمز لضعف المسلمين هناك. ورغم أن سكان غانا ٤٠٪ منهم مسلمون فلا يوجد في أكرا مسجد جامع ويصلي المسلمون الجمعة والأعياد في العراء كل حسب ما تيسر له وقد علمت أن سفراء الحكومات الإسلامية في أكرا اجتمعوا مرة لجمع تبرعات لبناء مسجد جامع في أكرا وطلبوا أرضاً من الحكومة لبناء المسجد عليها، وحتى الآن والموضوع مجمد وأرجو أن لا تفتر همة سفراء المسلمين وسفير حكومتنا بالأخص في إعادة الكرة بعد الكرة لتحقيق هذا المشروع، فإن وجود جامع كبير في أكرا سيقوي الشخصية الإسلامية فيها ويشعر المسلمون هناك بمكانتهم بين المسلمين كافة.

واجب المواطن أيام الحرب
(١)

هذا البحث يشمل كل مواطن يشعر بحق الوطن عليه فهو، لا يخص جنساً دون آخر. عندما يدق ناقوس الخطر وتشتعل نار الحرب وتنشر الحكومة في الصحف والإذاعات حاجتها الماسة إلى المتطوعين من أبناء الوطن وتتراكم الأعمال الحربية وتفتح أبوابها للمتطوعين الذين يتفانون في حب الوطن.

عندئذ ترى الناس قد انقسموا بطبيعة الحال إلى فريقين: فريق تتزاحم عليه الأعمال فلا يجد لنفسه فرصة يحك فيها رأسه، وفريق يتزاحم ليقدم نفسه للعمل فلا يجد الطريق إليه، والفريق الأول هو الذي نسميه بالنخبة المختارة والفريق الثاني هو بقية المواطنين الذين لم تسمح لهم الظروف للظهور على مسرح الحياة أو اعتراف المسؤولين بهم ليرتفعوا إلى درجة النخبة الممتازة في نظر المسؤولين، فهذه النخبة ستجد أن الأعمال تتدحرج إليها لتتراكم على مكاتبها في مقادير يذهلون لضخامتها وحاجتها إلى البت السريع والجهد الكبير الذي يمتص حيويتهم ويحطم أعصابهم في ساعات وساعات، وينظر القسم الآخر أمامه فلا يجد عملاً غير عادي يستحق أن يبذل مجهوداً في انجازه. فيقول في تألم وأسف: إن هذا لعجيب أن الأعمال التي تتطلب الإنجازات لكثيرة، وإني على استعداد لأقوم بنصيبي منها.

لماذا لا يتيحون لي فرصة العمل؟ ثم يتأوه قائلاً: كيف أقوم بواجبي في العمل وهم يصدونني عنه ولا يفسحون المجال أمامي ـ ويشعر بالحسرة والألم والإهمال والظلم الذي يقع عليه.

وأقول أنا إن مثل هذا التفسير صحيح لو كان المجتمع يشبه في شيء سنترال التليفون؛ وأي مسؤول يستطيع أن يجد الشخص المطلوب عندما يتصل بالمركز ويطلب النمرة ـ ولكن المجتمع لا يشبه في شيء ما سنترال التليفون، فلذلك كان التفسير خاطئاً. ويخطىء المواطنون لو ظنوا أن على المسؤولين أن يسيروا في الشوارع غادين رائحين يدقون أبواب الناس ينادونهم للعمل المفتوح قائلين: تعال يا فلان فأنت الشخص المطلوب. ومهما كانت الأعمال الحربية حقيقة وتطلب سرعة الإنجاز فإن ٩٩٪ من الذين يرغبون في الفوز بهذا العمل وإنجازه سيجدون أن عليهم أن يطرقوا أبواباً كثيرة ويتحملوا مشقات كبيرة ليعرفوا الطريق أولاً إلى هذا العمل وقد تكون هذه العقبات والمشقات أكبر من أن تحتمل، وعندما يقفون على هذا العمل ويجدونه فلربما ـ احتاجوا إلى مميزات كثيرة للحصول عليه.

وعندما يصل المواطن إلى هذا الحد ولم يتحقق له الأمل في الحصول على العمل، العمل الذي يراه يتطلب سرعة الإنجاز لإنقاذ الوطن، والذي يتلهف على القيام به قبل فوات الفرصة، والذي جاهد حتى توصل إليه وقدم نفسه متطوعاً للقيام به ولكنه لم يسعد به، ومرة أخرى يحس بالإهانة والكرب ويسأل نفسه: لماذا كل هذا التعنت: إني لا أطلب حسنة بل لا أطلب أجراً لما سأقدم من خدمات؟! إني عندما قدمت خدماتي للمسؤول رفع حاجبيه ونظر إلي نظرة التشكك والارتياب

وأمطرني بالسؤال والجواب، واجتزت امتحاناً ليس أسوأ منه إنه امتهان وتحطيم.

وأنا أقول أن كل هذا صحيح ولكني أسأل: هل كان ينتظر هذا المواطن من المسؤول أن ينفذ إلى أعماق نفسه ليعرف مقدار استعداده وإخلاصه؟ إن الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذلك هو التحدث إلى المواطن عن طريق السؤال والجواب. فإذا حدث ذلك فإنما هو أمر طبيعي لا غرابة فيه، ومن واجب المسؤول أن يتحقق من صدق رغبتك في التطوع وأن يعرف إلى حد يمكنه أن يثق بك، ولأسير معك خطوة أكبر فلو استقبلك المسؤول بكل ترحاب ولم يبد أي تردد بل صرح لك أنه قد وجد في شخصك المثل الأعلى الذي كان يترقبه، وأكثر من ذلك، التقطك كهبة نزلت من السماء وأسند إليك العمل حالاً. قل لي: إذا حصل هذا ألا تتولاك الدهشة ويدخل الشك والريب في نفسك من هذه المعاملة وتتساءل عن السر في كبرياء وغرور؟!

ولو فرضنا أن هذا المسؤول قد حضر إليك دون أن تذهب إليه ألا وتسائل نفسك في هذه الحالة، ترى ماذا؟ ما هي الأهداف التي يرمي إليها هذا المسؤول من حضوره إلي؟!

إني أقرر حتى ولو كان الجواب بالنفي أن موقف الشك والارتياب الذي يقفه طالب العمل بالحملقة فيه ووزنه ومضايقته بالسؤال والجواب هو نفس الموقف الذي سيقفه المسؤول منك عندما يحضر إليك يسألك العمل في ميدان لا يجد غيرك له وربما كان موقفك منه أكثر كبرياء من موقفه منك!

وعندما يستجيب الإنسان العادي للعرض ويرحب بالعمل المعروض،

فإنه دائماً يحتفظ في نفسه بحق الأفضلية حتى ولو تفانى في أداء واجب العمل بكل طاقته وجهده وتراه دائماً وفي كل مناسبة يصر على التمسك بالأفضلية، لأنه لم يكن طالباً بل كان مطلوباً، فبقدر ما في الطبائع البشرية من معاني النبل فيها أيضاً من معاني الانحطاط، وقد تكون هذه الأخيرة في بعض الأحيان وسيلة لا بد من اللجوء إليها تدفع إليها غريزة الغرور أو الانتقام.

قاعدة: إن المتاعب والمضايقات والتعرض لمواقف الشك والريبة جزء لازم من أعمال الحرب لكل متطوع صادق الاحساس لا يعرفه المسؤولون ـ كما أن الفداء والتضحية جزء لازم لأعمال الجندي الذي حمل السلاح في الميدان.

واجب المواطن أيام الحرب
(٢)

إنك عندما تثبت حرارة إيمانك وصدق وطنيتك بتمسكك، بعناد وإصرار بعملك الحربي الذي تطوعت له ولم تستجب للإغراءات الكثيرة لتتحول إلى عمل آخر أكثر تسلية وأقل جهداً.

إنك بهذا التمسك تقف على القمة في صفوف المواطنين الخالدين وتنفض عن نفسك الوهم الأخير الذي يستولي على كل مواطن متطوع، ذلك الوهم الذي نسميه تقدير الخدمات والجهود والإخلاص في العمل.

إن معاني الوفاء والتقدير معانٍ بعيدة التصور في أذهان الجمهور، على أن هذه المعاني ليست هي أحسن ما يطلبه العاملون المتطوعون في أعمال الحرب، فإنك لن تجد في مثل هذا الظرف من لم يتطوع مثلك في عمل ما من أعمال الحرب وينتظر الوفاء مثل ما تنتظر.

وستجد أن المتخلفين الذين يمكنهم تقديم عبارات التقدير والوفاء قليلون جداً وستجد أنهم النفاية الذين لا قيمة لهم ولما يقولون، وأنك عندما تسمع بعض هؤلاء يتحدث عن الأعمال الحربية يداخلك الشك حتى في

أهمية الأعمال التي يقوم بها العسكريون ورجال البحرية. إن أحاديثهم ملأى بالنقد والتجريح وهم يتكلمون وكأنهم من رجال الاختصاص في فنون الحرب وأساليبه ويوجهون نقدهم لاذعاً وشديداً، لذلك فإن أكبر أمل يؤمله المتطوع هو أن يتجنب اللوم.

إن أجلّ عمل في الأعمال الحربية هو تنظيم حركة التموين وتوزيعه، وإن المواطنين الذين يقومون بهذا العمل الجليل ليحمدون لأنفسهم جهادها إذا استطاعوا أن ينفذوا بجلودهم في نهاية الشوط مهما اتصف عملهم بالدقة والنزاهة والإخلاص؛ ومن هنا يجب أن نتلقن الدرس الكبير في انتظار الوفاء والتقدير.

قاعدة: إن الوفاء والتقدير والمكافأة التي ينتظرها كل مواطن متطوع في الأعمال الحربية يتجسم في تحقيق السلام.

واجب المواطن أيام الحرب
(٣)

ومرة أخرى فإنك في حاجة إلى إبعاد وهم جديد قد يستولي عليك فتظن أن في قدرتك أن تتطوع للعمل الحربي وتحتفظ مع ذلك بجميع المميزات في حياتك الخاصة ولن يكون لحياتك الجديدة أثر فيما كنت تقوم به من عمل في حياتك القديمة.

من المسلم به أن كل إنسان يملك أربعاً وعشرين ساعة في يومه، وأن كل واحد منا يشغل كل ساعة من هذه الأربع والعشرين ساعة. إننا لا يمكن أن ننكر ذلك بأي حال ولو أن البعض يشغل أكثر هذه الساعات في الكسل والاسترخاء دون الجد والعمل وبعضهم يشغلها في العبث واللهو، وأن هؤلاء سيجدون صعوبة كبيرة في التخلي عن ساعات اللهو والعبث أصعب كثيراً من التخلي عن الساعات المشغولة بالعمل المفيد. وأنت عندما تدخل في حياتك عملاً جديداً بالتطوع للعمل الحربي لا بد لك أن تتخلى عن بعض الأعمال التي كنت تشغل بها وقتك قبل ذلك.

إنك إذا عودت نفسك على عمل مفيد في ساعات فراغك فستجد أن تغيير هذه العادة يتطلب جهداً ومشقة؟ أما إذا كنت تقضي هذه الساعات في الكسل

واللهو والعبث فستجد فراغك بعد الظهر في استقبال الأصدقاء وزياراتهم، فإنك ستجد صعوبة كبيرة في التخلي عن هذه العادة لتخصص هذا الوقت للعمل الحربي الذي تطوعت له أكثر مما لو كنت تشغل هذا الوقت في البحث والدرس لتنمية معلوماتك. لا يستطيع أحد منا أن يقلل من أهمية الاهتمام بتوسيع المعلومات والتوجه للدراسة في أوقات الفراغ، ولكن التخلي عن عادة الزيارة والاستقبال وتنظيم حفلات الشاي للتفرغ للعمل التطوعي أكثر بطولة من التخلي عن عادة الدراسة والبحث لمثل هذا العمل.

ولصعوبة التخلي عن عادات الزيارات والاستقبال وتنظيم حفلات الشاي، يفكر بعض المتطوعين بأنه من الممكن الجمع بين عمل التطوع للعمل الحربي وبين الاستمتاع بالزيارة والاستقبال وتنظيم حفلات الشاي ويصمم قائلاً: إنني أستطيع الجمع بين الحالتين وأحدد لكل منهما ساعة معينة.

وإني أقول إنك سوف لا تستطيع ذلك على أي حال، فإن روح العمل التطوعي لا تقبل المشاركة بل إن روح التضحية جزء لازم لأعمال التطوع الحربي، فإن لم يكن فيها تضحية فهي لا شيء والتضحية معناها أن تعطي ولا تأخذ ولا يمكن للمرء أن يعطي شيئاً وهو ما زال متمسكاً به.

وإنك لتجد بعض المخترعين الذين يوفقون إلى اختراعات يكون لها نفع عام يبيعون اختراعاتهم لبعض الشركات ويقبضون الثمن ليتخلوا كلياً عن الاختراع، ثم إذا عم النفع بالاختراع يحاولون أن يحصروا الفضل في ذلك لأنفسهم ويعطونها صفة المحسن ويعيشون زمناً في هذا الخيال من دون أن يكون لهم أي فضل في التضحية. هذا مثال مما يحضرني لبعض أولئك الذين يقبضون ثمن جهودهم من المجتمع ثم يتمسكون بصفة المحسنين،

ولكن هذا المثال وما جرى مجراه لا ينطبق على المتطوع للعمل الحربي بأي شكل من الأشكال.

قاعدة: إذا كانت الكأس ملأى، فإنك لا تستطيع أن تصب فيها شيئاً ما لم تسكب منها شيئاً، وهكذا التطوع للعمل الحربي إنك لا تستطيع القيام به إذا لم تضح في سبيله بشيء آخر عزيز عليك.

واجب المواطن أيام الحرب
(٤)

إن الحياة سلسلة متصلة من الأوهام. فما كنت تعتقده حقيقة اليوم ـ لا يلبث أن يصبح وهماً غداً، ولا تلبث حقيقة الغد أن تصبح وهماً بعد غد، وهكذا كل يوم حقيقة جديدة تصبح وهماً غداً.

وسيجد المتطوع المتلهف أن رغبته الصادقة واندفاعه المجنون للقيام بواجبه في هذا الظرف يؤخذ عليه دليلاً للارتياب والشك في شخصه ويبتعد عنه العمل كما تبتعد الظبية الشرود عن الصياد في أعماق الصحراء، ولا يلبث أن يصطدم بهذه الحقائق الجديدة حتى تواجهه حقائق أخرى تبدد ما سبقها من حقائق وتحيلها أوهاماً.

فعندما تجتاز كل هذه العقبات وتظفر بالعمل، ستجد أنه ليس العمل الجدير بكل تضحياتك التي بذلتها للحصول عليه، فقد كنت تنتظر عملاً تستخدم فيه مواهبك وتفيد وطنك بجهدك وثقافتك وتجاربك، عملاً يتفق مع ميولك وأوقاتك التي ستخصصها لهذا العمل الإضافي، ولكن العمل الذي وضعوه بين يديك إما أن يكون أقل من مستواك أو هو أرفع من مؤهلاتك أو هو غير ملائم لمركزك الاجتماعي أو لصحتك أو أي اعتبار

آخر. إنك تختار كيف تعبر عما كنت تطلبه من جريك وراء التطوع للعمل الحربي واحتمالك جميع مشقات الحصول عليه، وإني سوف أخرجك من حيرتك فأتولى عنك التعبير. إنك كنت تنتظر عملاً ممتازاً يظهرك في أجمل صورة عملاً مسلياً، عملاً تظهر نتائجه السريعة بأقل جهد وعملاً تأخذ منه الحق ولا تعطيه أي حق عملاً مهماً لا يكلفك امتحاناً خلقياً ولم يضعك أمام مسؤولية خطيرة. هذا هو العمل الذي كنت تنتظر الحصول عليه، ولكن العمل الذي تحصلت عليه هو ٩٩٪ عمل ثقيل يسير على منوال واحد سخيف المظهر يستطيع أي أحمق أن يقوم به، ومع ذلك فهو مضن وشاق ويتطلب دقة لا يسعها خلقك، وبعبارة مختصرة إنه عمل غير مناسب.

قاعدة: ليس في الأعمال الحربية المطلوبة في مثل هذا الظرف أعمال مناسبة بل ولا جزء من ألف جزء منها يكون مناسباً. عدم التناسب طابع لازم في الأغلب لعموم أعمال التطوع في أيام الحرب النزول بثقافتك إلى الدرك الأسفل أو الارتفاع بها إلى أكثر من طاقتك جزء لازم من أعمال التطوع في أيام الحرب.

واجب المواطن أيام الحرب
(٥)

وهناك وهم كبير يجب إبعاده عن أذهاننا ونحن نقوم بواجب التطوع للعمل الحربي، وهم يبدو حقيقة مجسمة لأبسط العقليات ويجد كل متطوع نفسه من أول وهلة تحت تأثيره. هذا الوهم يتسلط عليك وأنت تؤدي واجبك الحربي فتعتقد أن العمل الحربي باعتباره عملاً مقدساً يجب أن يكون ذا تأثير سحري في تغيير طبيعة المواطن ومزاجه، بحيث يجعله على استعداد تام لتقديم أكبر مجهود عند أي إحساس بالحاجة مهما كانت الظروف والملابسات. إن هذا هو المعقول وهو الواجب الذي يقرره كل مواطن عندما يتحدث عن أعمال التطوع أيام الحرب، ولكنه يكون بعيداً جداً عن هذه العقيدة أو عن هذا الوهم الذي كان يحسبه حقيقة واضحة عندما يكلف بالعمل. إن جميع أعمال التطوع تتركز في جوهرها على نظام الهيئات والمجالس هذا النظام الذي يخرج بالأعمال من صفة الفردية الفجة إلى صفة العمل الجماعي المفيد. هذا النظام الذي يعتبر من أحدث النظم في تحقيق العدالة الاجتماعية، وهو في الوقت نفسه أخطر ما يكون عندما يطبق على مجتمع لم يبلغ المستوى العالي والمؤهلات المطلوبة لفهم معنى الحياة الجماعية الراقية.

ولو قدر لك أن تقبل في سلك المتطوعين للعمل الحربي، فإنك ستجد نفسك عضواً في إحدى هذه المجالس أو في فرع من فروعها، هذه الفروع التي كثيراً ما تكون أكثر قوة وسلطة من أصولها، وإذا لم يقدر لك أن تكون عضواً في أصل أو فرع لإحدى هذه الهيئات فلا بد أنك ستدعي إلى إحداها للاستنارة برأيك، وعندئذٍ تعتبر أن الحظ قد أتاك أخيراً فقد اتيحت لك الفرصة لخدمة في مجال التأسيس والتشريع.

ولنفرض أنك عضو في إحدى هذه المجالس بمجرد اختيارك للعمل وحضرت الجلسة لتجد بين الأعضاء ثلاثة ممن سبق أن عرفتهم السيد «س» والسيد «ز» فالسيد «س» شاب أناني غير مكترث يصل إلى حد الوقاحة في تصرفاته، والسيد «ي» كهل فضولي يتحشر في كل شيء ثرثار ضيق الأفق والسيد «ز» إمعة خال من كل شيء.

وتدخل الجلسة لتجد هؤلاء الثلاثة قد اتخذوا أماكنهم في صدر القاعة وانتصبوا في جلساتهم كنجوم المجلس، بينما جلس الأعضاء الآخرون في وضع لا يدل على شيء من الثقة بالنفس؛ وربما شاقك هذا المنظر الجميل، منظر الوجوه المتحفزة حول المائدة وكأنها هالة حول القمر وتشعر بالفخر والاعتزاز وتعتزم على أن تبذل كل جهدك واستعدادك مشتركاً مع جهد واستعداد زملائك الذين لا تشك في أنهم يشاركونك العزم والاستعداد، حتى إذا مضت عليك في الجلسة خمس دقائق قدم السيد «س» رغم صغر سنه وقلة تجاربه اقتراحاً سخيفاً وتكلم ببرود وهو يضع كوعيه على المائدة وكفيه تحت ذقنه كما لو كان يلقي درساً على أحفاده وليس في المجلس من هو أقل سناً من أبيه أو جده؛ ويتكلم السيد «س» ويطالب بعناد وإصرار بضرورة تغيير النظام الذي تدار به الجلسة ويكاد

بجداله يضيع على المجلس فرصة العمل؛ ويظل السيد «ز» صامتاً حتى إذا سأله الرئيس عن رأيه فتح فمه في تثاقل قائلاً إنه موافق على كل ما دار في الجلسة وإنه يصوت على الرأيين فكلاهما مناسب!

وتضيق نفسك ويأخذك العجب وتسائل نفسك: أمن المعقول أن يسلك هؤلاء الناس هذا السلوك في إنجاز الأعمال في هذا الظرف الدقيق وفي هذه الساعات الحرجة في تاريخ الوطن، وفي الظرف الذي يجب على كل مواطن أن يكون فيه أشد حساسية وأكثر استعداداً للبذل وإنكار الذات ماذا؟ إنهم لا يدركون أننا في حالة حرب؟! ولا تجد في بقية الأعضاء من هو أحسن حالاً.

وتفسد عقيدتك في كل شيء اسمه جمعية أو هيئة وتقول في نفسك: إني مع اعترافي بقصوري وقلة تجاربي وعدم مشاركتي فيما مضى في الأعمال العامة، فإني أستطيع أن أؤكد أنه لو وافق المسؤولون على حل هذه الهيئة ووضعوا جميع أعبائها على عاتقي لقمت بها وحدي خير مما يفعل هؤلاء.

إن هذه الهيئات في نظري وسيلة لضياع الوقت وإشباع غرور الحمقى.

واجب المواطن أيام الحرب
(٦)

وتستمر الجلسة ويصل السيد «ي» في نقاشه إلى درجة لا تحتمل، وتجد في نفسك رغبة ملحة لتتكلم، ولكن الوقت يمر سريعاً ولم يبق منه إلا دقائق يستغرقها السيد «ي» في نقاشه وسفسطته.

إنك على استعداد لأن تعمل وتعمل ليلاً ونهاراً بكل جهدك وحيويتك، ولكنك لم تفكر أبداً أنك ستجد نفسك بين جماعة من هذا النوع يضيعون الوقت في الأخذ والرد ويملأون النفس بالملل والضيق وتجمع أمرك وتصمم على رفع استقالتك من هذه الجمعية، ولكني أرى أن لا تفعل، فإن مثل هذا التصرف غير سليم، فإن نصف الأعضاء على أقل تقدير يفكرون مثل تفكيرك تماماً وستجد أكثر من واحد منهم لا يحمل هذه الفكرة عن السيد «س» والسيد «ي» والسيد «ز» بل إنه يحمل هذه الفكرة عنك أنت نفسك بالذات!

وعندما تعلم ذلك وترى أن بعض الأعضاء رغم ضيقهم وقلقهم من تصرفات السيد «س» والسيد «ي» والسيد «ز» وسيادتك أنت بالذات لم تفكر في أحد منهم أن يتخلى عن واجبه في مثل هذا الظرف، إنك متى تعلم ذلك وتقارن بين موقفهم وموقفك تشعر بشيء من الخجل وتتأكد أن

الناس هم الناس لا تتغير طبيعتهم حتى في ساعة الأزمات، خاصة إذا طال أمد تلك الأزمات ومن واجبك أن تشكر الفرصة التي أتيحت لك بالانضمام إلى هذه الهيئة، فقد أدركت أن البلاد في حالة حرب وأدركت أن طبيعة التكوين في هذا العالم هي اختلاف مشارب الناس ومآربهم وأن اختلاف المشارب والمآرب لا تتغير حتى في أدق الظروف حتى في أيام الحرب.

ومن واجبك أن تتصور ماذا سيحدث إذا كان كل عضو في الهيئة قدم استقالته مثلك لأنه تضايق من تصرفات السيد «س» السخيفة وتركوا جميعهم بهذه الطريقة الفرصة للسيد «س» يصول ويجول ويتحكم في مقررات الهيئة وأعمالها.

قاعدة: إن الأعمال الحربية تتطلب من المواطن المخلص الشجاعة الكافية والصبر الجميل للعمل مع السخفاء والأنانيين ممن تجمعهم به ضرورة العمل.

وإذا قدر لك أن تجتاز كل هذه العقبات وأصبحت متطوعاً ناجحاً فلا تفكر أن مشاركتك ومثابرتك قد وصلت بك إلى الغاية التي تطلبها. لا فإنك تصطدم في هذه الأثناء بشخصية أكثر سخافة وأنانية من السيد «س» فإن أقصى ما يستطيع أن يضايقك به السيد «س» هو أن يصوت ضد قرار صالح مركز قد يفقده صبغة الأغلبية: أما الشخصية التي ستصطدم بها أخيراً فهي الشخصية التي تميزت بالشذوذ وركزت مكانتها معتمدة على المرتزقة والمنافقين الذين لا يخلو أي مجتمع منهم، ستصطدم بهذه الشخصية التي تستحوذ على كل عمل يقوم به الأكفاء وتنسبه لها وتنتهز كل فرصة لبناء مجدها وفخارها على أكتاف العاملين في صمت وتواضع وإيمان.

وستصطدم أيضاً بشخصية أخرى هي شخصية أصحاب العقل الميكانيكي

الرسمي. إن العقلية الميكانيكية الرسمية هي أسوأ عقبة في سبيل إنجاز الأعمال وإيقاف سيرها.

وربما اصطدمت الأعمال بك وأنت نفسك عندما تصبح ذا مكانة في الهيئة وتتحول عقليتك إلى عقلية ميكانيكية رسمية.

ولعلَّك بعد هذا تطلب مني تعريف العقلية الرسمية الميكانيكية. إن العقلية الرسمية الميكانيكية هي تلك العقلية المحدودة التي لا يتسع أفقها لفهم روح النظام فالنظم عندما توضع إنما توضع لتكون سياجاً لحفظ توازن المجتمع لا لتكون قيوداً يرسف المجتمع تحت أغلالها فلكل حالة مخرج ولكل مواطن مكانة ولكل مقام مقال.

وويل للمواطنين من العقلية الرسمية الميكانيكية.

قررت الأكثرية عدم دخول الحرب:

كان «كلايو» أحد قواد الإنكليز في الهند في حالة كرب وقلق فلم يكن يثق في إخلاص وشجاعة حلفائه. ولم يكن يستطيع مهما كانت ثقته بشجاعة جيشه وقدرته في الفنون الحربية أن يشتبك به مع جيش يتضاعف عنه في العدد عشرين مرة. وكان أمامه نهر لا بد أن يجتازه، ومهما كان اجتياز النهر أمراً سهلاً فإنه من المحقق ـ إذا جرت الأمور على غير ما يرام.. فسوف لا يبقى جندي واحد من فرقته الصغيرة.

وفي هذا الموقف ولأول مرة في حياته أحجم عن تحمل المسئولية وتردد ساعات في وضع قرار حاسم، وأخيراً عقد مجلساً حربياً لبحث الموضوع وقررت الأكثرية عدم الدخول في الحرب ووافق هو على قرار الأكثرية. ونرى بعد ذلك الجيوش الوحشية تسير خلف القائد تيمور فتقتحم الهضاب والسهول

وتمزق أهلها شر تمزيق ونسمع أيضاً دوي طبول النصر تدق في جيوش كبار القواد: عاسطس وفردريك ونابليون وهي تسير ثملة على أجداث المغلوبين ثم نستعرض غرور وكبرياء وحماقات القوات الغاشمة للقواد الجهلة الطامعين الذين قهروا الإنسانية بالقوة والعنف وشربوا نخب انتصاراتهم على قتل الحريات واغتصاب الحقوق وانتهاك الأحرار وتشريدهم.

وعندما نقف في احترام وخشوع لنقدر مقدار الدين الكبير في عنق البشرية لأولئك الأبطال الذين شنوا حربهم الهادفة في وجوه الظلم والطغيان ووقفوا يصارعون في عناد وإصرار لينتزعوا من أيدي هؤلاء الطغاة الحرية الشخصية لكل فرد وليعطوا الشعب حقه في الاشتراك في الحكم. وانتصروا أخيراً فدوى صوت الشعوب وظهرت الحكومات الديمقراطية تنشر العدالة والمساواة والإخاء بين البشر.

إن هؤلاء الأحرار الذين سقطوا في ميادين الشرف هم الذين افتدوا أرواحهم عن إيمان وإخلاص ليمشي أبناؤهم في أكناف الحرية والإخاء فلهم من الإنسانية جميعاً واجب التقدير والاحترام. في كل وقت وفي كل زمان ومكان.

أنا وأنت:

دعنا نقف لحظات معاً: أنا بجسدي المحسوس وروحي التي تسكنه، وأنت بروحك التي أشعر بها تحوم من حولي. ويتغلغل هذا الإحساس داخل كياني أكثر فأكثر حين أسافر عبر فكرك وبين سطور كلماتك التي أتابعها وأنا أعدها للطبع في كتاب.

أيها الإنسان الذي أصبح روحاً تهيم في عالم الخلود.. يا والدي أعذر

هذه الدموع الصامتة التي تنسال حين تتكثف الذكرى، ومن خلالها تتولد أحياناً بسمات وأعود إلى الإحساس بدفء حنانك، وتهرب غربة النفس وتدخل السكينة والهدوء إلى كياني.

أيها الرجل الذي كان يا «أبي»: أحبك حباً يفوق حتى حقيقة الفراق، واعلم أن سفرك إلى عالم الخلود ما هو إلا رحلة انتظار لنا، فعسى أن يجمعني الله معك عنده. وإني لعلى يقين بأن قلبك الذي كان ينبض بالمحبة والتسامح سوف يسأل لنا الله الرحمة كما سألها لنا في هذه الدنيا التي نعيشها.

هذه المطبوعة التي تحمل فكرك وعليها بعض من بصماتي هي كل ما وصل إلى يدي، وأردت حفظها للأحفاد. فعسى أن أكون قد حققت أمنية جاءت بعد سفرك الدائم. فإن كنت قد فعلت؛ فإني أحمد الله على ذلك.

وسلاماً لك ولأمي ومغفرة ترحمكما كما ربيتماني صغيرة، وغادرتماني راشدة.

حيـاة

الهروب من الحياة

(١)

إن الحياة التي نعيشها كما يفهمها البعض أنها أكل وشرب ولذاذة واندفاع وراء المباهج والمسرات، وليست هي أيضاً كما يفهمها البعض الآخر أنها عقل واتزان وخضوع وتسليم.. إن هذه المعاني مع كونها من ضرورات الحياة ولازمة من لوازمها ومع كون بعضها أفضل من بعض، إلا أن الحياة في نظري لها معنى غير هذا إنها نداء عميق منبعه الضمير نداء كثيراً ما نصم آذاننا عن سماعه ونهرب من الاستجابة له فنعيش لما لم نخلق له ونتسبب في فشكلة هذا التنظيم الجميل الذي أبدعه الخالق ونسميه بالحياة ونندم حين لا ينفع الندم في مراحل حياتنا الأخيرة حينما يجلجل هذا الصوت في صدورنا بالتهكم والاستهزاء لأننا هربنا من الحياة جبناً فلم نتقابل معها وجهاً لوجه.

وسأبدأ بحثي بالحديث عن النوع الذي سأسميه بالفراشة الهائمة لأن هذا النوع يتميز بالسطحية والبساطة. وغالباً ما يتحدث الناس عن الفراشة الهائمة بصيغة ـ التأنيث وباعتبارها من الجنس الناعم ولكن واقع الأمر واستمرار وجود هذا النوع في المجتمع جيلاً بعد جيل يحتم وجود الجنس

الخشن من نوع الفراشة الهائمة فالحياة لا يمكن أن تستمر ما لم يتعاون الجنسان على بقائها وكحقيقة ثابتة فإن هذا البحث سيشمل الجنسين فيما دعوه بالفراشة الهائمة ولو أن الفرق سيكون دقيقاً في التفريق بين الذكر والأنثى لهذا النوع لأن الصفة المتغلبة عليه هي صفة التأنيث. ولذلك فإني سأقصر بحثي على هذا النوع باعتباره من الجنس الناعم. إن هذا المخلوق الجميل الفراشة الهائمة ـ يجمع في طبيعته بين طبيعة فراشة النور التي تتمتع بجمالها ليلاً وفراشة الزهور التي تتمتع بجمالها نهاراً وفراشتنا التي نعالج الحديث عنها تتمتع بمباهج الحياة ليلاً ونهاراً لذلك كانت لها ميزة الفراشتين وفراشة الزهور.

إنها حديث المجتمع في مجالس سمره ولهوه وملذاته، يتحدث عنها ويعيش مجالسها ويتلهف على ابتسامة الرضا منها ويحسدها لاستيعابها مظاهر البهجة والسرور ولانتقالها بخفة ونشاط في جميع النوادي والمجتمعات كما يتنقل الطائر النشوان من شجرة إلى شجرة في بهجة ومرح، إنها تمثل ظاهرة من أعجب المظاهر في المخلوقات.

فبينما ترى الناس يتسابقون إلى التعرف إليها والاستمتاع بجمالها وخفتها ورشاقتها وإغرائها، تراهم يتحدثون عنها بتهكم ويحكمون عليها بالاضمحلال بل ويزدرونها.

وهي إنما تعيش لغرض واحد، هذا الغرض هو الحركة الدائمة الحركة التي تلفت إليها الأنظار في كل نادٍ وفي كل مجتمع، إنها تعيش لتندفع مع كل تطور وحادث يثير الضجة والضوضاء ويتكون منه حديث اليوم والساعة تندفع إلى موديلات الملابس والسيارات والساعات والنظارات الملونة ليراها الناس في كل يوم في المظهر الجديد ويتحدثون عنها، فهي تتغير دائماً

كيفما تغيرت اتجاهات وميول المجتمع ولكنها لا تتغير في شيء واحد في حب الظهور والاختيال كالطاووس في كل مجتمع وفي كل نادٍ، وهي لا تحب التعمق والدخول في مشاكل الفلسفة بل تجري وراء كل ما هو سطحي وبسيط، تكتفي من الكتب بحفظ أسمائها ومن الأدباء بمعرفة أبرز أوصافهم وقد تخرج متكلفة عن سطحيتها إلى نقاش المجتمعات التي تغشاها. إنها تحاول أن تضرب في كل ميدان بسهم فتحفظ بعض الألحان المشهورة لتترنم بها وهي مسترخية على الأريكة، تعمق بسيط إذا اقتضى الأمر ذلك، فإذا ظهر كتاب جديد أحدث ضجة بين القراء فإنها تخرج عن تقليدها من حفظ اسم الكتاب واسم مؤلفه فتعبر على صفحاته وتحفظ بعض الجمل التي قد تكون ذات موضوع للاستشهاد بها إذا لزم الأمر في مغمضة العين من النشوة فيستمع لها العشاق والمعجبون مبهورين؛ وإذا ذكر الإصلاح رأيتها في مقدمة المتحدثين عن الإصلاح إنها تتحدث عن كل إصلاح ما عدا الإصلاح الذي يشمل حياتها. تشترك في الأسواق الخيرية على أحدث ما يشترك فيه منافس. وإذ حدث واندلعت نيران الحرب وكان في هذا الحادث ما يثير الضجة والظهور، رأيتها في مقدمة الحركة وفي طليعة الداعين للذود عن الوطن.

قد تلاحظ أيها القارىء على قسوتي واستهزائي من هذا المخلوق الاجتماعي اللطيف، ولكن البحث الاجتماعي لهذا المخلوق يجب أن يكون بهذه القسوة، فلم يسبق أن تحدث الباحثون عن هذا المخلوق دون قسوة واستهزاء. ولا أعتقد أن الباحثين في المستقبل يغيرون فيه وجهة النظر هذه ـ ولكن أليس من حق هذا المخلوق اللطيف على الباحثين أن يدرسوا أسباب هذا الاتجاه في حياته. إننا لو تعمقنا في البحث لوجدناه في

حاجة كبيرة إلى العطف والرثاء، فهو في حركاته هذه الدائمة وراء البهرجة والمرح إنما ينشد السعادة. السعادة التي ينشدها كل إنسان ـ ولكن لسوء الحظ في رأيي ورأيك أخطأ السعادة إلى اللهو ـ إنه يجري ليله ونهاره ليأكل ويشرب ويزاحم ليرى كل ما يرى ويسمع كل ما يسمع وليراه كل من يرى ويسمعه كل من يسمع، وليقلده الناس وليقلد الناس.

إنه يضيق ذرعاً بعيشة الانفراد، يقتحم المجتمعات ويوطد صلاته بها، إنه دائم الانشغال بالناس وإذا انفرد بنفسه فإنما ينفرد بها ليعدها ويهيئها للسهرة الجديدة وللمطارحات والنكات والغمز واللمز ولينتزع كلمات الإعجاب والغزل، إنه في تفكير مستمر في أحاديث الناس وموديلات ملابسهم وأنواع السيارات التي يركبونها والنظارات التي يلبسونها والتي يجب أن يكون له منها أحدث المبتكرات. إنه يعيش ثملاً مترنحاً في حياة لهو دائم وإغراء متصل، إنه يطلب السعادة كما يفهمها وإن كنت أنا وأنت نعتقد أنه أخطأ السعادة فهو معذور.

إنه لا يفكر في المستقبل إلا عندما يواجه هذا المستقبل بوجهه الكالح البغيض عندما يواجهه بالخيبة والفشل وزوال الوهم الكاذب وهجوم الأمراض والروماتيزم نتيجة السهر والإدمان ودوام الحركة في مستهل الحياة.

ويدرك عندئذ أن ما أصابه هو نتيجة للفهم الخاطىء والتفسير الصبياني لمعنى السعادة التي كان يجري وراءها ويلاحقها في دور اللهو وأحضان المباهج والشهوات، ويشرب المقلب ويندم حيث لا ينفع الندم.

الهروب من الحياة

(٢)

ولأحدثك عن النوع الآخر وهو من الفصيلة نفسها ومن الجنس نفسه وأنا عندما أتحدث بلفظ التأنيث عن هذا الموضوع ليس لأني أتحدث عن الأنثى فقط ولكن لأن الفرق بين الذكر والأنثى في هذا النوع أيضاً طفيف جداً، وهذا ما يجعلني أتحدث عن الجنسين بلفظ التأنيث. إنك ستعجب بلا شك من الطريقة التي اختارها هذا النوع وستقول وأقول معك ما أعقلها! لقد رضيت بالقسمة والنصيب ولم تخرج عن الطريق الذي رسمه لها المجتمع؛ فقبلت قيوده وتقاليده عن رضى فلم تتطاول إلى مطلب أو تبحث عن غاية لم يرسمها لها المجتمع، إنها تنظر إلى هؤلاء الأفراد الذين دوّى اسمهم في المجالات العالمية نظرتها إلى المحظوظين والموهوبين، ولا تحاول أن تترسم خطاهم وترسم سياسة خطتها وهي تقول: إن المجتمع أقوى مني وخير لي أن أهيّىء نفسي لأسير في ركابه، وماذا أكون، ألست عوداً من طرف حزمة؟ وتسير في هذه الحدود فتأخذ زينتها بأكبر قسط في حدود القيود والتقاليد، ولا تحرم جسمها حقه من الاستمتاع والفكر.. حقه من القراءة والبحث وتدرك بحسن تفكيرها ما في الجري وراء مجالس اللهو والبذخ الكاذب من سخافة فتتجنب ذلك. فهي تحس

في قرارة نفسها أن أيام الشباب ستزول حتماً، فلا بد من استخدامها لمواجهة أيام الشيخوخة العصيبة. وهي عندما تبحث عن اللذة فإنها تبحثها في دراسة الفنون والآداب، لأن هذا اللون من الاستمتاع يزيد في المقدرة ولا يضعف الكيان.

إنها تدرك أن لا سعادة في إهمال أداء الواجب وأن المحبة والعطف هما ينبوع الغبطة والهناء، فلذلك تحرص على أداء الواجب في وقته، وتعمل على مساعدة الآخرين لتنال الحب وتفوز بالغبطة والهناء؛ فهي تبني كيان حياتها على الاستمتاع باللذة والبهجة مع الإذعان للواقع المفروض وتكره الخروج عن المألوف ولا تغشى المجامع العامة ولا تجري وراء الموديلات في معارض الأزياء، وتبتعد عن ارتياد صالونات نجوم المجتمع والتحشر في مجالس المعروفين والمشاهير، إنها تؤمن أن النفس البشرية الصافية هي منبع السعادة الصافي، فهي تجتر السعادة من أعماق هذه النفس ولا تؤمن بالمظاهر الخارجية في دور اللهو ومجالس الإغراء فتجد مظاهر الرضا والاطمئنان بادية على ملامح وجهها البشوش ومهما كانت تقلبات الزمن فإنك تجدها في مراحل حياتها الأخيرة لا تتألم من هموم الأمراض وعدم الكيان كما حصل لزميلتها الفراشة الهائمة لأنها أعدت العدة لمجابهة كل هذه التقلبات إنها تؤمن بالمثل القائل: إن سر السعادة بين جنبيك ففتش عن مملكة الخالق في جوانب هذه النفس. ولكنها مع ذلك تشعر بالندم! الشعور نفسه الذي شعرت به الفراشة الهائمة في المرحلة الأخيرة.

الهروب من الحياة

(٣)

لعلَّك أيها القارىء تسألني ما هي الصفة المشتركة التي جعلتني استطرد البحث عن هاتين المخلوقتين؟ إني مع اعترافي للسيدة الأخيرة بحسن إدراكها وقدرتها على انتزاع الإعجاب والاتصاف بالعقل والرزانة . .

أرى أنها اشتركت مع الأولى في الغلطة التي أفسدت حياتهما معاً وجعلتهما يصلان في نهاية العمر إلى نتيجة واحدة رغم ما يبدو في حياة الأخيرة من قبول وإعجاب. إن الغلطة الفظيعة التي تشتركان في ارتكابها في حق الحياة هي الخطأ في تفسير معنى السعادة كما أرادها الخالق المبدع لهذا الكون. لو أتيح لك أن تتوغل في أعماق من اعترفنا بحسن سلوكها وتحصنها ضد تقلبات الزمن لوجدتها في آخر الشوط تتألم في دخيلة نفسها لأنها أخطأت السعادة كما أخطأتها الفراشة الهائمة وترى أن سلوكها في الحياة مع ما بدا لها فيه من عقل واتزان كان سلوكاً خاطئاً أخطأت فيه سبيل السعادة، رغم أنها تجنبت سلوك الفراشة الهائمة وميدانها لتأكدها من سخافة هذا السلوك وبعده عن السعادة. والموضوع في رأيي أكثر عمقاً من كل هذا، فإن الخطأ الكبير الذي ارتكبته الفراشة الهائمة ليس هو في اندفاعها وراء شيء ما، ولكن كان الخطأ في اندفاعها هاربة من شيء ما،

هذا الشيء الذي أسميه حمل العبء والاستعداد للتضحية وليست الأخرى في اتباعها سبيل الحكمة والرزانة والسير في ركاب المجتمع إلا هاربة من حمل العبء والاستعداد للتضحية وهذا الشيء هو جوهر الحياة في معناها الرفيع. وتساويهما في الهروب من حمل العبء والاستعداد للتضحية ساوى بينهما في الغلطة الفظيعة التي ارتكباها في حق الحياة فكلتاهما تجنبتا مواجهة مطلب الحياة الجوهري فقدمتا الثمن متساوياً أو شبه متساوٍ في النهاية، تلك بالشيخوخة والهرم وتراكم الأمراض، وهذه بالشعور بالخيبة والانحدار، فقد رفضت كلتاهما الاستجابة إلى الصوت الذي ناداهما من أعماق النفس ليقودهما إلى الطريق الصحيح ليؤديا رسالتهما فكانت الخيبة جزاء لهذا الإعراض.

قد يقول قائل إن السيدة الأخرى بسلوكها خطة الاستسلام للواقع والمسارعة في مساعدة الآخرين ونشر القناعة بين العموم، قد انتهجت خطة مقبولة وقامت بعمل مقبول.. وأنا لا أنكر هذا وأؤيده ولكن أقول إن الفراشة الهائمة عندما اختارت طريقها إلى الاندفاع نحو اللهو والسهر والجري وراء ملذات الحياة، كانت تهدف هي الأخرى إلى خطة معلومة مقبولة من فئة أخرى من الناس وهي الاستمتاع بالشباب قبل أن يولي وتأتي الشيخوخة بآهاتها وحرمانها. فإذا كان الأمر كذلك فإن لكل منهما خطة مقبولة حسب الهدف الذي يرمي إليه فلا لوم إذاً على أحدهما دون الآخر ما دام كل منهما يسعى لغاية وهدف.

والذي أريد أن أقوله إنك عندما تهرب من الحياة سواء التجأت إلى عمل صالح حميد أو إلى آخر غير مقبول، فإن الإساءة الحقيقية التي ارتكبتها في الحالتين هي الهروب من الطريق الذي رسمته لك الحياة والالتجاء إلى

غيرها، وبارتكابك هذا الخطأ قد حدت عن السبيل وأخطأت المعنى الحقيقي للسعادة، فإن السعادة لا تنبعث من الرضا والاستسلام ولا من الاندفاع وراء الملاهي والملذات. ومما لا نزاع فيه أننا عندما نغالط ضمائرنا ونصم آذاننا عن سماع صوت الضمير الذي يوجهنا إلى الرسالة التي خلقنا لنؤديها نرتكب خطأ لا يمكن تصحيحه.

وقد نحاول في مغالطتنا لصوت الضمير أن نتوجه إلى عمل له نتائج مقبولة أو آخر لا يقبله الناس، ومغالطة الضمير بأي شكل من الأشكال أسميها الإثم في حق الحياة، فالضمير الذي نغالطه بهذه المعاني والانحرافات سيستيقظ في النهاية وفي الساعة المناسبة ليعذبنا وينتقم.

الهروب من الحياة
(٤)

الهروب من الحياة تفكيك لها، والحياة عندما توجهك بفطرتها تهيىء لك المجال لاستكمال أسبابها وقد تهيىء لك هذا المجال بثمن زهيد أو بدون ثمن مطلقاً ولنضرب مثلاً: شاب له اتجاه فطري للهندسة الميكانيكية، والده أيضاً مهندس ميكانيكي بارع صاحب ثروة كبيرة وله رغبة عارمة أن ينشأ ابنه ميكانيكياً بارعاً ويكسب صيت أبيه ويحتل مركزه، إن الحياة في هذه الحالة قد فسحت المجال للغريزة الفطرية ولم تتقاض من صاحبها أي ثمن ليستسيغ صاحبها هوايته وسيصبح مهندساً مشهوراً وتدوي باسمه الدنيا دون أي جهد أو عناء يذكر.

ومثال آخر، شاب مفطور الأدب والده ميكانيكي بارع وثري مشهور يحتقر مهنة الأدب ويكره الاهتمام بها والتوجه إليها ـ وقد عزم على توجيه ابنه توجيهاً ميكانيكياً وصرفه عن وجهته الأدبية ويوجهه قائلاً اسمع! كن عاقلاً واختر مهنة أبيك، إنك إذا فعلت فسأضع كل إمكانياتي تحت تصرفك. وإذا كنت مجنوناً واخترت مهنة الأدب فسأنفض يدي منك وستجد مني كل معارضة.

إن الحياة التي وهبتك فطرة الأدب ستهيىء لك المجال لإشباع رغبتها، بل إن المجال للأدباء في هذا العصر لأوسع كثيراً مما كان عليه من قبل ـ غير أن الثمن في هذه الحالة فادح جداً مما يجعل الشاب يتردد كثيراً. فإشباع رغبة فطرته الأدبية سيكلفه سخط والده وبالتالي طمأنينته وراحته والثروة والجاه العريض الذي يتمتع به في كنف والده، وقد يشمل ذلك أيضاً ضياع مستقبله في الجاه والمال والزوجة التي يتطلع إليها ـ إنه سوف يفقد كل العناصر التي تهيىء ما اصطلح الناس على تسميته بالسعادة.

وطبعاً فإنه من المحتمل جداً أن هذا استجاب لنداء فطرته وأهمل رغبة والده وتابع دراسة الأدب ونجح، فإنه سيسترد كل ما دفع من الثمن وقد يسترد أكثر مما دفع فيخلد اسمه واسم عائلته كأديب عالمي في سجل التاريخ. ومع أن نسبة النجاح ٩٩٪ فإن الفشل لا يزال محتملاً وهذا ما يجعل إهمال الولد لرغبة أبيه والتوجه لدراسة الأدب مغامرة وتفريطاً وتضييع ما في اليد في طلب ما في الغيب. ولنفرض أن صاحبنا الشاب كان ابناً مطيعاً ومتبصراً ولم يكن إحساسه للاستجابة لنداء فطرته قد بلغ حد الكمال، فرفض أن يغامر بحاضره المحقق لمستقبل مجهول، مع اعترافه بتفوق نسبة النجاح لو غامر فضحى به ورضخ لمشيئة والده وحول اتجاهه لدراسة الميكانيك وبجدِّه وذكائه ومثابرته وحسن نواياه تحصل على أعلى درجات في فن الهندسة الميكانيكية وأصبح العضد المساعد لأبيه ثم خليفته في جاهه وماله وعمله، واكتسب سمعة حسنة بين رجاله، فازداد إنتاج ورشه وبلغ بها ذروة الكمال وتوفق في زواجه وأنجب ذرية طيبة فأصبح مثالاً للشاب الناجح يتمنى كل أب أن يحتذيه ابنه وأصبح كفاحه وإخلاصه

للواجب وحبه ومساعدته للآخرين ونظراته الإنسانية العالية حديث المجتمع ومفخرة الأصدقاء.

إنه قد عوض ما أضاعه عندما ضحى بإهماله نداء الفطرة المنبثق من أعماقه فتحول من دراسة الأدب التي كان يستحثها إليه نداء ضميره إلى دراسة الميكانيك استجابة لرغبة أبيه.

ومع هذا كله، فإني أقول: إذا كان ميله للأدب ذا فطرة سليمة نابعة من أعماق نفسه مسيطرة على كل شعوره فإنه مع هذا النجاح المطرد سيشعر دائماً بالحرمان وأن هذا الحرمان ليتجسم في نفسه وأعماق قلبه كلما قرأ لأديب ناجح أو أتيحت له فرصة الاجتماع بأديب ناجح. بل إنه ليشعر بجسامة الحرمان حتى عندما يتحدث الناس عن أديب لم تتح له فرصة الظهور فأقدم في ساعات يأسه على الانتحار ويجد في نفسه ألم الحرمان أكبر عندما يقرأ لأديب يتأثر بآرائه وأفكاره. إنه يدرك في تلك الساعة أنه باختياره هندسة الميكانيك وإهماله فطرته الأدبية قد هرب من الحياة واقترف الذنب الكبير في حق الحياة ويرى عندئذ أن كل ما تحصل عليه من مال وجاه وما اعتز به من أبهة وفخفخة لم يكن في الحقيقة إلا وسيلة مزخرفة لمغالطة نفسه والانحراف عن أداء رسالته الحقيقية التي خلق من أجلها.

وعندئذ يدرك أن الطريق الناعم الذي اختاره لم يكن في الحقيقة سوى الطريق الوعر الذي أوصله إلى الحسرة والندامة التي شملته، وهو في نهاية الشوط ويدرك أن الطريق الذي بدا له وعراً شائكاً ولم يتسلح بالقوة والشجاعة لسلوكه هو الطريق الذي كان سيصل به إلى السعادة والرضا في آخر العمر لو سلكه.

إن ضميره الآن قد تيقظ وهو يسمع تأنيبه بقوة لم يستطع مقاومتها وتحمل وخزها، ولكن قد فات الأوان وسوف لا تنفع جميع المسكنات في إخماد صوت التأنيب وتخفيف ألم الوخز ـ إنها غلطة العمر فحذار منها.

الهروب من الحياة
(٥)

والتقاليد حتى في هذا العصر الذي غلب فيه التعقل وأصبح الناس يحسون بفوائد التطور وصحة الاستنتاجات المنطقية ما تزال تقف عقبة في سبيل الشباب فلا يعطون الفرصة للنبوغ في رسالة الفطرة التي هيأها لهم خالق الكون وغرس في نفوسهم مبادئها، بل إن كثيراً من الشباب يلقنون ويعلمون كيف يهربون من الحياة وربما كانت المضايقات التي تحيطها بهم التقاليد سبباً في هروب الأكثرية منهم إلى اللهو والملذات فيعيشون عيشة الفراشة الهائمة فيفقدون حتى الاتزان والتعقل.

فقد اصطلح الناس من قديم الزمن على أن الفضائل في الشباب تكون من ثلاثة عناصر أساسية: هي السمع والطاعة والسير في الطريق المخطوط ـ وبهذا ينشأ الشاب إمعة فاقد الشخصية، فإذا بدأ هذا الشاب عندما يصبح رجلاً يتحمل المسئولية جامداً يتعثر في خطاه، وقف مبهوراً بما يجري حوله من تطور وحركة لا يستطيع أن يندمج فيها لاموه على جموده وأخذوا يسخرون من جبنه وبلاهته.

إني لا ألوم أحداً عندما أشرح الحقيقة، فشرح الحقيقة لا يمكن أن

يسمى لوماً والحقيقة أن الشباب الذي درج على هذه النشأة لا يجرؤ أن يتقدم عندما تتاح له الفرصة، بل إنه ليولي هارباً عندما تفتح أمامه الأبواب، ومن رأيته ناجحاً منهم أو سمعت بنجاحه فتأكد أن هذا النجاح لم يكن إلا بسبب وقوعه مصادفة في قبضة الحياة فخلقت منه شخصية ناجحة رغم أنفه. ولو قرأت تاريخ النابغين لوجدت أن الحياة هي التي صنعتهم بعد أن وقعوا في قبضتها، فلولا الفقر والبؤس الذي جابهه مثلاً لما كدح وجالد حتى وصل إلى الغاية، ولولا احتقار عائلة خطيب مدام كوري لها وإحساسها بالجرح العميق لهذه الإهانة، لما انقطعت للدراسة وكان لها فضل اكتشاف الراديوم.

والمرأة عموماً ألم يكن العنصر الجوهري في تكوين فطرتها هي الأمومة؟ فلماذا لا نتيح لها فرصة الزواج ونحن نقصد هذا المعنى الفطري الذي خلقت له ونؤمن بأن الغاية التي تحقق رسالة المرأة في الحياة لا تكون إلا بطريق الزواج؟! فمطمع المرأة في الحياة أن تلتقي بالفريق الصالح وليس ما نريده نحن من مركز الرجل المالي وقدرته على تهيئة عيشة الترف والرخاء. قد يكون في الرجل شذوذ أو كبرياء أو فقر، ولكن هذا لا يخرجه عن كونه مطمح المرأة كقرين يلبي نداء فطرتها.

وقد كرست زمناً من وقتي لدراسة الأسباب التي حرم بعض الفتيات الزواج من أجلها، فوجدت أن السبب الوحيد في جميع الحالات هو عدم استيفاء الزوج للشروط المطلوبة من الآباء واعتقادهم أن الزواج بمن لا تكتمل فيه الشروط مغامرة غير محمودة.

والذي أراه أن المغامرة عنصر لازم من عناصر الحياة لأن الحياة الراكدة ليست إلا الموت بعينه، وليس معنى هذا أني أحبذ أن نقدم على العمل

دون روية وتفكير ولكن يجب أن لا تصل الروية والتفكير إلى حد الجبن والعجز. واختيار القرين أفضل عندي للجنسين من حياة العزوبية مهما كان التقدير، وأن أتعس منظر تقع عليه العين من مآسي الحياة هو منظر امرأة قضت زهرة شبابها عانساً ثم أودعت مقرها الأخير لأن أهلها لم يجدوا لها زوجاً مستكمل الشروط.

إن هناك أبواباً كثيرة للرجل والمرأة للهروب من الحياة وإن الأمثلة التي ذكرتها هي بعض هذه الأبواب، وإن الأعذار التي ننتحلها للهروب من الحياة ليست إلا مخاتلة وخداعاً، وقليلون هم الذين يدركون من أول الأمر أن الظروف قد حتمت عليهم أن يتجهوا اتجاهاً مضاداً لغرائزهم الفطرية فلم يؤدوا رسالتهم إلى الحياة وأقل منهم أولئك الذين يستجيبون لنداء الفطرة ويتحدون الظروف فيقاومون بجهد مستميت ليؤدوا رسالتهم كاملة، وتنتهي حياتهم وهم راضون عنها ويشعرون في أعماق نفوسهم بنعيم الحياة والرضا والاطمئنان، وتلك هي السعادة في أسمى معانيها.

الهروب من الحياة

(٦)

كل فرد منا حر في تفسير معنى السعادة كما يريدها لنفسه أما أنا فلم ترق لي التفاسير التي استعرضتها في القواميس ـ إنك لتجد تفسير السعادة في معظم القواميس لا يخرج عن معنى الحظ والرخاء والرفاهية والثروة والجاه ثم قرأت هذا التعريف لأحد الأعلام «السعادة هي حالة اطمئنان تمتاز بالدوام والاستمرار النسبي مع شعور شامل بالقبول والرضا ورغبة طبيعية في الاستمرار في واقع هذه الحالة» ورغم ما يبدو لي من ذكاء وألمعية في هذا التعريف فإني لا اقره ما لم تترك لي حرية تفسير حالة الاطمئنان على طريقتي الخاصة. ومن رأيي أنه لا يمكن لأي إنسان أن يشعر بحالة الاطمئنان إذا أخطأ في حق نفسه بإهمال خصائصها. إن تنمية الخصائص النفسية والوصول بها إلى أعلى المراتب هو في رأيي منبع الرضا والاطمئنان، وليس محتماً أن يصل الإنسان في تنمية خصائصه النفسية إلى أعلى درجات الكمال ويصل مع ذلك إلى الثروة والجاه والغنى فقد يصل الإنسان إلى أعلى مراتب الكمال في الخصائص النفسية ومع ذلك لم تتح له فرصة الجاه والمال أو حتى الهدوء والاستقرار، ولكنه حتماً يصل إلى الرضا والاطمئنان فحالة الاطمئنان من وجهة نظري هي نتيجة لاقتناع

الضمير ورضاه بالجهد المستمر الصادق للوصول بالخصائص النفسية إلى أعلى درجات الكمال والانصياع الكامل للاستجابة لنداء الفطرة في أعماق النفس، والوصول إلى درجة القناعة في الأداء والجهد هو السبيل إلى الرضا والاطمئنان وهو السعادة الحقيقية وإن لم يكن مقروناً بالثروة والجاه.

فالسعادة إذن ليست مالاً وجاهاً ولا قناعة ولا استسلاماً إنما هي حالة يصل إليها الإنسان عندما يستجيب لنداء ضميره ويعمل جاهداً لأداء الرسالة التي خلق من أجلها حتى إذا وصل نهاية العمر وجد نفسه راضياً مطمئناً عما قام به من جهد في سبيل أداء الرسالة. أما أولئك الذين حادوا فلم يستجيبوا لنداء الضمير فمهما كان نجاحهم في الطريق التي هربوا إليها من استجابة نداء ضمائرهم فسوف لا يعوضهم ما نالوه من كبر الصيت وحسن الأحدوثة والثراء والجاه ولا يحجب عنهم تأنيب الضمير الذي يهب مستيقظاً في نهاية الشوط فيردد في صوت مجلجل لا يسمعه غيرهم ولا يقضي به سواهم قائلاً: إنكم جبناء لم تستطيعوا أن تجابهوا الحياة فهربتهم منها مغترين بالبهرج الكاذب فجئتم إلى الحياة وخرجتم منها دون أن تؤدوا الرسالة التي خلقتم من أجلها إنكم جبناء! هاربون من الحياة!

ولئن يعيش المرء مرحلة حياته الطويلة في جهد وكد لأسعد بكثير من أن تنتهي به الحياة إلى هذا الحكم القاسي المنبعث من أعماق نفسه والذي يختتم حياته بندامة وحسرة.

الأوقاف عندنا وعندهم

«وقف أمبراطوري» نشرت جريدة التايمز الأسبوعية الإنجليزية تحت هذا العنوان ما ترجمته (استطاع المستر بلدوين أن يحتفظ بسره جيداً، فإننا لم نعلم إلا يوم الثلاثاء عن تلك الهبة التي لا نشك أنه سرى عنه كثيراً عندما علم بها فوراً بعد أيام ديسمبر الماضي العصيبة.

إن الشكر الذي كان قد قدمه المستر بلدوين يعززه بشكره كل إنجليزي لذلك الواهب المجهول الذي وضع تحت صرف المستر بلدوين ربع مليون جنيه كشكر وكاعتراف بشجاعته وبعد نظره وثباته ثباتاً ودياً في مركزه الدقيق وكوسيلة لوقف أي مشروع لتقوية الروابط بين المستعمرات والمملكة البريطانية.

وإنه لمما يغبط ويسر أن هذا المبلغ قد وضع في موضعه وتحت تصرف الرجل الذي كان هو نفسه شعر بمثل هذا الشعور نحو الزعماء في ساعاتهم الوطنية الحرجة فوهب للوطن مقداراً عظيماً من المال قبل ثماني عشرة سنة وكتب فيما بعد ذلك بإمضاء مستعار «حب الوطن خير من حب المال» ونحن نأمل أن تتحقق رغبة الواهب الحالي وأن يشترك آخرون في الإضافة على ذلك المبلغ العظيم ليكون أساساً قوياً للمشروع الأمبراطوري الجديد.

ومن المفهوم أن اللورد بلدوين سيكون رئيساً للمجلس الذي سيتولى

تنظيم الدخل السنوي لهذه الهبة، وأن الطرق الرائجة لصرف المبلغ تكاد تنظم نفسها بالنسبة لوفرة المبلغ، وبالأخص بعد تلك التجارب المكتسبة من إدارة مثل هذه الجمعيات الكثيرة. والصعوبة في الحقيقة إنما هي في اختيار الأحسن من هذه الخطط الكثيرة الحميدة).

ونحن نترجم هذه الكلمة تحت هذا العنوان الذي اخترناه لها رامزين إلى ذلك المغزى الذي لا يفوته ذهن القارىء الكريم.

عادة كتابة المذكرات . .

(١)

إذا كان عندك من قواعد اللغة ما يمنعك من العثار في الحديث فإن هذا المقدار كافٍ لأن يجعلك تكتب كتابة صحيحة ولا حاجة بك إلى أكثر من ذلك ويجب أن لا تتقيد في كتابتك من حيث القواعد والفكرة والأسلوب بأكثر مما تتقيد بها في حديثك فالتزام الرسمية في الكتابة أعني التكلف فيها خطأ أي خطأ، فكر واكتب ببساطة كما تفكر وتتكلم ببساطة وستجد إذا فعلت ذلك أنك ستنتج أدباً رائعاً.

وليس معنى هذا أنك تكتب كيفما اتفق وبدون وعي وجهد فالكتابة بدون جهد وتفكير لا تكون إلا هذياناً، ومن يحترم نفسه سوف لا يهذي.

أنا وإن كنت لا أقيم وزناً لما يسمونه بالأسلوب الأدبي وأستهزىء بأولئك الذين يصرفون جهودهم بالسيطرة على الأسلوب قبل أن يبدأوا الكتابة، فإني أؤمن كل الإيمان أن أول مستلزمات الكتابة أن يمتلك الكاتب عندما نتحدث، ولكن مما تتطلبه الكتابة من تنسيق وتنميق يعسر عليك كتابة ما تتحدث به، ناصية تفكيره عندما يريد أن يعبر بها على الورق تماماً كما يكون ممتلكاً على ناصية تفكيره عندما يتحدث وقد تقول

إنك قادر على امتلاك ناصية تفكيرك به ولكني أؤكد لك أن هذا وهم لا يلبث أن يزول إذا أمسكت القلم وبدأت تكتب. ولزاماً على الكاتب ايضاً أن يمرن ذاكرته على الاحتفاظ بالصور الكاملة للحوادث التي يمر بها في كتاباته فإن إهمال ترتيب الحوادث وتنسيقها في الذاكرة يفقد الكتابة روحها وجاذبيتها والاهتمام بهذه الناحية والعناية بها يضفي على الكتابة روحاً وجاذبية دون أن يشعر الكاتب أو يتكلف.

وأخيراً، فإن الكتابة تتطلب منك جهداً تنتصر به على العقبات التي تعترض كل عمل إنساني مفيد؛ ومفروض على كل إنسان ليكون إنساناً ـ خاصة في هذا العصر ـ أن يستطيع أن يعبر عن خلجات نفسه وعواطفه وانطباعاته بكل يسر وسهولة ليثبت أنه كائن حي. وقد يجد المرء في نفسه كرهاً في كثير من الأحيان للعمل الذي أحبه وشغل به نفسه وهذا الشعور بالكره لا يكون وهماً في بعض الأحيان بل إنه الحقيقة... فأنا شخصياً أشعر بالنفور والكراهية عندما أواجه عملي في بداية كل يوم وما إن أجبر نفسي عليه حتى أنسجم فيه ويتحول الكره والنفور إلى لهفة ورغبة في الاستمرار. وأنت قد تقضي يوماً حافلاً بالحوادث الكبيرة والمعلومات القيمة والتجارب المفيدة وترى أنها جديرة أن تسجل في يومياتك لتبقى ذكراها حية بتفاصيلها في نفسك ومع ذلك عندما تريد أن تبدأ تكره أن تكتب لأنك تجد نفسك مسوقاً بدوافع غامضة إلى عدم التعمق في تفصيل صور الحوادث كما هي وتجبرك هذه الدوافع إلى اللجوء إلى التعمية والاختصار وهو ما لا يفي بما تريد.

إن مقاومة الإغراء بالكسل والتزام السطحية والعمل كيفما اتفق هو العنصر الأصيل والجهد الثابت في كل عمل جدي.

إن كتابة اليوميات يعتبر تسلية لتمضية أوقات الفراغ، ولكنها في الوقت نفسه عمل له قواعد وأصول واجبة الاتباع، تماماً كأي عمل فني آخر تقوم به لتزجية اوقات الفراغ.

إنني أكتب يومياتي منذ اثنتين وعشرين سنة، ولا يحيط ذهني الآن بكثير من محتوياتها، ولكني ما زلت أحس بالحسرة والندم وتأنيب الضمير إذا حدث وأهملت الكتابة يوماً، فإن الإهمال في كتابة اليوميات لا يمكن أن يعدل أو يستعاض عنه لأن الذي يمضي لن يعود.

عادة كتابة المذكرات . .
(٢)

لقد بحثت فيما سبق الناحية السلبية وأريد الآن أن أبحث الناحية الايجابية من الموضوع، فبقدر ما كان حديثي مثبطاً من قبل سيكون مشجعاً الآن.

إن كثيراً من الذين يرغبون في كتابة اليوميات والذين يجب عليهم أن يفعلوا لأنهم أهل لذلك ولأنهم يتصفون بالشجاعة والحيوية. إن كثيراً من هؤلاء يقولون لماذا أكتب يومياتي وأي شخص في حياتي يستحق ذلك وما هي أهمية هذه الحياة؟ وأقول لهم ماذا تعنون بأهمية حياتكم؟ هل تعنون أهميتها بالنسبة للعالم أم بالنسبة لكم. إن لكل حياة من غير شك ـ أهمية عند صاحبها وإنه لحريص أن يسجل أطوارها.

إن كبار الرجال الذين كتبوا يومياتهم ليست حياتهم إلا صورة لحياة كل إنسان يشاركهم هذه الحياة. ولو رجع الكاتب الكبير «بيبسي» إلى يومياته بعد يوم من كتابتها لوجد أن الكثير فيها عادي وتافه، ومن المؤكد أنه لم يكن أبداً يتصور أنه كان يكتب أشهر الكتب في الأدب الإنكليزي. وقيمة اليوميات التاريخية تزداد كلما مضى الزمن، على عكس قيمة الروايات،

فبعد مرور سنوات على كتابة اليوميات نجد أن في كل جملة في اليوميات تتفتح بمعان جديدة ذات مغزى عميق وجوانب مشرقة.

وقد تثير جملة كتبتها عن غير قصد في يومياتك في مستقبل الأيام ضجة تملأ الدنيا ويشترك أقطاب التاريخ والأدب في مناقشتها وتحليلها وتكتب الشروح المطولة والآراء المختلفة حول الموضوع. فلو حدث أن حضرت حفلة مثلاً اجتمع فيها شخصيتان مشهورتان بالنكتة والمرح، وبمجرد أن جلس الموجودون إلى المائدة طلب أحدهما من الآخر أن يقدم شيئاً من الملح وهو يأكل طبقاً حلواً بحركة كاريكاتورية ذات مغزى ضج لها جميع المدعوين بالضحك.

وبعد عودتك من الحفلة أخذت القلم وكتبت في يومياتك «دعينا اليوم إلى حفلة اجتمع فيها أديبان كبيران من أدباء الفكاهة والمرح وسأل أحدهما الآخر أن يناوله طبق الملح وهو يتناول الحلوى فضج المدعوون بالضحك.

إنك لو مررت على هذه الجملة في مذكراتك بعد ثلاث سنوات يظهر لك فيها معنى غامض يحتاج إلى شرح وتفصيل، وبعد مرور ثلاثين سنة فإن من ينبغ من أبنائك في الأدب يجد أن اهتمامك بكتابة هذه الجملة في ذلك التاريخ المعين عن أديبين معروفين لا بد أنك تقصد منه جانباً غير جانبه الظاهر فيدون ملاحظاته عليه. وبعد مضي قرن أو أكثر يقرأ الجملة والتعليق أديب آخر فيثير الموضوع وتكبر الضجة وتتسع الدائرة فتسحب البرقيات لكبار أدباء العالم لشرح المعاني الغامضة في هذا اللغز عن الأديبين الكبيرين ويستطرد البحث فيشمل بحوثاً أخرى ـ عن شخصية الأديبين والسؤال عما إذا كان قد قدم الأول الملح للثاني عندما طلبه ذلك ولماذا ضج الجمهور بالضحك وتكتب الكتب وتستفيض الشروحات

ويكسب الكثيرون مادة وشهرة على حساب هذه الضجة.

فعلى الذين يترددون في كتابة يومياتهم أن يدركوا مثل هذه الحوادث في يوميات الآخرين وسيجدون أن ما يرونه تافهاً اليوم قد يكون في المستقبل من أهم المواضيع التي تشغل الصفحات لدى الأجيال المقبلة.

وربما اعترض أحد قائلاً: مالي وللأجيال القادمة. إني لا أكتب يومياتي لأورثها ولكن أسجل فيها صوراً من حياتي. ربما يكون ذلك صحيحاً ولكن أؤكد لك أن أكثر الذين يعنون بكتابة مذكراتهم إنما يكتبونها للأجيال القادمة لأن كتابة اليوميات بطبيعتها تاريخ، والتاريخ لا يكتب إلا للأجيال القادمة؛ ولو تأكد احدنا أنه سيكون ليومياته صدى لدى الأجيال القادمة فإن ذلك سيغريه بلا شك لأن يبدأ حالاً في كتابة يومياته ويستمر في كتابتها بلهفة وإلحاح حتى آخر أيام حياته.

وقد يكون هناك قسم من الناس لهم ميول غريبة فلا يحفلون باهتمام الخلف! ومع احترامي لهؤلاء أقول لهم: إذا كنتم لا تحفلون باهتمام الخلف بآثاركم من بعدكم، فإن هناك أسباباً أخرى تحثكم على الكتابة، منها التسلية وملء الفراغ ومنها أنكم ستجدون في آخر أيام حياتكم سجلاً حافلاً لهذه الحياة تقرأونه بلهفة وشوق وتستمتعون به بين الحين والحين كلما هزكم الشوق إلى مشرق حياتكم وشبابها.

على أنكم حين تستمرون في كتابة يومياتكم وتنسجمون فيها، ستجدون أن كتابة اليوميات فن رفيع، في ممارسته متعة روحية وذهنية هي أجمل سبب للاستمرار في كتابتها.

عادة كتابة المذكرات. . .

(٣)

كل متحدث بارع يستطيع أن يكون كاتباً بارعاً. .

إن لفظ الكتابة له في نفوس بعض الناس تأثير عجيب، فبمجرد أن يمسك أحدهم القلم ليكتب، يصيبه من الدهشة ما يصيب أي إنسان يدخل حفلاً مكتظاً لم يسبق له الحضور في مثله، فتتوتر أعصابه ويغص بريقه.

ومن المسلم به أن هناك تأثيراً سيكولوجيًّا للألفاظ المكتوبة يتأثر به كل إنسان ولكن هناك أشخاصاً كثيرين يصيبهم التوتر والرعشان عندما يمسكون القلم ليكتبوا؛ فهم يعتقدون أن الكتابة صناعة خاصة لا يستطيع أن يزاولها كل إنسان ويثبط عزمهم خوفهم من ركاكة الأسلوب والأخطاء النحوية وينفعلون بتأثير وهْم خاطىء يصور لهم أن هناك فرقاً كبيراً بين الكتابة والتحدث وأن الكتابة سر وصناعة. . وفاتهم أن كل متحدث بارع يستطيع أن يكون كاتباً بارعاً، وكل من استطاع أن يفكر تفكيراً سليماً استطاع أن يكتب كتابة سليمة.

أعرف كثيراً من الناس وشباباً بالأخص يغشون المجالس ويملأونها بأحاديثهم الرائعة يستمرون فيها ساعات وساعات، ولكنهم عندما يطلب

إليهم كتابة الموضوع الذي تحدثوا عنه لا يجدون في رؤوسهم ما يكتبون، وتجدهم يتحسرون على عجزهم قائلين: إننا عندما نتكلم لا نهيىء فكرنا للكلام بل إن اللسان لينطلق عند الكلام انطلاقاً، ولكننا عندما نريد أن نكتب لا بد لنا أن نفكر فيما نكتب. وقد يكون هذا صحيحاً، ولكن الواقع أنك إذا تكلمت لا بد أنك قد فكرت فيما تقوله قبل أن تقوله وهذا التفكير يأخذ سرعته المتلاحقة في الكلام لأنك لم توجه له اهتماماً خاصاً عندما تكتب، ولو فعلت مثل ذلك عندما تكتب لوجدت أنه لا فرق بين ما تقول وما تكتب، إلا أنّ إعطاءك أهمية خاصة للتفكير عندما تهم بالكتابة، هو الذي يشعرك بالفرق الكبير بين الكتابة والكلام، وهو فرق ليس بكبير كما تتوهم؛ أما في كتابة اليوميات، فإن هذا الفرق يجب أن يتلاشى لأنك إنما تكتب لنفسك وفي دائرة خاصة.

إن بعض المبتدئين عندما يمسكون القلم يتملكهم شعور مزعج من الكتابة فهم يتصورون أن الكتابة ترجمة عسيرة للكلام، فإذا أرادوا الكتابة فكروا بطريقة خاصة ورتبوا الكلمات في أذهانهم قبل أن ينطقوا بها، فإذا نطقوا بها ترددوا في كتابتها ويقولون في أنفسهم، لا بد أن يكون للكتابة أسلوب خاص غير أسلوب الكلام، فإن هذه الجملة لا يمكن أن تكتب مثل ما نطقناها ولا بد من تغييرها إلى أسلوب رصين ويغيرونها فعلاً ويستمرون في التردد حتى تسأم نفوسهم ويضعون القلم في يأس.

إن الذين يكبرون في أنفسهم ما يجب التزامه في الكتابة من أسلوب وبناء الجمل وقواعد النحو والإملاء، حري بهم أن يعرفوا أن كتّاب العصر الأدبي المزدهر في القرون الأولى لم تكن لديهم أية فكرة عن القواعد والإملاء والأسلوب فتلك ـ التزامات أحدثها المتأخرون فلم يكن يُعرف

النحو والإملاء والأسلوب. في ذلك الزمن ومع ذلك فكل هذه القواعد مقتبسة مما كتبوا وتحدثوا به.

أما في عصرنا، فإنك لا تستطيع أن تعتمد إلا على القليل من الأدباء الذين يحرصون على التزام القواعد والإملاء؛ أمّا عن الأسلوب، فالأسلوب الذي يجري على لسانك دون تكلف فهو الأسلوب المقبول وعندما يكون الإحساس صادقاً والانفعال مكتملاً، فإنه يبلغ حد الروعة. أما ذلك التركيب الذي تجهد في ترصيفه وترصيصه وتشدّ كلماته شداً إلى بعضها وتعيي فكرك وقلمك في إنشائه فثق أنه أسلوب ثقيل مهما كان الجهد الذي بذلته فيه.

عادة كتابة المذكرات . .
(٤)

لنبتدأ الكلام في هذا البحث عن التأثير العجيب للكلمات المكتوبة في النفوس.

للكلمات المنطوقة في بعض الأحيان أثر غاية في الإساءة، فمعاني الخيبة والفشل والآثام وتوقع حدوث المصائب تكون أقل تأثيراً عندما تتردد في جوانب النفس قبل النطق بها، أما بعد نطقها فيكون تأثيرها أكبر ووقعها اشد.

فالشخص الذي يحس بالآلام ويقع في ذهنه أنه مصاب بمرض خطير يشعر بالخوف والفزع أكثر إذا حدث وأفضى بذلك لبعض أصدقائه، لأن الألفاظ المنطوقة تحوي معنى الحقيقة، فهي لذلك أقوى تأثيراً على النفس من المعاني التي تتردد في جوانب النفس ولا تصل إلى درجة النطق.

وإذا كان هذا تأثير الألفاظ المنطوقة، فإن الألفاظ المكتوبة أشد أثراً وأشد عمقاً. إن الشعور بالخوف من الألفاظ المنطوقة والمكتوبة ليس وهماً، بل إنه ظاهرة طبيعية من طبائع النفس البشرية يمكن لكل واحد منا أن يجربها بنفسه.

والحقيقة أن كل إنسان يخشى الألفاظ المكتوبة، وأعني بها تلك الألفاظ التي تكتب فتحمل معنى الحقيقة بكل نزاهة وإخلاص، فقد يصل كره مثل هذه الألفاظ المكتوبة عند بعض الناس كما لو كانت قنبلة، كتابتها تنسف حياته نسفاً، ومن أجل ذلك نرى الجمهور لا يقبل على ما يكتب من الروايات التي يكون للخيال فيها نصيب كبير ولذلك أيضاً كان سلطان الصحافة النزيهة الصادق أقوى أثراً من أي سلطان؛ ومن المؤكد أن الخوف من الألفاظ المكتوبة تملك كل إنسان عندما يحاول تدوين آثامه وأخطائه، ولو أن درجة الخوف تقل عند البعض وتزيد عند الآخرين. وأنا على استعداد لأتحدى أي إنسان ينكر هذه الحقيقة الثابتة ويقول في استخفاف: إن هذا الخوف الذي تصوره للألفاظ المكتوبة ليس له أي أثر لديّ وسأكتب كل ما تريد دون فزع وخوف. وإني أقول لهذا الفتى الشجاع:

عيّن في نفسك بعض الحوادث الرهيبة التي مرت بك ومثلت حوادثها بنفسك والتي تستحق عليها اللوم والتوبيخ والجزاء، أو عيّن بعض الأفكار المزعجة التي ترددت في جوانب نفسك في بعض انفعالاتها، ولا أعني أن تكون حوادث قتل أو اختلاس، فليس كل إنسان يرتكب حوادث القتل أو الاختلاس أو حتى يفكر فيها ولكن أعني أي حادث ارتكبته وشعرت بندامة وخجل من فعله ولم تتجاسر أن تذكره لأحد وبقي سراً مكتوماً في صدرك، ولا شك أن كل واحد منا يحمل مثل هذه الأسرار في طيات نفسه. خذ واحداً من هذه الأسرار وحاول أن تسطره على ورقة بيضاء، أؤكد لك أنك ستجبن ولا تمسك القلم لتكتب وستنتحل أعذار الجبان هذا فتقول: ربما تقع الكتابة في يد أحد ويعرف السر. وأقول يمكنك أن تتجنب هذا الاحتمال بوضع ما تكتب في خزانة الأسرار فتقول:

لست آمن أن أفقد مفتاح الخزانة فيلتقطه فضولي أو أن يدركني القضاء ليتصرف غيري في خزانة أسراري. وأقول: ماذا يضيرك ما يعرفه الناس بعد أن تموت. فتجيب: من أين لك إني لا أخشى افتضاح أسراري بعد موتي أليس لي ذرية وأقارب؟!

وسأسلم في النهاية بوجهة نظرك ولكنّي مستعد لأثبت لك أن خوفك من الكتابة ليس سببه إفشاء السر والافتضاح ـ ولإثبات ذلك أذكر لك طريقاً آخر للكتابة:

اغتنم فرصة خلو دارك من جميع أفراد الأسرة والخدم وأحكم إغلاق بابها، وزيادة في الاحتياط ضع خلف الباب بعض الأثاث بحيث لو لمس الباب أحد نبهك إليه قرقعة الأثاث وضع موقداً مشعلاً بقرب مكتبك بحيث تستطيع أن تلقي كل ما تكتب عند أول فرصة. إنك الآن في أمان، فامسك قلمك وأبدأ في كتابة حادثة من النوع الذي عينته لك. إنك مع كل هذه التحفظات ستجد نفسك متردداً وسوف لا تستمر في سرد الحوادث على الورق حتى تجد نفسك أمام حقائق مزعجة لا تلبث أن تخفف من حدتها بالحذف والتشذيب، وستجد أن أثقل ما يثقلك هو أن تكتب الحقيقة كما وقعت، وربما فشلت أن تكون واضحاً وصريحاً فتتجنب التفصيل إلى الاختصار، وعندما تنتهي من كتابتك ويحدث أن يقرقع بعض من الأثاث الذي وضعته على الباب فتنتفض منزعجاً من الخوف والخشية، وعندما ترجع إلى نفسك وتطمئن إلى وحدتك، تبدأ قراءة ما كتبت وما تكاد تنتهي منه حتى يتولاك ضيق وانزعاج فلا تلبث أن ترمي به في النار وتنظر إلى لهيبه في رضى واطمئنان.

لماذا كل هذا الإحساس الغريب أنك كنت في مأمن من الفضول

والتدخل حين كتبته ولم يكن في ما كتبت شيئاً لم تعرفه أو تدرك تفاصيله وأي إنسان لا يستطيع أن يكتب ما لم يكن يعرف.

من المسلم به أنك عشت منفعلاً بكل ما كتبت فليس فيه جديد بالنسبة لك، ومن المسلم به أيضاً أن ذكراه قد مرت بك كثيراً، فكلما أثار هذه الذكرى أمامك حادث أو مشهد فلم يحدث أن أزعجتك الذكرى كل هذا الإزعاج، ولكن الضيق والقلق قد استوليا عليك بمجرد الكتابة ولم ترح نفسك إلا بعد أن رأيت ما كتبته يلتهب أمامك في الموقد، إنك لم تتغير بعد الكتابة بل أنت كما كنت قبل أن تكتب بل إنك لم تقترف ذنباً جديداً بعد الكتابة.

ومرة أخرى، لماذا كل هذا الإحساس الغريب؟ والجواب الصريح السريع هو أن الكلمات المكتوبة التي تحمل الحقيقة في صدق ونزاهة قوة، هي مخيفة غامضة ولهذه القوة الغامضة علاقة بالنظر، فإنك عندما تكتب ترى صور أعمالك أمامك بما فيها من قسوة وفظاعة وتخل عن المثل وانتهاك لحرمة الضمير.

ولحسن الحظ أنك لا ترى صور أعمالك وأفكارك كما لو كانت معروضة على الشاشة يراها كل الناس، ولكنك ترى ما يشبه هذه الصور في ما كتبته ووضعته أمامك من صفحات.

ذكـــــرى

الأعياد القومية في الأمم الواعية هي بمثابة محطات تقف عندها الأمة لتلتفت إلى ماضيها المجيد. وتتمعن في مستقبلها الزاهر، تأخذ العبرة من الماضي، وتحاسب نفسها على ما قامت به في الحاضر، فبقدر ما يكون في حاضرها من تقدم ورقي وازدهار بقدر ما يكون لهذه الأعياد من قيمة وفرحة تعم الأمة بأكملها، وتشمل كل الطبقات فيها.

والبحبوحة والرخاء من أهم نتائج التقدم، إذ إن التطاحن في عصرنا هذا، بين السياسة والزعماء، يتركز على تعميم الرخاء بين جميع طبقات الشعب وإدخال مزايا العصر الحديث في كل قرية، وفي كل بيت. هذه المزايا التي أصبحت من لوازم هذا العصر وتفتح الوعي عليها، فأصبح يطالب بها كل فرد، في كل بقعة يعيش فيها من الوطن الكبير.

وحكومتنا السنية وعلى رأسها جلالة الملك المعظم، تدرك هذه الحقيقة؛ فهي قد هبت اليوم تعبّىء الكفاءات الوطنية المخلصة، لتستخدم إخلاصها في تحقيق هذا الهدف الكبير.

وإن هذا التوجيه الجديد الذي يقود سفينته سمو الأمير فيصل في وزارته الجديدة، توجيه يبشر بالخير، ويملأ نفس كل مواطن بالثقة والاطمئنان في مستقبل أفضل وحياة أكرم.

ونسأل الله أن يعود هذا العيد على الأمة العربية السعودية وقد خطت خطوات أفسح، وأدت واجبات أكبر، في سبيل إسعاد كل مواطن في كل بقعة من هذا الوطن العزيز.

المؤرخ البارع يستطيع أن يقدم . .

إن المؤرخ البارع هو الذي يستطيع أن يقدم لنا صور الماضي في إطار مشرق واضح ويجعل هذه الصور تمر أمام أعيننا كما لو كانت شريطاً سينمائياً لقصة مثيرة.

فنستعرض بين سطوره صور أولئك القساة يحملون سهامهم المشرعة، يرتسم العبوس على وجوههم ويتركز الحقد في نفوسهم ويسيرون في جموع متدفقة وراء قائدهم العنيد الإسكندر يكتسحون كل بلد يمرون به ويدمرون كل شيء تقع عليه أيديهم.

ثم نستعرض سفن قرصان البحر يتجهون من هولا نده فنسمع صريرها وهي تتزاحم على شواطىء بريطانيا فتحتلها حيث يخلفهم حقدهم على اغتصاب الدنيا الجديدة واستغلالها واضطهاد أهلها.

ونستعرض الغزاة وهم يتقدمون على صهوات جيادهم نحو الانتصارات التي كانت سبباً في تغيير مجرى التاريخ وانفض الاجتماع. واعتزل هو إلى نفسه وجلس تحت شجرة يتأمل ويفكر ساعات طويلة ثم عاد وهو مصمم على أمر ـ صمم على أن يقامر بكل شيء وأصدر أوامره أن يكون كل شيء ـ على استعداد لعبور النهر في صباح الغد ـ وغامر وانتصر.

وقد كان يقول وهو يفتخر بنفسه: لم يحدث أني عقدت مجلساً حربياً

في حياتي العسكرية إلا مرة واحدة، ولو أني سرت على رأي المجلس في هذه المرة اليتيمة لما استطعت أن أتوج أعمالي الحربية بأروع انتصار في حياتي.

صفات المؤرخ

ليس من السهل امتلاك ناصية التعبير في رأيي أن شخصية المؤرخ لا تكتمل إلا إذا تحققت فيه ثلاث صفات هي:

١ ـ القدرة العلمية.

٢ ـ قدرة التأمل والتفكير ونفاذ البصيرة.

٣ ـ القدرة الأدبية.

وتجيء القدرة العلمية في الدرجة الأولى، فالجهد العلمي الجبار يتحتم على كل مؤرخ جدير بكتابة التاريخ لأن جمع الحقائق العلمية وتمحيص الشواهد والأدلة هو الأساس الأول في كتابة التاريخ، ثم تأتي بعد ذلك مقدرة التأمل والتفكير ونفاذ البصيرة عند اختيار الحقائق التاريخية وتبويبها واستنتاج الأحكام بحيث تكون أحكاماً صائبة بعيدة عن الغرض والهوى، ثم تأتي أخيراً القدرة الأدبية في عرض الحقائق والأحكام في أسلوب رائع بديع يجذب انتباه القارىء ويستثير فضوله.

وليس من السهل امتلاك ناصية التعبير بصفة مؤثرة جذابة. فلا يمتلك ناصية الأدب إلا من بذل الجهد في الدرس والتحصيل واستيعاب شتى فنون الأدب للسيطرة على أساليب الكلام وتملك القدرة على التعابير الرفيعة بسهولة ويسر بعيداً عن التكلف والتقعر. ومن أجل ذلك كان على المؤرخ أن يكون أديباً قبل أن يكون عالماً وبحاثة.

ترويض الحيوانات

فن ترويض الحيوانات المتوحشة فن عريق في القدم يرجع تاريخه إلى العصور الأولى قبل أن يتمكن الإنسان من تدوين تطورات حياته عن طريق الكتابة.

وكما يؤخذ من الآثار والشواهد، فإن الكلب هو أول حيوان استطاع الإنسان الأول أن ينتصر على إخضاعه وإيلافه. وكان ذلك في العصر الذي سماه المؤرخون بالعصر الحجري.

كان الإنسان في هذا العصر لا يزال يعيش متنقلاً يقتات بالصيد، ولكنه كان قد تقدم نحو الحضارة فأصبح يدفن موتاه، وتقدم أيضاً في تصوراته العقلية فقد ظهر من آثاره أنه بدأ يتصور الحياة الأخرى التي يؤول إليها بعد الوفاة فبدأ يدفن مع الموتى حليهم وأسلحة صيدهم البدائية لتساعدهم في الحياة الأخرى في عالم الأشباح.

وكانت هذه العادة هي الشاهد الوحيد الذي استنتجنا منه التاريخ الذي بدأ فيه الإنسان ترويض الحيوان. ومن حيث إن الكلب هو الحيوان الوحيد الذي وجد ضمن هذه الدفائن كان استنتاجاً أن الكلب هو الحيوان الأول الذي طوعه الإنسان لخدمته ومرافقته ـ وربما كانت صغار

الأجراء التي جاء بها الإنسان لتسلية صغاره هي الأساس الأول الذي انتقل بالإنسان الأول إلى حياة أفضل وخطت به بعد ذلك خطوات واسعة نحو الحضارة.

الرياح التجارية

إن الأصقاع التي تقع في المناطق التي تنزل عليها أشعة الشمس عمودية تكون شديدة الحرارة في جميع الفصول، وبسبب الحرارة في هذه المناطق يخف الهواء فيرتفع في الجو ويكوّن عليها نطاقاً جوياً ذا ضغط منخفض.

ويحدث عند الاعتدالين على خط الاستواء أن ينطبق هذا النطاق الجوي ذو الحرارة العالية والضغط المنخفض المتكون من الرياح الخفيفة الراكدة.

وفي فصل الصيف في القسم الشمالي، يتحرك هذا النطاق مع حركة الشمس نحو الشمال. وفي فصل الشتاء يتجه مع الشمس من الشمال إلى الجنوب ويسير منطبقاً دائماً على ما يسمى بخط الاستواء الحراري.

ومن هذا النطاق ذي الضغط المنخفض تميل الرياح لتندفع من الشمال أو الجنوب حيث يكون الضغط أشد قوة؛ ومن هذا التفاعل يتكون ما يسمى بالرياح التجارية المستمرة ويسبب هذا التفاعل الانحراف الناتج عن حركة الأرض حول محورها.

وتسمى هذه الرياح بالرياح الشمالية الشرقية عندما تهب في الأجواء الشمالية وبالرياح الجنوبية الشرقية عندما تهب من الجنوب.

وطبيعة هذه الرياح الجفاف، لأنها تهب من خطوط العرض الأقل حرارة إلى خطوط العرض الأكثر حرارة وتصحب معها في حركتها الشمالية والجنوبية النطاق الجوي الذي يسير معها منطبقاً على خط الاستواء.

شباب أنيق. . ولكن. . ! !

في إحدى الفنادق الفخمة وفي الصالون الكبير وفي زحمة الجمع الغفير من النفوس المرحة، اجتمعت لمزايدة خيرية، وبين الضحكات العالية والنكات الظريفة والنشوى في التسابق إلى الخير بالزيادة على السلع المعروضة، وقفت أتأمل وأعجب من النفوس المندفعة نحو الخير، وكان يزيد جمال ذلك المنظر الأحاسيس الصادقة المرتسمة على وجوههم من القفشات المرحة التي كانوا يشعلون بها حماس المتزايدين. ورغم ارتفاع حرارة الجو بسبب ضغط أنفاس المزدحمين في هذه الغرفة الخاصة بهم، فإنهم لم يحسوا بالضيق والحرج بل كانت أصواتهم تجأر وضحكاتهم تتعالى وأكفهم تصفق كلما نزل إلى الميدان مزايد جديد!

وأنا في غمرة هذه التأملات إذ مر بي شاب أنيق، مر وهو يحملق فيّ وفي عينيه تردد وفيهما تساؤل، ثم توقف فجأة وهو يقول «إذا لم يخطىء ذكائي فأنا أتشرف بالتحدث إلى السيد. . . وذكر اسمي» ووددتُ لو أني أنكرت نفسي وأجبت بالنفي إذ أرهبتني طريقة تفرسه في ملامح وجهي، ولكن هل يستطيع أحد أن ينكر ما لا يمكن إنكاره؟ هل يستطيع الإنسان أن ينكر نفسه؟ وأجبت بالإيجاب فواصل حديثه « أرجو أن لا يزعجك تطفلي فقد قرأت جميع مؤلفاتك».

وارتاحت نفسي، فقد كانت بداية الحديث ـ بعد الحملقة والتفرس بداية

عادية مألوفة سمعتها كثيراً من قرائي الأعزاء. . وأجبت بعد تنهيدة ارتياح وبكل تواضع «شكراً وهذا لطف منكم!» وقال وهو يقطب حاجبيه تقطيباً خفيفاً «إنك تبذل جهداً كبيراً». ولاحظت أنه إلى جانب أناقة ملبسه. . وهو أمر يدل على ذوقه الرفيع ـ ترتسم على وجهه الطيبة والعطف. وتابع حديثه وهو يقول: «وإني لشديد الشوق إلى التحدث إليك بل لقد بدا لي في الأيام الأخيرة أنه يجب أن أتحدث إليك في شأنها، فإنك تعالج في مؤلفاتك الاجتماعية أحوال الناس وترشدهم إلى الطرق المثالية لإصلاح النفس واستغلال كفاءاتها والوصول بها إلى مرتبة الكمال، إنك تعالج كل هذه المواضيع بسلام ووضوح. إن أبحاثك هذه تستهويني فأدرسها درساً عميقاً وأقتنع بكل نظرياتها بل أؤمن بها، ولكن ويا لخيبة أملي! أفشل فشلاً ذريعاً عندما أضع ما فيها من تجارب موضع العمل. وأنهى حديثه بابتسامة خفيفة حائرة ارتسمت على شفتيه ـ وأطرقت وقلت في نفسي «لا يا رجل ليس هذا حديثاً عادياً مألوفاً كما توهمت» ثم رفعت رأسي وقلت «آسف أيها العزيز! ولكنه من الواضح أن الكتب لا تستطيع أن تحقق عملياً ما تحتويه من تجارب ما لم تضع هذه التجارب موضع العمل في حياتك الحقيقية» وأجاب على الفور. .

هذه هي النقطة التي أردت أن أتحدث إليك بها، فقد عجزت عن التطبيق، فكلما بدأت التطبيق أخفقت، ينقصني العزم والتصميم لا أستطيع أن أحصر ذهني وأضغط على نفسي لأبدأ عملياً، وقد أغالب نفسي وأبدأ فعلاً ولكن لا يمضي يوم أو يومان حتى أفشل وأعود إلى سيرتي الأولى وأغالب مرة أخرى ثم أفشل. . وهكذا تمضي الأيام والسنون وأنا كما أنا أتقدم خطوة واحدة، إنني في حيرة من أمري، لا تلمني فلا فائدة من اللوم فقد لمت نفسي وأنبتها كثيراً على هذا القصور ولكن لم استطع التغلب عليها!

إني أريد وأشتهي ولكن لا أستطيع إدراك ما أريد وقلت «ولكن ما الذي تريده بالتحديد»؟ فقال «أريد أن ارتفع بمستواي الثقافي إلى أقصى حد، أريد أن أكون إنساناً كاملاً أريد أن أكون ناجحاً أريد أن أستفيد من كل ملكاتي، لا أريد أن تضيع أوقاتي سدى. لقد نصحت في مؤلفاتك أن يجمع الإنسان أمره وأن يكون صلباً عزوماً متمسكاً بمراده لا يكل من العمل للوصول إليه. وإني كما شرحت لك أفقد العزم في نفسي بل لا أجد لها أثراً فيه. ومع ذلك فإني شديد الرغبة في اتباع نصيحتك والعمل بها.

إنك لم تعالج في أبحاثك الكثيرة مثل هذه الحالة التي أعانيها ـ وماذا أريد أن أقول أيضاً؟! أعتقد أنها حالة شاذة لا تستطيع بحثها أو معالجتها فيما تعالج من المشاكل الاجتماعية، وأخيراً أرجو أن تغفر لي ولا تؤاخذني على ما أضعته من وقتك في هذه الدردشة الفارغة، ولكني مؤمن أنه يهمك أن تسمع مثل هذا الكلام من قرائك المعجبين بأبحاثك، فأنت كباحث اجتماعي تستهويك معرفة مشاكل المجتمع وحالات أفراده المختلفة.

وأخذتني الدهشة لهذه المحاضرة غير المنتظرة ـ ووقفت لحظة صامتاً مبهوراً وقبل أن أفيق من دهشتي كان قد انحنى انحناءة لطيفة واختفى بين الجموع، وجعلت أدور هنا وهناك مفتشاً باحثاً عنه ولكنه ضاع في الزحام ولم أتمكن من الاستمرار في متابعته، فإنه ليس من الأدب الجري وراء شخص في مثل هذا الجمع الحاشد وأسفت كثيراً فقد مضى ولم يعطني فرصة لأعرف من يكون هذا الشاب:

هل هو تلميذ شاب أو والد شاب أم باحث شاب؟ إني لم أستطع أن أعرف عنه سوى ذلك الوجه الذي عليه مسحة من الحزن تطل من عينيه

دلائل النبل والتعطف. لقد كان لحديثه المشتمل على الرغبة والرهبة واللوم والتقريع أثر السهم المضطرب في أحشائي.

وقد مضى ولم يزل سهمه يضطرب بين جنبي.

مع المشاهير

الفتاة البكماء الصماء العمياء التي زاحمت نابليون

يقول مارك توين الكاتب المشهور «إن أعظم شخصيتين لامعتين كان لحياتهما دوي سمعه سكان هذا العالم في كل مدينة وفي كل قرية هما شخصيتا «نابليون» و «هيلين كيلر». وعندما قال مارك توين قولته هذه كانت هلين في الخامسة عشرة من عمرها ومضى الزمن ولا تزال هلين كما هي أعجوبة القرن العشرين.

وهلين كيلر فاقدة البصر كلياً، ولكنها مع ذلك قرأت من الكتب ما لم يستطع قراءته الكثيرون من المبصرين. ويقدر ما تقرؤه هلين بقدر ما يقرؤه الرجل المتوسط بمائة مرة. هذا عدا ما تصرفه من الوقت في تأليف الكتب، وقد ألفت مسرحية عن نفسها مثلت فيها هي نفسها. إنها صماء كاملة الصمم ولكنها تستمتع بالموسيقى خير مما يستمتع بها كثير من مكتملي السمع، ومنذ كان عمرها التاسعة فقدت النطق، ومع ذلك فقد حاضرت في كل ولاية من ولايات الاتحاد الأمريكي وتصدرت صورها صحفها مدة أربع سنوات ثم طافت أوروبا كلها في رحلة عامة.

ولدت هلين كيلر كأي طفلة عادية مستكملة جميع أجزاء خلقتها الطبيعية وفي السنة الأولى ونصف الثانية من ولادتها، كانت تسمع وترى كأية طفلة أخرى بل إنها كانت تناغي وتتحدث، وفجأة مرضت مرضاً خبيثاً أفقدها بصرها وسمعها ولما تتجاوز الشهر التاسع عشر من عمرها، فحلت بها

الكارثة وكادت تفقد وجودها وكانت تنمو وكأنها حيوان متوحش في صحراء قاحلة. فكانت تلقي في وجه من يكون أمامها بأي حاجة تقدم إليها ولا تعجبها وتحطم كل ما يقع عليه بصرها ولا تستأنس به. وعندما يقدم إليها الطعام كانت تحشو به فمها بكلتا يديها، وإذا حاول أحد أن يصلح خطأها تلقي بنفسها إلى الأرض وترفس بيديها ورجليها وتصرخ صراخاً مزعجاً. وفي يأس بالغ بعثها والدها إلى معهد «المكفوفين» في بوسطن يتلمسون لها معلماً وهناك ظهرت في حياتها «مانسفيلد سوليوان» كملاك أضاء ظلام حياتها الدامسة في صورة المعلم، وكانت المعلمة في الثانية والعشرين من عمرها وافقت على ترك عملها في معهد بوسطن لتعمل في عمل كان يبدو عقيماً بل محالاً ـ في تعليم طفلة عمياء صماء بكماء ـ وكانت حياة المعلمة هي الأخرى حياة مليئة بالمآسي والفواجع والآلام والفقر والعوز، فعندما بلغت العاشرة من عمرها أرسلت هي وأخوها إلى أحد الملاجىء وكان الملجأ مزحوماً فاضطرا أن يناما في الغرفة التي كانت تسمى بغرفة الموت، الغرفة التي كانوا يضعون الأموات فيها انتظاراً لاجراءات الدفن، ولم تمض سنة حتى توفي الأخ بعد أن عانى من المرض كل العناء. وعندما بلغت مانسفيلد الرابعة عشرة من عمرها ضعف بصرها إلى حد العمى تقريباً فأرسلت إلى معهد العميان لتتعلم القراءة والكتابة بطريق اللمس، وتحسن بصرها أخيراً فلم تعم ولكن العمى لاحقها بعد خمسين عاماً وقبيل وفاتها.

وتقول أنا سوليوان: «إني مهما حاولت فإني لا أستطيع أن أحدثكم في ألفاظ محدودة كيف حدثت المعجزة وكيف أني في شهر واحد نجحت في التفاهم مع طفلة تعيش في ظلام دامس وصمت رهيب.

واسمعوا القصة ترويها هلين كيلر في كتابها «قصة حياتي» فإن أحداً لم يقرأها إلا ورسخت في ذهنه تلك العبارات التي دخلت فيها السعادة في قلب طفلة صغيرة صماء بكماء عمياء. واليوم الأول الذي أدركت فيه أن هناك وسيلة تصلها بغيرها ممن يعيشون على هذه الأرض ـ قالت هيلين: «لا يمكن لأحد أبداً أن يتصور طفلة أسعد مني عندما كنت مستلقية في مجلس في نهاية ذلك اليوم المفعم بالبهجة والحبور والسعادة التي كنت أعيش فيها والتي جلبها لي ذلك اليوم المليء بالأحداث والذي كان اليوم الأول في حياتي الذي كنت أنتظر فيه ما بعده في شغف وتلهف».

وعندما بلغت هلين العشرين من عمرها كانت ثقافتها تؤهلها للانتساب إلى كلية «رادكليف» وكانت معلمتها ترافقها لتنقل إليها محاضرات الكلية! ولم يكن تقدمها في الكلية بأنها كانت تقرأ وتكتب كأي تلميذ آخر، بل إنها استطاعت أن تقوي ملكتها في التحدث والتفاهم. وكانت أول جملة تعلمت النطق بها: «إني لست بكماء الآن» وكانت ترددها المرة بعد المرة وهي تتمايل في نشوة وعجب! «إني لست بكماء الآن!» وهي تتكلم الآن وفي حديثها لكنة أجنبية وتكتب مؤلفاتها ومجلاتها ومقالاتها على الآلة الكاتبة بطريقة بريل أو النقاط البارزة وعندما تقوم ببعض التصحيحات على الهامش تقوم بها بعمل إخراق برأس دبوس الكتابة على الحاشية. إنها تسكن في «فورست هل» وهي ضاحية من ضواحي نيويورك، ولا يبعد سكني عنها كثيراً، وعندما أخرج لأتمشى ألاحظها بعض الأحيان تقطع بستانها جيئة وذهاباً مع كلبها العزيز، وقد لاحظت أيضاً أنها عندما تسير تتحدث مع نفسها ولكنها لم تحرك شفتيها عندما تتحدث كما نفعل أنا وأنت بل كانت تحرك أصابعها وتتكلم مع نفسها بلغة العلامات!

قالت لي سكرتيرتها إن حساسية الآنسة كيلر نحو الجهات ليست بأفضل من حساسيتي وحساسيتك، فهي غالباً ما تضيع طريقها داخل بيتها، وعندما تتعثر في شيء من الأثاث تفقد كل شعورها.

يقال عن كثير من المكفوفين غيرها إن لهم حاسة سادسة وقد أثبت التحليل العلمي أن لها حاسة ذوق وشم تقارب حاستنا في الذوق والشم. أما حاسة اللمس عندها فعميقة جداً تستطيع أن تفهم كلامك عندما تتحسس شفتيك في رفق وأنت تتكلم، وتتأثر بالموسيقى عندما تعزف عندما تضع أصابعها على خشبة العود أو البيانو، حتى الإشارات اللاسلكية تفهمها من إحساسها بالاهتزاز، إنها تصغي إلى الموسيقار بلمس حنجرة موفق وتتأثر بأغانيه ولكنها تعجز عن الغناء والتنغيم، وإذا حدث أنك صافحت هيلين مرة فإنها ستعرفك إذا صادف أن صافحتها بعد ذلك بخمس سنوات. وتعرف بعمق حاسة اللمس عندها ما إذا كنت مبتهجاً أو ناجحاً أو فاشلاً.

وهي تمارس هواية التجديف وركوب الخيل في الغابات وتلعب الداما والشطرنج في لوحة عملت خصيصاً لها وتلعب أيضاً الورق بورق ذي نقاط بارزة، وغالباً ما تقضي الساعات في النسج والحياكة في الأيام الممطرة. والناس عموماً يقدرون أن العمى كارثة تصيب الإنسان فتحرمه نعمة البصر، ولكن هلين كيلر تقول إنها كانت لا تهتم كثيراً بالعمى لو حظيت بنعمة السمع وإنها وهي تعيش في الظلام الدامس والصمت المطبق تتمنى لو أتيح لها أن تستمع إلى الأصوات الحنون من حولها.

تـــولستـوي

هذه قصة واقعية وإن كانت في واقعها أغرب من الخيال تقرؤها وكأنك تقرأ قصة من قصص ألف ليلة وليلة! إنها قصة رجل عاش في هذا العصر ومات بالتحديد عام ١٩١٠ وكانت وفود المعجبين به قبل وفاته بعشرين عاماً تنحدر نحو داره كالسيل الجارف ليحظوا بلمحة من رؤيته وليسمعوا مقطعاً من صوته وليلمسوا طرفاً من ثوبه. . وكان مريدوه يقصدون داره ليقيموا بها أعواماً ليدونوا أقواله بطريقة الاختزال حتى في محادثاته العادية ويعنوا بدقة تدوين أتفه الأحداث في حياته اليومية، وكانوا يطبعون كل ذلك في كتب ضخمة يتلقاها مريدوه بلهفة واهتمام، ولقد كتب ما يقرب من ثلاثة وعشرين ألف كتاب (تأكد أيها القارىء أنها ثلاثة وعشرون ألف كتاب) ونشر عنه ستة وخمسون ألف مقالة في الجرائد والمجلات تشرح مبادئه وأفكاره، هذا عدا ما كتبه هو نفسه عن مبادئه بما يقرب من مائة مجلد ضخم. . مقدار كبير لم يكتب مثله عن أي شخص. .

وقصة حياته لا تقل روعة وتلويناً عما كتبه عن أبطاله في قصصه هو نفسه، فقد ولد في قصر من أضخم القصور وأترفها كان عدد غرفه اثنتين وأربعين غرفة مؤثثة بأعظم الأثاث محتوية على جميع أنواع الرفاهية والترف التي امتازت بها الأرستقراطية الروسية، وعاش في أيامه الأخيرة وقد تنازل

عن كل ثروته وأراضيه لصغار الفلاحين من أبناء وطنه، وجرد حياته من كل ملاذ الدنيا ومات لا يملك شروى نقير في محطة حديد صغيرة نائية يحوطه جمع من الفلاحين الذين قضى حياته لإسعادهم..

كان في شبابه يمشي بخيلاء إلى دكان الخياط ليخيط له أجمل الثياب أناقة وأغلاها ثمناً، ولكنه في أيامه الأخيرة كان يلبس ثياب الفلاحين بكل ما فيها من هلهلة وتقشف ويصنع نعله بيديه ويكنس غرفته ويفرش فراشه ويأكل وجبته وعلى طاولة من الخشب وبملعقة من خشب.

وفي مطلع شبابه عاش حياة وصفها هو نفسه بأنها حياة إثم وفسق وفجور فيها أعظم الآثام حتى القتل!

وفي أيامه الأخيرة أصبح قديساً يطبق عملياً على حياته تعليمات المسيح وفرض على روسيا كلها شخصيته الدينية..

وكان سعيداً في أيام زواجه الأولى إلى حد أنه اتفق هو وزوجته أن يسجدا معاً شكراً لله تعالى ويطلبا أن تستمر سعادتهما في غمرة من الفيض والعناية الإلهية ومع ذلك فقد تغيرت هذه الحياة فأصبحت مأساة لا يطيقان احتمالها، فكان يشمئز من رؤية زوجته وكان رجاؤه وهو في النزع أن لا يسمح لزوجته بالدخول عليه..

المؤلف الذي ألف أعظم قصتين عالميتين ثم أصبح يخجل من نسبتهما إليه.

كان في حياته المدرسية غاية في البلادة حتى إن أساتذته قد عجزوا أن يثبتوا في دماغه الغليظ أية قاعدة من قواعد العلوم، ولكنه بعد ثلاثين عاماً كتب أعظم قصتين عرفتا في العالم حتى اليوم، قصتان ستبقيان موضع

الإجلال والتقدير على مرور الأجيال: (الحرب والسلام) و (أنا كارنينا).

إن شهرة تولستوي في العالم اليوم تفوق شهرة كل أولئك القياصرة الذين حكموا أمبراطورية روسيا العظيمة بما فيها من أحداث ومآس عظيمة، ومع ذلك، فهل كان تولستوي سعيداً بكتابته لهاتين القصتين العظيمتين اللتين كسب بهما شهرته العالمية؟ ربما كان الجواب لفترة قصيرة: نعم! وبعدها كان يخجل أن تذكرا أمامه، وتكفيراً لذلك فقد كرس البقية من حياته يكتب رسائل يدعو فيها إلى المحبة والسلام ومحو العوز والفقر.. هذه الرسائل كانت تطبع على ورق رخيص وتوزع بصفة عمومية محمولة فوق عربات اليد على عموم الدور من باب لباب وبلغ مجموع ما وزع منها خلال سنين قصيرة ١٢،٠٠٠٠٠٠ اثني عشر مليون نسخة.

وقد سعدت قبل سنوات بالتعرف إلى ابنة تولستوي الكبرى في باريس وكانت تعمل في أيامه الأخيرة سكرتيرة له وكانت معه حين وفاته وقد التقطت كثيراً من هذه المعلومات من شفتيها..

وقد كتبت عنه كتاباً بعد وفاته بعنوان (مأساة تولستوي)... وفي الواقع فإن حياة تولستوي كانت مأساة وكان سبب هذه المأساة هو زواجه. كانت زوجته تحب الأبهة والجاه وكان هو يرى ذلك لا يعني أي شيء بالنسبة له.. كانت تحب المال وتجري وراء الغنى وكان هو يعتقد أن السعي وراء الغنى الفاحش وتجميع الأملاك إثم في حق المجتمع، هي ترى أن يحكم الناس بالقوة، وهو يرى أن يحكم الناس بالحب.

واستكمالاً للتنغيص، فقد كانت مصابة بغيرة شديدة فكانت تكره كل أصدقائه حتى إنها قد طردت شقيقتها من دارها ثم هجمت على غرفة تولستوي وصوبت الرصاص على صورة الفتاة ـ وهكذا أمضى سنين عديدة

كانت زوجته فيها مصدراً لنكده وشقائه، فكانت تصرخ عليه وتزجره وتذمه على الدوام، فحولت داره ـ كما قال ـ إلى جهنم حقيقية، وعندما أباح طبع كتبه لعموم الروس دون الاحتفاظ بحقوق الطبع له، هاجمته مهاجمة شديدة، فلما أصر على رأيه ألقت بنفسها في صورة هستيرية على الأرض وفي يدها قنينة سم وضعتها على شفتيها مهددة بشربها أو أن ترمي بنفسها في البئر لتموت.

لقد تزوج تولستوي قبل نصف قرن تقريباً، وكانت زوجته في بعض الأحيان تجلس في حجرة ترجوه أن يقرأ لها رسالات الحب الصارخة التي كان قد كتبها في مذكراته قبل ثمان وأربعين سنة عندما كان يهيم بها وتهيم به في غرام مشبوب.

وعندما كان يقرأ عن تلك الأيام السعيدة الماضية التي لم يعد لها أثر في حياتهما الحاضرة، يغرقان معاً في بكاء مرير.

وأخيراً، وبعد أن بلغ من العمر اثنتين وثمانين سنة لم يعد يحتمل أكثر استمرار التنغيص في وتيرة حياته اليومية فهرب من الحياة مع زوجته في بيت واحد في ليلة ٢١ أكتوبر عام ١٩١٠ هرب في غياهب الظلام والشتاء القارس لا يدري كيف يسير وإلى أين يسير.. وبعد أحد عشر يوماً من هروبه مات متأثراً بالتهاب الرئة في إحدى غرف محطات السكة الحديدية وهو يقول: (لله تصير الأمور) وكانت آخر كلمة قالها: «ابحث دائماً».

أونجلين بوت

العانس التي رفضت المئات من الخاطبين وكانت تتريض على حصان جموح عجز الرجال عن تذليله.

أعجب امرأة عرفتها في حياتي امرأة تقدم لها ألف خاطب ورفضتهم جميعاً، لقد تودد لها الرجال من جميع الأنواع وطلبوا يدها، كان فيهم المشاهير والأغنياء والفقراء والفلاحون والصيادون.

جرى وراءها لعدة شهور أمير من أبرز أسر أوروبا المالكة فلم تلتفت إليه ولم تستجب لإغرائه. وحتى عندما بلغت السبعين من عمرها كانت سكرتيرتها تتلقى خطابات المعجبين يطلبون القرب منها! وكانت السكرتيرة تلقي تلك الخطابات في سلة المهملات دون أن تكلفها عناء قراءتها.

اسمها «أونجلين بوت» رئيسة أنبل جيش جند نفسه للحملة على أعدى أعداء البشرية «جيش الإنقاذ» بلغ عدد رجاله ثلاثين ألفاً جندوا أنفسهم لإيجاد وسائل العيش للفقراء والمعوزين في ست وثمانين مقاطعة ونشر المحبة والوئام بثمانين لغة مختلفة. ولقد هزتني الدهشة عندما قابلت إنجلين بوت، فقد كنت أعرف أن عمرها جاوز أن تكون جدة، ومع ذلك فإن شعرها الأحمر لم يكن يتخلله إلا بعض شعرات خفيفة بيضاء وكانت تتفجر نشاطاً وحيوية وحماساً. يقولون إن الحياة تبدأ من الأربعين، ولكنك

عندما ترى هذه المرأة وهي تقفز على صهوة جواد جموح يمسكه شابان قويان للتغلب على قوة شكيمته سوف تعتقد أن الحياة تبتدأ في السبعين. اشترت أونجلين حصانها هذا بثمن بخس لأن الفارس الذي كان يملكه كان يخشى ركوبه. وكان اسم الحصان «القلب الذهبي» وعندما كانت تهم بركوبه يمسكه شابان قويان فإذا ما استقرت على صهوته صاحت: اتركوه فلم يكد يفلت حتى يقفز إلى أعلى ويميل على جوانبه ويدور حول نفسه ويتقدم ويتراجع حتى إذا غلب على أمره هدأ واستقر. وكانت تركبه ساعة صباح كل يوم وفي بعض الأحيان كانت تمسك عنانه بيد وفي اليد الأخرى الكلمة التي كانت تعدها لإلقائها، تراجعها بين أشجار الغابات. وعندما كانت تعيش في أمريكا كانت تذهب كل صيف إلى بحيرة جورج، تمارس مختلف أنواع السباحة لساعات طويلة، وعندما كانت في الثالثة والستين من عمرها كانت تقطع بحيرة جورج خلال أربع ساعات.

كانت عندما تريد أن تنام تضع إلى جانب وسادتها كمية من الورق الأبيض وفي أكثر الليالي تقوم في وسط الليل لتكتب الكثير من مقالاتها وخطبها وملاحظاتها. وعندما كان يصيبها الأرق في بعض الليالي، كانت تؤلف أغاني وأناشيد وتضع ألحانها، وكان لها ثلاثة من السكرتيرين يسكنون معها، وفي بعض الليالي توقظهم جميعاً ليعملوا معاً. كانت المسافة بين مكتبها وبيتها ساعة بالسيارة تقطعها وهي تدوّن ملاحظاتها في السيارة طوال الطريق.

وتقول أونجلين بوت، إن من أغرب المفارقات التي مرت بها في حياتها وهزت كيانها، حدثت عندما تدفق الأمريكيون إلى مقاطعة يورك سعياً وراء الذهب. والأمريكيون يذكرون جيداً ما حدث عندما اكتشف

الذهب في آلاسكا، فقد تدفقت جموعهم نحو الشمال ورأت أونجلين أن الحاجة ماسة لأن يكونوا جيش الإنقاذ هناك فشدت الرحال مع مساعديها وفرقة من الممرضين وتوجهت نحو الشمال، وعندما ألقت رحالها في سكج وي كانت تباع البيضة الواحدة بشلن ويباع رطل الزبد باثني عشر شلناً، وكان كثير من الناس يتضورون جوعاً وفي خوف دائم يحملون بنادقهم على أكتافهم، وكان الرعب الذي نشره «سوبي سميت» قاطع الطريق الجبار سائداً في المنطقة جميعاً. وقد كان هو وعصابته يترصدون الناس وهم عائدون من حقول الذهب فيقتلونهم وينهبون ذهبهم، وقد جرّدت الحكومة الأمريكية حملات تأديبية لقتله هو وعصابته ولكنه كان يتغلب عليها ويهرب. كان القلق والوحشة يسودان سكج وي، وقد قتل خمسة أشخاص في يوم وصول أونجلين بوت، وفي تلك الليلة عقدت اجتماعاً على ضفاف نهر يورك وألقت مواعظها على عشرين ألفاً كانوا قد اجتمعوا هناك، تبع ذلك أناشيد وإذكار وكان الجو شديد البرودة بحيث لا يحتمل، وعندما كانت تلقي أناشيدها جاء رجل يحمل دثاراً ولفها به وقد شمل هذا الجمع الكبير الورع والخشوع فاندمجوا في الذكر والأناشيد حتى الصباح، وبعد نهاية الحفل توجهت أونجلين ومساعدوها إلى ناحية في الصحراء لتأخذ راحتها تحت أشجار الصنوبر، وأشعلوا ناراً للقهوة يهدئون بها أعصابهم، وعلى ضوء النار لمحوا خمسة من الرجال يحملون بنادقهم ويتجهون نحوهم، وعندما اقتربوا منهم وقف رئيسهم ورفع قبعته محيياً وقال: «أنا سوبي سميت وقد جئت لأخبرك بتأثري العظيم بوعظك وأناشيدك، وقد كنت أنا الذي بعث إليك بالدثار لوقايتك من البرد الشديد، ولكِ أن تحتفظي به إذا شئت». وكان الدثار في ذلك المكان يعتبر من افخم الهدايا الملكية لندرته وشدة الحاجة إليه حيث كان الناس يموتون من شدة البرد وعدم أسباب الوقاية منه.

وسألته هي عما إذا كانت في خطر هناك فأجاب: «كلا ما دمت هنا فإني سأحميك».

وتحدثت إليه تعظه وترشده فقالت: «إننا نسعى لننقذ حياة الناس وأنت تسعى لقتلهم. إنك تسير على غير الطريق المستقيم، إنك لا تستطيع أن تستمر في النجاح. إنهم سوف يقبضون عليك ويقتلونك، لا بد من ذلك إن عاجلاً أو آجلاً».

وتحدثت معه عن أيام طفولته وما مر عليه من أطوار الحياة فتبسط معها وأخبرها أنه كان يحضر مع جدته وهو طفل مجالس وعظها، وكان يصفق وهو ينشد نشيد المحبة والسلام وأخبرها أن جدته عندما حضرتها الوفاة طلبت منه أن ينشد لها نشيد المحبة والسلام، وطلبت منه أونجلين أن يركع معها مستغفراً واشترك اللص القاتل الذي أرعب الشمال بضحاياه وقسوته وجبروته مع المرشدة الواعظة في الصلاة. وارتفعت تضرعاتهما في سماء الصحراء وتحت أشجار الصنوبر وانهمرت دموع الندم على خديهما، ووعد سوبي أونجلين بأنه سوف يكف عن القتل والسطو ويطلب التوبة والغفران ووعدته هي أن تستعمل كل نفوذها لتخفف عنه الحكم. وفي الساعة الرابعة من ذلك الصباح ودعها سوبي ورفقاؤه عائدين إلى منازلهم، وفي التاسعة وصلتها هدية منه: فطير طازج ورطل من الزبد. نعم مفقودة في ذلك القطاع لا تقدر بثمن. فقد كان الدقيق والزبد من منهوبات سوبي من ضحاياه الذين كان يقتلهم دون شفقة أو رحمة. والعمل والخبز كان بيد إحدى الخاطئات اللاتي كن يشاركن سوبي فطلبت أن تقدم خدمة للواعظة المخلصة التي جاءت إلى الشمال لتنشر المحبة والإخاء والسلام والغفران.

وبعد يومين من ذلك التاريخ قتل سوبي واحتفلت سكيج وي بموته

ونصبت لقاتله الذي أراح المنطقة منه نصباً تذكارياً كرمز للعمل الجليل الذي قام به.

إن أونجلين بوت من أسعد الناس الذين قابلتهم. إنها سعيدة لأنها كانت تعيش لإسعاد الآخرين وقد قالت لي: «إن أعظم شيء يسعدها في هذه الحياة هي أن تستطيع أن تقدم خدمة لأي إنسان شاء القدر أن تلتقي به ولو لحظة ـ كخادم في مطعم أو حمال في محطة وأن ترفع مستوى من تقابلهم ولو بقدر بسيط لأنها مرت بهم في حياتها».

باستيل زخاروف

«الرجل الغامض الذي قد يكون مسئولاً عن قتل بعض معارفك وأعزائك».

زخاروف ـ اسم رجل عرف بأنه من أغنى رجال العالم وأكثرهم غموضاً وأشدهم كرهاً بين الناس على وجه الأرض، وقد خصصت قبل سنوات جائزة قدرها عشرون ألف جنيه لأي شخص يقوم باغتياله، وكتبت عنه عدة كتب صورت ما اتصف به من الغرابة والغموض وإجماع الناس على كرهه في جميع الأقطار.

ولد باستيل زخاروف في حالة مزرية من الفقر، وجمع أكبر ثروة جمعها إنسان عاش في هذه الدنيا جمعها من بيع آلات الدمار: الرشاشات والمدافع والمتفجرات بكل أنواعها، وقد افتتح أحد الذين أرخوا له كتابه بهذه العبارة: «إن صورة ملايين القبور من البشر تصلح أن توضع شاهداً على قبره تكتب عليه أنات الألم التي قاستها الملايين وهي تموت».

عندما كان زخاروف في الثامنة والعشرين من عمره، اشتغل في بيع الذخيرة بأجر قدره أربعة جنيهات في الأسبوع وعمالته على مقدار كمية البيع. كان يعيش في ذلك الحين في اليونان. وكان يعرف أن الطريقة الوحيدة لبيع الذخيرة هي إيجاد مجال لحاجتها وطلبها فعمل على بث

المخاوف في نفوس اليونانيين وأوحى إليهم أنهم يعيشون محاطين بأعداء عطشى للدماء وأن عليهم أن يستعدوا بالآلات الحربية والذخيرة للذب عن حياضهم.

كان ذلك قبل نصف قرن تقريباً حين اجتاحت العالم موجة من القلق، فبدأت الفرق تتدرب والخطباء ينثرون العواطف ويهيجون النفوس، وازداد عدد الجيش في اليونان واشترت من زخاروف كمية وافرة من الذخيرة وغواصة أيضاً ـ الغواصة الأولى التي أنتجتها المصانع الحربية في ذلك التاريخ ـ وبعد أن جمع ثروة كبيرة من راتبه وعمالته على الكمية الكبيرة التي باعها انسل إلى تركيا، واجتمع برجالاتها وقال لهم: انظروا ماذا تصنع اليونان! إنهم يستعدون ليمسحوكم من على وجه الأرض، واقتنع الأتراك واشتروا منه غواصتين وكمية وافرة من الذخيرة.

وبدأ سباق التسلح بين تركيا واليونان على أشده.. وهكذا نجحت خطة زخاروف فجمع ثروة قدرها ستون مليوناً من الجنيهات كانت كلها مشبعة بالدماء.. ولمدة نصف قرن اشتغل زخاروف بإشعال نار الفتنة بين الأخصام التقليديين من الدول والمساعدة على تحريك أسباب الحروب وإعلانها، وفي اصطدام روسيا مع اليابان شجع الفريقين وباع لكل منهما أكبر مقدار من الذخيرة، وفي النزاع الأميركي الأسباني باع الذخيرة التي قتل بها العسكري الأميركي.

وفي الحرب العالمية الأولى شجع مصانع الذخيرة في ألمانيا وإنكلترا وفرنسا وإيطاليا بمساهمة مادية كبيرة في رؤوس أموالها.

وهكذا نمت وتضخمت ثروته فكانت أكثر مما يتصوره الخيال. وكان عمله لمدة نصف قرن أن يتسلل إلى رجال الحرب في أوروبا في صورة قط

وديع وفي غاية من السرية والكتمان ليوغر صدورهم ويشجعهم على المضي في سبيل الحرب. وكان يستخدم شخصين شبيهين له تماماً ليضلل بهما المتربصين به، فكان كل عملهم أن يخرجوا في المجتمعات لتكتب عنه الصحف أنه في برلين أو مونت كارلو حالما يكون في مهمة سرية في بلد آخر يعقد صفقة حربية.

كان يكره أن يقف لتؤخذ له صورة ولا يسمح للصحفيين بمقابلته ولا يدافع أو يدحض ما يكتبونه عنه. وعندما كان في السادسة والعشرين من عمره وكان جميل الشكل جميل القوام وقع بجنون في غرام سيدة شابة في السابعة عشرة من عمرها تقابل معها في القطار في إحدى سفراته من أثينا إلى باريس وطلب يدها فوراً ولسوء حظه كانت حديثة الزواج بأحد النبلاء الإسبانيين وكان الزوج يشكو من مرض عقلي وعمره ضعف عمرها وكان طلاقها منه مستحيلاً بسبب عقيدتها الدينية. فلم يتزوج زخاروف واحتفظ بحبها في قلبه زمناً طويلاً بلغ نصف قرن تقريباً.

وأخيراً وفي عام ١٩٢٣ ميلادية توفي زوجها في إحدى المستشفيات العقلية. وفي عام ١٩٢٤ تزوجها زخاروف وكان عمرها في ذلك الوقت الخامسة والستين وكان هو في الرابعة والسبعين. وتوفيت بعد عامين من زواجهما وقد هام بها مدة ثمانية وأربعين عاماً واستمتع بها كزوجة ثمانية عشر شهراً.

وكان يقضي أيام الصيف حتى وفاته في قصره الفخم بالقرب من باريس.

هذا الشخص الذي ولد في إحدى قرى تركيا في كوخ من الطين ليس به نوافذ عندما كان صبياً كان ينام على الأرض القذرة ويلف قدميه بالخرق البالية لتقيه شر البرودة القاسية. وكثيراً ما كان يمضي أيامه جائعاً. لم

يستمر في دراسته أكثر من خمس سنوات، غير أنه كان يتكلم بأربع عشرة لغة ومنحته جامعة أكسفورد شهادة الدكتوراه الفخرية في القانون المدني، وأول مرة دخل فيها لندن سجن بتهمة اللصوصية، وبعدها بثلاثين عاماً أقام له ملك إنكلترا حفلة تكريمية على شرفه.

وفي أحد أيام صيف عام ١٩٠٩ كان رجل أوروبا الغامض هذا يزور حديقة الحيوانات في باريس، فأزعجه أن يرى بعض القرود مرضى بالجرب وعليها آثار الجوع وكثيراً من الأسود تتألم من مرض الروماتيزم، وضايقه أن يرى آثار المرض على جميع أنواع الحيوانات في الحديقة، فدعا مدير الحديقة وأنبه بشدة على ما رأى من حالة الحيوانات في الحديقة، ولم يكن المدير يدرك أنه يتحدث مع أغنى رجل في العالم، فأجابه هو الآخر بحدة قائلاً: «ومن أين لي نصف مليون من الفرنكات حتى أستطيع أن أعتني بكل هذه الحيوانات الموجودة في الحديقة. وأجابه زخاروف: إذا كان هذا هو كل ما يعوزك فخذ. وكتب له شيكاً بعشرين ألف جنيه.

ومن الغريب أن الرجل الذي قتل برصاصه ملايين البشر يدفع هذا المبلغ الضخم لإنقاذ عدد ضئيل من الحيوانات، وأخذ مدير الحديقة الشيك وهو يظن أن الرجل الذي يحدثه يريد أن يستهزىء به وينكت عليه، وحاول أن يقرأ الإمضاء على الشيك فلم يستطع فرمى به فوق كومة الأوراق المكدسة على مكتبه.

وبعد عدة شهور زاره أحد أصدقائه فحدثه بحديث الرجل وبالشيك الذي كتبه له. وكانت دهشته عظيمة عندما أخبره صديقه بأن الشيك صحيح وأن الرجل الذي أمضاه هو زخاروف أغنى أغنياء العالم.

ومات زخاروف في الخامسة والثمانين من عمره كومة من العظم تراكمت

عليها الأمراض، وكان خادمه يضعه في عربة يد ويدفعه داخل بستان الزهور الذي كان يحبه ويفضله.

وقد كتب مذكراته لمدة ربع قرن في ثلاثة وخمسين مجلداً. وقيل إنه عندما حضرته الوفاة أمر بحرق كل تلك الوثائق والأسرار.

كلود وليم دكن فيلد

كانت نقطة التحول في حياته حينما اختط خطة ليثأر من ابيه فيلقي بصندوق فارغ فوق رأسه.

كان نجماً عظيماً من نجوم هوليود، مرح مهذب أصلع قمة الرأس ذو أنف أحمر ضخم بارز بروز الشباك في العمارات القديمة، وفي الواقع لم يكن يتصف من مميزات الجمال بشيء، غير أن أعظم الأستديوهات لم تكن ترضى لتستبدل به ملكة من ملكات الجمال.. هذا الرجل الوقور هو كلود وليم، داكن فيلد. لقد كان قبل أن يكتسب شهرته العظيمة يجلس الساعات الطويلة في غرفة الانتظار ليقابل المديرين ويتحدث معهم، وقد بلي مقعد سراويله من كثرة ما كان يجلس في غرف الانتظار.. اشتغل عشر سنوات في السينما والمسرح ثم تركهما لفترة، وعندما تجددت في نفسه الرغبة للعمل، كانت خيبة أمله كبيرة إذ كان يعرض نفسه على المخرجين ليقبلوه، واستعد أن يعمل أي شيء.. يكتب، يمثل، يظهر في الأفلام دون أي مقابل.. وإنما كان يطلب أن يعطوه الفرصة ليعود إلى العمل، وكان يلتمس ويتمسكن ويزمجر أحياناً ـ ولكن كان جواب المخرجين واحداً: (لا).. بدون تراجع.

ولكن بعد هذا الجهد والعناء تسلم شيكاً بمبلغ لم يكن ليحلم به مقداره

عشرة آلاف من الجنيهات عندما أخرج دواد كوبر فيلد أول إنتاجه ولم يكن قد اشتغل فيه أكثر من عشرة أيام. ألف جنيه في اليوم، أو جنيهان في كل دقيقة. ولو قارنا ما يتقاضاه كلود وليم لعمله في هوليود وما يتقاضاه رئيس الولايات المتحدة لعمله في إدارة شئون الولايات، لوجدنا أن ما يتقاضاه هذا النجم يساوي خمسة وعشرين ضعفاً مما يتقاضاه الرئيس.

إن الأدوار التي مرت بحياة وليم جعلته لا يكترث بإقبال الحياة أو إدبارها.. فلم يكن لديه شيء مثير أن يرى الأضواء تسلط على اسمه كأعظم (حاو) في العالم. كما لم يكن يكترث لو عاوده الفقر والعوز، فلقد مر عليه في حياته أنه لم ينم على فراش لمدة أربع سنوات كاملة.. فكان ينام في الحدائق العامة وفوق دكاك أبواب المحاكم، وفي الصناديق الفارغة، ونام حتى في الجحور يتدثر بقطعة من المشمع البالي. وكان يقول: إن أكبر نعيم تستطيبه نفسه أن يتمدد وينام على فراش وثير تحت غطاء مريح جميل، وعندما مارس ألعاب الحواة الخطيرة، لم يكن أحد من الحواة في العالم يستطيع أن يجاريه في ذلك، فأصبح اشهر حاوٍ، في الألعاب الخطرة في العالم، فقد بدأ يغامر بها منذ كان في الرابعة عشر من عمره، وابتدأ لعبة الحاوي بالتفاح وكرة التنس في مخازن الحبوب وفي دكان الحداد ولم يترك في حياته يوماً تمريناته في ألعابه، وكان يقضي بعض الأحيان ست عشرة ساعة في التمرينات يومياً، ولم يترك تمريناته حتى عندما يكون مريضاً لا يستطيع الوقوف على قدميه.

وكان رأيه أن الحاوي القدير يستطيع أن يلعب بكل ما يقع تحت يده، وأن الحواة يستطيعون أن يقدموا ألعاباً محيرة مذهلة بالبيضة وألواح الكرتون والخشب والعصي والمغلاة والقبعات والصحون والأحذية وكل ما يقع تحت أيديهم.. وقد قدم ألعابه في جميع أنحاء العالم فأدهش وأذهل

وقوبل بالترحيب والهتاف من المواطنين في «جونس يرغ» في طريقه أيام حرب البوير وقوبل بالتصفير في مدريد بعد الحرب بين إسبانيا وأمريكا.. وقد كان الجمهور يحيط به أثناء تجواله في الهند ومصر وفرنسا وألمانيا وإنكلترا وأستراليا.. يسألونه بإعجاب واندهاش عن الطريقة التي يقوم بها بألعابه المدهشة.. فيغرر بهم ويخدعهم حين يجيبهم بأن عمل الحاوي عمل بسيط لو عرف الإنسان كيف يقوم به.. كثير من الناس كان يتصور أن كلود وليم إنكليزي ولكن هذا غير صحيح، فقد ولد في بنسلفانيا ولكنه لم يكن مواطناً بأكثر من المولد إذ بدأ يطوف حول العالم منذ بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة، فقد هرب من وطنه على أثر سوء تفاهم على حد تعبيره حدث بينه وبين والده.. وعندما يحدثك عما يسميه سوء التفاهم هذا تضيء عيناه بلمعان غريب.. وتبدأ القصة عندما تعثر الأب في معول كان الابن قد ألقى به على الأرض.. وعندما دعس الابن على المعول قفز المعول واصطدم بساق الأب فجن جنونه وصار يقفز من شدة الألم وأخذ المعول، وهو في هذه الحال المجنونة وضرب به على كتف الابن.. وكانت تلك الخبطة السبب في تغيير مجرى حياته، فقد أحس أن أباه يتحداه فانسل إلى داخل الدار وأخذ صندوقاً فارغاً ووقف على كرسي وعلق الصندوق بعناية على الباب وعندما دخل الوالد بعد دقائق نزل الصندوق على رأسه، فغطى رأسه ووجهه في صفعة قاسية.. ووضع الابن ثوبه في فمه وجرى ما استطاعت ساقاه الصغيرتان أن تمداه بالعون والقوة وابتعد وهو يجري عن الدار، ابتعد بحيث لم يعد إليها مرة أخرى.. ولم ير والده بعد ذلك إلا بعد أن أصبح نجماً عالمياً في ألعاب الحواة.. ومنذ ترك بيته حتى بلغ السادسة عشرة من عمره عاش مشرداً لم يعرف لنفسه قصراً ولا مسكناً، عاش كالجرو التائه، ينام حيث يجد ركناً يستطيع أن

(يتكوم) فيه، ويأكل أي طعام يحصل عليه من الشحاذة أو الدين أو السرقة.

فأثَّر منظر كلب الحراسة في نفسه، فكان يرتعد من رؤيته حتى آخر أيام حياته.. وكثيراً ما غافل كلب الحراسة لينسل من الباب الخلفي للمخازن ليخطف زجاجة من الحليب.

إنك عندما تتحدث مع كلود، تشعر وكأنك تتحدث إلى أحد الأبطال في الروايات الخيالية.

وقد اشتغل مرة (غريقاً محترفاً) فكان يخوض غمار البحر ثم يتصنع الغرق ويصيح طالباً النجدة فينتج عن ذلك اجتماع الناس لمشاهدة عملية الإنقاذ، وبينما الغريق في حالة إغماء يزفر ويشهق بصعوبة ليستعيد وعيه، يكون شركاؤه قد اغتنموا الفرصة وباعوا «الآيس كريم» والمقلياح والجوز واللوز حيث يغتنمون فرصة تجمع المارة لمشاهدة الغريق (المتصنع) وتطور حالته حتى يعود إليه الوعي.. وفي بعض الأحيان عندما تكون السوق رائجة ـ كان يغرق ـ متصنعاً بأربع أو خمس مرات في اليوم، وهو لا يذكر عدد المرات التي قبض عليه فيها لكثرة ما قبض عليه.

ويقول: لو مارس أحد بعض ما كنت أمارسه في هذه الأيام لسرعان ما كان أودع في إحدى الإصلاحيات المنتشرة في البلاد اليوم. وقد اشتغل مدة في عربة بيع الثلج فكان يستيقظ كل صباح قبل الفجر، ولكن طوال وقته كان يقوم بتمرينات على ألعاب الحواة بقطعة من الثلج وبأعواد علف الحصان، وبعد تمرينات شاقة لمدة عامين، أجاب على إعلان في إحدى الصحف بطلب ـ حاوٍ ـ وتحصل على العمل وكان الراتب جنيهاً واحداً في الأسبوع ـ كان يدفع منه ستة شلنات كأتاوة للمدير الطماع الذي هيأ له

القبول في العمل، وليوفر هذا المبلغ كان ينام في غرفة تغيير الملابس ويعيش على قطعة من الفطير ذات ثمن زهيد، ثم عمل ثلاثة مواسم من دون أن يقبض شيئاً، وليس ذلك لأن راتبه قد أوقف ولكن بسبب المفاجآت المالية التي كانت تحدث للفرقة التي كان يعمل بها، كأن يحدث ركود في الدخل أو يستولي المدير على أموال الفرقة ويهرب ولكن كلود تحمل كل ذلك بروح الفيلسوف، واستطاع أن ينجح أخيراً فتوفر له أن يأكل ثلاث وجبات في اليوم وينام على فراش وثير، وبعد حياة مريرة شاقة بدأ يعيش عيشة الإنسان.

ويملك كلود داراً أنيقة في هوليود وغرفة خاصة لتغيير الملابس وخمسين قبعة ذات أشكال مختلفة معلقة جميعها في غرفة ملابسه، ويصطف المشاهدون في خط طويل حول أي مسرح يكون له فيه دور ليشاهدوا ألعابه السحرية المذهلة التي قضى أربعين عاماً وهو يمارسها ليكتسب المهارة فيها، وينام في فراش وثير يقول عنه حتى في هذه الأيام: إني ـ بعد الحرمان الطويل ـ عندما آوي إلى فراشي الوثير تعلو الابتسامة السعيدة شفتي، أما حين أمتد بين الغطاء والفراش فإني أعيش في حلم عاطفي لذيذ.

روزفلت

أصابه غر طائش برصاصة في صدره فلم يكترث ومشى ثابتاً إلى المنصة واستمر في إلقاء خطابه.

كان حادثاً لا أنساه وقع في يناير عام ١٩١٩ وكنت وقتها أؤدي واجبي في الخدمة وكنا نعسكر في الكبتون في الجزر المستطيلة.

فبعد ظهر هذا اليوم، تقدمت فرقة عسكرية كاملة نحو مرتفع عالٍ وأشرعت بنادقها وأطلقت رصاصاتها تحية عسكرية للرئيس الراحل روزفلت ـ تيودور روزفلت ـ ألمع رئيس للولايات المتحدة وأقدر رئيس أدار دفة الحكم فيها ووجه سياستها. اختطفه الموت وما زال في قدرة الشباب وحيويته.

لقد اتسمت جميع الحوادث التي اكتنفت حياة روزفلت بالغرابة. من أمثلة ذلك أنه مصاب بمرض قصر النظر بحيث لا يستطيع ـ بدون نظارة ـ أن يميز أقرب أصدقائه من مسافة عشرة أقدام، ومع ذلك كان خبيراً في الضرب بالبندقية وإصابة الهدف وهاجم كثيراً من الأسود في غابات أفريقيا وقضى على عدد منها. وكان من أمهر الصيادين المشهود لهم، ومع ذلك لم يصد سمكة ولا اقتنص طيراً.

عندما كان غلاماً كان يبدو مريضاً أصفر الوجه أنهك قواه مرض (الربو) فعزم على الارتحال إلى غرب أمريكا حرصاً على صحته وأصبح من رعاة البقر فنام تحت السماء وزاول شتى أنواع الرياضة حتى إنه بارز أشهر ملاكمي عصره «مايك دوندوان».

وجاب مجاهل جنوب أمريكا وصعد جبالها العالية كجبل جنفرا وجبل ماترهون وقاد هجوماً عنيفاً في مرتفعات سان جان في كوبا في وجه دفاع مميت برصاص البنادق.

وقد ذكر روزفلت في تاريخ حياته أنه عندما كان غلاماً كان خجولاً وعصبياً كثير الخوف على نفسه من الأذى، ومع حذره الشديد كسرت رسغه وذراعه وعظمة أنفه وبعض عظام صدره وكتفيه، ولكنه أصر على الثبات حتى نهاية الطريق الذي اختاره لنفسه.

وعندما كان راعياً للبقر في ولاية داكوتا، انقلب من على صهوة فرسه وشطبت إحدى عظامه فلم يعبأ وعاد وركب فرسه حالاً وانصرف يجمع قطيعه.

وقال إنه قوّى غريزة الشجاعة في نفسه بالإقدام على كل عمل ترتعد نفسه منه خوفاً كان يتصنع الشجاعة في القيام بذلك العمل في الوقت الذي كانت فيه نفسه تكاد تزهق من شدة الخوف، وظل هكذا يقدم على عمل كل ما يخاف منه حتى أصبح أخيراً شجاعاً حقاً لا يخيفه زئير الأسود ولا ترهبه نيران البراكين اللافحة.

وفي عام ١٩١٢ في غزوة «بل موس» سطا عليه شخص نصف مجنون وصوب إلى صدره رصاصة من مسدسه، وكان في طريقه لإلقاء خطاب فلم

يشعر روزفلت أحداً ممن كان حوله بأن الرصاصة قد أصابته فعلاً، ومشى بثبات في طريقه إلى المنصة وبدأ خطابه وظل يتكلم حتى كاد النزيف أن يفقده وعيه فتنبه سامعوه وحملوه حالاً إلى المستشفى.

وعندما كان في البيت الأبيض، كان يضع تحت وسادته مسدساً محشواً حين ينام ويحمل مسدساً صغيراً أينما سار، وفي خلال رياسته للولايات المتحدة، كان يمارس هواية الملاكمة مع أحد الضباط، وفي إحدى المرات ضربه الضابط ضربة شديدة على إحدى عينيه أثرت على أوعيتها الدموية تأثيراً شديداً، وحرصاً منه على عدم إشعار الضابط بفظاعة عمله كتم الرئيس تأثره وبدا عادياً جداً ـ وعندما طلبه الضابط للنزال مرة أخرى أجابه الرئيس بلطف ـ إنه يرى أن عمره قد جاوز السن التي تسمح له بمزاولة هواية الملاكمة ـ وبعد سنة من هذا الحادث كان قد فقد نور تلك العين تماماً، غير أن الضابط ظل جاهلاً تمام الجهل حتى ذلك الوقت سبب فقدان الرئيس إحدى عينيه.

وأمر أن تقتلع جميع شجر الوقود من مزرعته، وجند لذلك عدداً من العمال، وعند إتمام العمل أصر على أن يحاسب عمال مزرعته بأجرة كبقية العمال الآخرين.

ولم يدخن طوال أيام حياته، ولم ينجب، وكل ما دخل جوفه من الخمر كان مقدار ملعقة من البراندي تخلط أحياناً مع الحليب الذي يقدم إليه ليلاً. ولم يكن يعلم عن ذلك شيئاً إلا بعد ما أخبره بذلك خادمه، ولكنه اتهم كثيراً بالإغراق في الشرب إلى درجة أن هدد متهميه برفع قضية قذف عليهم فكفوا عن ذلك.

ورغم أن كل أوقاته كانت مملوءة بالأعمال الهامة، فإنه كان مغرماً

بالقراءة وقرأ مئات الكتب وكانت الساعات الأولى من النهار ـ وهو في البيت الأبيض ـ من أكثر الساعات انشغالاً وارتباطاً بالمواعيد التي قد لا تزيد المقابلة فيها على خمس دقائق، فكان في هذه الزحمة لا يضع الكتاب من يده وينتهز فرص الثواني التي تمر بين المقابلة والأخرى ليشغلها بالمطالعة، وكان يصحب معه في رحلاته كتب شكسبير وبولي برنس، وأيام كان يرعى البقر في داكوتا كان يجلس في الليل بقرب لهيب النار المشتعلة ويقرأ لزملائه الرعاة بصوت عالٍ كتاب هملت لشكسبير ويستمر في القراءة حتى يتمه، وفي رحلاته في براري البرازيل وقفارها، كان يمضي لياليه في قراءة (انحطاط وسقوط الدولة الرومانية) تأليف جيبوتس.

كان روزفلت يحب الموسيقى، غير أن صوته لم يكن يساعده على الترنم بها وعندما كان يقوم بعمل ما وحده كان ينهيه بالغناء، وطاف مرة بالقسم الغربي من المدينة فكان يحيي الجماهير المحتشدة لاستقباله ويستمر مهيمناً يغني: «اقترب من الله من أجلك».

كان له هوايات شتى ـ وحدث مرة وهو في البيت الأبيض أن تناول سماعة التلفون ورجا أحد كبار مراسلي الصحف في واشنطن أن يزوره حالاً، واهتم المراسل بهذا الرجاء المستعجل، وقدر أنه سيقابل الرئيس في قضية قومية هامة ـ فأبرق لصحيفته لتكون على استعداد لإصدار ملحق هام للجريدة.. وعندما وصل المراسل إلى البيت الأبيض لم يتحدث إليه الرئيس ولا بكلمة واحدة عن السياسة، وما لبث أن قاد الرئيس المراسل من يده إلى حديقة البيت الأبيض حتى وقف عند شجرة عجوز وأطلعه في تجاويفها على عش فيه عدد من صغار البوم كان الرئيس قد اكتشفه في ذلك اليوم.

وفي رحلة استطلاعية إلى غرب المدينة وكان منهمكاً في الحديث مع مرافقيه من أعضاء السلطة التنفيذية، وقع نظره على فلاح وقف على جانب مزرعته متجهاً نحو الطريق رافعاً قبعته محيياً الرئيس، وأدرك الرئيس أن ذلك الفلاح كان يعبر عن احترامه وتقديره لرئيس الولايات المتحدة، فلم يكن منه إلا أن قفز من سيارته وتقدم خطوات على الرصيف إلى الجهة التي يقف فيها الفلاح ورفع قبعته ولوَّح بها بحرارة نحو الرجل، ولم تكن تلك التحية لغرض سياسي بل كانت للتقدير العظيم الذي يحمله الرئيس في أعماق نفسه للمخلصين من المواطنين.

وفي الأيام الأخيرة من حياته بدت صحته في تأخر، ومع أنه لم يكن قد تجاوز الستين، فإنه كان يكرر القول بأنه قد أصبح هرماً، وكتب في هذه الأيام لقرين له يقول «إني وإياك على شفا جرف وإننا ننتظر في كل دقيقة اللحظة التي يشملنا فيها الظلام» وقد توفي أثناء نومه في هدوء في يناير ١٩١٩ وكانت آخر جملة نطق بها: «من فضلكم أطفئوا المصباح».

سومرست موم

ترى أية قصة كنت تختار لو خطر لك أن تختار أعظم قصة مثلت على المسرح منذ نشأة المسرح في العالم؟

لقد قدم نقاد المسرح في نيويورك استفتاء سرياً عن أعظم عشر روايات مثلت على المسرح فحازت الدرجة الأولى رواية «هملت» التي كتبها شكسبير قبل ثلاثة قرون. أما الرواية الثانية التي حكم لها بالفوز، فلم تكن كما يتوقع الكثيرون إحدى الروايات العالمية المشهورة مثل رواية ماك بث، أو الملك لير، أو تاجر البندقية. بل كانت الرواية الحديثة «الغيث»، نعم الغيث تلك الرواية التي تصارع فيها الجنس والمذهب مصارعة عنيفة، أنشب كل منهما أنيابه وأظفاره في الآخر في منطقة بحر الشمال.

إن الرواية مقتبسة من قصة قصيرة كتبها سومرست موم وقد ربح منها أربعين ألفاً من الجنيهات، ومع ذلك فإنه لم يمض في كتابتها أكثر من خمس دقائق، وإليك قصة هذه القصة:

كان موم قد كتب قصة قصيرة أسماها «سادي تمبسن» ولم يهتم بنشرها بعد كتابتها فوضعها في أحد أدراجه، وحدث أن زاره في إحدى الليالي السيد جون كالتون، وعندما تهيأ السيد كالتون للنوم أصابه القلق فطلب من مضيفه شيئاً يقرؤه ليجلب لعينيه النوم، فناوله مسودة لقصة «ساري

تومبسن»، وسحرت القصة كالتون وهزت كيانه، فقام من فراشه على الأرض ويتخيل أشخاص الرواية على الورق ويقدر أنها ستكون الرواية الخالدة له إذا قدر لها أن تظهر على خشبة المسرح.

وفي الصباح دخل على موم وهو يقول إن لحوادث هذه الرواية مجالاً كبيراً على المسرح، لقد كنت أفكر في ذلك كل الوقت لقد بدأت مطالعتها لأجلب النوم لعيني، ولكن مطالعتها طيرت النوم من عيني فلم يغمض لي جفن لحظة واحدة، لقد مضى ليلي وأنا أتخيل الروعة والحيوية التي تمثلها حوادث هذه القصة لو قدر لها أن تظهر على المسرح.

ولم تؤثر كلمات كالتون الحماسية على موم فأجابه بلهجته الإنكليزية الهشة: صحيح من الممكن أن تصلح حوادث هذه القصة لتمثل على المسرح، غير أنها ستكون تمثيلية مهزوزة لا يلبث أن ينصرف الجمهور عن مشاهدتها خلال اسابيع قليلة، وهذا لا يغري على بذل الجهد في سبيل تحويلها إلى تمثيلية، ولكن الرواية التي فكر موم أنها لا تستحق جهد تحويلها إلى تمثيلية أكسبته أربعين ألفاً من الجنيهات.

عندما أتم تحويلها إلى تمثيلية استجابة لإغراء صديقه كالتون، انصرف عنها كثير من المخرجين وأكدوا جميعاً أنها ستخفق، وبعد لأي قبل سام هاريس إخراجها وكان قبوله لإخراجها لأنه رشح لها ممثلة ناشئة تدعى جين ايجل، ولكن الوكيل عارض في ذلك وطلب أن تكون البطولة لممثلة معروفة... وأخيراً أعطي الدور لجين ايجل فقامت به خير قيام ومثلت بقوة وانفعال وإحساس، حتى نالت لقب الممثلة العاطفية في برودوي، وعرضت الرواية أربعمائة وخمس عشرة مرة استقبلها الجمهور المحتشد في كل مرة بضجيج الحماس ونداءات التلهف.

لقد كتب سومرست موم روايات كثيرة جديرة بالتقدير مثل عبودية الإنسان، والقمر، وستة بنسات، والبرقع المصبوغ، وكتب أيضاً عدداً من التمثيليات الناجحة، ولكنه حتى الآن لم يكتب مسرحيته هو نفسه والمنتظر أن تكون أشهر مسرحياته.

كثيرون من الناس يصفونه اليوم بأنه عبقري، ولكن الواقع أنه كان كاتباً خائباً من الناحية المادية لمدة أحد عشر عاماً منذ بدأ يكتب.. تصور أن هذا الرجل قدر له أن يربح من الكتابة مبلغ ٢٠٠،٠٠٠ جنيه كان دخله قبل أحد عشر عاماً مائة جنيه في السنة فقط، وأنه حاول أن يتحصل على عمل له راتب ثابت. فلم يستطع وقال موم: كان علي أن استمر في كتابة القصص لأني فشلت في الحصول على عمل له راتب ثابت. وقال له أصدقاؤه: إنه من الحماقة أن يداوم على الكتابة وهو من متخرجي كلية الطب، ونصحوه أن يترك الخيال إلى العمل في اختصاصه، ولكن لم يكن هناك من يستطيع تحويله عن عزمه، فقد عزم أن يكتب اسمه بخط عريض في صفحات الأدب الإنكليزي الخالد.

وقد قال لي بوب ريلي مؤلف «صدق أو لا تصدق» قال لي: قد يعمل الإنسان في عبودية سنين طويلة وهو مغمور ثم لا يلبث أن يرتقي سلم الشهرة في ظرف خمس دقائق، وهذا ما حدث بالضبط لموم وريلي.

وسأحدثكم كيف ارتقى موم سلم الشهرة: كانت تمثيلية «بعض الناس» تمثل على أحد مسارح لندن، وفجأة وجد المخرج نفسه في خيبة أمل لعدم إقبال الجمهور على التمثيلية، ورأى مدير المسرح أنه في حاجة ماسة لإنقاذ الموقف وتغيير التمثيلية بأي تمثيلية أخرى يتلهى بها الجمهور مدة يسيرة من الزمن حتى تتاح له الفرصة لإخراج رواية جديدة مضمونة الرواج، وفي

حالة الارتباك هذه بدأ المخرج يبحث في أدراجه فعثر على رواية لسومرست موم مطمورة بين الأوراق في أحد الأدراج، كان اسم الرواية «السيدة فردريك». لقد مضى عليها عام كامل في هذا الدرج، وكان المخرج قد سبق أن قرأها وقدر أنها ليست في مستوى رفيع ولكنه الآن قدر أنها ستضمن الجمهور لبضع أسابيع فأخرجها حالاً..

ماذا كانت النتيجة؟

لقد كانت النتيجة معجزة! فقد أقبل الجمهور في لندن على مشاهدتها إقبالاً منقطع النظير، وأصبحت مشاهدها أحاديث المجتمعات في لندن، وكانت سبباً في تعميم النشوة في إنجلترا، كما لم تستطع أن تفعله رواية من قبلها منذ صدور محاورة أوسكار وايلد.

وكان أن انهالت طلبات مديري المسارح في رجاء وإلحاح على سومرست موم يرجون الحصول على رواية من رواياته لتمثل على مسارحهم، وراح موم بدوره يفتش في أدراجه لينفض غبار النسيان عن مسودات رواياته القديمة ويقدمها للملتمسين والراجين، ولم تمض بضع أسابيع حتى مثلت له ثلاث روايات على أشهر مسارح لندن وبدأت الشهرة تنحدر إليه في صورة جدول منساب من الذهب. وازدحم على بابه الناشرون، وارتمى بعضهم فوق بعض، كل منهم يرجو أن يحظى برواية هذا العبقري الجديد، وبدأت المجتمعات تمطره بدعوات التكريم، ويتقرب إليه الكبراء والمشاهير. وهكذا بعد أحد عشر عاماً من الجحود والنسيان، وجد موم نفسه محاطاً بكل معاني الشهرة والإجلال.

أخبرني موم أنه لا يكتب أبداً بعد الساعة الواحدة. وقال إن فكره يتوقف تماماً بعد الظهر. لقد اعتاد أن يجلس في أعلى مكان في دارته الأنيقة على

ضفاف الريفيرا في فرنسا، ويكتب، أنه قبل أن يبدأ الكتابة يدخن غليوناً ويقرأ ساعة واحدة في أحد كتب الفلسفة، وعندما احتلت فرنسا عام ١٩٤٠م فر إلى إنكلترا ولكنه عاد إلى فرنسا بعد الحرب حيث يقيم حتى الآن.

وقد أخبرني أنه لا يؤمن بالخرافات، ومع ذلك فإنه يحتفظ بحرز يقيه العين بين طيات كتبه ونقش الحرز نفسه على أطباق طعامه، وكذلك نقشه على موجوداته الثابتة وورق اللعب الخاص به. وعندما سألته هل إنه حقيقة يؤمن بالخرافات، لم يزد على أنه ابتسم.

وليم راندولف هارست

«صحف قيمتها سنتان جعلته قادراً على أن يشتري قصوراً في إسبانيا ويمتلك المتاحف بما فيها متحف للآثار المصرية».

هل فكرت ماذا أنت صانع لو قدر أن يكون دخلك في الشهر الواحد مليوناً من الدولارات؟

لقد كان دخل وليم راندولف هارست مليوناً من الدولارات في الشهر الواحد وبعبارة أخرى أكثر من ثلاثين ألف دولار في اليوم..

إن الوقت الذي ستمضيه في قراءة هذه الصفحات سيكون دخله فيه مائة دولار بالتقريب.

لم يكن أحد يدعو وليم راندولف هارست باسمه «وليم». حتى أصدقاؤه المقربون كانوا يدعونه «دبليو ـ آرا» أما عماله الذين يبلغ عددهم سبعين ألفاً، فكانوا عندما يتحدثون عنه يتحدثون باسم «الرئيس».

ويقدر عدد قراء جرائده ومجلاته العديدة بالملايين، وكان يعتبر أقوى وأغنى ناشر في العالم، ورغم أن اسمه كان معروفاً لجميع المواطنين الأمريكيين، إلا أن شخصيته كانت شخصية غامضة بالنسبة إليهم، فالرجل المتوسط في أمريكا يعرف الكثير عن حياة غاندي الشخصية، ولكنه يجهل

الكثير عن حياة وليم راندولف هارست. وأغرب ما عرفته عن هذا الناشر الأمريكي الجبار أنه حييّ صموت خجول، ومع أنه ظل يتمتع بالشهرة والصيت نصف قرن كامل، فقد كان يكره أن يقدم للتعرف بشخص غريب.

ولم تكن تخلو قصوره العديدة في كاليفورنيا من الضيوف الذين كان يبلغ عددهم من العشرة إلى الستين، ولكن متعته كانت حين يتسلل من بينهم ليختلي بنفسه.

وعندما يكون في نيويورك كانت متعته أن يقضي أوقاته يستبضع من الدكاكين الصغيرة.

إن أكبر إقطاعية وأعظم مزرعة في الجهة الغربية هي مزرعة هارست في كاليفورنيا، فمساحتها ربع مليون فدان من الأرض تقريباً ثم تمتد خمسين ميلاً نحو صخور المحيط.

وفي بقعة يبلغ ارتفاعها ألفي متر على ساحل الباسفيك حيث يزمجر عبابه ويشتد هياج أمواجه، بنى عدة قصور فخمة وسماها «التل الساحر» وقد بذل ملايين الدولارات بسخاء في فرش هذه القصور وتأثيثها، وزين جدرانها بالنقوش الذهبية على شكل قماش الجوبلين المزركش الذي جمل به أعظم قصر في فرنسا وزينت قاعاته الكثيرة بالنقوش البديعة بريشة الفنانين في ذلك العصر، وكان المدعوون يجلسون إلى مائدة محاطة بالتحف والألواح النادرة التي لا تقدر بثمن والتي أبدعتها أيدي أعظم الفنانين. .

وكان يقتني مجموعة كبيرة من مختلف أنواع الحيوانات المتوحشة: قطعان من الحمر الوحشية والجاموس البري والزرافات والكانغارو منتشرة

فوق الهضاب وآلاف الأنواع من الطيور المجلوبة ترفرف فوق الأشجار وتنتقل من دوحة إلى دوحة وتحيي الأسود والنمور في القسم الخاص بها من الحديقة. .

وكان لي صديق يدعى فرنك ماسون، كان هو المكلف من قبل هارست بشراء العاديات من فرنسا، فكان يجلب له من فرنسا هذه العاديات حمل باخرة كاملة بما فيها قصر أثري كامل حمل إلى أمريكا في صناديق خاصة وضعت ارقام خاصة على كل حجر من أحجاره وطوبه ونقوشه لتكون في موضعها بأمانة عند إعادة بناء القصر في أمريكا.

وقد اشترى الآثار من أنحاء الدنيا مما اضطره آخر الأمر إلى أن يستأجر مستودعات كبيرة في نيويورك ليحفظ فيها ما زاد عن حاجة استعماله، وبلغ عدد موظفي هذه المستودعات عشرين موظفاً وبلغت مصاريف وقايتها وصيانتها ستين ألف دولار في السنة، وكانت تحتوي على أنواع مختلفة من الآثار والتحف والطيور المحنطة والمومياء المصرية.

كان والد هارست فلاحاً في مقاطعة ميسوري، وفي زحف عام ٤٩ قطع ألفين من الأميال في الصحراء الواسعة إلى جانب قطيعه من الأبقار وفي عربة مقفولة وحارب الهنود الحمر واكتشف الذهب وكون ثروة بالملايين.

وعندما تقدمت به السن، كان يفضل الجلوس تحت شجرة كبيرة في مزرعته الواسعة، ولاحظ الابن قبل سنوات أن هذه الشجرة تحجب منظر البحر عن بعض نوافذ صالون القصر الكبير الذي بناه. واحتراماً لمكانة والده الذي كان يستظل تحت هذه الشجرة، لم يحتمل فكرة قطع الشجرة وإزالتها فدفع أربعين ألف دولار لنقل الشجرة وإبعادها عن موضعها ثلاثين قدماً.

كان وليم ردولف هارست شديد الهيام بالحيوانات والعطف عليها؛ ومن أمثلة هذا العطف أن عدداً من كبار المخرجين طاروا إليه في أحد الأيام من هوليود لمفاوضته في بعض الشؤون الهامة، فلم يأذن لهم وتركهم ينتظرون وقتاً طويلاً حينما كان هو يعتني بضب من حيواناته الأليفة كان قد فقد جزءاً من ذنبه، وفي مناسبة أخرى بعث يخته الخاص في منتصف الليل لإحضار دكتور ودفع خمسمائة دولار أجرة للطبيب لأن ساق إحدى دجاجاته الحبشية قد كسرت.

كان هارست من هواة التصوير ولديه مجموعة كبيرة من الصور التي كان يلتقطها كل عام؛ وكان خبيراً أيضاً في الضرب بالبندقية؛ ومرة كان في نزهة على يخته الخاص فأدهش ضيوفه حين أخذ مسدسه وصوبه على أحد طيور البحر الذي كان يطير في الجو فسقط الطير مصاباً في أحد جناحيه، وكانت له خبرة في بعض أنواع الرقص وفي تقليد الناس تقليداً مدهشاً وكان قصاصًّا لا يشقّ له غبار، وكان مرجعاً حياً لكثير من الحوادث التاريخية، فلو سئل عن زوجات هنري الثامن أو عن عدد رؤساء الولايات المتحدة لكانت النتيجة تسعين في المائة صحيحة ولسرد أسماءهم في لمحة عن ظهر قلب.

وحدث مرة جدال عنيف بين جيمي واكروشارلي شابلن، وكانا ضيفين في مزرعته؛ كان الجدل محتدماً حول نص بعض عبارات من التوراة، وحسم هارست النزاع بسرد جميع العبارات المختلف عليها كلمة كلمة وحرفاً حرفاً.

كان من عادات هارست أن يجمع حوله الشباب ولا يسمح لأحد أن يطري ذكر الموت في مجلسه.

ورث هارست من والده ثلاثين مليوناً من الدولارات، وكان يمكنه أن يعيش مرفهاً هو وأبناؤه من دون أن يكلف نفسه عناء العمل، ولكنه لم يفعل فقد كان يعمل من ثماني إلى خمس عشرة ساعة في اليوم لمدة خمسين سنة، وقد أخذ على نفسه عهداً أن يظل يعمل ما دام في عروقه دم يجري..

تمكن الهولندي الصغير الذي هاجر إلى أمريكا وعمره أربعة عشر عاماً من مقابلة كبار الرجال فيها ونيل الحظوة لديهم؟!.

إدوارد بوك

في أحد الأيام، وقف صبي جائع أثناء رجوعه من المدرسة على شباك فرن يحملق بنهم في الكعك والفطير المعروض في الشباك، ولحظه صاحب الفرن فخرج إليه وهو يقول: إنه يبدو منظراً أخاذاً أليس كذلك؟

وأجاب الصبي الهولندي: إنه كان يبدو كذلك لو كان الشباك نظيفاً كما ينبغي. وأجاب صاحب الفرن: هو كما قلت، ومن الممكن أن تتولى أنت تنظيف الشباك.

وبهذه الطريقة تحصل إدوارد بوك على أول عمل في حياته وكانت أجرته شلنين في الأسبوع، غير أن هذا المبلغ على ضآلته كان بمثابة كنز تحصل عليه، فقد كانت عائلته من الفقر بحيث كان يخرج كل يوم إلى الشارع وفي يده سلة يجمع فيها ما يتساقط من الفحم من عربات الفحم التي كانت تفرغ شحناتها في سوق الفحم.

كان الفتى إدوارد بوك حين هاجر إلى أمريكا لا يعرف من اللغة الإنجليزية شيئاً فلم يكن يستطيع أن يفهم كلمة مما كان يلقيه أستاذه، ولم يستمر في دراسته أكثر من ست سنوات. ومع ذلك فقد كان أنجح رئيس تحرير مجلة في تاريخ أمريكا الصحفي.

وقد اعترف بوك مرة أنه يجهل بالكلية ميل المرأة في اختيار الموضوعات

التي تفضل قراءتها ولكنه أنشأ أكبر مجلة نسائية في العالم ظلت دائرة انتشارها تتسع حتى وصلت إلى أعلى القمم. ففي الشهر الذي استقال فيه من رئاسة تحريرها، كانت توزع مليوني نسخة وكان دخل الطبعة الواحدة من الإعلانات مائتي ألف جنيه.. شغل إدوارد بوك رئاسة تحرير مجلة «المرأة والبيت» مدة ثلاثين عاماً ثم استقال ليكتب تاريخ حياته الذي أسماه «أمريكية إدوارد بوك».

بعد أن اشتغل بوك في تنظيف شباك الفرن، بدأ يتجه إلى البحث عن العمل بمختلف الوسائل وبشغف لا يفتر. كما يفعل الفتيان الذين يهوون جمع الطوابع فيزداد شغفهم كلما جمعوا مقداراً أكبر من الطوابع، ففي الصباح الباكر كان يقوم بتوزيع الصحف، وبعد الظهر يطوف على المسافرين على العربات التي تجرها الخيل فيبيع عليهم شراب الليمون المثلج، وفي المساء يكتب للصحف المحلية عن حفلات الميلاد وحفلات الشاي التي تقام. واستطاع أخيراً أن يكسب بمعدل أربعة وخمسة جنيهات في الأسبوع، وكل ذلك في ساعات الفراغ التي كان يستغلها في غير أوقات المدرسة.

وعندما ترك المدرسة كان عمره اثنتي عشرة سنة، وكان قد قضى في أمريكا ست سنوات فقط. وعندما كان عمره ثلاثة عشر عاماً ترك المدرسة ليلتحق بعمل في مكتب الاتحاد الغربي، ولكنه لم يغفل لحظة عن التعليم واستمر في تثقيف نفسه، فكان يوفر من أجره ويصبر عن وجبة من طعامه حتى جمع مبلغاً يكفيه لشراء دائرة معارف رجالات أمريكا، وبعد دراستها قام بعمل كان جديداً في تاريخ أمريكا، فقد درس حياة المشاهير ثم كتب إليهم يستزيدهم بعض المعلومات عن طفولتهم فكتب للجنرال جامس

جارفيلد الذي كان مرشحاً للرئاسة يسأله: هل صحيح أنه في أحد أدوار حياته كان يجر عربة نقل في القنال؟

وكتب للجنرال جرافت عن إحدى معاركه المشهورة، فبعث له الجنرال خريطة للمعركة رسمها خصيصاً له، ودعاه للعشاء معه وأمضى الجنرال مع الفتى ذي الأربعة عشر عاماً أمسية كاملة يتحدث إليه.

وبهذه الطريقة استطاع هذا الفتى الذي كان يعمل في أحد مكاتب التلغراف بأجر قدره خمسة وعشرون شلناً في الأسبوع أن يتعرف على أكثر رجال أمريكا البارزين في عصره. وزاور امرسن وفيليب بروك واليو وندل ولونج فلو والمستر أبراهام لنكلن ولويس ماي الكوت والجنرال شرمان.

وقد اكتسب بوك بالاختلاط مع هؤلاء العظماء ثقة وسعة أفق وطموحاً لا تقدر بثمن؛ وكان يسير في أحد الأيام فرأى رجلاً أخرج من جيبه علبة سجائر فضها وأخرج منها صورة تذكارية ورمى بها إلى الأرض، وبشغفه المتأصل في نفسه لمعرفة العظماء والكتابة عنهم التقط بوك الصورة ونظر إليها وكانت صورة لأحد مشاهير السياسة وكانت بيضاء من الجانب الآخر.

وفكر بوك ثم قال يحدث نفسه: «لو كتبت في الجهة الأخرى من الصورة نبذة من تاريخ حياة هذا الرجل، فمن المحتمل جداً أنها كانت لا تلقى هكذا إلى الأرض».

ونشأت عنده فكرة.

وفي اليوم الثاني، وفي الساعة التي كان عليه أن يتناول غداءه فيها، خرج يبحث عن الشركة التي كانت تقدم هذه الصورة وقابل الرجل المسؤول فيها وبحث معه الموضوع، وكان في حرارة حديثه وتركيز منطقه

متحمساً، فلم يخرج من عند المسؤول إلا ومعه عقد بتزويد الشركة بمائة من هذه التراجم بقيمة جنيهن للترجمة الواحدة.

ونجحت الفكرة، فلم يعد بوسعه أن يعمل وحده فاستأجر عدداً من الكتّاب يجمعون له التراجم وكان يدفع لهم جنيهاً واحداً عن كل ترجمة، نصف ما كان يتقاضاه. ولم يلبث أن استقال من عمله في مكتب التلغراف، وخصص جهوده لأعمال الكتابة والنشر وكان يعمل بصدق وحرارة.

وعندما بلغ السادسة والعشرين من عمره، توجه إلى فلادلفيا ليرأس تحرير مجلة «المرأة والبيت» وبلغ وهو في السادسة والخمسين من عمره أوج مجده حين أغلق مكتبه للمرة الأخيرة وقال: لقد انتهيت.

قيل له إن العمل في الحفر على شواهد القبور خطر عليه فتركه والتحق بفرقة الطيران فحقق من البطولات ما لا يخطر على بال..

ادي ريكن بيكر

هذه قصة رجل عاش كما يبدو محصناً ضد الموت، رجل تحدى المهالك وظل يداعب الموت في أخطر المواقف مدة ربع قرن من الزمن.. اشترك في مائتي مسابقة للسيارات يندفع بالسيارة في أقصى سرعتها حتى ليخيل للرائي أن السيارة تطير في الهواء من شدة السرعة، وفي أيام الحرب العالمية عام ١٩١٨ أسقط ستاً وعشرين طائرة ألمانية كان يهاجمها في الجو تحت وابل من رصاص الرشاشات التي كانت تفتحها عليه طائرات الأعداء، فكان الرصاص يمر من بين يديه ومن خلفه على قيد شعرة من جسمه، ورغم كل ذلك كان يخرج من المعركة من دون أن يحدث له أقل خدش في جسمه.. نعم هذه هي القصة الواقعية للقومندان الطيار رئيس أشهر فرقة طيران في الحرب العالمية الأولى القومندان «ادي ريكن بيكر»:

«اشتغلت عقب الحرب العالمية الأولى مديراً لمكتب ألطف رجل عرفته في حياتي، كان هذا الرجل هو السير روس سيمث الأسترالي المشهور من رواد الطيران الأول وأول طيار طاف حول نصف الكرة الأرضية بطائرته» وكان الشبه كبيراً بين الرجلين ادي ريكن بيكر والسير روس، فقد كان كلاهما من أشهر رجال الحرب العالمية الأولى الذين أثبتوا بطولات خالدة في الحروب الجوية في الوقت الذي كان فيه الطيران لا يزال بدائياً. كان

كلاهما هادىء الطبع رطب الحديث بعيداً جداً في مظهره وأخلاقه عما يتصوره الإنسان في رجل الحرب الذي اعتاد أن يجلس خلف المدفع الرشاش يرسل من الجو أسباب الفناء على الأرض.

كان ادي ريكن بيكر حتى الثانية عشرة من عمره فتى همجياً حاد الطبع لا يعرف النظام، يترأس عصابة من أبناء الجيران يقذفون مصابيح الشوارع بالأحجار ويحدثون المشاكل مع الناس.

وكان الفتى لا يزال سادراً في غيه عندما وقعت الكارثة التي هزت كيانه وحولته في لحظة واحدة من فتى طائش إلى رجل مسئول؛ فقد توفي والده وأصبح المسئول الوحيد عن الأسرة ـ هكذا عبر هو عن نفسه في هذه الفترة من حياته ـ وفي اليوم الذي دفن أباه قرر أن يحمل العبء بكل عزم وشجاعة فترك المدرسة والتحق بالعمل في إحدى معامل الزجاج بمرتب بنسين ونصف بنس في الساعة وعمل اثنتي عشرة ساعة في اليوم، وكان يسير سبعة أميال يومياً إلى المعمل صباحاً ومثلها مساءً ليوفر خمس بنسات أجرة الترام.

لقد صمم الفتى أن يسير قدماً وأن يستهين بكل عقبة تقف أمامه، وضاق ذرعاً بالعمل الرتيب في معمل الزجاج فتركه محتقراً له، وتاقت نفسه إلى عمل مبدع خلاق فاختار أن يكون فناناً يسرح بأحلامه وخيالاته في ألواح فنية يضفي عليها الخطوط والألوان، فبدأ يدرس الرسم في مدرسة ليلية وتحصل على وظيفة للنحت على الرخام في محل يصنع شواهد القبور، ولا يزال الشاهد الذي نحته بيده لقبر والده باقياً حتى الآن على القبر تذكاراً لهذه الفترة من حياته، غير أنه قيل له إن العمل في نحت الرخام مضر بالصحة. وقال بيكر: لا أريد أن أموت شاباً! فتركت عمل النحت لأفتش عن عمل أسلم..

وكان عمره أربعة عشر عاماً عندما وقف على الرصيف في صباح مشرق كان له أثر حسن في مستقبل حياته، وركب أولى سيارة رآها في حياته، ذلك الاختراع السحري الذي بهره وهو يراه لأول مرة يسير في شوارع كولومبس فيها دوي يرسل من ماتوره العجيب النغمات العجيبة، وقد دارت مع دورة عجلاته عجلات القدر بالنسبة لحياة بيكر، فتغير مجرى حياته منذ ذلك الصباح تغيراً تاماً، وقبل أن يتم الخامسة عشرة من عمره تحصل على عمل في مرأب «قراش» وتعلم القيادة عندما كان يطلب إليه تقديم السيارات وتأخيرها حسب طلب العمل.

واستهواه العمل في المرأب، فلم يلبث أن بنى في فناء داره محلاً خاصاً وجمع فيه العدد والمعدات اللازمة وشرع يحاول وضع تصميم لسيارة خاصة به.

وما إن سمع أن مصنعاً للسيارات افتتح في كولومبس حتى هرع إليه يلتمس عملاً، وبعد أن تردد عليه ثماني عشرة مرة تمشياً مع روتين: «راجعنا في الأسبوع الآتي» ضاق ذرعاً وذهب في هياج رأساً إلى صاحب العمل الذي أدهشه دخول الفتى عليه في هذه الصورة وقال الفتى: اسمع يا سيدي! جئتك بنبأ قد لا تدري عنه شيئاً، إن أرض المصنع في غاية القذارة، إني مستعد أن أعمل من الغد في تنظيفه وشحذ العدد والقيام بمهمة المراسلات، وسأله المدير عن الراتب الذي يطلبه لمثل هذا العمل فأجاب بأن الراتب لا يهم كثيراً. . فكل الذي كان يسعى إليه الفتى فرصة البدء في العمل وقد حصل عليها.

واشترك في قسم الميكانيكا في إحدى مدارس المراسلات، وبذلك أعد نفسه لكل الفرص التي أتيحت له فيما بعد، ومنذ ذلك التاريخ اطرد تقدمه

السريع: عامل فرئيس للعمال، فمساعد مهندس، فمهندس مسئول، ثم رئيس للمبيعات، ثم مدير الفرع.

وغلا الدم في جسمه من جديد، وتاقت نفسه للمغامرات والاندفاع بسرعة نحو المجد، واستهواه فيما استهواه صيحات الإعجاب واستقبالات الابتهاج الجارف التي كان يرددها الجمهور للفائزين في سباق السيارات، فهيأ نفسه لتلك المغامرات المثيرة وقد كان يعلم أنه حادّ الطبع سريع الانفعال، فعالج الحدة واستمر يرسم ابتسامة صناعية على شفتيه حتى تغلب على حدة طبعه وأصبحت الابتسامة التي كانت صناعية ابتسامة طبيعية على شفتيه واشتهر بها.. كان يعرف أن تفادي مخاطر سباق السيارات المفاجئة المهلكة يحتاج إلى أعصاب من جديد، فهجر التدخين والشراب وجعل يدلف إلى فراشه في الساعة الثامنة، وعندما بلغ الخامسة والعشرين من عمره أصبح بيكر من اشد المغامرين في سباق السيارات؛ وقد يكون من المفارقات العجيبة أن تعرف أنه اشترك في أكبر مسابقات للسيارات وقطع بها آلاف الأميال خلال الثلاثين سنة الماضية، فعل كل ذلك ولم يكن يحمل رخصة قيادة وما زال كذلك حتى هذا التاريخ.

وكان لا يؤمن بشعارات الحظ السعيد، وقد اعتاد أصدقاؤه أن يهدوا له هذه الشعارات مثل أرجل الأرنب وصور مصغرة من حدوة الحصان وتمثال الأفيال التي تعارف الأمريكان عليها بأنها مجلبة للحظ، وكان يوماً مسافراً في إحدى القطارات فجمع من تلك الهدايا وفتح نافذة القطار ورمى بها في مفاوز كنساس.

وعندما دخلت أمريكا الحرب العالمية الأولى، كان ريكن ألمع رجل في قيادة السيارات في أمريكا، فعين رئيساً عاماً لفرق السيارات في الجيش،

ولم يلبث أن احتقر هذا العمل فقد أصبح عملاً عادياً بالنسبة لطبيعته المغامرة فتركه واقتحم ميدان الطيران.

وفي غضون ثمانية عشر شهراً كان اسمه الأول بين أبطال الجو في الحروب الجوية ونال عدداً من أكبر الأوسمة من الدول الثلاث الكبرى.

إذا كنت من هواة قراءة كتب المغامرات، فما عليك إلا أن تزور إحدى المكتبات وتطلب «كتاب القتال في الجو» الذي ألفه ادي ريكن بيكر فستجده محشواً بمواقف البطولة والمغامرات والخروج من المآزق الخطيرة في أحلك الظروف، إنه يحوي فصولاً مثيرة في تاريخ الطيران الحربي.

كان يلتقط العنب من تحت الكروم يعيش عليه ليستطيع أن يوفر أجرة سكنه فأصبح اليوم يكسب في كل ثانية جنيهاً.

وليم شكسبير

كان أثر عقد زواج شكسبير في نفسه أثر الرصاصة تنطلق من فوهة البندقية فتصيب الهدف!!

لم يكن أحد يعيره أي اهتمام في حياته، وحتى بعد مضي مدة سنة على وفاته لم يكن قد عرفه العالم تماماً، ومع ذلك كتبت عنه مئات المقالات وأثارت تلك المقالات عدداً من التعليقات لم تثر مثلها عن حياة أي كاتب من كتّاب ذلك العصر أفنى حياته بين القرطاس والقلم، حتى لقد أصبح آلاف من الناس يقصدون إنجلترا ليزوروا البلد الذي ولد فيه هذا الأديب، وأنا نفسي زرت مرة البلد الذي ولد ونشأ فيه شكسبير عام ١٩٥١ وكان يحلو لي أن أجوب تلك الضواحي مبتدئاً من ستارت فورد ومنتهياً بسلاتري واطئاً بأقدامي المواطن والحقول التي كان يجوبها شكسبير بتلهف عندما كان شاباً ريفياً غراً وكان يقوده غرامه وتحثه رجلاه إلى موعد الغرام الذي كان يعز عليه فوات فرصة مع حبيبة القلب «أنا هاتواي». .

ولم يكن يدور بخلد وليم شكسبير في ذلك الوقت أن اسمه سوف يدوي في هذا العالم، وأن أدبه سوف يبني مجد الفكر الأدبي ويخلد في صفحات الآداب العالمية بالفخر والاعتزاز.

ومن حسن الحظ أيضاً، أنه لم يكن ليتخيل أن غرامه الأول الملتهب

سينتهي إلى الحزن والألم ثم إلى سنين متواصلة من الحسرة والندم..

فليس من شك أن خيبة أمل شكسبير في زواجه كانت الحدث الذي هزه بعنف وحول مجرى حياته إلى مجهود أدبي جبار.

نعم إنه أحب أنا هاتواي حباً جنونياً، ولكن هذا الحب لم يلبث بعد أن أخذ فورته أن خبا وأحس شكسبير بانجذابه نحو فتاة أخرى..

عندما علمت أنا هاتواي بعزمه على تركها والزواج بفتاة أخرى، جن جنونها، وفي يأس قاتل راحت تقتحم بيوت جيرانها في البلدة لتقص عليهم قصتها وهي تبكي وتشرح في استحياء الأسباب التي توجب على شكسبير أن يتزوجها.

وأثارت قصتها شهامة جيرانها واستيقظت في نفوس هؤلاء الناس العزة والكرامة وأغضبتهم تلك الحيدة الخلقية من الفتى، فاندفعوا في حماس وإصرار نحو المدينة وألزموا شكسبير أن يصلح غلطه ويتزوج بفتاته أنا هاتواي.

كانت عروس شكسبير تكبره بثماني سنوات، وكان هذا الزواج من بدايته زواجاً بائساً وقصة مضحكة، وكان شكسبير في مواقفه على المسرح ينصح الرجل دائماً بعدم الزواج من فتاة أكبر سناً.

ومن المؤكد أنه لم يعش مع زوجته سوى فترة قصيرة وأمضى سنين حياته في لندن بعيداً عنها، وكان لا يزور عائلته سوى مرة واحدة في العام..

إن سترافور ـ مدينة شكسبير ـ في عصرنا هذا مدينة من أجمل مدن

إنجلترا: أكواخ جميلة مسقفة بالقش وحدائق أنيقة وشوارع متعرجة في شكل هندسي بديع.

أما في العصر الذي كان يعيش فيها شكسبير، فكانت بلدة قذرة يخيم عليها الفقر وتغزوها الأمراض، لم تكن بها مجار وكانت الخنازير تسير في شوارعها تلتهم الفضلات وتلوث الشوارع ـ ووالد شكسبير ـ وكان من الرجال الرسميين ـ جوزي مرة بغرامة لأنه كان يحتفظ أمام داره بفضلات الإسطبل.

إننا هنا في أمريكا نظن أن أسلافنا قد عاشوا أياماً شديدة قاسية، ولكن الحقيقة أن نصف سكان ستراد فور في عصر شكسبير كانوا يعيشون على الإحسان وكانوا أميين، ولم يكن في عائلة شكسبير من يقرأ أو يكتب لا أبوه ولا أمه ولا جده ولا جدته وحتى ولا أحفادهم.

إن الرجل الذي اختاره القدر ليبني مجد إنجلترا الأدبي، اضطر إلى ترك المدرسة ليعمل وهو في الثالثة عشرة من عمره؛ كان والده فلاحاً وصانع قفازات وكان على شكسبير أن يقص شعر الأغنام ويحلب الأبقار ويخض الزبد ويساعد في دبغ الجلود وتنعيمها.

لكنه عندما توفي كان يعتبر من أثرياء عصره، فقد جمع بعد سنين قليلة من وصوله إلى لندن مبلغاً كبيراً من عمله كممثل، واشترى أسهماً في أكثر من مسرح واقتنى العقار وأقرض المال بالفوائد الكبيرة، وكان يقدر دخله بثلاثمائة جنيه في العام وكانت الثلاثمائة جنيه في ذلك الوقت تساوي أضعاف قيمتها الآن؛ وعندما بلغ شكسبير الخامسة والأربعين من عمره كان يقدر دخله بعشرين ألف دولار في العام.

وإنه لتأخذك الدهشة عندما تعلم المقدار الذي أوصى به شكسبير لزوجته من ثروته الكبيرة هذه ـ إنه لم يوص لها حتى ولو بسنت واحد، وكل الذي أوصى لها به سرير نومه المستعمل، ولم تكن هذه التوصية إلا حاشية كتبت بين سطور الوصية بعد إتمام كتابتها.

إن كتب شكسبير لم توزع في صورة كتب إلا بعد وفاته بسبع سنوات، ويمكنك الآن إذا كنت من عشاق أدب شكسبير أن تتحصل على نسخة من الطبعة الأولى من كتب شكسبير في نيويورك بحوالى ربع مليون دولار.

ومن المؤكد أن شكسبير لم يتحصل في حياته على جزء من مثل هذا المبلغ عند عرضه لأفضل رواياته، مثل هملت أو أحلام ليالي الصيف.

وقد سألت الدكتور نانتي بام الشخص الذي عني بمخلفات شكسبير الأدبية وكتب عنه عدة بحوث ـ سألته عما إذا كان قد ثبت من التحقيقات التاريخية وجود شخصية شكسبير فأجاب: إن شخصية شكسبير شخصية ثابتة في تاريخ إنجلترا ثبوت شخصية الرئيس لنكولن في تاريخ أمريكا.

ومع ذلك، فإن هناك كثيرين من الناس يعتقدون أن شخصية شكسبير شخصية خرافية وأن كثيراً من الكتب التي طبعت باسمه كتبها كتّاب آخرون ونسبوها إليه.

وعندما زرت بلدة شكسبير كثيراً ما كنت أقف على قبره أتأمل الأبيات الشعرية المنحوتة على شاهد القبر.

أيها الرفيق الطيب! بربك ترفق، فلا تنبش تراب هذا القبر، غفر الله لك، لا تحرك هذه الأحجار، واللعنة على كل من يحاول تحريك عظامي من موضعها..

إن قبر شكسبير يقع في بقعة أمام المنبر في كنيسة القرية الصغيرة..

هل كان اختيار هذه البقعة المميزة لقبر هذا الأديب الإنكليزي الكبير تكريماً وإجلالاً لمكانته الأدبية المرموقة وتقديراً لأدبه الحي الذي لا زال بجدته رغم مر القرون؟!.. كلا! فإن الأديب الذي اختاره القدر ليكون نجماً ساطعاً في سماء الأدب الإنكليزي لم يمنح هذا المقام ليدفن فيه لمكانته الأدبية الخالدة، بل لأنه كان ساعد في إقراض المال لمشروعات بلده، ولولا تلك اللمحة في حياته لكان قبر هذا الأديب الكبير ضائعاً اليوم بين القبور الكثيرة المجهولة؟!

بيربونت مورجن

لقد لاحقوه بالبنادق والقنابل فلم يفلحوا ومضى هو قدماً ونجح.

ترى من يستحق أن يوصف بأنه أقوى رجل من رجالات عصره؟

إن البت في هذا الحكم يتفاوت بالطبع بتفاوت الأفكار والميول، غير أن الحقيقة التي لا جدال فيها أن أقوى رجل في دنيا المال هو بيربونت مورجن!.. دكتاتور (ول ستريت) أعظم شارع في العالم لأسواق الأسهم والسندات.

وفي غير دائرة عمله، فإن هذا الرجل يكاد يكون غير معروف تقريباً، وليس من المبالغة أن يقال عنه إنه رجل الغموض. كان يجفل من الشهرة، أما كرهه لنشر صوره، فكان كرهاً يبلغ درجة الاشمئزاز، وكان عندما يغضب يصل في تصرفاته إلى أقصى حدود البلادة. كان في حديثه جريئاً وصريحاً حتى قيل عنه إنه الأمريكاني الوحيد الذي لا يقيم للدبلوماسية وزناً. كان طوله ستة أقدام ويزن مائتي رطل، ويتحلى بشجاعة عديمة النظير، لا يعرف الخوف تقريباً. ومن أمثلة شجاعته أنه هجم عليه مرة مجنون في غرفة مكتبه يحمل بندقية صوبها إليه ووضع يده على الزناد، وكان من الممكن أن ينسل مورجن من الباب الخلفي بالقرب من مجلسه، ولكنه لم يفعل بل تقدم بكل جرأة نحو المجنون فأطلق الرصاص عليه في

الحال فأصيب مورجن، ولكنه رغم إصابته تقدم نحو الرجل وانتزع البندقية من يده ثم همد ووقع على الأرض فاقد الوعي، وحمل إلى المستشفى حالاً ولم يكن بينه وبين الموت المحقق إلا تخلف الرصاصة عدة سنتيمترات من المقتل.

وشددت الحراسة بعد هذا على مكتب المستر مورجن، فأصبح من المستحيل أن يقترب أحد من مكتب ملك الذهب العنيد في «ول ستريت» تلك القلعة المحصنة التي كانوا يسمونها (الحصن).

ويحرص الحراس بتوجيه نظر السواح والزائرين لهذا الحصن في الوقت الحاضر إلى الشقوق والتصدع الباقي حتى الآن إثر ذلك الحادث المروع الذي وقع عام ١٩١٦ والذي أودى بحياة أربعين شخصاً وأصاب بأضرار جسيمة مائة آخرين وأتلف ما يساوي أربعمائة ألف جنيه أسترليني.

وقع ذلك الحادث المشئوم بالضبط بعد دقيقة واحدة من بعد الظهر حين كان مئات من الموظفين والعمال ينصرفون عن أعمالهم من المكاتب العديدة الواقعة حول بناية مكتب ملك الذهب، وهم في غاية المرح والسعادة ولم تلفت نظر أحدهم تلك العربة القديمة المشدودة على حصان عجوز هزيل تقف أمام بناية مورجن. وفجأة لمع شعاع كاد يعمي الأبصار ثم أعقبه انفجار عظيم حطم وألحق أضراراً بجميع العمارات الضخمة القريبة من تلك العربة المشدودة على ذلك الحصان العجوز الهزيل فمسحت ما صادفها في ذلك الشارع وألقت الرعب والفزع في نفوس الحشود المزدحمة من المارة، وتصدعت آلاف النوافذ وانتثرت قطع صغيرة في الفضاء ودوى صوت ألواح الزجاج وهي تنهار على الرصيف، واشتعلت النيران في العمارات الضخمة ذات الأثنى عشر طابقاً، وتناثرت من النوافذ

الأرجل والأيدي وحتى الرؤوس وارتمت على بعد ثلاثين قدماً من الأرصفة، وكان المصابون من الناس ممن فقد يداً أو رجلاً يترنحون والدم يجري من جراحهم يصرخون من الفزع ويسيرون خطوات ليرتموا بعدها يلفظون أنفاسهم الأخيرة. وازداد الهلع والفزع حينما تجمعت بضجيجها وولولتها سيارات الإطفاء وسيارات الإسعاف وتضاعف تخبط الناس واندفاعهم.

وبعد أن استقر الحال وهدأت الفوضى، كان كل ما استطاع المحققون أن يتحصلوا عليه من بقايا الحصان والعربة التي كانت تحمل تلك القنبلة، هو قطعة من عجلة العربة وحدوتان من حدوات الحصان وبعض المسامير والصواميل؛ غير أن الشخص الذي كان مقصوداً في هذا الهجوم لم يكن موجوداً هناك في ذلك الوقت، بل كان مسافراً إلى أوروبا، وقد صمم بعد أن علم بالأمر أن يكتشف أولئك الجناة الأنذال مهما كلفه الأمر ومهما بذل من مال، فخصص جائزة مقدارها عشرة آلاف من الجنيهات لمن يدل على الفاعلين، واستعمل البوليس والفتوات والخدمات السرية والبوليس المدني في أعظم حملة عرفت في التاريخ في البحث والتنقيب في العالم، ووجهت حملات البحث في جميع أنحاء الكرة الأرضية وروقبت جميع السفن الداخلة والخارجة في جميع الموانىء، وبثت العيون والجواسيس في جميع المدن الكبيرة للبحث والتحري، وصرفت ميزانية دولة في هذا السبيل، غير أن كل هذه المصاريف وهذه الجهود باءت بالفشل ولم تثمر سوى الخيبة، ومضى ثلاثون عاماً وما زال السر الغامض غامضاً حتى الآن.

واتخذت بعد ذلك اجراءات مشددة لحراسة مكاتب مورجن، فخصص بوليساً مسلحاً يقف ساهراً طوال الليل أمام المكاتب، وقويت سقوف المبنى

بالحديد الصلب لتمنع البناية من الانهيار فيما لو حاول أحد إلقاء قنبلة من إحدى ناطحات السحاب المقامة حواليها، وفي داخل البناية القوية المتواضعة يمتد في إحدى الغرف السرية صفان من المكاتب أحدهما خلف الآخر وكأنها مقاعد تلاميذ في إحدى غرف صفوف المدارس، ويعمل على المكاتب ثمانية عشر رجلاً من شركاء مورجن، ومن خلف هذه المكاتب جلس مورجن رئيس المكتب تماماً كما يجلس أستاذ الصف أثناء الامتحان وهو يراقب التلاميذ.

وليس هناك مصرف أهلي آخر في تاريخ العالم خدم المشروعات الوطنية وشارك في إنعاشها مثل مصرف مورجن واكتسب الثقة والاعتبار، كما أنقذ مصرف أبناء (روث) في أوروبا من حملات نابليون، فإن مصرف مورجن صنع ـ دون أن يستطيع غيره من المصارف الخاصة ـ انتصار الحلفاء في الحرب العالمية الأولى؛ ففي عام ١٩١٥ هيأ هذا المصرف أكبر مقدار من العملة الصعبة كان الحلفاء يحلمون بها، فقد قطعت السفن البحار تحمل مائة مليون جنيه لتعزيز القوى الحربية، وأصبح مصرف مورجن وكيلاً للمشتريات في الولايات المتحدة لجميع جيوش الحلفاء، فكان يوفّر لهم السلاح واللوازم بالمليون تلو المليون، وفي أحد الشهور بعثوا من المال بما زاد مجموعه على ما كان متداولاً في الأحوال العادية في عموم العالم في ذلك الشهر.

وقد قضى مورجن شطراً من حياته في موطنه لندن وقضى مثله في نيويورك.

وفي حياة والده كان رئيساً للفرع الإنكليزي لشركة مورجن، وعندما عاد إلى «ول استريت» أدخل عادة شرب الشاي بعد العصر ـ العادة الإنكليزية

المعروفة ـ وقبل وفاته في عام ١٩٤٣ بنى قصراً في ميدان كروس وانر وجهزه بأكمل الأثاث والخدم ليبقى على استعداد دائم لاستقباله حتى ولو بعد غيبة شهور وليجد عشاءه وفراشه معدين كما لو كان يعيش في القصر باستمرار.

كان مورجن عضواً في أسقفية الكنيسة الأمريكية، ومع ذلك كان يراسل باستمرار بابا روما، وعندما زار الفاتيكان جلس مع البابا يتباحثان عدة ساعات.. أتدري في ماذا كان يدور حديثهما؟! لقد كانا يتباحثان في المخطوطات النادرة ولغات القرون الوسطى في إقليم مصر!

وفي مكتبات المستر مورجن توجد نوادر المخطوطات، منها ما هو مخطوط قبل خمسمائة عام قبل أن يكتشف كولومبس أمريكا. ويوجد في المكتبة أيضاً مؤلفات شكسبير بخط يده ونسخة نادرة من التوراة تقدر قيمتها بعشرة آلاف جنيه أسترليني.

والمستر مورجن كان معروفاً بدراسته الواسعة لأدب شكسبير ودراسته للتوراة وكان تستهويه أيضاً القصص البوليسية الجيدة فيجلس الساعات لقراءتها كما نفعل أنا وأنت. وكان كوالده الذي اشتهر بنظرته الدقيقة في تقدير الفنون ومعرفة الأصيل ونقد الزائف منها، فصرف الملايين التي لا تحصى على الألواح الفنية والتماثيل والنقوش والخزف والمجوهرات.

وعندما بدا له بيع بعض الألواح الفنية التي جمعها والتي لا تقدر بثمن، أسرعت الجرائد إلى نشر ذلك الخبر في أولى صفحاتها تلفت نظر الهواة إلى تلك الكنوز الثمينة.

وكان من عادته في عيد الكريسماس أن يقيم في مسائه حفلة في غاية

الروعة في مكتبته الخاصة يحضرها جميع أفراد العائلة صغيرهم وكبيرهم والخواص من الأصدقاء ليستمعوا إلى قصة المسيح تقرأ من المخطوط الأصلي الذي كتبه «ديكن» بخط يده.

ورغم ثرائه الفاحش، فإن كثيراً من تساليه كانت بسيطة جداً، فمثلاً كان يستهويه أن يلبس قبعة وجاكتة قديمة ويسير تحت وابل المطر ويتلقى قطراتها على صفحات وجهه.

كان يحب زوجته إلى حد الجنون، وعندما توفيت عام ١٩٢٥ أمر بأن تبقى غرفتها الخاصة كما هي دون تغيير. لقد عانت زوجته كثيراً من المرض المسمى بمرض النوم، ولم تستطع ملايين مورجن أن تنقذ المرأة التي أحبها وجن بها.

وكانت زوجته مغرمة بحب الزهور، فانتسبت إلى جمعية هواية البساتين التي تفرض على أعضائها أن ينشئوا بساتينهم بأيديهم. وكان مورجن، وهو أحد أغنياء العالم المعدودين، يلبس ثياب العمل ويحمل المعزقة ينظف الحشيش ويشذب اشجار العنب في البستان الذي أنشأته زوجته بيدها، وكان في حياتها أعز ما تملك.

جاك لندن

(المتشرد الذي اجتاز الامتحان الثانوي في ثلاثة أشهر وألف واحداً وخمسين كتاباً في ثمان عشرة سنة)، كان يتغفل مأموري قطارات الشحن ويندس بين البضائع ليتنقل من قرية إلى قرية ويطوف على الأبواب باباً فباباً يلتمس لقمة العيش.

قبض عليه البوليس بتهمة التشرد وحوكم وحكم عليه بالأعمال الشاقة مدة ثلاثين يوماً في إصلاحية السجون، فكان كل صباح يأخذ معوله ويمضي في كسر الصخور ولم يقدم له طول هذه المدة طعام سوى الخبز والماء.

وبعد ست سنوات فقط ـ تصور ست سنوات! من هذا التاريخ، أصبح هذا المتشرد العاطل الذي كان يطرق الأبواب التماساً للقمة العيش، أصبح موضع اهتمام الناس في الساحل الغربي، وكانت النخبة من رجالات المجتمع الراقي في كاليفورنيا تتسابق إلى التقرب إليه والاحتفاء به، ويقابل أينما حل بترحاب وتأهيل من الأدباء والنقاد ورؤساء التحرير باعتباره من ألمع رجالات الأدب في عصره.

لم يلتحق بالمدارس الثانوية إلا بعد التاسعة عشرة من عمره، وتوفي وهو في الأربعين وخلف ثروة أدبية هائلة. . . واحداً وخمسين مؤلفاً.

أعرفت من هو؟

إنه الأديب الذائع الصيت «جاك لندن» مؤلف «نداء المتوحشين».

عندما كتب جاك لندن روايته «نداء المتوحشين» عام ١٩٣٠ أصبح في يوم وليلة من أشهر الكتّاب وأصبح رؤساء التحرير يتزاحمون عليه ليفوزوا بسبق الحصول على إنتاجه.

ولكن هذا العمل الذي أصاب به مرمى نجاحه الأول لم يعد عليه بالكسب المادي إلا قليلاً، فقد ربح منه الناشرون ومن بعدهم المخرجون في هوليود ملايين الدولارات، أما هو فقد باع حقوق النشر بألفي دولار فقط.

«إذا أردت أن تؤلف كتاباً فأهم ما تحتاج إليه هو أن تكون لديك صور مختزنة عما تريد أن تكتب عنه» هذه القاعدة التي اتخذها أساساً لكتاباته هي سر نجاح جاك لندن المدهش في جميع مؤلفاته، فقد اختزن في نفسه عشرات الآلاف من الصور والظلال المختلفة الأشكال والألوان في المدة القصيرة المضطربة التي عاشها، فقد مارس شتى الأعمال وزاول شتى المهن فاشتغل بحاراً وزاول القرصنة وعمل في مناجم الذهب واشترك في صيد عجول البحر في أقصى الشمال وجاب أكثر من نصف الكرة الأرضية هائماً على وجهه متشرداً. وكثيراً ما كان يطوي أيامه على الجوع وينام في الحدائق العامة وفي طيات أكوام التبن وصناديق العربات وينام بعض الأحيان على الأرض الصلبة تحت السماء، فإذا صحا وجد نفسه غارقاً في بركة من الماء. وقد أصابه الاضمحلال مرة فراح في نوم عميق وهو مدسوس بين القضبان تحت عربة من عربات قطار الشحن، وقبض عليه مئات المرات وأودع في سجون أمريكا. وفي جولاته المتعددة حول العالم

دفع إلى السجن في المكسيك ومنشوريا واليابان وكوريا.

اتسم طابع حياته في طفولته بالفقر المدقع والكد والجهد وعاش عيشة انطلاق مع عصابة اختارت منطقة عربدتها على طول ساحل خليج سان فرانسيسكو، وكان عندما تذكر أمامه سيرة المدارس والتعليم يرفع صوته مقهقهاً ويمعن في الانهماك في لعبة «الهوكي» التي كان يهواها.

وفي جولة من جولاته الطائشة كانت نقطة التحول، فقد قادته رجلاه إلى مكتبة من المكتبات العامة ووقع في يده كتاب «روبنسن كروزو» وافتتن بقراءته إلى حد أنه لم يشعر بحاجته إلى الطعام؛ وقد دخل المكتبة وهو في طريقه لتناول طعام العشاء وعاد في اليوم الثاني إلى المكتبة وأنهمك في مطالعة الكتب لقد انفتحت أمامه آفاق جديدة وعاش في دنيا مليئة بالعجائب والغرائب كدنيا بغداد في قصص ألف ليلة وليلة ومنذ ذلك اليوم وغلته لا ترتوي من مطالعة الكتب، فكان يلتهم كل ما يقع تحت يده منها، لا يفرق بين الكتب الأدبية والعلمية والثقافية وكتب المذاهب، وعندما بلغ التاسعة عشرة من عمره عزم أن يريح جسده من اللف والدوران وأن يستغل قواه العقلية. فقد تعب من التشرد وتعقب البوليس ومأموري قطارات السكة الحديدية الذين كانوا يضربونه على رأسه بفوانيسهم الحمر زاجرين مؤنبين.

وفي سن التاسعة عشرة دخل إحدى مدارس اكلوهاما الثانوية في كاليفورنيا، وأنكب على الدراسة ليلاً ونهاراً لم ينم غير ساعات قليلة.

وحقق الأمر المدهش، فقد كرس مجهوده وحشد المعلومات التي كان يدرسها الطلاب في أربع سنوات في ثلاثة أشهر، وفاز في الامتحان!

وانخرط في سلك طلاب كلية كاليفورنيا، وبروح الطموح التي ملأت

جوانب نفسه في أن يصبح كاتباً كبيراً، راح يدرس كتب الأدب لكبار الكتاب ويعيد قراءتها مرات ومرات. ثم بدأ الإنتاج، بدأ بقوة ووفرة فكان يكتب في اليوم الواحد خمسة آلاف كلمة بمعدل رواية كاملة خلال عشرين يوماً.

وبعث مرة ثلاثين رواية لمختلف الصحف في وقت واحد، ولكنها ما لبثت أن أعيدت إليه جميعها فلم يكن حسّه الأدبي المبدع قد نضج بعد.

وبعد لأي نالت روايته «عاصفة على شواطىء اليابان» الجائزة الأولى في سباق أقيم في سان فرانسيسكو، وكانت الجائزة اثنين وعشرين دولاراً فقط وكانت صدمة شديدة فقد عجز عن تسديد أجرة الغرفة التي كان يسكنها!

كان ذلك في عام ١٨٩٦ وفي هذا العام عاشت أمريكا في قلق وعاش أبناؤها عيشة أبطال الروايات في القصص الخيالية، فقد اكتشف الذهب في مقاطعة كلونديك. . وانتشرت برقيات الإغراء في جميع أنحاء القارة فهزت النفوس وجرفتها فترك أصحاب الأعمال أعمالهم وهرب الجنود من الجيش وهجر الزراع مزارعهم وأغلق التجار متاجرهم وتحركت مواكبهم نحو مناجم الذهب وكانت جموعهم تسير كالسيل المنهمر يغذون السير يتسابقون على كنوز الذهب تحت أرض الجنوب!

وكان جاك لندن ضمن هذه الجموع، وعاش أشد أيام محنته يمني نفسه بسبائك الذهب في أرض الذهب في كلونديك. وتحمل في هذه الأيام شدائد وأخطاراً لا تخطر على بال، فقد كان الغلاء شديداً والبرد قارساً والدرهم عزيزاً، وكان ينام على الأرض في جو درجة حرارته ٦٤ تحت الصفر ثم ماذا؟ لقد عاد من كلونديك خائباً لا يملك في جيبه درهماً واحداً.

واشتغل بعد ذلك في أي عمل صادفه مهما كان نوع العمل، اشتغل في غسل الأطباق ومسح البلاط والأحواض والمعامل.. وما لبث أن ضاق ذرعاً بالعمل فصمم ذات يوم أن يترك العمل الجسماني إلى غير رجعة وأن يخصص كل وقته للأدب ولم يكن في جيبه في ذاك الوقت سوى دولارين.

كان ذلك في عام ١٨٩٨ وبعد خمس سنوات من هذا التاريخ كان قد نشر ست روايات ومائة وخمساً وعشرين قصة قصيرة وأصبح أشهر كاتب في الأدب تتحدث عنه أمريكا كلها.

وفي عام ١٩١٩ توفي جاك لندن بعد ثماني عشرة سنة من اشتغاله بالتأليف، وكان يؤلف في المتوسط ثلاث روايات في السنة إلى جانب عدد كبير من القصص القصيرة، وكان وارده الشهري ضعف وارد رئيس الولايات المتحدة.

ولا تزال كتبه مرغوبة في أوروبا، وتعد من أكثر الكتب انتشاراً في العالم من كتب أي أديب أمريكي آخر.. روايته «نداء المتوحشين» التي لم يكسب منها سوى ألفي دولار، ترجمت إلى عشرات اللغات وبيع منها أكثر من مليون ونصف مليون نسخة وهي أعظم رواية أمريكية قُرئت في أنحاء العالم.

أندرو كارنيجي

«الرجل الذي صنع عدداً من أصحاب الملايين لم يستطع أحد من الرجال أن يصنع مثلهم». .

عندما جاء المخاض والدة أندرو كارنيجي، لم يستطع أبوه أو حتى أحد من أقاربه أن يحضر لها طبيباً أو ممرضة لاستقبال الطفل القادم، فقد كانوا من الفقر بحيث لا يستطيعون دفع أجرة الطبيب أو الممرضة.

وعندما بدأ حياته العملية، بدأها بأجر يومي قدره سنتان، ومع ذلك فقد جمع ثروة قدرت بأربعمائة مليون دولار.

وقد زرت مرة المسكن الذي ولد فيه أندرو كارنيجي في مدينة دنفر ملين بأسكوتلاندا، فوجدته يحتوي على غرفتين فقط، إحداهما سفلية كان يستعملها أبوه لعمله كحائك، وأخرى علوية صغيرة مظلمة كانت العائلة تستعملها للطبخ والأكل والنوم.

وعندما هاجر والده إلى أمريكا، اتخذ له عربة يدوية وبدأ عمله كبائع متجول يسير بعربته من باب لباب يعرض بضاعته القليلة من الألبسة والقمصان وعملت أمه كغسالة، وفي خرز الأحذية في مصنع لصناعة الأحذية.

ولم يكن أندرو كارنيجي يملك سوى قميص واحد، كانت أمه تغسله

وتكويه له كل ليلة عندما يأوي إلى فراشه وكانت تعمل بمعدل ست عشرة ساعة في اليوم.

كان أندرو كارنيجي يحب أمه حباً جنونياً حتى إنه عندما بلغ الثانية والعشرين من عمره أخذ على نفسه عهداً أن لا يتزوج ما دامت أمه على قيد الحياة خشية أن تعكر الزوجة صفو حياة أمه وتكون سبباً لبعده عنها؛ وحافظ على عهده ولم يتزوج إلا بعد وفاة والدته، وبعد ثلاثين عاماً من ذلك التاريخ فكان عمره عندما تزوج اثنين وستين عاماً.

وعندما كان صغيراً كان يكرر القول على والدته فيقول «سأصبح يوماً ما غنياً يا أماه وسيكون لك خدم وحشم ولباس من حرير وعربة فاخرة».

وكان يقول دائماً إنه ورث ذكاءه من أمه وأن محبتها التي يحتفظ بها في طيات قلبه هي نبراسه في كل أعماله.

وكان أثر الصدمة على نفسه شديداً عندما توفيت والدته، حتى إنه لم يستطع أن يلفظ اسمها مدة خمس عشرة سنة، فإن مجرد ذكر اسمها كان يسبب له حزناً أليماً وقد دفع مرة مبلغاً كبيراً من المال لفك حجز سيدة لمجرد أنها كانت تشبه أمه.

كان يعرف أندرو كارنيجي بملك الصلب رغم أنه لم يكن يعرف عن صناعة الصلب الشيء الكثير، وكان عنده المئات بل الآلاف من خبراء الصلب الذين يخدمون بإخلاص، فقد كان يعرف كيف يستخدم الناس ويستغل كفاءاتهم، وهذا كان سر نجاحه في جمع الملايين. وقد ظهر استعداده (لبلف) الناس واستخدامهم منذ كان صغيراً، فقد تحصل مرة على أرنبة مع صغارها فأسس لها جحراً مناسباً، وما لبث أن احتار كيف يطعمهم

فلمعت في ذهنه فكرة ونفذها. دعا أولاد الحارة وأطلعهم على أرنبة وأولادها ثم قال «تعرفون يا أولاد» أني عزمت أن أسمي كل أرنبة على شرف اسم الولد الذي يسعى لإحضار الحشيش والبرسيم لها» وهكذا تسابق الأولاد لإحضار الطعام للأرانب ونجحت الفكرة.

وبعد سنوات من هذا التاريخ، استعمل كارنيجي الطريقة السيكلوجية نفسها في حياته العملية، وعلى سبيل المثال: كانت سكة حديد بنسيلوانيا مجالاً واسعاً لتصريف بضاعته من الحديد، وكان مدير سكة حديد بنسيلوانيا في ذلك التاريخ السيد أدجار توماس، فلم يتردد كارنيجي وبنى معملاً كبيراً للصلب في بنسبورج وسماه على شرف المستر ادجار توماس «معمل الصلب والحديد لخدمة مشروعات المستر ادجار توماس».

وكان طبيعياً أن يسر السيد ادجار بذلك وأن لا يحتاج إلى دعاية أكثر ليأمر بشراء كل ما تتطلبه سكة حديد بنسيلوانيا من الحديد والصلب من المعمل الذي يحمل اسمه.

أول عمل اشتغل فيه كارنيجي كان مراسلاً في إحدى إدارات التلغراف بأجرة يومية قدرها خمسون سنتاً، وكانت تلك أجرة مغرية بالنسبة لشخص مثله فقد كان غريباً في البلدة. وخوفاً من أن يفقد مركزه لعدم معرفته مواضع البلدة، كان يجوب البلدة ويحفظ عناوين البيوت التجارية والمراكز الصناعية وكل ما يمت إلى عمله بصلة؛ وبعد أن استقر في العمل طمح أن يكون مأموراً تلغرافياً فبدأ يأخذ دروساً ليلية في التلغراف ويبكر صباحاً إلى المكتب ينتهز فرصة عدم حضور المأمور ويتمرن عملياً على آلة التلغراف.

وفي صباح أحد الأيام حيث بكر إلى المركز للتمرين، كانت أسلاك البرق تهتز تحمل أخباراً هامة، وكان المأمور في فلادلفيا يطلب بإلحاح

مأمور بتسبورج ولم يكن في ذلك الوقت أي مأمور في المركز، فلم يكن من كارنيجي إلا أن أخذ موضعه في مركز المأمور واستقبل الرسالة وسلمها في الحال، وكان هذا الحادث كافياً لترقيته وتعيينه مأموراً لاسلكياً بمرتب مضاعف!

وأسست سكة حديد بنسيلوانيا مركزاً تلغرافياً بها، ولفت نظرها نشاط كارنيجي وسهره الدائم، فعينته مأموراً لمركزها الخاص ثم سكرتيراً خاصاً بقسم الإشراف.

وفجأة حدث في أحد الأيام ما غيّر مجرى حياته وقاده إلى طريق الثروة والغنى، فقد جلس إلى جانبه في إحدى عربات القطار أحد المخترعين وأطلعه على نموذج جديد لعربات النوم من اختراعه.

وكانت عربات النوم في تلك الأيام مصممة على طريقة بدائية فكانت أسرة النوم مثبتنة بمسامير على جوانب عربات الشحن، وكان هذا الاختراع الجديد يشبه كثيراً عربات البولمان في عصرنا الحاضر. وأبصر كارنيجي بفطرته الأسكوتلاندية المدى البعيد الذي يحققه هذا الاختراع، فقد قدر أن هذا الاختراع سيكون له مجال واسع في مستقبل السكك الحديدية التي سيعم انتشارها وتصبح وسيلة هامة للنقل في أمريكا، فلم يتردد في أن يقترض مبلغاً كبيراً من البنك واشترى أسهماً لصالح الاختراع.. ونجحت هذه الشركة نجاحاً كبيراً، وعندما بلغ كارنيجي الخامسة والعشرين من عمره كان ربحه العادي من أسهم هذه الشركة خمسة آلاف دولار سنوياً.

وأحترق مرة أحد جسور السكك الحديدية المقامة من الخشب وتعطلت الحركة أياماً، وكان كارنيجي في ذلك الوقت في قسم الإشراف في سكة حديد بنسيلوانيا، فتنبأ أن الجسور الخشبية سيحكم عليها بالزوال إلى الأبد

بعد هذا الحادث، وتحقق لديه أن المستقبل سيكون للجسور الحديدية، فاقترض مبلغاً من البنك وأسس شركة لبناء الجسور الحديدية وكان الإقبال على هذه الشركة إقبالاً كبيراً لم يكن يحلم به.

لقد أصبح ابن الحائك هذا لا يلمس شيئاً إلا ويتحول إلى ذهب! وارتفع صيته واتسعت شهرته وعرف بالظرف واللطف. كان الحظ معه دائماً، الحظ بكل ما فيه من الغرائب والعجائب. اشترك مرة هو وبعض أصدقائه في شراء مزرعة وسط حقول الزيت في بنسيلوانيا بأربعين ألف دولار، ولم تمض سنة حتى كان ربحهم منها مليوناً من الدولارات.

وفي الوقت الذي بلغ فيه هذا الأسكتلندي (الملحاح) السابعة والعشرين من عمره كان دخله ألف دولار في الأسبوع الواحد، ولم يكن دخله قبل خمس عشرة سنة سوى سنتين في اليوم!

في عام ١٨٦٢ كان الرئيس لينكولن يحكم في البيت الأبيض وكانت الحرب الأهلية في أقصى حدتها وارتفعت الأسعار ووقعت أعظم الأحداث وبدأت الحدود تتقلص إلى الداخل، وهاج الناس مندفعين إلى أقصى الغرب وأخذت اجراءات مد السكك الحديدية تتم بسرعة وإجهاد وخططت المدن الجديدة ووقف الأمريكان يتطاحنون على عتبة عصر جديد.

وفي غمار هذا التطاحن والاندفاع المدمر كانت معامل الصلب والحديد التابعة لكارنيجي ترسل دخانها في عمل مستمر ليل نهار، وارتفع الإنتاج وظل يستمر في الارتفاع فجمع كارنيجي ثروة لم يحلم بها شخص مفرد في تاريخ البشرية.

كل هذا ولم يكن كارنيجي يجهد نفسه بالعمل، فكان يمضي نصف وقته

في التسلية واللهو، وكان يقول إنه قد جمع حوله من المساعدين من كانوا يعرفون طبيعة العمل أكثر مما يعرف وكان يقف دائماً وراءهم يحثهم ليجمعوا له الملايين.

لقد كان اسكوتلاندياً ولم يكن في شحه اسكوتلاندياً صميماً، فكان يسمح لشركائه في العمل أن يقاسموه أرباحه فساعد في تكوين عدد من أرباب الملايين منهم لم يستطع أحد من الأحياء أن يصنع مثلهم.

لم يدرس كارنيجي في حياته سوى أربع سنوات، ورغم ذلك ألف كتباً كثيرة فكتب عن رحلاته وألف في التراجم والاقتصاد وكتب مقالات متفرقة، فبلغ عدد ما ألف ثمانية كتب، وتبرع بستين مليوناً من الدولارات للمكاتب العامة وثمانية وتسعين مليوناً لنشر التعليم..

كان يحفظ من الشعر مقداراً كبيراً وكان يفضل لبعض الشعراء ويحفظ كل شعرهم وكان يسرد من الذاكرة جميع قصص شكسبير بكل تفاصيلها، ورغم أنه لم يكن عضواً في كنيسة فقد تبرع لها بمبالغ كبيرة.

لقد تبرع بما يبلغ مجموعه ثلاثمائة وخمسة وستين مليوناً من الدولارات، ومعنى هذا أنه كان يتبرع بمليون دولار في اليوم الواحد لمدة سنة.

وقد قامت ضجة كبيرة في الصحف وتعددت الآراء في تحديد الجهات التي كان كارنيجي يتبرع لها، وقدمت الصحف جوائز لمن يدلها على الجهات الحقيقية التي كان كارنيجي يجود عليها بكنوزه الذهبية.

فقد أعلن كارنيجي قبل وفاته أنه من العار أن يموت وفي حيازته أية ثروة!

آل ونـدل

الدار التي كثر الكلام عليها في نيويورك تقع في طرف ميدان الشارع تسعة وثلاثين، وهذه الدار لمدة عشرين عاماً كانت تسمى (الدار الغامضة)، وقد نسجت حول ما يجري في داخل الجدار المبني بالطوب حول هذه العمارة قصص بوليسية ومقالات ومسرحيات وفصول سينمائية أيضاً، وكان يمر أمام بابها المنتصب لعدة سنوات خمسون ألف شخص يومياً، فلم يلحظ واحد منهم ولو عن طريق المصادفة أي علامة للحياة خلف شبابيكها المغلقة، ولو قدر لك أن تركب خط البلدة المار بالميدان الخامس، لكان من الممكن أن تلحظ أن دار (آل وندل) الدار الوحيدة في العالم التي بها فناء قيمته مائتا ألف جنيه خصص ليكون ملعباً للكلاب من نوع «بودل».

كان آل وندل من أغنى الأسر في نيويورك وكانت تقدر قيمة أملاكهم بعشرين مليوناً من الجنيهات، ومع ذلك فإنهم كانوا يعيشون ملتصقين بالماضي أشد الالتصاق. وتتكون عائلة وندل من أخ عازب وأخوات عوانس يعشن في دار بنيت في العصر الذي كان فيه أبراهام لينكولن لا يزال محامياً قروياً ناشئاً غير معروف، في ولاية الينويس. وقد مررت بهذه الدار عندما هدمت أخيراً ورأيت العمال يحملون أنقاض حمامات الزنك

والمغاطس المنحوتة من الرخام التي كانت تستعمل في عصر العبيد، وكان آل وندل يستخدمون الغاز للإضاءة لأنهم كانوا يعتبرون أنه أسلم للنظر من ضوء الكهرباء، ولم يستعملوا اللاسلكي ولا المخترعات الكهربائية ولا المصاعد ولا السيارات، والآلة الوحيدة من المخترعات الحديثة التي استعملت في هذه الدار هي التلفون ولم تركب في الدار إلا قبل يومين من وفاة آخر فرد من عائلة وندل لتسهيل اتصال الممرضة التي كانت ترعى المريض بالطبيب المعالج.

والثمن المقدر لدار آل وندل هو ألف وخمسمائة جنيه ورغم ذلك فإن محاميهم كانوا يوجهون نظرهم إلى أن السكنى في هذه الدار تكلفهم مائتي جنيه في اليوم وذلك هو الواقع، فقيمة الأرض التي تحيط بالدار ثمانمائة ألف جنيه تقريباً وإذا أضيفت الفوائد على ذلك المقدار مع أجور التثمين والضرائب، فإن المبلغ يصل إلى أربعمائة جنيه يومياً.

ورغم كل هذا الغنى، فإن آل وندل كانوا يعيشون في ظلام الماضي، فجون جونيل وندل توفي عام ١٩١٤ وحتى ذلك التاريخ كانت جميع ملابسه تفصل على نموذج بدلة كان قد اشتراها في نهاية الحرب الأهلية عام ١٨٦٥ وكانت جميع الملابس محفوظة في صندوق الملابس نفسه الذي اشتراه قبل أربعين عاماً، وجميعها مفصلة على نموذج واحد في وقت واحد، وكان من عادته أن لا يلبس قماشاً مصبوغاً صبغاً صناعياً، فإذا رغب في أن يفصل بدلة سوداء كان يوصي على الصوف من مصنع خاص في اسكتلانده الذي كان يحوك له الصوف الأسود المجزوز من الخرفان السود خصيصاً له، وكان عندما يدعو أصدقاء إلى حفلة طعام يكتب رقاعها باللاتينية.

كان يعتقد أن أسباب جميع الأمراض إنما تدخل الجسم عن طريق

بواطن الأرجل، فلذلك كان يلبس أحذية سميكة النعل تعمل خاصة له لتقيه شر جراثيم الأرض.

كان جون جونيل وندل يعد في عصره من كبار الملاك، (وقد نمت ثروته بعناده على البقاء كما هو على أراضيه، بينما كانت مدينة نيويورك تكبر وتتسع من حوله).

وكان الأخوان وندل شديدي التعصب ضد المشروبات، وقد رفضوا مرة أن يوقعوا عقد إيجار بمبلغ مائتي ألف جنيه حتى أخذوا تعهداً بأن الغرفة التي تستعمل للإسعاف والصيدلية في العمارة لا تحتوي من الكحول أكثر من مقدار محدود بمكيال واحد. ومع ذلك فقد وجد ـ بعد وفاتهم ـ في سراديب الدار خموراً متنوعة قدرت قيمتها بألفين من الجنيهات، وقد تبين أنها خزنت دون أن تمسها يد مدة طويلة أفسدت الكثير منها.

كان لجون جونيل وندل سبع أخوات، وقد بذل كل جهده أن يمنعهن جميعاً من الزواج، فقد كان يخاف إذا تزوجن وأنجبن أن تتبدد الثروة التي يملكونها، وكان يقول لهن إن كل من جاء يطلب أيديهن إنما يطمع في الثروة التي يمتلكونها، وكان لا يجامل الخطّاب حين يزورون أخواته لعرض الزواج فيطلب إليهم أن لا يعودوا لزيارة الدار مرة أخرى، فلم يتزوج من أخواته إلا واحدة وهي المسماة مس ربيكا ولم تتح لها فرصة الزواج إلا بعد أن بلغت الستين من عمرها، أما الأخريات فقد عشن عانسات حتى كبرن وذبلت نضارتهن وأدركتهن المنايا.

إن قصة حياتهن المملوءة بالحزن والأسى تشرح لنا بوضوح المزية العظيمة التي تتميز بها ثروة الكفاف. والأخت جورجيانا كانت أقوى شخصية بين أخواتها فجاهدت ضد الحصار الذي فرضته عليها العائلة حتى

انهارت أعصابها أخيراً وأصيبت بمرض عقلي نقلت على أثره إلى مستشفى الأمراض العقلية وأمضت فيه اثنين وعشرين عاماً، وعندما توفيت في عام ١٩٣٠ كان أكثر أصدقائها يقدر أنها ماتت قبل ذلك بكثير. إنها كانت تملك ثروة تقدر بمليون من الجنيهات ولكن هذه الثروة الضخمة لم تستطع أن تقدم لها لحظة من السعادة.

والأخت الأخرى جوزفين عاشت وحيدة في أحد البيوت الريفية لآل وندل لا تجد من تركن إليه سوى عدد من الخدم الذين يحوطون بها، والمنظر الأدعى إلى العطف والرحمة منظرها وهي تتخيل أن في الدار أطفالاً يعيشون حولها فتناجيهم وتداعبهم في خيالها، وكانت تتخيل في بعض الأحيان أن ضيوفاً سيزورونها فتأمر بإعداد السفرة في ستة أجزاء من الغرفة، وعندما يباشر الخدم تقديم الطعام لكل قسم تتظاهر بأنها تباشر بنفسها الضيوف، حتى إذا تم إعداد الطعام في قسم تنتقل إلى القسم الآخر لتقوم بعملية المباشرة نفسها والإعداد لتشمل برعايتها جميع الضيوف بالترتيب.

واختطفت المنية الأخوات وندل الواحدة تلو الأخرى، وكلما رحلت واحدة منهن أغلقت غرفتها وأغلقت الشبابيك فيها، حتى لم يبق من الأخوات السبع سوى المس أيلا ولم يبق مفتوحاً في الدار سوى غرفة نومها وغرفة طعامها في الطابق السفلي وغرفة كبيرة في الطابق الأعلى حيث كانت الأخوات يتلقين دراستهن المحلية. وعاشت المس أيلا سنين عديدة في الدار الرهيبة الصمت المحتوية على أربعين غرفة جلها مهجور مع بعض من خدمها المسنين المخلصين وكلبها الفرنسي (توبي) وكان توبي ينام في غرفة سيدته على سرير وثير تماماً كالسرير الوثير الذي كانت تنام عليه سيدته، وكان يأكل طعامه المحتوي على قطع البسكويت المعمول خاصاً به

وشرائح اللحم في غرفة الطعام على طاولة لامعة من النحاس مغطاة بغطاء من المخمل.

وعندما توفيت المس أيلا أوصت بجميع ثروتها لكنيسة أعمال التبشير، مع أنها هي لم تكن من رواد الكنيسة إلا نادراً. وماتت وهي تعتقد أن ليس لها في هذا العالم قريب من قريب أو بعيد يمكن أن يكون له حق الإرث في ثروة آل وندل الطائلة، غير أنه في خلال سنة بعد وفاتها ظهر نحو ألفين وثلاثمائة شخص يدعون قرابتهم لآل وندل، وقد كان نموهم يزداد بسرعة عجيبة في كل أنحاء العالم تماماً كسرعة نمو الحشائش في الحقول، وقد ظهر في (تنسي) وحدها مائتان وتسعون شخصاً كل يطالب بحصته في الإرث المقدر بسبعة ملايين من الجنيهات.

وتلقت القنصلية الألمانية أربعمائة طلب من أربعمائة شخص من آل وندل في ألمانيا، وقدمت طلبات من تشيكوسلوفاكيا كانت من الكثرة بحيث شغلت وزارة الخارجية الأمريكية. كما ادعى شخصان بأنهما ابنان للمستر جون وندل كانا ثمرة لزواجين سريين له، وحكم على أحدهما بالسجن لتزويره وثيقة زواج وصك وصاية فقد ثبت أن جون وندل لم يكتب وصية أبداً. فقد قال: أنا لا أكتب وصية لأفتح مجالاً لأي محامٍ لاكتساب ثروة من أملاكي.

ومن النكات اللطيفة أن ينقلب الوضع الذي أراده المستر جون وندل وعبر عنه في جملة مزاجية، فقبل أن يستقر البت في مخلفات آل وندل ليس محامياً واحداً ولكن مائتان وخمسون محامياً جمعوا ثروة كبيرة في قضية ملايين آل وندل التي خلفوها.

الأخوان: مايو
الدكتوران وليم وجاك

عاصفة هوجاء اكتسحت مدينة بأكملها ودمرتها، ومع ذلك فإنها كانت سبباً في تجنيب العالم ويلات الأمراض العقلية التي انتشرت بصورة مريعة مفزعة.

ربما إن البشرية لم تكن لتحظى باكتشاف عظيم سجل انتصاراً كبيراً في تاريخ الصحة والطب في هذا العالم، لولا تلك العاصفة الهوجاء التي اجتاحت مدينة صغيرة في ولاية مينيسوتا بأمريكا قبل نصف قرن تقريباً ـ والمدينة التي اكتسحتها العاصفة هي مدينة روجستر المشهورة اليوم بمدينة الدكتورين مايو أخوان أكبر وأعظم جراحين في عصرنا الحاضر. والاكتشاف العظيم الذي لا يزال الأخوان مايو يبحثان ويعملان لتضخيم الاستفادة منه هو عقار لشفاء الأمراض العقلية. وهذا العقار يحقن في جسم المريض المصاب بضعف العقل أو فقدان الوعي ـ فيحدث الأمر المدهش إذ تتغير حركة الدورة الدموية ويعود المريض إلى الوعي.

وليدرك القارىء ماذا يعني هذا الاكتشاف الخطير لسكان هذا العالم، أضع بين يديه هذه الحقائق ليستنتج بنفسه مدى خطر هذا المرض على البشر لو استمر يفتك بهم من دون مقاومة تقف في وجهه.

إن عدد المصابين بالأمراض العقلية في مستشفيات أمريكا ضعف عدد

المرضى بالأمراض الأخرى مجتمعة، والمعدل بين التلاميذ، تلميذ من كل ستة عشر تلميذاً لا بد أن يقضي جزءاً من حياته في مستشفى الأمراض العقلية، أما فرص الشفاء فهي واحد لكل عشرين ممن قضوا سبع سنوات من حياتهم في المستشفى، وفي السنوات العشر الماضية تضاعف عدد المرضى تقريباً، ولو استمرت هذه النسبة المفزعة لمدى قرن من الزمن، لأصبح نصف السكان من نزلاء المستشفيات العقلية والنصف الآخر من دافعي الضرائب للعناية بهم.

والأخوان مايو اللذان ما زالا يوليان أبحاثهما ويبذلان جهدهما وحياتهما لمكافحة هذا المرض، يعتبران أشهر جراحين في عالم اليوم، يقصدهما طالبو المعرفة من الأطباء من لندن وباريس وبرلين وروما والكبتون وطوكيو ليتربعوا أمامهما في احترام ليستفيدوا من علومهما.

ويتجه نحو روجستر في كل عام ستون ألف مريض معظمهم يواجهون فرصتهم الأخيرة في الحياة يقصدون مستشفى مايو أخوان.

عندما هاجر الدكتور مايو الأب قبل سبعين سنة إلى مدينة روجستر، كان سكانها لا يزيدون على عشرين ألفاً، وكان أول من عالج فيها الدكتور مايو بقرة مريضة وحصاناً مريضاً، وعندما اشتعلت نار الحرب بين الهنود الحمر والبيض كان الدكتور مايو الأب يتناول بندقيته ويقتحم الميدان يدافع وينتصر، وبعد المعركة يأخذ طريقه بين الأشلاء يضجع الموتى ويعالج الجرحى. وعلى طول المدى أصبح مرضاه الذين كان يزورهم بانتظام ينتشرون في مساحة تقدر بخمسين ميلاً بين المروج، وكان الكثيرون منهم يسكنون في أكواخ بنيت من فروع الأشجار وطين المروج؛ ولم يكن هؤلاء المرضى قادرين على دفع أجرة الطبيب، ومع ذلك فإن الدكتور العجوز الطيب كان في بعض الأحيان يسير الليل الطويل ليخفف آلام هؤلاء

المرضى، وفي أحيان أخرى كان يقتحم زوابع الثلوج والضباب القاتم الذي لا يستطيع المرء من شدة قتامته أن يتبين يديه أمامه في وضح النهار.

وقد خلف الدكتور مايو الأب ولدين: هما الدكتور وليم والدكتور جارلس المشهوران الآن في جميع أنحاء العالم بالأخوين مايو، وقد بدءا حياتهما بالعمل في إحدى الصيدليات المحلية يتعلمان تركيب الوصفات الطبية وتكوير الحبوب الطبية ثم التحقا بالمدرسة الطبية.

ووقعت الكارثة التي قدر أن يكون لها الأثر الأكبر في عالم الاكتشافات الطبية في هذا العصر، وهذه الكارثة هي ذلك الإعصار الذي اكتسح المروج وكأنه غضبة إلهية، دمر وهدم وضرب كل شيء في طريقه. لقد هاجم الإعصار مدينة روجستر وضرب كل شيء فيها، مئات من السكان قد جرحوا وعشرات منهم ماتوا.

واشتغل الدكاترة مايو أخوان والدكتور مايو الأب، أياماً كثيرة بين الأطلال يجبرون الكسور ويضمدون الجروح ويقومون بإجراء العمليات الجراحية اللازمة. إثر هذا الجهد الإنساني الكبير الذي قام به الدكاترة في نفوس أعضاء جمعية الراهبات «فرانسيس» فعرضت رئيستها عليهم بناء مستشفى شريطة أن يقوموا بالعمل فيه والإشراف عليه، فوافقوا وافتتح المستشفى في عام ١٨٨٩ وكان الدكتور الأب قد بلغ حين ذلك السبعين من عمره ولم يسبق للأبناء أن أدارا مستشفى أو حتى عملا داخل حدوده، وقد تحدثا يصفان حالتيهما في ذلك الوقت: إننا كنا أقل نصحاً وتجربة وكان وضع عبء العمل وإدارة المستشفى على عاتقنا أشبه ما يكون بوضع عبء وقيادة سفينة في عرض البحر على أحد البحارة الذي وجد نفسه قد أصبح فجأة رباناً رغم أنفه.

أما اليوم، فإن هذين الدكتورين الناضجين يعدان من أشهر دكاترة العالم الذين قهروا مرض السرطان العتيد، ويعتقد كل من الأخوين في الآخر أنه هو الأعظم وكلاهما أشهر وأنظف دكتورين جراحين عرفهما العالم. إنهما يمارسان عملهما بعلم يبلغ درجة الصحة والتوكيد ويقومان بالعمليات بخفة وسرعة ورقة ونعومة، رقة وسرعة ونعومة أدهشت جراحي العالم وبهرتهم.

يبدآن العمل في المستشفى من الساعة السابعة صباحاً ويقومان بإجراء العمليات الجراحية مدة أربع ساعات كل يوم ينجزان فيها من خمس عشرة إلى ثلاثين عملية في اليوم. ومضيا في ذلك سنوات متواليات، وإلى جانب ذلك فهما لا يزالان يواليان أبحاثهما لإحراز تقدم أكبر، ومع كل هذا فإنهما يتحدثان دائماً عن حاجتهما إلى المزيد من العلم.

إن مدينة روجستر اليوم تعيش بكاملها في خدمة مستشفى الأخوين مايو، فلم يصرح للترام أن يسير في شوارعها، وتسير الأتوبيسات بهدوء وأحاديث البيع والشراء تدور في الأسواق بهمس ورقة.

ويعامل المرضى في هذا المستشفى بالرقة والمساواة التامة؛ فالمعوزون ورؤساء البنوك والفلاحون ونجوم السينما ينتظر كل منهم دوره في غرفة الانتظار، فإذا حل دور أي واحد منهم يجد من العناية والاهتمام ما ناله من قبله مهما كانت مكانته وكان غناه، ويدفع الأغنياء أجرة العمليات حسب قدرتهم وكذلك الفقراء، ولم يحدث أن منع مريض من دخول المستشفى لعدم قدرته على الدفع.

إن الثلث من أعمال الدكتور مايو أخوان أعمال خيرية، وهم لم يرفعوا قضية أبداً على مريض تخلف عن الدفع، ولم يحدث أن قدم مريض شكوى ضدهم وأنهم لم يسمحوا لأحد من مرضاهم أن يستدين أو يرهن

عقاره ليدفع أجرة معالجته. إنهما يقبلان ما يقدمه المريض من النقد الذي يستطيعه عند العلاج مهما كان مقداره ولا يكتبان عليه ديناً يسدده في المستقبل لعدم وفاء وما يملكه عند العلاج ولا يشارطان المريض على العملية قبل إجرائها:

وحدث مرة أن رهن مريض عقاره لدفع أجرة عملية أنقذت حياته، وعندما علما بذلك فماذا كان الإجراء الذي اتخذاه؟ لقد أعادا الشيك ومعه شيك آخر من عندهما ليسدد المريض الدين الذي تحمله أثناء مرضه.

إنهما مثالان رائعان من المواطنين.. ولدا في مدينة صغيرة وارتفعا بجهدهما وعملهما وإخلاصهما إلى الأوج ولم يحسبا حساباً للمادة في جميع أعمالهما، ومع ذلك فقد انصبت عليهما النقود في شكل ينبوع متفجر. إنهما لم يسعيا يوماً إلى الشهرة ولكن سعت نحوهما حثيثاً، فهما اليوم اشهر جراحين في الولايات المتحدة.

إن كل ما يسعيان إليه في حياتهما ويصرفان نشاطهما فيه هو تخفيف ويلات البشرية.

وإن الشعار المكتوب في اللوح الجميل الموضوع في إطار بديع على المكتب في غرفة انتظار المستشفى يوضح أسباب نجاحهما المستمر، وهذه هي العبارة المخطوطة في ذلك اللوح: «إذا اكتسبت علماً وخبرة تساعد بهما الناس وتسد حاجتهم، فإن أهل الحاجة سيشقون طريقهم إليك ولو كنت تسكن في وسط الصحراء فاحرص على أن تكون أداة نافعة يحتاجها الناس ولا تبخل بفضلك على الناس».

جـاك سيل

(لقد ربح ما يقرب من عشرة جنيهات على كل كلمة في كتاب واحد ألفه ثم ندم على تأليفه).

ذلك الكتاب هو كتاب «الخصوصيات»، والمؤلف هو جاك سيل. وكتاب الخصوصيات يعتبر الكتاب الأول الذي كتبه جاك سيل، والكتاب الوحيد لهذا المؤلف أيضاً، وكان المؤلف ضعيف الثقة في رواجه فلم يطبع سوى ألفي نسخة منه في الطبعة الأولى، ونفدت كلها على غير ما كان ينتظر في ستة أسابيع، ولم يلبث أن انتشر في القارة الأمريكية انتشار اللهب في الغابة التي لحقتها النار، وقد بيعت منه نسخ أكثر مما بيع من كتاب (الأرض الطيبة)، ولا شك أن أي مؤلف مهما كان متواضعاً سيملأ الغرور نفسه عندما تقرر الأرقام أن ما بيع من نسخ كتابه أكثر مما بيع من (كتاب الأرض الطيبة)، ولكن جاك لم يمر بنفسه أي شيء حتى شبح مثل هذا الغرور، بل ندم كثيراً على تأليف هذا الكتاب، ندم لأن الغايات السامية التي كان يرمي إليها في هذا الكتاب فهمت على عكس ما أراد من قبل كثير من الناس.

ومن جهة أخرى فقد كان فخوراً بالنجاح الذي حققه، وكان يرتبك عندما يقرظ الناس الكتاب في حضرته ويفضل أن لا يذكروا عنه شيئاً

أمامه، خصوصاً إذا كان المقرظون من الفئة التي فهمت مغازي الكتاب فهماً سطحياً وبتفكير عامي، وقد بكت مرة ابنته بكاءاً عنيفاً لأنها أحست أن انتشار الكتاب كان فضيحة عائلية.

والمصادفة وحدها هي التي جعلت منه مؤلفاً، إذ الحقيقة أنه كان ممثلاً مشهوراً، وكان واحداً من أبرع الممثلين للأدوار الخلقية دون تصنع أو زيف، والمصادفة أيضاً هي التي جعلت منه ممثلاً، فقد كان ميكانيكياً يعمل في أحد معامل السكة الحديدية في مدينة أربانا في ولاية ألينوس، وكانت أخته الكبرى تهوى المسرح فسافرت إلى شيكاغو لدراسة الفن المسرحي في إحدى المدارس هناك، وعندما جاءت إلى بلدتها لقضاء عطلة عيد الميلاد أقامت حفلة مسرحية انتقدت فيها بطريقة هزلية، العادات والتقاليد السيئة في بلدتها. وبعد انتهاء الحفلة قال لها جاك: أهذا كل ما ذهبت من أجله إلى شيكاغو؟! أمثل ذلك من دون أن أدخل المدرسة!

وتحدته أخته أن يفعل، فنزل إلى المسرح وقدم فصلاً مضحكاً قلد فيه موزع البرقيات في البلدة. وفي بضع دقائق جعل الجماهير يتدحرجون من كراسيهم من شدة الضحك، وفي الأسبوع التالي جاءت إلى البلدة فرقة تمثيلية لتقديم بعض التمثيليات، وكان في الفرقة ممثل هزلي يقوم بأدوار هزلية بين الفصل والآخر للترويح عن النظارة..

وحدث أن مرض هذا الممثل. وسمع «جاك» من ذلك فقدم طلباً للعمل كبديل من الممثل الهزلي المريض.. وشكّ مدير الفرقة في قدرته، فعرض عليه «جاك» الأدوار التي يستطيع أن يقوم بها بطريقة فعلية، فقبل رئيس الفرقة أن يعمل جاك.

وكان هذا الأسبوع نقطة التحول في حياة جاك. الأضواء الكاشفة وبريق

الشهرة ومئات المعجبين والهاتفين جذبوا جاك إلى المسرح، فلم يكن من الممكن أن يفكر في العودة إلى العمل في معمل الميكانيك مرة أخرى، فحمل حقيبة ملابسه واندفع إلى شيكاغوا وتحصل على عمل في أحد المسارح، واستأجر غرفة في سكن جماعي رخيص، وبدأ يتمرن على أداء الأدوار المرحة المضحكة. وكان يعتقد أن الشوارب الطويلة تظهره بمظهر مناسب للأدوار التي يقوم بها، ولم يتيسر له أن يعرف من أين يشتريها فاستعان بكمية من حشو مفرشة ومزجه بشعرات من ذيل الفرس وصنع لنفسه عدداً من الشوارب المستعارة، واستعملها مدة ثمانية أشهر، إلى أن اهتدى إلى شوارب صناعية صنعت خصيصاً للغرض الذي يريده، وكان دخله بسيطاً، وكان كل درهم له قيمته الكبيرة عنده. . وليميت شهيته للطعام، كان يمتص بعض أنواع الحلوى الرخيصة حتى لا يأكل كثيراً فلا يستطيع أن يدفع ثمن ما أكل.

وأصيب أخيراً بمرض في معدته ربما كان سببه الحلوى الرخيصة التي كان يمتصها، وقد صرف كثيراً على العمليات التي أجريت له في المعدة واضطر إلى أن يصحب معه طباخاً خاصاً يهيىء له طعامه أينما ذهب، لأنه لم يكن يستطيع أن يتناول طعاماً في أي مطعم بسبب مرض معدته، وكان يحمل معه صندوقاً معمولاً على هيئة خزانة يحمل فيه آلافاً من المعدات التي كان يستعملها في تمثيله لأدواره الهزلية. وقد كانت لديه مجموعة من أكبر المجموعات في العالم للمعدات الهزلية، ورغم ذلك فإنه لم يكن يستعمل الهزل إلا على خشبة المسرح. وكان يبدو رزيناً جاداً في حياته العادية. وقد اشترك في ست روايات كوميدية موسيقية في برودواي. ولكنه مع ذلك كان يجهل الرقص والغناء جهلاً تاماً. وكان يعتبر أشهر عازف

على الناي في الولايات المتحدة. ولكنه لم يستعمل الناي في الروايات التي مثل فيها، وربح عشرة جنيه في تمثيلياته عن باريس.. ومع ذلك، فإنه لم يكن قد رأى باريس في حياته أبداً، وقد كان يلتزم لبس حذائه الخاص على المسرح مدة ستة عشر عاماً. وقد كان هذا الحذاء أول حذاء لبسه عندما مثل دور الرجل العجوز، وكان يعتقد أن هذا الحذاء يجلب له الحظ فكان يصر على ترقيعه كلما بلي، ولا يستبدل غيره به.

وعندما كان يقوم بتمثيل رواياته في فلادلفيا، وقع في غرام فتاة من مونتانا سحرته برقتها ولطفها وجمال خلقتها.

و «جاك» الذي لم يكن يبالي بآلاف الأعين وهي ترنو إليه حين يقوم بأداء أدواره على المسرح ـ تلعثم وأصابته الرجفة عندما ذهب لفتاته ليخطبها فاستأذنها وانصرف إلى غرفته في الفندق، وهناك رفع سماعة هاتف وبثها غرامه وعرض عليها خطبته، فقبلت وتزوجها وأنجبا أربعة أطفال.

وبعد أن ربح كثيراً من كتابه «الخصوصيات» ألف كتاباً آخر أسماه «دارسو الحبوب يحطمون الصور على شاشة السينما» ولكن هذا الكتاب لم يجمع ما صرف على طبعه من المال.

هتــي جريـــن

المرأة التي كانت تبيع جريدة الصباح مرة أخرى بعد قراءتها وتمضي الساعات في تبويب أكياس الخيش لتزيد في ثروتها المقدرة على الأقل بثلاثة عشر مليوناً من الريالات.

هتي جرين كانت في أيامها تعتبر أغنى امرأة في أمريكا، وعندما توفيت قدرت ثروتها في الأقل بمبلغ ١٣،٠٠٠،٠٠٠ بثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات وأوصلها بعضهم إلى عشرين مليوناً، ومع ذلك فإن أية خادمة بسيطة كانت تلبس فستاناً أحسن مما كانت تلبسه هتي جرين وتأكل أحسن مما كانت تأكل وتنام على فرش أوثر من فرشها. كان مدخولها جنيهاً واحداً في الدقيقة أو ستين جنيهاً في الساعة ومن شدة حبها للمال ـ كانت تشتري جريدة الصباح لتقرأها ثم تبيعها مرة أخرى، وفي أيام الشتاء كانت غالباً تلف نفسها بورق الجرائد القديمة لتقيها شر البرد، كانت تملك عدداً من الأسهم في شركات السكك الحديدية وكانت متعهدة لبيع الأقفال والبراميل وأشياء أخرى لهذه الشركات، ولكنها عندما كانت تسافر فيها لم تسمح لنفسها بالركوب في العربات المرفهة والمزودة بالأسرة للراحة والنوم فكانت تجلس طيلة الليل على مقعد الركاب العادي وتنام عليه.

واستضافت مرة أصدقاءها لحفلة عشاء وعينت لهم أحد الفنادق الفخمة

في بوسطن، وقد استغرب كل المدعوين وانتظروا عشاءً فخماً ولبست السيدات منهن ثياب السهرة والرجال الثياب الخاصة بحفلات العشاء، والذي حصل بعد أن تم عقد المدعوين، أن قامت المضيفة وسارت بضيوفها خارج الفندق ومشت بهم مسافة طويلة إلى مطعم متواضع وقدمت لهم وجبة لا تزيد قيمتها على شلن واحد، وعندما كانت تعيش في بوسطن كانت تأكل في مطعم متواضع لا تزيد قيمة الصحن الذي كانت تأكله من الخضر على بنس ونصف بنس، والفطيرة التي معه على بن «جزء صغير من البنس» وكان دخلها في ذلك الوقت أكثر من أربعة بنسات في الثانية ويعني ذلك أنها لتعادل بين مصرفها ودخلها، عليها أن تأكل أربع فطائر في الثانية!

وعندما بلغت الثانية والسبعين من عمرها سألها مخبر صحفي عن سر احتفاظها بنشاطها وصحتها، فأجابت بأن وجبة طعامها تتكون من قطعة لحم من الورك وبعض البطاطس المحمرة وقدح من الشاي، وشيء من الحليب في صباح كل يوم، ثم بعد ذلك تمضغ بصلاً طوال اليوم لتقتل به الجراثيم الموجودة في قطعة اللحم وكمية الحليب، ولم تذكر لسوء الحظ ما الذي كانت تمضغه لتقتل به الجراثيم الموجودة في البصل! وفي أحد أيام الصيف المحرق عام ١٨٩٣ زحفت «هتي جرين» إلى داخل مستودع في الطابق الثاني من الدار التي ورثتها عن أبيها حين كانت شمس يوليو المحرقة تكاد تصهر سقف الطابق المصنوع من الحديد، وتشتغل هتي جرين في ذلك الجو المحرق عدة ساعات، وماذا كانت تشتغل؟! كانت تبوب أكياس الخيش الأبيض منه والملون، إلا أن قيمة الأبيض في الأُقة الواحدة تزيد نصف بني على قيمة الملون! وكانت تقضي أكثر أوقاتها في

مسالك (وول استريت) تتبع سير فوائدها وأرباحها، وكان من الخطورة بمكان ـ وهي تعرف ذلك ـ أنها لو استأجرت شقة في نيويورك أو حتى امتلكت قطعة من الأثاث في الولاية، فإن جامعي الضرائب سيلاحقونها ليأخذوا ضريبة تقدر بستة آلاف جنيه أسترليني سنوياً، فهي لتحتال عليهم وتراوغهم تنتقل على الدوام من غرفة رخيصة للإيجار إلى غرفة أخرى رخيصة، فكان حتى أقرب أصدقائها لا يعرفون مقراً لها أكثر الأوقات، وكانت تسكن تحت أسماء مستعارة وتلبس ثياباً مهلهلة وتحمل حقيبة قذرة حتى إن أصحاب الغرفة المستأجرة يشكون في قدرتها على الدفع فيطلبون الأجر مقدماً.

وعندما تقدمت في السن حصلت حادثة مدهشة! فقد أقنعها صديق لتصرف ستين جنيهاً للقيام بعملية تجميل، وقد تعهد بها الطبيب أن كل دورة في العلاج ستكسبها الرجوع إلى الشباب لمدة سنة، وكانت تصر على عدم إمضاء شيكات مسبقاً، فقد كانت تخشى أن يقلد إمضاءها محتال، فشيكاتها لا تمضى إلا حين التسلم، وكانت لا تمزق الظروف التي تصلها بالبريد بل كانت تحرر رسائلها على الوجه الثاني من تلك الظروف وكان ذلك يوفر لها إعادة كتابة اسمها والإمضاء عليها.

وقد قال لي صديق اشترك في تأليف كتاب اسمه «هتي جرين المرأة التي أحبت النقود!» قال لي إن هتي جرين اعتادت أن تحفظ رصيداً ضخماً في البنك الأهلي في نيويورك. وهكذا اتخذت من بناية البنك بيتاً لها فكانت تحفظ حقائب أمتعتها وحقائب ملابسها في بناية البنك وتترك الكراكيب في أحد مخازنه تحت الأرض؛ وأحضرت مرة سريراً قديماً عشّشَ فيه البق وأودعته في الطابق الثاني من بناء البنك، وكانت كلما يعوزها السكن الذي

تريده ترمي أمتعتها إلى البنك، ومع كل ذلك فقد كان لها قلب رحيم ومساعدات بشتى الوسائل!.. وعلى سبيل المثال كان أحد خدام البنك وهو رجل عجوز قضى عمره في مسح وتنظيف زجاج وأبواب البنك وأعمال المراسلة، كان هذا العجوز قد فصل من عمله، وأسفت هتي جرين وحزنت لحاله وقضت أسبوعاً كاملاً من وقتها تفتش له عن عمل ولم تتركه حتى اشتغل! توفيت هتي جرين في سن الواحدة والثمانين بمرض شلل مفاجىء أصابها، ولم تأذن للممرضات اللاتي قمن بتمريضها في فترة مرضها القصير أن يرتدين ثياب الممرضات، وطلبت أن يكن في لباس الخادمات العاملات، لأن المرأة العجوز لم ترد أن تعترف أنها استخدمت قسماً غير عادي من الناس ودفعت لهم أجراً كبيراً وهي في آخر مرحلة من مراحل حياتها، فإن ذلك ربما يجعلها تموت غير مطمئنة.

التفاصيل التي لم تستطع الأفلام عرضها في حياة فارس البنغال (فرانسيس ييست برون)

قبل ما يقرب من عشرين عاماً كان يجلس أمامي في داري شاب نحيل الجسم، حاد النظرات، كان يتحدث في سهولة وانطلاق بهرني بسحر حديثه، فكنت أستمع إليه مبهوتاً دون أن أشعر بمرور الساعات، كان يتحدث عن بلاد ألف ليلة وليلة، عن الشرق.

كان سنه في ذلك الحين تسعة وثلاثين عاماً. ومنذ كان في التاسعة عشر، تعرض للموت عدة مرات في عدة ميادين. وقد أسر في بغداد والقسطنطينية، وحارب الترك في صحاري العراق المحرقة، والألمان في أراضي فلاندر المليئة بالأوحال، وألف كتاباً أسماه «السنون المخضبة بالدماء» ومع ذلك فقد وجدته «كلورنس» هادىء الطبع يميل إلى التحدث عن الأدب والفلسفة ويكره الحديث عن الحرب.

لم تكن حالة «ييست برون» تساعده على طبع ونشر الأحداث التي مرت عليه أثناء خدمته العسكرية مدة اثنتين وعشرين سنة. وفي شبابه لم يكن يتصور ما خبأه له القدر من الحوادث والمفاجآت. ومع ذلك فقد قابلها كلها بصبر وثبات ورحابة صدر. وقد اكتسب صفة فلسفة التسليم للقدر من

بلاد الشرق، تلك الصفة التي امتاز بها الشرقيون، عاشر الدراويش وأصبح من حواريهم. درس على رجال الدين بحثاً عن الأسرار، لم يعش «ييست برون» عيشة رتيبة واحدة كما يعيش أحدنا، ولكنه عاش في أشكال متغايرة متعددة، وعندما كتب أخيراً قصة مغامراته المحمومة التي فصل فيها تلك المغامرات سمى كتابه: «حياة محارب في البنغال» فكانت أنجح قصة مثيرة في عام ١٩٣٠م، وأعظم فيلم أنتجته هوليود، وشغف به الناس في كل مكان، ولكنه ككل فيلم أنتجته هوليود لقصة حياة حقيقية، انحرف كثيراً وبعد كل البعد عن الحقائق المثيرة التي عاشها «ييست برون».

كان عمر «فرانسيس ييست برون» تسعة عشر عاماً عندما لبس لأول مرة الزي الرسمي لفرقة الفرسان الملكية في البنغال، بدلة جذابة المنظر ذات لونين: أزرق وأصفر وعمامة باللون نفسه، أعظم فرقة يعتز أفرادها ويفاخرون بأناقتهم وقوتهم وشدة بأسهم وأعظم فرقة تعتز بها ملكة بريطانيا في أقاصي مستعمراتها. ينتقى أفرادها انتقاءاً، وهي ألمع وأقوى فرقة في الجيش البريطاني تهدد بها حكومة جلالتها كل من يتحرك أو يرفع رأسه، ومع ذلك لم يكن يدفع لهم شيء يذكر، عشرة جنيهات في الشهر وهم مكلفون بعلف أفراسهم وتجهيز أسلحتهم، ولم يكن أفراد هذه الفرقة يذهبون إلى الهند طلباً للمادة، ولكن للغواية والمغامرة وطلباً للشهرة والمجد، يذهبون إلى الهند مندفعين بالعقائد التي حملت كتشنر وكوردن وسير فرانسيس دران وسير والتر، إلى الوصول إلى أقصى حدود الأرض.

كان أفراد الفرقة يقومون في الساعة الخامسة صباحاً ويقومون بتمريناتهم العسكرية عدة ساعات، حتى ترتفع الشمس وتحمى بنادقهم فلا يستطيعون مسكها من شدة حرارتها، وعندما تكون درجة الحرارة عالية في الظل كانوا

يجدون متعتهم في لعبة كرة الخيل. انحلت أجسامهم ضربات الشمس وفتكت فيها حمى الملاريا.

وأخبرني «ييست برون» بأن أقسى مغامرة يقومون بها في الهند هي صيد الخنازير البرية بالرماح، وطريقتها أن يجري الصياد في صحراء مليئة بأشجار الشوك وراء الخنزير البري في مسالك صخرية حادة وليس لديه من السلاح سوى عصا من نبات «البومبو» مثبت في نهايتها رمح، وليس في الحيوانات المفترسة أكثر شراسة من الخنزير البري المصاب، فهو يزن ثلاثمائة رطل وشعره خشن كالشوك، وهو مراوغ كالثعلب وشجاع كالأسد، وسريع في العدو سرعة الفرس الأصيل، والدخول معه في معركة بعد إصابته معناه الموت المحقق.

وطلبت من «ييست برون» أن يحدثني عن أخطر موقف في حياته: فقال: حدث ذلك في أحد الأيام عندما خرج لصيد الخنزير البري بالرمح وكان معه رجاله حينما أثاروا خنزيراً برياً كبيراً كان يحتمي بين أشجار الشوك، وانزعج الحيوان وجرى بكل قوته في المسالك القوية مكشراً عن أنيابه الكبيرة، فبدت تلمع في وهج الشمس واقتفى أثره «ييست برون» وعندما اقترب من الخنزير وغرز فيه رمحه تعرقلت فرسه فانطرحت على الأرض فوق الخنزير وانطرح ييست فوقهما وشكلوا كوماً متشابك الأرجل يعرقل بعضه بعضاً: «ييست» مشتبك في قوائم فرسه التي كان يرفس بها يحاول التخلص، والخنزير البري وقد آلمه الرمح المغروز في جسمه يحاول التخلص من الرمح والدفاع عن نفسه، ولهثت الفرس ووقفت على قدميها وتخلص الخنزير من الرمح وقفز «ييست» على قدميه وألقى بنفسه على شجرة من الشوك محتمياً بها وبقى هناك حتى وصول رجاله فأنقذوه.

وكان قد فقد أسنانه وانفك عظم إبهامه وتجرح كل جسمه وفي كل موقع منه ومات الخنزير متأثراً بجروحه والوحيد الذي لم يصب بأذى كانت الفرس فوقف يرعى بكل هدوء وعدم اهتمام.

ولعلّ أغرب ما مر به في مغامراته في الشرق تلك الفترة التي عاشها متنكراً في زي امرأة.

فعندما كان يحارب في العراق وقع أسيراً لدى حكومة الأتراك، وأخذ مع الأسرى إلى معسكر استنبول، واستطاع أن يهرب من معسكر الأسرى، ولكنه لم يستطع الخروج من المدينة فقد كانت السلطات التركية تبحث عنه بكل اهتمام، وكان اهتمامهم في البحث عن ضابط بريطاني أعطوا أوصافه ولم يتطرق إلى أذهانهم الشك أبداً في المربية الألمانية التي اعتادت أن تقابل أميراً روسياً في أحد المقاهي، وقد كان الأمير الروسي مراقباً أيضاً، ولكن عواطف الأتراك الرقيقة لم تشأ أن تعكر صفو الأمير وهو يغازل المربية، وهذا وضع لا علاقة له بالسياسة، فكان «ييست» عندما يحضر إلى المقهى لمقابلة الأمير في ثيابه التنكرية لمربية ألمانية، على رأسه قبعة عريضة وعلى وجهه برقع خفيف، وحول كتفيه فرو من جلد الثعلب، وفي يديه قفاز ناعم، يقف الأمير على قدميه وبكل احترام يأخذ يد المربية الألمانية ويضع عليها قبلة حارة.

ويعجب هذا المنظر الرومانتيكي، البوليس السري التركي المراقبون للأمير فيضحكون منه ويهزون أكتافهم استلطافاً، وهكذا وبفضل رقة عواطف البوليس التركي، أصبح من حق الأمير المراقب أن يعيش عيشة عاطفية، ولم يطق أن يستمر في التنكر في دور «مودموزيل جوزيفين»، لأن ذلك التنكر لم يعطه فرصة لمغادرة المدينة، فتنكر مرة أخرى في زي

ميكانيكي هنغاري عاطل عن العمل، فأطلق شاربيه ولبس بدلة عمالية وقبعة مفلطحة ومنظاراً عريض الإطار وقميصاً مبقعاً وانتعل حذاءً من المطاط وظهر كأنه أحد ممثلي الكوميديا، ومع ذلك فإن الأتراك لم يشكوا في أنه ميكانيكي متعطل عن العمل.

ولم يطل به العهد في هذا التنكر فقد قبض عليه أخيراً وأودع المعسكر مرة أخرى وشددت عليه الحراسة.

واستطاع مرة أخرى أن يهرب بعد أن تنكر في زي الأسرى اليونان الذين كان يسمح لهم بالتجول في حديقة المعسكر.

وقد سألته عن أبشع منظر وقع عليه نظره أثناء اشتراكه في الحروب،

فأجاب بأنه عندما كان أسير حرب عند الأتراك أجبر على السير على قدميه مائتي ميل إلى معسكر الأسرى، ومر في طريقه على بلدة كان أثر الحرب فيها قاسياً حيث أصبحت خالية من السكان تماماً. فقد عمل جنود الأتراك على تقتيل وتشريد جميع سكان أرمينيا وقراها، فكانت تسودها رهبة الموت وسكونه، ولم يقع نظره إلا على بعض الكلاب تتسكع في الشوارع والأزقة الصامتة بالأفق الرهيب.. فكان لذلك أبشع أثر في نفسه على قساوة الإنسان ضد أخيه الإنسان.

ولسن

«لقد واتته أعظم فرصة لتغيير مجرى التاريخ وتوطيد دعائم السلام، ولكنه فشل لأنه لم يستطع أن يسوس معارضيه».

يحق لنا أن نتساءل: أي نوع من الرجال كان الرئيس ولسن، فقد وصف بأنه من أنبغ رجال زمانه ووصف أيضاً بأنه من أفشل الناس؟!

لقد تخيل السلام يرفرف على العالم بالوسيلة التي اقترحها ـ تكوين عصبة الأمم، ـ وفي محراب تخيلات تكوين هذه الهيئة كرس على حيويته وأنفذ كل قواه.

وماذا حدث بعد كل هذا المجهود؟ لقد مات ولسن محطماً على محراب مبادىء مثله العليا.

عندما أبحر الرئيس ولسن عام ١٩١٩م إلى أوروبا، كانت الجماهير تهتف باسمه وتدعوه المنقذ، فقد خرجت أوروبا من الحرب دامية الجروح وما زالت دماء أبنائها تقطر وعويل الأرامل من نسائها يتردد، وأقام الفلاحون الجائعون الحفلات وأوقدوا حول صوره الشموع ورفعوا أصواتهم بالدعاء، والتهليل لداعية السلام.

لقد وقف العالم كله على قدميه ينتظر أن ينعم بالسلام الشامل على يديه.

وبعد أن أمضى ثلاثة اشهر في أوروبا، عاد إلى وطنه كسير الفؤاد حزيناً، فقد فشل في توطيد دعائم السلام وأبعد عنه كفاحه من أجل تثبيت مبادىء السلام الكثير من أصدقائه وخلق له الكثير من الأعداء، لقد عجز أن يكبح جماح المطامع وأن يأخذ للضعيف حقه من الأقوياء..

إن المؤرخين يصورون الرئيس ولسن أستاذاً متفوقاً مترفعاً عن مواطنيه تنقصه الكياسة الاجتماعية، ولكن الحقيقة عكس ذلك تماماً، فقد كان ولسن شديد التقدير لمواطنيه يبذل كل جهده لتقربهم وتوحيد مقاصدهم ووسائلهم وغاياتهم، وكان يتألم لما في طبيعته من خجل يبعده عن الناس، وكان يقول: «وددت لو دفعت كل ما أملك لأبعد عن نفسي طبيعة الخجل والانكماش، لقد جاهدت كثيراً لتغيير طبعي لكنني لم أفلح» ومع ذلك فقد كانت تستخفه النشوة في بعض الأحيان، فعندما كان أستاذاً في الجامعة قفز مرة إلى ميدان كرة القدم وقاد اللعبة بين ابتهاج اللاعبين وسرورهم، وكان مرة في (برمودا) فاستخفه منظر البحارة السود فأخذ زورقاً واختلط بهم وجعل يتحدث معهم.

والرئيس ولسن هو الأستاذ الوحيد الذي جلس على كرسي الرئاسة في البيت الأبيض، ومع ذلك فإنه لم يتعلم القراءة والكتابة إلا بعد أن بلغ الثانية عشرة من عمره، وكانت أحب الكتب التي ينهمك مسترخياً في مطالعتها القصص البوليسية ولم تكن له عناية بالفنون وكان يقول «لأن تحتفظ بالمعدن الخام تستطيع أن تبيعه بما يسد الحاجة خير من أن تحتفظ به مزركشاً».

هذا الأستاذ الذي أمضى حياته بين الكتب وفي جو علمي بحت، كان يفضل مشاهدة المسرحيات الهزلية على أن يقضي وقتاً في مشاهدة روايات

شكسبير، وكان يعلل ذلك بأنه لا يذهب إلى المسرح ليتعلم ولكن ليتسلى، وعندما كان يشغل مركز الرئاسة في البيت الأبيض كان يذهب كل أسبوع تقريباً لمشاهدة التمثيل المختلط.

عاش ولسن أكثر أيام حياته فقيراً، وعندما كان يشتغل مدرساً كان راتبه ضئيلاً فكانت زوجته تضطر لأن ترسم بعض اللوحات لبيعها وسد نفقات البيت. ولما عين أستاذاً في الجامعة، لم يكن يستطيع أن يجاري زملاءه في شراء الملابس الأنيقة فنشأت عنده عادة عدم الاهتمام بالملابس، فكان وهو رئيس للولايات المتحدة لا يهتم بمظهره كما كان يفعل الرئيس لينكولن، فقد ألح عليه خادمه مرة ـ وهو في البيت الأبيض ـ أن يأمر بتجديد بطانة إحدى بذلاته التي كانت تبدو غير لائقة، فأجابه ولسن: «لا تقلق فما زالت بذلتي صالحة للاستعمال سنة أخرى».

وكان أيضاً لا يهتم بطعامه مثل الرئيس لينكولن فهو يأكل كل ما يقدم له، وكثيراً ما كان لا يدري نوع الطعام الذي قدم إليه، ودخن مرة واحدة في حياته سيجاراً ولكنه أصيب بالدوار قبل أن يتم تدخينه.

وكان كل بذله وسخائه في شراء الكتب وكان يطوي تحت مظهره الذي ينم على البر وسعة الصدر طبيعة حادة سريعة الانفعال والتأثر وقال عنه أصدقاؤه المقربون إنه أكثر حدة في طبيعته من الرئيس روزفلت. وكان شديد الوفاء والتقدير لزوجته فمن أول الأعمال التي قام بها عندما عين رئيساً للولايات المتحدة أن أشتري لزوجته طقماً من الفرو الثمين وحينما توفيت بعد سنة من ذلك التاريخ لم يسمح بدفنها لمدة اثنتين وسبعين ساعة وأمضى ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ وهو بجانب سريرها حزيناً.

واشتهر ولسن بعلمه وسعة ثقافته ولكن ميله للغات كان ضعيفاً. ولم تكن له صلة بكبار أدباء عصره ولم يكن يعتني بالعلوم الطبيعية والفلسفية. حاول في مبدأ حياته أن يشتغل محامياً ففشل، فلم يتح له أن يتولى الدفاع ولا عن قضية واحدة والشخص الوحيد الذي أتيحت له إدارة أملاكه هو والدته.

وربما كان العيب الكبير في شخصية ولسن هو قصر نظره. كان طموحه في حياته منذ صغره أن يكون خطيباً مصقعاً، فكان يتمرن على الإلقاء في غرفته ساعات طويلة، ولأجل أن يعد نفسه إعداداً كاملاً للخطابة كان يتبع جميع الوسائل التي كان يظن أنها توصله إلى غرضه حتى ولو كانت تلك الوسائل تبدو سخيفة بعض الأحيان، وعلى سبيل المثال، فقد كان يضع أمامه على الحائط خريطة تمثل الحركات الخطابية المناسبة، ولكنه أهمل الشيء المهم أهمل أن يتمرن كيف يسوس الناس! فقد عاش أيامه الأخيرة في سلسلة محزنة من تنكر الأصدقاء وأصبح زعماء المجلس الاستشاري خصوماً له وخذله أشد أصدقائه صلة به، وأخيراً أغضب الكثيرين من أبناء بلدته لأنه ألزمهم أن لا ينتخبوا غير أعضاء الحزب الديمقراطي. وعندما عارض المجلس الاستشاري اقتراحاته لقيام عصبة الأمم، أهمله واتصل رأساً بالجماهير يطلب تأييدها.

كان ولسن ضعيف البنية دائم التمرض ولكنه كان يهمل نصائح أطبائه. وهذا الأستاذ النابغة الذي كان يهز المحافل بخطبه الرنانة أصبح في الأيام الأخيرة من رئاسته للولايات المتحدة منهوك القوى محطماً وضعيفاً، حتى إنه كان لا يستطيع أن يمسك القلم للتوقيع إلا بمساعدة شخص آخر؛ وعندما اعتزل منصب الرئاسة كانت داره في واشنطن مقصداً للزائرين

يقصدونها من كل الجهات مستفسرين عن صحته داعين له، وحينما لفظ أنفاسه الأخيرة باتت الجموع تحتشد على الأرصفة وأمام داره تبكيه وتدعو له بالمغفرة.

لورانس تايبت

في عام ١٩٢٢ كان لورانس تايبت يعيش في ضاحية من ضواحي لوس أنجلس يكافح بجهد لكسب لقمة العيش، كان يغني في فرقة الكنيسة كل يوم أحد ويكسب حسب التيسير في كل فترة وأخرى جنيهاً من الغناء في حفلات الأعراس، وقد أمضى في المدرسة أعواماً عديدة ولكنه لم يستطع أن يفوز، كان له صديق يدعى روبرت يؤمن بقدرته قال له هذا الصديق ـ إن لك موهبة صوتية عظيمة ويجب أن تنتقل إلى نيويورك لتدرس، وكان هذا التشجيع المتواضع عاملاً قوياً ليكون نقطة التحول في حياة تايبت، فأوجد في نفسه روح الأمل واستدان مبلغ خمسمائة جنيه وتوجه نحو الشرق، وتحدث إلى نفسه: ما الذي سيحدث لو قدر لي أن أفشل؟ حسناً لو حصل هذا فسأعود إلى كاليفورنيا وأعمل في شركة بيع سيارات النقل! هذا كان تفكيره في عام ١٩٢٢ فما هو مقدار نصيبه من العمل اليوم في مكتب بيع سيارات النقل؟ إنه فوق ذلك بكثير، إنه يبيع إنتاجه في مجموعات ضخمة في مدينة هوليود ومن المحتمل أن تكون قد رأيت أيها القارىء صوراً عاطفية ذات أثر بالغ في أغانيه المعروضة على الشاشة وسمعت صوته العذب خلال الأثير، ولعلّه يدهشك أن تعرف أنه يأخذ ستين جنيهاً في الدقيقة أو جنيهاً في الثانية ليغني لك.

في عام ١٩٢٢ كان لورانس تايبت في حالة من الفقر بحيث لا يستطيع

أن يدفع أجر المسكن داخل البلدة، فاستأجر مسكناً في الريف، ومن حسن حظه أن سكنه كان يقع وسط كرم فكان يحصل على فرط العنب المتساقط من شجر الكرم ليعيش عليه مجاناً، وقال مرة إنه كانت تمر عليه أيام لم يجد فيها شيئاً يأكله غير العنب المتساقط، وكانت أجرة السكن في الشهر جنيهين وعشرة شلنات وهي على قلتها كان يعجز في بعض الأحيان عن دفعها من عمله كمغنٍ، وتراكمت عليه مرة أجرة عشرة شهور فاضطر للعمل في المزرعة يقطف العنب ويشذب أشجاره ليسدد الدين، كانت أجرة البيانو الذي يعزف عليه جنيهاً في الشهر، وكان لا يستطيع وضعه في الغرفة الأمامية، لأن المسكن القديم الذي يسكنه كان يقع على منحدر فوق حافة تل وكانت الواجهة تستند على أعمدة خشبية عالية، فكان يخاف أن ينزلق البيانو على الأرض ويتدحرج بين أشجار الكرم حتى يصل إلى سفح التل. وعندما وصل إلى نيويورك لم يكن في استطاعته أن يشتري تذكرة من الدرجة الدنيا للدخول في دار أوبرا متروبوليتان، فكان يدفع عشرة شلنات ليستطيع أن يقف في موضع خلفي من الأوبرا الشامخة ليسمع القطع الخالدة لسكوني والحسناء ماري قارون.

وكان في تلك الأيام يقترض من أصدقائه ليدفع أجرة الدراسة والغرفة التي يدرس فيها، ومع ذلك وبعد عشر سنوات، كان هو نفسه يتمخطر باعتزاز على مسرح متروبولين الشامخ يثير إعجاب الجمهور المجنون ويتقبل عشرات الدعوات بالعودة إلى الجمهور ليتقبل تحياته وإعزازه على أغنياته التي امتازت بالتفرد. . وأصبح صوته اشهر صوت عرف لمغنٍ فنان في العالم.

في كل عام يفد على نيويورك مئات من الشباب الطامحين ومعهم مؤهلات صوتية صالحة وفي نفوسهم رغبة للشهرة والمجد والجاه والمال، وكنت

أعجب كيف يضل هؤلاء سبيلهم ويفشلون! وسألت لورانس تايبت عنهم فقال: تسعة وتسعون من الألف أو الأغلبية من هؤلاء لا يفشلون لأن أصواتهم غير صالحة ولكن لعجزهم عن تطبيع أصواتهم مع أمزجة الجمهور، المهم أنهم يفشلون لنقص في كفاءتهم الاستعراضية ولنقص كفاءتهم في الاستيلاء على جمهورهم بجعله يحس بصدق التعبير وحسن الأداء.

عاش لورانس تايبت طفولته في الحقول في كاليفورنيا حيث كان والده من رعاة البقر يركب معها لحمايتها ويعمل في بناء أسوار حظائرها ويرعى نتاجها ويحارب عصابات السطو عليها، وكان الرجل العجوز يحمل في حزامه مسدساً كبيراً زين مقبضه باللآلىء، وكان مصوباً ماهراً قتل اثنين من عصابة رجال السطو على الماشية وهو الآن (شريف) ضاحية كرة في كاليفورنيا، وفي بيته ترسانة منظمة للأسلحة ويحتفظ بكلب سلوقي ضخم له أذنان طويلتان وفي عينيه نظرة حزينة مربوط بسلسلة طويلة في فناء الدار. وعندما يحدث أي سطو على الماشية في المنطقة، يدق جرس الهاتف في دار الشريف فيخطف الشريف تايبت بندقيته ويقود كلبه ويخف إلى مكان الحادث ويترك الكلب يقتفي الأثر ويسير ـ رود ـ وهذا اسم الكلب العجوز وهو يعوي يقطع الحقل ويتسلل بين أشجار البساتين ويجري خلفه الشريف تايبت والمقود في يده يلوح بذراعه ويصيح هيا! يا رود اقبض عليه حالاً، اقبض عليه حالاً، ولكن رود بدلاً من أن يقبض على المجرم كان يصل بالشريف إلى بقرة عجوز أو ذئب فلاة. وكان يخيل لتايبت الصغير أن العمل (كشريف) يبدو مثيراً ولامعاً، لذلك كان يطمح في طفولته أن يكون شريفاً كأبيه، وفجأة حصل ما لم يكن الحسبان.. وقعت دراما محزنة فقد أصيب والده برصاصة وقتل في قتال مع «جم مكني» أحد المشهورين في السطو على البنوك والمقاتلين الذين لا يخطئون الهدف في الناحية الغربية، وكان

لهذا الحادث أثره في تغيير خطط لورانس كلها ـ فقد كان والده متديناً شديد التمسك يقاوم بشدة التدخين والرقص ولعب الورق والحضور في المسارح، وقد قال لي تايبت إنه لولا أن والده قد قتل فإنه لم يكن ليجسر أن يعمل كمغنٍ وممثل، ولا يزال تأثير تربية والده في نفسه حتى الآن: فهو لا يدخن أكثر من سيجارة واحدة طوال العام، وعندما يدخن يشعر بأنه يقوم بعمل خاطىء جداً وأن الشيطان يقف بجانبه في تلك الساعة يغريه ليحطمه. وعندما كان غلاماً في المدرسة الإعدادية لم تظهر عليه دلائل النجابة قط كانت والدته تدير بنسيونا ولم يكن عنده غير بذلة واحدة وكان البنطلون قصيراً جداً ولم يكن يستطيع أن يقدم لفتاته التي كان يفضلها كاس آيس كريم صودا، وكان رفقاؤه التلاميذ ينتهرونه ولا يلقون له بالاً، فعزم على أن يثبت شخصيته ويكتسب تمييزاً، فحاول أن يكون عضواً في نادي المدرسة فلم يمكنوه من ذلك، وحاول أن يكون له نصيب في الألعاب فلم يعره أحد اهتماماً وعندما وقف هذا الغلام الذي قدر له أن يكون أشهر مغنٍ في العالم أنجبته كاليفورنيا ـ ليغني مع أفراد جوقة المدرسة أصاب البرود جسمه واعترته الرعشة والذهول، ولم تلمع في صوته لمعات العبقرية إلا بعد أن تخطى الثانية والعشرين من عمره، ويقول تايبت:

الموسيقى العظيمة هي التي تهز مشاعرك هزاً وإن قسماً كبيراً من موسيقانا جيد وجيد جداً وقطعة (نهاية يوم) من أوسع الأغاني، انتشاراً وكلماتها من أفضل ما كتب في الأغاني ولقد اقتنى نسخاً منها خمسة ملايين من الناس. ويقول تايبت: إن تلك الأغنية المتواضعة هي أعظم الأغنيات وهو يعتقد أن أغنية (The Rha Pody Blue)، (Oldmariver) أجمل أغنية كتبها أكبر الكتّاب الأحياء.

قيصر روسيا الكبير . .

عندما فكر بيتر قيصر روسيا الكبير عام ١٦٩٧م في رفع مستوى الأمة الروسية لتقف على قدم المساواة مع الأمم الغربية، اقتنع أن أمته لا يمكن أن تصل إلى هذا المستوى الرفيع ما لم تنهل من مناهل العلوم والفنون التي سبقتها إليها أمم الغرب. ورسم خطة قام هو بنفسه في تنفيذها، فبدأ برحلة إلى إنكلترا وألمانيا وهولندا ورفض في رحلته هذه أن يحاط بحاشيته أو تقام له مراسم، واختار أن يسافر في ثياب نجار من نجاري البواخر وبدأ يمارس جميع مراحل العمل كعامل متمرن.

وكان كلما نزل إلى بلد تعرف بأصحاب المهن والأعمال الهندسية والميكانيكية ليكتشف أسرار مهنهم وقد أكسبته بشاشته وتودده وحسن معاملته محبة وتقدير الصناع وأصحاب المهن، فكان يغريهم على الهجرة إلى روسيا لينشروا فنونهم وصنائعهم بين أهلها، وهكذا اجتذب عدداً كبيراً من كبار رجال الصناعات الغربية إلى بلاده.

وعندما عاد إلى روسيا ما زال يختلط بهم ويعمل معهم كصانع متمرن في أنواع الحرف. وعمل حداداً فصنع أحد عشر قضيباً من الحديد ثم باعها كأي صانع محترف واشترى بثمنها زوج حذاء كان يعرضه على رجال حاشيته وزواره ويعتز به كأشرف كسب لأشرف إنسان.

القبطان روبرت فولكن سكوت

لم أقرأ في حياتي قصة تتجلى فيها روعة الشجاعة وقوة الشخصية وتحمل قسوة الظروف مثل قصة القبطان روبرت فولكن سكوت، الشخص الثاني الذي تمكن من الوصول إلى القطب الجنوبي، فإن الصورة الرائعة التي قابل بها سكوت ورفيقاه الموت في متاهات رؤوس الجبال الثلجية، لا تزال تحتفظ بسلطانها في السيطرة على النفوس والمشاعر.

ووصل خبر وفاة سكوت ورفقائه في تلك الأصقاع النائية إلى إنكلترا في ظهيرة يوم مشمس من شهر فبراير عام ١٩١٣ تفتحت فيها الأزهار في حديقة (ريجنت) وصعقت إنجلترا وعاشت في ذهول لم تعش مثله منذ وفاة ولسن العظيم.

وبعد اثنين وعشرين عاماً من هذا التاريخ، قررت إنجلترا أن تحتفل بذكراه فأسست متحفاً لآثار جهود مكتشفي القطب، وهذا المتحف يعتبر المتحف الأول من نوعه في العالم، وحضر افتتاح المتحف جميع الرواد والمكتشفين في العالم وقد نقشت على مدخل المتحف بالحروف اللاتينية هذه العبارة عن سكوت: «لقد حاول أن يكشف سر القطب الجنوبي فانكشف له سر الكون».

بدأ سكوت مغامرته المحزنة لاكتشاف القطب الجنوبي على السفينة «تارا»

وبمجرد دخول السفينة في المياه الجليدية حاصرتها المشاكل ولازمها سوء الحظ فكانت الأمواج الضخمة تهاجم هيكل السفينة وتكنس من فوقها كل الحمولة التي على سطحها، وأخذت مئات الأطنان من المياه طريقها بشدة إلى الداخل وغطست المحركات في مستنقعات المياه، ولمدة أيام طويلة كانت السفينة تترنح بين الأمواج وتغالب بشجاعة غضبات الطبيعة القاسية.

غير أن المصاعب الحقيقية التي واجهت سكوت وكانت طالعاً لسوء الحظ المستمر بدأت عندما بدأت قوى الحصانين «السيسي» تضمحل لهذين الحصانين اللذين أعدهما سكوت خصيصاً لهذه الرحلة وكان يؤمن بقوة عضلاتهما وقدرتهما على تحمل العواصف الثلجية، في فدافد سيبريا، فقد ترنحا على بساط الثلوج الناعمة التي كانا ينزلقان عليها في كل خطوة، ما أدى إلى كسر ساقيهما ثم إلى هلاكهما، وكذلك كان أمر الكلاب الثلجية التي ربيت تربية خاصة للسير على الثلوج فقد انغمست أرجلها في الشقوق الثلجية ولقيت حتفها بانقلابها وتزحلقها على حافات الثلوج المهلكة.. عندئذ سار سكوت ورفاقه الأربعة في الشوط الأخير من رحلتهم يسحبون مركبتهم الجليدية التي كانت تزن ألف رطل، وكانوا يتقدمون يوماً بعد يوم في طريق ثلجية وعرة يسحبون أنفسهم ويستنشقون بصعوبة بالغة الهواء الثلجي الذي كانت تغص به حلوقهم، ولم يشك أحد منهم شدة الصعوبات وعندما اقتربوا من نهاية سفرتهم المضنية التي لم يسبق لبشر مثلهم أن تحمل عناءها شعروا بانتصارهم الكبير.. انتصارهم على ارتياد القطب الجنوبي الذي لم تطأه قدم منذ بدء الخليقة حيث الجمود المطلق لا حياة ولا حركة ولا حتى أثر للطيور الضالة.

وبعد مضي أربعة عشر يوماً في صعود متوالٍ وصلوا إلى القطب، وكان وصولهم فشلاً ذريعاً وخيبة أمل قطعت نياط قلوبهم، فقد وصل إلى القمة

رواد قبلهم ووجدوا علماً نرويجياً يرفرف بعزة وشموخ فوق القمة يسجل الانتصار الأول للرائد الأول امندسن النرويجي.

وأدركوا أن الجهود التي بذلوها سنين عديدة في التحضير والشهور الطويلة التي تحملوا فيها المشاق قد ضاعت بسبق خمسة أسابيع قصيرة فقط وبقلوب مليئة بالخيبة أخذوا طريق عودتهم إلى الوطن، وكانت رحلة رجوعهم بداية فاجعة محزنة فقد كست العواصف الثلجية الحادة وجوههم وشعور لحاهم بطبقة سميكة من الثلج فكانوا يترنحون ويسقطون بعد كل خطوة يخطونها وكانوا يتأثرون بعد كل سقطة بجرح جديد يقربهم خطوة إلى الموت وتزحلق الضابط إيوان أقوى رجال الحملة وأكثرهم تحملاً وارتطمت رأسه بحافة ثلجية حادة فمات على الفور ووقع الكابتن «اوتاس» مريضاً إذ تجمدت ساقه، فلم يعد يستطيع المشي عليها إلا بمشقة، وقد حز في نفسه أن يتسبب في تأخير سير زملائه فضحى بنفسه ظناً منه أن تضحيته بنفسه قد تكون سبباً في نجاة رفقائه الذين أصبح هو سبباً في عرقلة سيرهم بسبب عدم قدرته على السير فأعلن في هدوء عندما جلسوا يستريحون: «سأتقدمكم، ولا تجهدوا أنفسكم في البحث عني» لقد تقدمهم فعلاً إلى عالم الخلود، ولم يعثروا على جثته فقد غمرتها الثلوج وإنك لتجد اليوم نصباً تذكارياً في الموضع الذي اختفى فيه كتبت عليه هذه العبارة: «هنا أدركت المنية بطلاً شجاعاً وإنساناً كاملاً».

وأخذ سكوت ورفيقاه الباقيان يترنحان قدماً نحو الهدف ولم يكن منظرهما يوحي بأنهما من البشر، فقد كانت أنوفهم وأصابعهم وأرجلهم هشة كالفشار من شدة البرد القارس.

وفي التاسع عشر من فبراير عام ١٩١٢ وبعد خمسين يوماً من سيرهم من

القطب، اختاروا موضع الراحة الأخير وكان لديهم من الوقود ما يكفيهم لعمل كوبين من الشاي ومن الطعام ما يقيتهم لمدة يومين. لقد ظنوا أنهم قد اجتازوا منطقة الخطر فلم يبق بينهم وبين المحطة الأخيرة لمستودع أرزاقهم سوى أحد عشر ميلاً. وقد ظنوا أنهم يستطيعون الوصول إليها في محاولة شاقة أخيرة، وفجأة اكتنفتهم الجائحة فهبت عواصف ثلجية حادة حفرت الأخاديد في الثلوج وكانت شديدة لا يستطيع أن يواجهها حي دون أن يسقط فاقداً للحياة، وبقي سكوت ورفيقاه في حصار في ملجأهم مدة اثني عشر يوماً ولم تنقطع العواصف أو تهدأ طيلة هذه المدة. . لقد تحملوا الجوع وألم التعذيب، لقد تحققت نهايتهم، وكان هناك طريق سهل يجنبهم كل هذا الألم وهذا التعذيب، لقد كانوا يحملون كمية كبيرة من المخدرات حملوها لتخفف آلامهم في مثل هذه المواقف الحرجة والضرورة الحتمية، وكان استعمال المخدر كفيلاً بتسكين آلامهم ونقلهم إلى غيبوبة حلم لذيذ إلى الأبد ولكنهم تمردوا ولم تمتد أيديهم إلى المخدر فقد صمموا أن يقابلوا الموت والألم بالشجاعة التقليدية التي اتصف بها قدماء الإنجليز.

وفي الساعات الأخيرة كتب سكوت رسالة للسير جامس بيري يصف فيها نهايته. لقد كانوا في أشد حالات الجوع وكان الموت يقف على رؤوسهم، ومع ذلك كتب «سكوت» يقول: «لعلَّك لا تجزع لو كنت تسمعنا ونحن نملأ خيمتنا بالأغاني المرحة».

وأخيراً وبعد مرور ثمانية اشهر وفي يوم بزغت فيه شمس القطب الجنوبي على ثلوجه اللامعة عثرت بعثة استكشافية على جثثهم مغمورة في الثلوج، ودفنوا حيث وجدوا ووضع على القبر لوح كتب عليه هذه الكلمة الجميلة: «قلوب شجاعة استسلمت للقدر ولكنها جاهدت بإرادة عنيدة لتبحث ولتجد ولم تذعن ولم تتزحزح عن بلوغ غايتها».

بسم الله الرحمن الرحيم

سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام

الرقم ١/١/١/ ٢٨٦٢
التاريخ ٢٩/١٢/١٤٠٩

خطاب شكر

المكرمه حياة عبدالحميد عنبـــر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته:ـ

وردنا خطابـك المرسـل فـي ١٤٠٩/١٢/٧هــ ، والمرفـق بـه نسخـة من ديوان " اللجين المذاب "

نشكـرك علـى مـا أبديتيـه مـن مشاعـر طيبـه ونتمنـى لـك المزيـد من النجاح واستمرار التوفيق .

ولكِ تحياتنــا ،،،،،

سلطان بن عبدالعزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الـــوزراء
ووزير الدفاع والطيران والمفتش العــام

٣ع٢٦/١٢/١٤٠٩هـ/خ

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
امارة منطقة مكة المكرمة

المكتب الخاص

الرقم : ٣٩٩١/م أ
التاريخ : ٢٠/١٢/١٤٠٩
التوابع :

حضرة المكرمه/ حيـــاة عبد الحميـد عنبـــر

السلام عليكم ورحمة الله وبركاتـــة ..

تلقينا رسالتكم المشفوع بطيها اهدائكم ديوان شعرى باسم (اللجين المذاب) وهو الأصدار الأول لوالدكم ((عبد الحميد عنبـر)) تغمده الله برحمتـه ..

نشكركم على اهدائكم القيم ونسأل الله لوالدكم الرحمه ولكم دوام التوفيـــق

ولكم تحياتنـــا ،،،،، .

أمير منطقـــة مكة المكرمـة

ماجد بن عبـــد العزيـز

١٦/ ١٢/ ٠٩ هـ

إ/م

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الداخلية
مكتب الوزير

الرقم ١/٥/١٤٠ خ
التاريخ ٢٨/٢/١٤٠٠هـ
التوابع

المكرمه الأخت حياة عبدالحميد عنبر

جده - ص . ب ٢٩٢٥

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :-

أطلع صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز وزير الداخليه على خطابك ومشفوعه نسخة من الأصدار الأول المشتمل على قصائد والدك رحمه الله باسم (اللجين المذاب) وقد أمر حفظه الله بأبلاغك شكر سموه على ذلك مع تمنياته لك بالتوفيق والنجاح . للأحاطه .. مع تحياتنا ،،،،

س/م

مدير مكتب وزير الداخليه

٢٨/١١/١٤٠٠هـ

محمد الشاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة لرعاية الشباب
مكتب الرئيس العام

الرقم ٢
التاريخ ١٤١٠/١/٤هـ
التوابع
الموضوع

المكرمه حياة عبدالحميد عنبر المحترمه

تحية طيبة ...

تلقيت بامتنان وتقدير النسخة التى أهديتيها الي من ديوان والدك المرحوم عبدالحميد عنبر الموسوم بـ " اللجين المذاب " الذى قمت بجمعه وطبعه .

واني اذ أشكرك على هذه الهدية القيمة لأتمنى لك دوام التوفيق والسداد مع خالص تحياتى ...،،،

الرئيس العام لرعاية الشباب

فيصل بن فهد بن عبدالعزيز

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
وزارة الإعلام
مكتب الوزير

الرقم: ٣/و/٢٥٧٠٢
التاريخ: ٢٠/١٢/١٤٠٩هـ
المشفوعات: ....

السيده / حياة عبدالحميد عنبر سلمها الله

دار المنهل ـ جده ٢١٤٦١ ص.ب (٢٩٢٥)

تحيه طيبة وبعد:

وردني خطابك المرفق به نسخة ديوان "اللجين المذاب" للوالد للمرحوم عبدالحميد .

شكرا للاهداء .. مع خالص تحياتى ،،

وزير الاعلام

علي بن حسن الشاعر

بسم الله الرحمن الرحيم

العرب

• مجلة تعنى بتاريخ العرب وآدابهم وتراثهم الفكري
• هاتف: ٤٦٣١٠١٠ - ٤٠٢٠٧١٤ ص.ب ١٣٧ الرمز البريدي ١١٤١١ الرياض
• شارع حمد الجاسر - حي الورود - السليمانية - المملكة العربية السعودية - برقيا "العرب"

الرقم ٢/٤٦٠ التاريخ ١٤١٠/٢/١٤هـ المرفقات

ابنتنا الحبيبة الاستاذة السيدة حياة عنبر

تحياتي المعبرة عن حبي وتقديري وشكري على الهدية التي سررت بها سرورا يفوق الحد والوصف ، لقد كنت متطلعا إلى نشر آثار صديقي العزيز الاستاذ عبد الحميد ، وأخبرتني السيدة أم خالد بأنك جمعت اثاره وهيأت ماعثرت عليه منها للنشر ، ويظهر أن ماتحفتني به اليوم هو باكورة تعقبها ثمرات يانعة ان شاء الله .

أكرر لك من الأعماق أطيب تحياتي مع عميق تقديري وجزيل شكري ؛

الداعي لك بالتوفيق

حمد الجاسر